
منهج الإمام علي عليه السلام
في
بناء الإنسان وإنسانية الدولة
أعمال المؤتمر العلمي الوطني الثاني
لمؤسسة علوم نهج البلاغة



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3663 لسنة 2019

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC: BP38.02.M8 A4 2019
المؤلف المؤتمر: المؤتمر العلمي السنوي لمنهج الامام علي (عليه السلام) في بناء الانسان (2 : 2017 : كربلاء، العراق).
العنوان: منهج الامام علي (عليه السلام) في بناء الانسان وانسانية الدولة: اعمال المؤتمر العلمي السنوي الثاني
بيان المسؤولية: [إعداد مؤسسة علوم نهج البلاغة. العتبة الحسينية المقدسة].
بيانات الطبع: الطبعة الاولى.
بيانات النشر: كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2019 / 1440 للهجرة.
الوصف المادي: 5 مجلد ؛ 24 سم.
سلسلة النشر: العتبة الحسينية المقدسة؛ (678).
سلسلة النشر: مؤسسة علوم نهج البلاغة؛ (177)
سلسلة النشر: سلسلة المؤتمرات العلمية؛ (2).
تبصرة ببليوجرافية: يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة.
موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة. عهد مالك الاشتر.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – احاديث.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – سياسة وحكومة – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في الاقتصاد – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – معجزات – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في بناء الانسان – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في الاخلاق – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: نظام الحكم في الاسلام – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: النظام الاداري في الاسلام – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: الاسلام والمجتمع – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: الاسلام وحقوق الانسان – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: احاديث خاصة (رد الشمس).
مصطلح موضوعي: الاخلاق الاسلامية –مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: الفقر – العراق – تاريخ – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: البلاغة العربية – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: اللغة العربية – نحو – مؤتمرات.
مؤلف اضافي: شرح لـ (عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة.
اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة – جهة مصدرة.
عنوان اضافي: نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة المؤتمرات العلمية (٢)
المؤتمر العلمي الثاني



الجزء الثاني

للمدة

13-14/ ربيع الأول/1439هـ الموافق 2-3/ 12/ 2017م

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: 07728243600 - 07815016633
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org



﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

مريم: ٥٥

المحور
الإداري والاقتصادي

الفساد الإداري... الوقاية والعلاج

حكومة الإمام علي (عليه السلام) أُنموذجاً

الاستاذ المساعد الدكتور

عبد الزهرة جاسم الخفاجي

الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

المقدمة

سُبحانَ مَنْ تعالى جده و تَقدَّسَت أسماؤه، ولَه الحَمدُ، والصلاة على خاتم أنبيائه وعلى آله الطاهرين.

أمّابعد.

يعاني المجتمع الدولي من خطورة تفشي ظاهرة الفساد وامتدادها على مستوى العالم، ولذا عمد إلى اتخاذ عدد من الإجراءآت واتبع أساليب مختلفة لمواجهة هذه الظاهرة والحد من تفشيها، ومع ضخامة الجهد الدولي وما يمتلكه من أدوات فإنه عجز عن تحقيق ماحققه الإمام علي (عليه السلام) في معالجته لموضوع الفساد لاسيما الفساد الإداري.

إنَّ حكومة الإمام علي (عليه السلام) على الرغم من قصر عمرها إلاّ أنّها استطاعت ومنذ قيامها أن تجتث الفساد الذي تفشى في مفاصل الدولة في عهد من سبقه، فكانت بحق أُنموذجاً يُحتذى، وقد بنى منهجه (عليه السلام) في مكافحة الفساد، على إقامة علاقة متميزة مع ولاته من خلال حسن الاختيار حيث تجلى في حكومته (عليه السلام) مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب بابهى صوره، ولم تتوقف علاقته بولاته وعماله عند اختيارهم وإنما تتطور لتنتقل إلى طور متابعة المرؤوس وهو يؤدي عمله الذي كُلف به للتأكد من تنفيذه المهام الموكلة إليه على الوجه المطلوب فيما يعرف بالرقابة.

اولى الله تعالى الرقابة اهتماما كبيرا لذا وردت مفردة الرقابة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي**

﴿تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

ومن هنا حظيت الرقابة باهتمام الإمام علي (عليه السلام) لأهميتها البالغة وأثرها الفعال في مكافحة الفساد لاسيما الإداري منه من جهة، ومن جهة اخرى إدامة العلاقة بينه وبين مرؤوسيه، فإذا كان اختياره لولاته يمثل الوقاية من الوقوع في الفساد، فإنه في الرقابة علاج لمن يصاب بهذا المرض الخطير.

ومن هنا فإن أهمية البحث تكمن في تقديمه عرضا لطبيعة العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) وبين معيته في إدارة الدولة وأثر هذه العلاقة في القضاء على مظاهر الفساد التي استشرت في مفاصل الدولة الإسلامية في عهد من سبقه، ومعالجة ماقد يظهر منها في حكومته.

ولذالك فإنَّ هدف البحث ينصب على سِرِّ نجاح الإمام علي (عليه السلام) لوقاية حكومته من الفساد الإداري وتحصين ولاته من هذا الداء الخطير.

وقد اعتمد الباحث على إجراء مسح لما بين يديه من المصادر يتعلق بجهود الإمام (عليه السلام) في مكافحة الفساد الإداري من خلال بناء علاقة سليمة مع ولاته وعماله بوصف الموظف الحكومي هو مادة الفساد الإداري. ولتحقيق الهدف فقد قُسم البحث الى:

المقدمة: وفيها التعريف بالبحث واهميته، والهدف منه، والمنهج الذي اتبعه الباحث لإنجاز هذا البحث.

مدخل: وفيه تطرق الباحث إلى تعريف الفساد، وموقف القرآن الكريم والسنة النبوية منه.

المبحث الأول: اختيار (الموظفين) الولاة والعمال، وفيه بيان لجهد الإمام علي

(عليه السلام) في الوقاية من الفساد من خلال وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

المبحث الثاني: الرقابة وفيه تتبين وظيفة الإمام علي(عليه السلام) في متابعة ولاته للتأكد من تنفيذهم المهام الموكلة إليهم على الوجه المطلوب.

الخاتمة: وفيها عرض لما توصل إليه البحث

ومن الله التوفيق

مدخل

تعد ظاهرة الفساد من الظواهر القديمة، ويرجع قدمها إلى قدم المجتمعات الإنسانية، وقد ارتبط وجودها بوجود الأنظمة السياسية التي حكمت تلك المجتمعات، و ظاهرة الفساد لا تقتصر على شعب دون آخر، كما أنها تختلف حسب بيئة المجتمع و طبيعة النظام السياسي السائد. ومع إن الأسباب الرئيسة لظهور الفساد تكاد تكون متشابهة في معظم المجتمعات إلا أن هناك اختلافاً في تفسير ظاهرة الفساد من مجتمع إلى آخر مَرَدَّه إلى اختلاف الثقافات وتباين القيم مما يؤدي إلى الاختلاف في تحديد مفهوم الفساد.

تعريف الفساد

الفساد لغةً: قال الجوهري في الصحاح:» فَسَدَ الشيء يَفْسُدُ فساداً، فهو فاسدٌ، وقومٌ فَسْدى. وكذلك فَسُدَ الشيء بالضم، فهو فَسيدٌ. ولا يقال: انْفَسَدَ. وأفْسَدْتُهُ أنا. والاسْتِفْسادُ: خلاف الاستصلاح. والمَفْسَدَةُ: خلاف المصلحة«[١].

وقال صاحب لسان العرب: «الفسادُ نقيض الصلاح فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَساداً وفُسُوداً فهو فاسدٌ وفَسِيدٌ فيهما ولا يقال انْفَسَد وأَفْسَدْتُه أَنا... وفَسَّدَ الشيءَ إِذا أَبارَه»[٢].

وقال الزبيدي: «فَسَدَ يَفْسُد وَيفسِدُ. وفَسُدَ... ضِدُّ صَلَحَ... والمَفْسَدةُ ضِدُّ المَصْلَحَةِ وقالوا: هذا الأَمْرُ مَفْسَدةٌ لِكَذا أَي فيه فَسادٌ» [٣].

ومعنى فساد في معجم اللغة العربية المعاصرة: فَسَدَ يفسُد ويفسِد، فساداً وفسوداً فهو فاسدٌ وفسيد... فسد الرجل: جانب الصواب «[٤].

وفي اللغة الانكليزية مفردة (corruption) في قاموس(ويبستر) تعني الحث

على العمل الخاطئ بواسطة الرشوة أو الوسائل غير القانونية الأخرى [٥]. وفي قاموس المورد فإن معنى (corruption) هو يرشو، يفسد، يحرف، مرتشي، فاسد، عفن، و محرف، وتعني فساد أخلاقي[٦].

الفساد اصطلاحا: قال الراغب: «الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عليه أو كثيرا، ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة»[٧]. وقال المناوي: «الفساد: هو انتقاض صورة الشيء»[٨]. والإفساد مأخوذ من الفساد: «وهو كل مايغير عن استقامة الحال»[٩]، وإلى المعنى نفسه يذهب الطبرسي فيقول: الفساد، وهو كل ما تغير عن استقامة الحال والصلاح نقيض الفساد»[١٠]. ويرى صاحب الفروق اللغوية أن الفساد: هو التغيير عن المقدار الذي تدعو إليه الحكمة والشاهد أنه نقيض الصلاح وهو الاستقامة على ما تدعو إليه الحكمة... وإذا قلنا ان فلان فاسد اقتضى ذلك أنه فاجر»[١١].

قال ابن الجوزي: «الفساد: تغيُّر عمَّا كان عليه من الصَّلاح، وقد يقال في الشيء مع قيام ذاته، ويقال فيه مع انتقاضها، ويقال فيه إذا بطل وزال، ويُذكر الفساد في الدِّين كما يذكر في الذَّات، فتارةً يكون بالعِصيان، وتارة بالكفر، ويُقال في الأقوال إذا كانت غير منتظمة، وفي الأفعال إذا لم يعتدَّ بها»[١٢].

يتبين مما ورد في تعريف الفساد أنه يعني الخروج عن الإسستقامة، كما أنه جاء في مقابل الصلاح، وبما أن للأ شياء مهماتها المرسومة لها فإن خروجها عن مهماتها تلك هو خلل أو نقص ناتج عن خروج الشيء نفسه عن وضعه المتعارف عليه[١٣].

القرآن الكريم يذم الفساد: ولخطورة الفساد فقد وردتْ في القرآن الكريم خمسون آية في مناسبات مختلفة تندد بالفساد وتلوم المفسدين، وتبين خطورة الفساد وعاقبته الوخيمة. كما بين الله تعالى فيها عدم محبته للفساد والفاسدين فقال: ﴿وَإِذَا

تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[١٤]، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٥]. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٦]. كما اخبرنا الله تعالى عن تدمير المفسدين وأعوانهم للعظة والاعتبار فقال:» ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[١٧].

السنة النبوية تذم الفساد:

شغل موضوع الفساد حيزا كبيراً من السنة النبوية، ذلك أن أنبياء الله تعالى بعد أن دعوا الناس إلى التوحيد الخالص قاموا بإصلاح ما أفسده الناس في شؤون الحياة، فكان لنبينا (صلى الله عليه وآله) أثراً فاعلاً في تصحيح مسيرة البشرية وعلاج مااستشرى فيها من الفساد من خلال غرس القيم الاخلاقية والسلوكية بين أفراد المجتمع، ولذلك فقد تناول في أحاديثه الشريفة كل مايمت إلى الفساد بصلة، فحذر المستغلين للمال العام بالباطل ووعدهم النار فقال: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١٨]، قال ابن حجر: «قوله يتخوضون- بالمعجمتين- في مال الله بغير حق، أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل»[١٩]، كما حرم أخذ مال الغير من دون رضاهم فقال: «وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ

مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ»(٢٠) وحرم الغش باعتباره صورة من صور الفساد فقال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَهُ لَهُ»(٢١).

وعندما يكون الفساد بكل أشكاله وصوره ضرر وإضرار يصيب الأفراد والمجتمعات فقد حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الضرر والاضرار فقال: «لا ضرر ولا ضرار»(٢٢).

يشير الباحثون في ظاهرة الفساد إلى أن هناك تصنيفات عدة للظاهرة، وكما إن للفساد مستويات وأنواع وأقسام، فإن للفساد مظاهر وأوجه، ولذلك يتخذ الفساد أشكالاً مختلفة ومتعددة، ولعل من أبرزها:

الفساد الإداري:

إنّ الإهتمام بموضوع الفساد الإداري وتعدد الدراسات التي تناولته تعريفاً وتحليلاً، وشرحاً لأهم دوافعه وأسبابه والآثار المترتبة على درجة وجوده. أدّى إلى تعدد التعريفات التي سيقت لوصفه، فقد عُرّف الفساد الإداري بأنه:- «اساءة استعمال السلطة العامة او الوظيفة العامة للكسب الخاص»(٢٣)، وفي تعريف آخر بانه: «إساءة استعمال الأدوار أو الموارد العامة للفائدة الخاصة»(٢٤)، وذهب بعضهم إلى تعريفه بأنه: «استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح أو منافع خاصة ويشمل جميع أنواع رشاوى المسؤولين المحليين أو الوطنيين أو السياسيين»(٢٥). وعرفه البنك الدولي في تقرير التنمية الصادر عام ١٩٩٧ بأنه:» سوء استغلال السلطة العامة من أجل الحصول على مكاسب شخصية»(٢٦). كما وضعت المنظمات الدولية الفساد في دائرة اهتمامها فعرفته منظمة الشفافية الدولية بأنه:» إساءة استعمال السلطة الموكلة لتحقيق مكاسب خاصة «(٢٧)، وهناك من ربط بين القيم والقواعد الأخلاقية وبين

الفساد فعرف الفساد بأنه: «الخروج عن القواعد الأخلاقية الصحيحة وغياب أو تغييب الضوابط التي يجب أن تحكم السلوك،ومخالفة الشروط الموضوعة للعمل وبالتالي ممارسة كل ما يتعارض مع هذه وتلك»[٢٨].

وفي العراق فالفساد الإداري: «هو الانحراف بالسلطة الممنوحة عما قصد من إعطائها لتحقيق مكاسب غير مشروعة»[٢٩].

ويُلاحظ أن تلك التعريفات اختصرت الفساد الإداري على إساءة استعمال (الوظيفة العامة) مما يعني أن الذي يشغل الوظيفة هو من يتحمل مسؤولية الفساد في وظيفته، وكما تعددت الآراء في تعريف الفساد، فقد تعددت تعريفات الموظف، وبقدر تعلق الأمر في موضوع الفساد فإن «مشروع (قانون مكافحة الفساد) المُعد من قبل رئاسة هيئة النزاهة الموقرة قد جاء منسجما مع أحكام الإتفاقية الدولية من خلال تحديده لمفهوم الموظف العام، إذ عرفت الفقرة (أولا) من المادة الأولى من المشروع الموظف العام بأنه: كل شخص عهد إليه وظيفة دائمة أو مؤقتة في دوائر الدولة والقطاع العام»[٣٠].

وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن الله تعالى قد أشار في القرآن الكريم إلى الفساد الإداري الناتج عن إساءة استعمال الوظيفة العامة كما في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[٣١]. ويرى القرطبي أن لفظ (تَوَلَّيْتُمْ): «هو من الولاية. قال أبو العالية: المعنى فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجُعِلتم حكاما أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا. وقال الكلبي: أي فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم»[٣٢].

ويعد الفساد الإداري من الظواهر التي تشكل تحديا كبيرا للدولة والمجتمع ولذلك فإن الإمام علي (عليه السلام) أراد من الأُمة الإسلامية ممثلة بالدولة أن

تكـون حصينـة وأداة إصـلاح حازمـة لإرشـاد المفسـدين وردعهـم امتثـالاً لقـول الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾(٣٣). واستجابة لدعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يُصْلِحُونَ حِينَ يُفْسِدُ النَّاس»(٣٤).

وخلصت بعض الدراسات إلى أنَّ الفساد: «ظاهرة سلبية تتفشى داخل الأجهزة الإدارية لها أشكال عديدة تتحدد تلك الأشكال نتيجة للثقافة السائدة في المجتمع والمنظمة والنظام القيمي وتقترن بمظاهر متنوعة كالرشوة وعلاقات القرابة والوساطة والصداقة تنشأ بفعل مسببات مختلفة هدفها الأساس وغايتها الرئيسة إحداث انحراف في المسار الصحيح للجهاز الإداري لتحقيق أهداف غير مشروعة فردية أو جماعية»(٣٥)

«ولعل من أكبر مظاهر الفساد الإداري الشائعة حالياً في بعض المؤسسات العراقية هي، عندما يكون المسؤول الأول مشغولاً لدرجة أن يترك أمر وزارته أو جهازه الإداري في تصرف أحد موظفيه وكم من موظف أصبح في الأهمية قبل رئيسه. وهنا يبدأ الفساد الإداري في غياب المراقبة والمتابعة حتى إن العديد من القضايا المهمة التي تحتاج إلى أن يحاط المسؤول الأول بها علماً تحجب عنه ولا يعلم عنها إلا بعد وقوع كارثة أو نتيجة مساءلة للمسؤول من أعلى منه»(٣٦).

يتضح مما سبق أن الفساد الاداري ناجم عن استغلال الموظف العام لموقع عمله وصلاحيات وظيفته للحصول على مكاسب غير مشروعة يتعذر تحقيقها بالطرق المشروعة، خروجا على النظام والقانون أو استغلالا لغيابهما. وبذلك فالموظف العام هو محور الفساد الإداري، فإن صَلح صلحت الإدارة وإن فسد

فسدت الإدارة، وهذا ما كان يخشاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ(*)»(٣٧)، كما حذّر (صلى الله عليه وآله) من أمراء السفاهة الذين لا يهتدون بهديه فقال: »أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم فهم مني وأنا منهم وسيردون على حوضي». كما إن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أكّدَ على التشخيص نفسه فقال: «فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ اَلرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ اَلْوُلاَةِ»(٣٨)، ولذلك عمل (عليه السلام) في منهجه لمحاربة الفساد بوضع جل اهتمامه على الموظف (الوالي)، ومن بين أهم الركائز الأساسية لسياسته في هذا الميدان ما يلي:-

أولاً - اختيار (الموظفين) الولاة والعمال.

ثانياً - تنمية القيم الأخلاقية والدينية لدى (الموظفين) الولاة والعمال.

ثالثً - المراقبة والمحاسبة (للموظفين) الولاة والعمال.

وعلى هذه الركائز بُنيت علاقة الإمام علي (عليه السلام) بولاته، فكانت علاقة إنسانية تقوم على وفق النظرية الإسلامية، وكان (عليه السلام) يرى أنَّ الولاة يستحقون الإهتمام والرعاية، على الرغم من أن علاقته معهم انمازت بالحزم والقوة إلاّ أنها لم تكن سلطوية.

المبحث الأول

اختيار (الموظفين) الولاة والعمال:

تعريف الاختيار

أولاً - في اللغة: في «خار الشيء: انتقاه واصطفاه... والخيار الاسم من الاختيار وهو طلب خير الأمرين إمّا امضاء البيع أو فسخه. وفي الحديث البيّعان بالخيار...»[٣٩].

والاختيار: «الاصطفاء وكذلك التخيّر... اختاره من القوم: اصطفاه من بينهم. استخار استخارة: طلب الخيرة... الخيار بالكسر... الاسم من الاختيار. ومنه خيار البيع وغيره عند الفقهاء»[٤٠].

ثانياً - اصطلاحاً: الاختيار اصطلاحاً: «هو تفضيل الشيء على غيره، وهو الإتيان بالتصرف على الوجه الذي يريد، أو ترجيح تصرف على غيره»[٤١].

مما تقدم فإن عملية الاختيار تتضمن المفاضلة بين الأفراد لإيجاد التوافق بين متطلبات وواجبات الوظيفة و بين مؤهلات و خصائص الشخص المتقدم لشغل الوظيفة من أجل وضع الشخص المناسب في المكان المناسب. ولم يكن مثل هذا الأمر ليغيب عن ملاحظة الإمام علي (عليه السلام) فقد وضعه نصب عينيه في مواجهته للفساد، فكان (عليه السلام) يختار ولاته على وفق مناسبة الوالي للولاية، إذ لكل ولاية من ولايات الدولة الإسلامية طبيعتها التي تختلف عن غيرها من الولايات.

كان الإمام علي (عليه السلام) يؤكد على أهمية وجود الإمارة (السلطة) إذ: «لابد للناس من إمارة يعمل فيها المؤمن ويَستمع فيها الفاجر والكافر ويبلغ

الله فيها الأجل»(٤٢)، وكان يسعى لإقامة (الإمرة البّرة) التي تقوم على التقوى «وجوهرها هي التي يعمل فيها التقي، حتى يستقيم العدل في البلاد وتظهر المودة بين الرعية والحاكم وينصف المظلوم فيها من الظالم»(٤٣). كما يؤكد على خطورة (السلطة) باعتبارها أمانة يجب المحافظة عليها ويرى أنَّ التفريط بواجباتها خيانة وهو بذلك ينسجم مع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(٤٤)، فثقافته (عليه السلام) لم تأت من فراغ وانما جاءت من خلال ملازمته الدائمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد وصف هذه الملازمة بأدق وصف فقال: «**وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ**»(٤٥). وكان ينهل من فيض علمه في مختلف ابوابه كما قال (عليه السلام): «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلْفَ بَابٍ، فانفتح في كل واحد منها الف باب»(٤٦)؛ فصار باب مدينة علمه كما صرح بذلك الرسول نفسه حيث قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»(٤٧)؛ فاستحق ان يكون ثاني اثنين تركهما رسول الله وأمَرَ الأُمة من بعده بالتمسك بهما: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا: كتاب الله، وعِترتي أهل بيتي؛ فإنَّهما لن يفترقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ»(٤٨)، ولهذا فمنهج الإمام علي (عليه السلام) هوامتداد لمنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله). وعلى الرغم من أهمية وجود السلطة عند الإمام علي (عليه السلام) إلاّ أنه لم ينظر إليها كمغنم، ولذلك لم يسع إليها ولم يتصارع من أجلها، ولكن السلطة سعت إليه كما جاء في قوله (عليه السلام): «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَ شُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ»، فقد زهد السلطة كما زهد الدنيا إذ هي أزهد عنده «مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ» فالسلطة عنده (عليه السلام) لم تكن هدفاً في يوم

من الأيام وإنما وسيلة لإصلاح المجتمع وسبباً لنهضة المسلمين.

أشار القرآن الكريم إلى معايير مهمة في اختيار الأصلح فقال تعالى على لسان ابنة شعيب: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾»[٤٩]، و جاء على لسان يوسف: «﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾»[٥٠]، ثلاثة معايير وردت في الآيتين الكريمتين - القوَّة، والأمانة، والمعرفة – أضاف إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسساً مهمة وواضحة لاختيار الولاة تجنبهم الوقوع بالفساد ومن بين أهم ركائز الاختيار التي يؤكد عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي: الكفاءة والقدرة والاتقان، ولم يسند وظيفة لمن يرى فيه ضعفاً عن القيام بما يُكلَّف به، يتضح ذلك في رواية أبي ذرٍّ حيث قال: «قلت يا رَسُولَ اللهَّ، ألا تَسْتَعْمِلُنِي! قال: فَضَرَبَ بيده على مَنْكِبِي، ثُمَّ قال: يا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يوم الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إلا من أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الذي عليه فيها»[٥١]، كما كان (صلى الله عليه وآله) يرى أن تولية الأعمال والوظائف بدافع القرابة أو المحاباة دون الالتفات الى ما أكّدَ عليه من القدرة والكفاءة يُعَدُّ من اشد مظاهر الفساد، ومن يفعل ذلك يستوجب اللعنة من الله تعالى ومصيره الى النار كما جاء في حديثه (صلى الله عليه وآله): «**مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهَّ لَا يَقْبَلُ اللهَّ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ**»[٥٢]. وكان يرى (صلى الله عليه وآله) أن إسناد الأعمال والوظائف لغير أهلها تضييع للأ مانة، وأن تضييع الأمانة نذير لاقتراب الساعة، وقد جاء ذلك واضحاً في اجابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لرجل سأل عن قيام الساعة فرد عليه رسول الله قائلاً: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: إذا أُسنِدَ الأَمْرُ إلى غير أهله،

فانتظر السَّاعة»[٥٣].

ومن هذا المنطلق فإنَّ الإمام علي (عليه السلام) ومن خلال شروطه لقبول الخلافة كما جاء في قوله مخاطباً جموع المسلمين: «وَاعْلَمُوا أَنِّي إنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ»[٥٤]. كان (عليه السلام) يسعى للرجوع بالمجتمع إلى المنهج الذي اختطه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مع التذكير أنَّه (عليه السلام) لم يبتعد عن الإدارة بعد رسول الله، فالإمام علي(عليه السلام) وعلى الرغم من إقصائه عن الحكم فقد كان موضع استشارة الخلفاء، ولم يترك إرشاد الأُمّة وهدايتها لأنّه: «لا يجوز لحُجة أقامه رسول اللهّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك الناس في حيرة»[٥٥]، ولذا كان (عليه السلام) يمارس وظيفته كإمام مهمته حفظ الدين والتدخل لتقويم الإنحراف متى بلغ درجة تهدد مسيرة الإسلام ؛ فكان (عليه السلام) يوقِف الحاكم إذا ما تمادى في اللامسؤولية والإنحراف، والشواهد على ذلك كثيرة، وهي أكثر من أن تُحصى، ولقد كان أثره واضحاً في عهد الخليفة عمربن الخطاب فعلى سبيل المثل في ردّه على عمرعندما خاطب الناس قائلاً: «لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟ قال محمّد: فسكتوا، فقال ذلك ثلاثاً، فقام علي عليه السّلام فقال: يا عمر اذن كنا نستتيبك، فان تبت قبلناك قال: فان لم اتب قال: فاذن نضرب الذي فيه عيناك فقال: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا اعوججنا أقام أودنا»[٥٦]. وكان (عليه السلام) يتابع مسيرة الادارة عن كثب ويشخص الأخطاء كما يراها هو، ولا يتوانا في تقديم النصح والمشورة لعمر حتى ان عمر كان كثيراً ما يردد عبارات يُستدل منها على أهمية آراء الإمام علي (عليه السلام) في توجيه الإدارة لما يخدم الإسلام مثل: «لولا عليّ لهلك عمر»[٥٧]، و«لا أبقاني الله لمعضلة

ليس لها أبو حسن»[٥٨]، وقوله مخاطباً الإمام علّي (عليه السلام): «ما زلت كاشف كلّ كرب وموضح كلّ حكم»[٥٩]، وقوله: «يا أبا الحسن، أنت لكلّ معضلة وشدّة تدعى»[٦٠]،ولم يُخفِ عمر معرفته بمبلغ علم عليّ(عليه السلام) فقال: «عليّ أعلم الناس بما أنزل الله على محمّد»[٦١]، و يبين عمر للامة أهمية الإمام عليّ(عليه السلام) فيها فيقول له على أعين الناس: «لولاك لافتضحنا»[٦٢]. فكان (عليه السلام) كما وصفه ثابت بن قيس قائلاً له: «يحتاجون اليك فيما لايعلمون وما احتجت لأحد مع علمك»[٦٣]، ومع ذلك فإنّ الخليفة عمر لم يأخذ بكل آراء الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في أمور مهمة منها كيفية التعامل مع مال المسلمين، وخاصة تلك التي تتعلق بتوزيع الاموال من جهة، وعلى ضرورة اختيار الاشخاص المناسبين لادارة هذه الاموال وصيانتها من جهة اخرى الأمر الذي أدّى الى اخطاء في الادارة أَقَرَّ بها عمر و أعلن عن عزمه على الرجوع إلى سنة رسول الله قائلاً:» إن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، و لا عربياً على أعجمي، و صنعت كما صنع رسول الله و أبو بكر»[٦٤] ولكنه لم يطل به العمر ليفي بما وعد.

وللوقوف على صعوبة المهمة التي قام بها الإمام علي (عليه السلام) بتغيير الأوضاع، والأسلوب الذي انتهجه والذي أصبح مثالاً في تأريخ الإنسانية، لا بد من الرجوع إلى الواقع الذي كان يعيشه المجتمع في ظل حكومة عثمان حيث تسلّط بني أمية على رقاب المسلمين وأموالهم ومُقَدَّراتِهم، إذ جاء عثمان ليعمل بسنة الشيخين، وعزَّزَها بتعيينه الولاة عملاً بنصيحة ابي سفيان له: «قد صارت إليك بعد تيم وعديّ، فأدِرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُميّة، فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جَنّة ولا نار»[٦٥]. وكان ابو سفيان قد رأى في خلافة عثمان أنها غنيمة لبني

أمية فقال مخاطباً إياهم: « يا بني أُميّة! تلقّفوها تلقّف الكرة»(٦٦)، المقولة التي ترجمها سعيد بن العاص في ولايته للعراق قائلاً: «إنما السواد(*) بستان لقريش»(٦٧). لذلك كان صوت الإمام علي (عليه السلام) في مقدمة الأصوات التي ارتفعت بالنقد والمُعارَضَة لسياسة الخليفة عثمان، وميله لبني أمية، ومن خلال ماتمليه عليه إمامته (عليه السلام) كان ينبهه إلى خروجه عن النهج الذي سار عليه من سبقه من الخلفاء، لاسيما وأنه - أي عثمان - وصل الى الخلافة بتعهده على العمل (بسياسة الشيخين)(٦٨). ولذلك فان مسيرة حكم الخليفة عثمان، وما آلت إليه الممارسات الخاطئة التي طالت مجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، من قبل الولاة والعمال، أمثال سعيد بن العاص وعبد الله بن عوف الزهري، و معاوية بن أبي سفيان، وغيرهم ممن قرَّبهم عثمان إليه ومكّنهم من الوصول إلى دائرة الحكم. أدّت إلى استشراء الفساد في مفاصل الدولة، فكان سبباً في تدهور الأمور حتى نتهى الأمر إلى قتل الخليفة نفسه على يد الناقمين على ادارته.

من العرض المختصر لأحوال الإدارة في عهد الخلفاء الذين أعقبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتبين حجم التركة الثقيلة التي ورثها الإمام علي (عليه السلام)، ولذلك عندما آلت إليه الخلافة سعى إلى وضع مشروعه الإصلاحي موضع التطبيق فقد شخص العلل ورسم لها العلاج، وكان (عليه السلام) ومن خلال معايشته لإدارة الذين سبقوه قد وجد إن من بين تلك العلل وربما أهمها هو تعيين أشخاص غير مناسبين في المناصب الإدارية لذا تبنّى: «شؤون الموظّفين من ولاة وعمّال وجباة، واحتاط في أُمورهم كأشدّ ما يكون الإحتياط فلم يولّ أي أحد منهم عملا إلاّ بعد الفحص التامّ عن عدالته ونزاهته وخبرته وإخلاصه في العمل»(٦٩)، وأقام فلسفته في الإدارة على اتخاذ الحكم وسيلة للإصلاح، فكان

أول إجراء اتخذه عزل العمال والولاة السابقين على الأقاليم، ومما يجب قوله أنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يعزل ولاة عثمان لمجرد العزل، ولكنه وجدهم سبب ما حل بالدولة من خراب، لانهم تصرفوا بالادارة على وفق اهوائهم فشاع الفساد الاداري والمالي، وقد صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث وصفهم فقال: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلا»(٧٠). ولم يتراجع الإمام علي (عليه السلام) عن قرار العزل، رغم محاولة البعض الحؤول دون ذلك، وكان رده (عليه السلام) عليهم قائلاً: « والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدنيَّ من أمري»(٧١). ومن الجدير بالذكر أن موضوع عزل الإمام علي لِولاة عثمان اخذ مساحة كبيرة من البحث والتحليل وقد انقسمت فيه الآراء انقساما حاداً، الخوض فيه يبعد البحث عن وجهته، غير أنه من المناسب أن نذكر على سبيل المثل رأيين لهما علاقة باختيار الولاة حيث يرى الأول: «أنَّ خير مايصلح به الأمر عزل جميع ولاة عثمان قبل أن تصل إليه بيعة الأمصار، وأن بقائهم يوما واحدا طعنا في دينه»(٧٢). ويتفق طه حسين مع هذا الرأي فيقول: «ومهما يكن من اختلاف المؤرخين فليس من شك في ان عليا لم يكن يستطيع أن يستبقي عمال عثمان، كان دينه يمنعه من ذلك ؛ لأنه طالما لام عثمان على تولية هؤلاء العمال، وطالما أنكر على هؤلاء العمال سيرتهم في الناس فلم يكن يستطيع أن يطالب بعزلهم أمس ويثبتهم على عملهم اليوم»(٧٣). يستدل من ذلك أن الإمام علي (عليه السلام) عَدَّ السكوت على الموظف الفاسد يعني عدم حفظ الدين، وحفظ الدين عند الإمام علي (عليه السلام) أعظم المقاصد وأجل المطالب، وعزل الولاة الفاسدين يُعَدُّ أصل من أصول حفظ الدين من جانب العدم وذلك برفع الفساد الواقع أو دفع الفساد المتوقع(٧٤)، وإصراره على عزلهم يدل على أنّه «قد أقَرَّ في نفسه ان هؤلاء العمال لايصلحون لان يلوا شيئاً

مـن أمـر المسـلمين وأنّ الإبقـاء عـلى واحـد منهـم يومـا كامـلا نقـص في دينـه»[٧٥].

كان الإمام علي (عليه السلام) يـرى أنّ الولايـة ليست بستان يأخـذ منهـا الـوالي مايشـاء ومتـى شـاء، وانـما هـي وظيفـةٌ الـولاة فيهـا خـدّام للرعيـة، كـما أنهـا ليسـت تشريفـا لهـم بقـدر كونهـا خدمـة عامـة يتقاضـون عليهـا أجـراً، ويبتغـون مـن ورائهـا ثوابـاً مـن الله تعـالى إن هـم أحسـنوا عملهـم. وقـد كان أول تطبيـق عمـلي لهـذا المبـدأ عندمـا ولّى الزبـير بـن العـوّام اليمامـة والبحريـن وولّى طلحـة اليمـن «فلـما دفـع إليهـما عهديهـما قـالا لـه: وصلتـك رحـم! قـال: وإنـما وصلتكـما بولايـة أمـور المسـلمين.. واسـترد العهـد منهـما، فعتبـا مـن ذلـك، وقـالا: آثـرت علينـا! فقـال: لـو لا مـا ظهـر مـن حرصكـما لقـد كان لي فيكـما رأي»[٧٦]. ويُلاحـظ أن تَـصُّرف الإمـام عـلي (عليـه السـلام) لم يكـن مُـرض لهـما، ذلـك أنهـما اعتقـدا أنـه (عليـه السـلام) ولاّهمـا مكافـأة عـلى مبايعتهـما لـه ؛ إذ اعتـادوا عـلى مثـل هـذا الامـر في الحكومـات التـي سـبقت حكومـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) فعـلى سـبيل المثـل: لم يعـترض الخليفـة عمـر بـن الخطـاب عـلى قـول أبي سـفيان لـه: «وصلتـك رحـم» عندمـا أخـبره بإلحـاق فلسـطين إلى ولايـة إبنـه معاويـة عـلى الشـام[٧٧]. حتـى بـات معاويـة بـن أبي سفيان الحاكـم الـذي لاخـلاف عـلى فسـاد سـيرته، بـل وإفسـاده للخلافـة الإسـلامية، وتحويلهـا إلى ملـك عضـوض. مـع التذكـير بـأن عمـر كان يعلـم ان بنـي اميـة سيفسـدون الامـر إذ هـو مـن قـال للمغـيرة بـن شـعبة: «أم والله ليعـورن بنـو أميَّـة الإسـلام، كـما أعـورت عينـك هـذه، ثـمّ ليعمينـه، حتـى لا يـدري أيـن يذهـب ولا أيـن يجـي»[٧٨]، وهكـذا فـإنَّ الإمـام عـلي (عليـه السـلام) قـد أوصَـد بابـاً مـن أبـواب الفسـاد بقطعـه الطريـق أمـام الزبـير وطلحـة مـن استغلال وظيفتهـم لتحقيـق منافـع خاصـة. وتـأتي منظمـة الشـفافية الدوليـة[*] بعـد قـرون عديـدة ومـن خـلال دراساتها الحديثـة فتؤكـد مـا ذهـب اليـه الإمـام عـلي (عليـه

السلام) فتُعَرِّف الفساد: «بأنّه استغلال السلطة من أجل المنفعة الخاصة»[٧٩].

تكمن أهمية الوالي في فكر الإمام علي (عليه السلام) في كونه الخيط الجامع وعليه يتوقف صلاح المجتمع، كما جاء في قوله (عليه السلام): «مَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً»[٨٠]، كما أنّهُ (عليه السلام) كان يعتبر ولاته بمثابة خلفاء له ؛ فقد ورد في دعائه على اصحاب الجمل لِما فعلوه في وإليه على البصرة عثمان بن حنيف قائلاً: «اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي وعجل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي»[٨١].

وانطلاقا من أهمية وظيفة الولاة في إصلاح المجتمع فإن الإمام علي (عليه السلام) أولى شؤون الموظّفين من ولاة وعمّال وجباة أهمية بالغة، فلم يولّ أي أحد منهم عملا إلاّ بعد التأكد التامّ من عدالته ونزاهته وخبرته وإخلاصه في العمل، معتمداً ضوابط ومعايير تعد من أهم التشريعات الوقائية لمنع الفساد ؛ ذلك ان الموظف هو الركن الاساسي الذي يُرَكَّز عليه في منع الفساد، وإذا لم يتم اختيار الموظف على وفق المعايير المطلوبة سيكون أحد أهم أسباب الفساد. ويعتبر التجاوز على معايير اختيار الموظفين بـ «المحسوبية والمحاباة والوساطة في التعيينات الحكومية، كقيام بعض المسؤولين بتعيين أشخاص في الوظائف العامة على أسس القرابة أو الولاء السياسي أو بهدف تعزيز نفوذهم الشخصي، وذلك على حساب الكفاءة والمساواة في الفرص»[٨٢] ابرز اشكال الفساد الإداري في العراق في الوقت الحاضر.

معايير اختيار الولاة:

كان هدف الإمام علي (عليه السلام) من قبول الخلافة هو رد معالم الاسلام، واصلاح شؤون الناس كما بين ذلك قائلاً: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي**

كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالصَّلَاةِ»(٨٣).

وما أن تسلم مقاليد الحكم حتى باشر في اصلاحاته فعزل المفسدين من الولاة، ووضع معايیراً اختار بموجبها ولاة للأقاليم تقوم على موازين قاعدتها الشريعة الإسلامية،وقد كان رسول الله (صلى الله عليه واله) قد اشترط خصالاً لابد ان تتوفر في من يتصدى لقيادة المجتمع لخصها في ثلاث خصال فقال: «لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم. وفي رواية أخرى حتى يكون للرعية كالأب الرحيم»(٨٤).

ولمعرفة أهمية هذه الخصال في مكافحة الفساد لابد من الوقوف عندها:

الوَرَعُ: «التَّقْوَى والتَّحَرُّجُ والكَفُّ عن المَحَارِمِ»(٨٥)، وتدخل التقوى في كل أمر ولذا لابد أن يكون الحاكم تقيا وقد أكَّدَ النبي (صلى الله عليه وآله)على التقوى وهو يوصي أباذر قائلاً: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ**»(٨٦). والتقوى عند الإمام علي (عليه السلام) تحرر الانسان من أسر عبودية الهوى، وتكف عنه الحسد والحقد والطمع والشهوة «.. فإن تقوى اللهَّ مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة...»(٨٧).

الحِلْم: «الأناة والتثبت في الأمور... والحليم معناه أنه الذي لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم «(٨٨). وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): «لو كان الحلم رجلا لكان عليا»(٨٩)، وفي وصف الحلم يقول الإمام علي:

«فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم»[٩٠]، وقد عدّه الإمام زين العابدين (عليه السلام) من علامات الإيمان فقال: «علامات المؤمن خمس... الحلم عند الغضب»[٩١]

حسن الولاية: أي حسن إدارته لرعيته وسلامة تعامله معهم من جملته باحترام كبيرهم والرحمة بالضعيف، وتوقير العالم واعطائهم حقوقهم، والقسمة بينهم بالسوية. ومما يُلاحظ اليوم أن التعيينات العشوائية والوساطات جلبت الى السلك الوظيفي من هم غير مؤهلين لهذه المناصب لا ثقافيا ولا علميا.. أي أنه لايستحق هذا المنصب فيصاب هذا الموظف بالغرور والتعالي على الناس وحتى في حالات كثيرة على زملائه الموظفين الذين يعملون معه، وقد تنبه الإمام علي إلى حالة الغرور فقال: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ**»[٩٢].

فضلا عما ذُكِر فالإمام علي (عليه السلام) ومن خلال تجربة إمامته في المرحلة التي أعقبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشترط على أن لايكون في من يُختار للولاية واحدة من الخصال المذمومة والتي ذكرها الإمام فقال: «**أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ**»[٩٣].

أن لايكون بخيلاً: «البخُلُ... ضِدُّ الكَرَمِ والجُودِ وحَدُّه: إِمساكُ الْمُقْتَنَياتِ عَمَّا لا يَحِلُّ حَبْسُها عنه وشَرعاً: مَنْعُ الواجِبِ»[٩٤]، ويريد الإمام علي (عليه السلام)

ان يكون الوالي منزهاً من الخصال السيئة بما فيها البخل لأن من غير المعقول أنّ الوالي يأمر الناس بالصلاح واجتناب القبائح ولاينهى نفسه، وهذا ما لايرضاه الله تعالى حيث قال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٩٥]. ولقد ذمَّ اللهُ البخل في آيات كثيرة لذلك لايمكن لمن يتصف بالبخل أن يكون «واجداً لشروط الولاية والإمامة»[٩٦]. هذا من جهة ومن جهة اخرى فانه محب للمال ستكون شهوته في مال الرعية.

ولاجاهل فيُظلهم بجهله: يكفي قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): « الجاهلُ يظلم مَن خالطه، ويعتدي على مَن هو دونه، ويتَطاول على مَن هو فَوْقه، كلامه بغير تدبر، إن تكلم أثِم وإن سكت سها، وإن عَرَضت فتْنة أرْدَتْه، وإن رأى فضيلة أعرض عنها»[٩٧]. في عدم تولي الجاهل.

وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ: الجافي: هو الغليض الذي يكون عنصر طرد بدل ان يكون عنصر استقطاب وهذه الصفة المنفردة اشار إليها القران الكريم في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٩٨] وقال رسول الله (صلى الله عليه واله):» الُخلقُ السَّيِّئُ يُفسِدُ العَملَ كما يُفسِدُ الخَلُّ العسَلَ»[٩٩].

وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ: الحائف من الحيف أي الجور والضلم، والحائف للدول اي الجائر للأموال والظالم في تقسيمها بأن لايقسمها بالسوية بل يرجح بعضهم على بعض [١٠٠].

ولا المرتشي في الحكم: والرشوة في اللغة ما يعطى لابطال حق أو إحقاق باطل والراشي يعني المعطي للرشوة والرشوة مايعطيه الشخص لحاكم وغيره ليحكم له او يحمله على مايريد. والرشوة من المحرمات التي نهى الله تعالى عنها فقال:» ﴿وَلاَ

تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٠١]. قال الطبرسي في تفسير ذلك: «ان لا يأكل بعظكم مال بعض بالغصب والظلم»[١٠٢]، ولدور الرشوة الكبير في الفساد فقد قيل فيها الكثير ابتغاء التحذير من الوقوع بها، ويرسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهاية من يتعاطاها فيقول «الراشي والمرتشي كلاهما بالنار»[١٠٣]. ولم يقف عند الراشي والمرتشي وانما شمل الساعي بينهما فلعن «الراشي، والمرتشي، والرائش»[١٠٤]

وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ: وتعطيل السنة يعني ترك ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه واله) وعدم العمل به وبالتالي سوف يصبح المنكر مقبولا، وشائعا والمعروف مغيب ومتروك؛ الأمر الذي يؤدي إلى هلاك الأمة وهذا هو حال النظم التي تحكم بإسم الاسلام ولا نجد في حكمها ما يمت إلى الاسلام بصلة فنرى مفردة الفساد عندها تتردد اكثر من اية مفردة اخرى.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الأمم المتحدة ومن خلال إتفاقيتها لمكافحة الفساد (UNCAC) والتي دخلت حيز النفاذ في ١٤ كانون الأول/ ٢٠٠٥، و هي تُعد الاتفاقية الأكثر شمولاً وقوة في مكافحة الفساد على نطاق عالمي، والتي انظمت إليها جمهورية العراق بموجب القانون رقم ٣٥ لسنة ٢٠٠٧م، وفي رؤيتها لمكافحة الفساد قد حددت معايير اختيار الموظفين في المادة ٧ «١- تسعى كل دولة طرف، حيثما اقتضى الأمر ووفقا للمبادئ الأساسية لنظامها القانونى، إلى اعتماد وترسيخ، وتدعيم نظم لتوظيف المستخدمين المدنيين، وغيرهم من الموظفين العموميين غير المنتخبين عند الاقتضاء، واستخدامهم واستبقائهم وترقيتهم وإحالتهم على التقاعد تتسم بأنها:

تقوم على مبادئ الكفاءة والشفافية والمعايير الموضوعية، مثل الجدارة

والإنصـاف والأهليـة»[١٠٥].

وبمقارنتها مع المعايير التي وضعها الإمام علي (عليه السلام)، وعلى الرغم من وجود الفارق الزمني الذي يزيد على اربعة عشر قرناً، سنجد أنها لم تأتِ بجديد ؛ الأمر الذي يدل على رقي الفكر الإداري للإسلام والذي يمثله الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) افضل تمثيل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

إنَّ المعايير التي ذُكرت سواءاً تلك التي وضعها الإمام علي (عليه السلام) لاختيار الولاة والعمال، أو التي وضعتها نظم الإدارة الحديثة، ومؤسسات النزاهة والشفافية لاختيار الموظفين. ليست سوى الية من آليات الوقاية من الفساد، ولن تكون فاعلة إلاّ في ظل علاقة سليمة بين الرئيس والمرؤوس.

علاقة الإمام علي (عليه السلام) مع ولاته:

بينا في ماسبق حجم التركة الثقيلة من الفساد التي ورثها الإمام علي (عليه السلام)، ولعلَّ أبرز ما في هذه التركة معاوية بن أبي سفيان ؛ إذ أنَّ ما وصل إليه معاوية من فساد كان نتيجة لعلاقة بين الرئيس والمرؤوس يشوبها الخلل، فقد عُرِف عن الخليفة عمر بن الخطاب شدته وصرامته مع ولاته وعماله، وتسوق المرويات الكثير من الأمثلة على ذلك، غير أنَّ مانجده في هذه المرويات، يشير إلى وجود خصوصية لعامل دون سواه، ففي الوقت الذي يحاسب الخليفة عمر سعد بن أبي وقاص لأنه سمع أنَّ سعداً وضع باباً لداره في الكوفة يحجز عنه أصوات الناس بالسوق، وأن الناس يسمّونه قصر سعد، دعا محمد بن مسلمة وأرسله إلى الكوفة، وقال له: اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه، ثم ارجع عودك على بدئك، فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطباً ثم أتى به القصر، فأحرق الباب[١٠٦]، ويكتب إلى مجاشع بن مسعود وكان قد استعمله على عمل» فبلغه أن امرأته تجدد

بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود سلام عليك أما بعد فقد بلغني أن الخضيراء تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها» (١٠٧). فانه يتعامل مع معاوية بطريقة كان لها أثر مهم في إعداد معاوية للمُلك فقد أمّره على دمشق الشام طيلة مدة خلافته وكان يمتدحه ويثني عليه(١٠٨). ويوم زار الخليفة عمر الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم فقال له عمر: «أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال: مع ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا ؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن يظهر من عز السلطان ما يرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال له عمر : يا معاوية ، ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقا، إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلا إنه لخديعة أديب. قال: فمرني يا أمير المؤمنين. قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه ! فقال عمر : لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه».(١٠٩) وهنا تبدوا محاباة عمر لمعاويه واضحة لالبس فيها، كما كان يغرس في نفسه سلوك كسرى، فقد كان عمر إذا نظر إلى معاوية قال: «هذا كسرى العرب»(١١٠)، وتباهى مرة به فقال: «تذكرون كسرى وقيصر ودهائهما وعندكم معاوية»(١١١).

إنَّ سوقَنا لِهذا النموذج من العلاقة بين الرئيس والمرؤوس مع كونها خارج نطاق البحث إلاّ انها تعطي صورة واضحة للعلاقة التي تتمخض عن فساد اتسعت مساحته حتى استنزفت الكثير من جهد الإمام علي (عليه السلام) في حربه على الفساد، وتجاوزت عهده فوصلت بمعاوية إلى الحد الذي خاطب الأمة

قائـلاً: «**مَـا قَاتَلْتُكُـمْ لِتُصَلُّـوا، وَلَا لِتَصُومُـوا، وَلَا لِتَحُجُّـوا، وَلَا لِتُزَكُّـوا، وَقَـدْ أَعْـرِفُ أَنَّكُـمْ تَفْعَلُـونَ ذَلِـكَ، وَلَكِـنْ إِنَّـمَا قَاتَلْتُكُـمْ لِأَتَأَمَّـرَ عَلَيْكُـمْ، وَقَـدْ أَعْطَـانِي اللهُ ذَلِـكَ وَأَنْتُـمْ لَـهُ كَارِهُـونَ**»(١١٢). ومـن المؤكـد ان ماتعانيـه الامـة الإسـلامية اليـوم هـو حصـاد تلـك البـذرة.

وتشـير الدراسـات الحديثـة المهتمـة بأسـباب الفسـاد إلى أن العلاقـة مـع المسـؤولين في الإدارات العليـا قـد تكـون سـببا لممارسـات إداريـة فاسـدة تنتـج عـن اسـتغلال النفـوذ لهـؤلاء المسـؤولين والاحتـماء بهـم سـواء أكانـت العلاقـة قرابـة أم ارتبـاط مصالـح أم صداقـة(١١٣).

ولذلـك فـإنَّ الادارة النموذجيـة هـي التـي تكـون فيهـا العلاقـة بـين الموظـف والمسـؤول لايسـتغني فيهـا احدهمـا عـن الآخـر ؛ فالمديـر يحتـاج إلى الموظـف لتنفيـذ افكاره وتحقيقهـا عملياً، والموظـف يحتاج إلى إدارة وتوجيـه وإلى افكار ينفذهـا، وعلى هـذا الاسـاس كانـت تقـوم علاقـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بولاتـه. وقـد نجحـت هـذه العلاقـة ليـس فقـط في اجتثـاث الفسـاد المـوروث وإنـما في مكافحتـه بمختلـف صـوره، ولا سـيما الفسـاد الاداري الـذي يعتـبر الموظـف هـو الركـن الاسـاسي فيـه.

ولاة الإمام علي (عليه السلام):

تشـير الروايـات إلى أنَّ الإمـام عـلي (عليـه السـلام) قـد تعامـل مـع ولايـات الدولـة الإسـلامية – فيـما يتعلـق بتعيـين الـولاة - بطـرق تختلـف باختـلاف ظـروف كل ولايـة، وعـلى وفـق ماتقتضيـه الحكمـة وأيـاً كانـت الطريقـة فـان مـا يهـم البحـث هـو اختيـار الـولاة، ولذلـك سـيتناول البحـث عـدد مـن الـولاة الذيـن يُعتَقَـد أنهـم الدفعـة الأولى كـما وَرَدَ في المصـادر: «وبعـث العـمال عـلى الأمصـار فبعـث عثـمان بـن حنيـف عـلى البـصرة أميرا وعـمارة بـن حسـان بـن شـهاب عـلى الكوفـة وعبيـد الله بـن عبـاس عـلى

اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام»[١١٤].

وقد أحصى العمري ولاة الإمام علي (عليه السلام) ووزعهم على أساس انتمائهم قائلاً:» ولو تأملنا في انساب ولاة علي لوجدنا احد عشر واليا منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين والياً، وسبعة منهم من قريش بينهم أربعة هم أولاد العباس بن عبد المطلب»[١١٥]. ومن أجل بيان الصورة التي تؤطر حكومة الإمام علي لابد من تناول عينة من ولاته الذين اختارهم لإدارة أقاليم الدولة الإسلامية، ومن خلالها سيتضح التطبيق العملي للمعايير التي وضعها الإمام علي (عليه السلام) في اختيار ولاته.ومستوى العلاقة الرفيع بينهم وبين الإمام (عليه السلام)، و أثر هذه العلاقة في التغلب على الفساد.

١ـ عثمان بن حُنَيف

«عثمان بن حنيف بن واهب بن العُكَيم بن ثعلبة بن الحارث بن مَجْدعة بن عمرو بن حَنَش بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وأوس هو الذي تسمى باسمه قبيلة الأوس»[١١٦].

إنَّ نظرة فاحصة لما ورد في المصادر يمكن معرفة أهم ما يتصف به عثمان بن حنيف من مؤهلات وجدها الإمام علي (عليه السلام) كافية ليختاره والياً على واحد من أهم ولايات الدولة الإسلامية وهي البصرة، واهم ماأتصف به:

السبق إلى الإسلام: يُعدّ عثمان بن حنيف من الصحابة السابقين في الإسلام من أهل المدينة، فكان « من أعلام أصحاب النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وأتقيائهم، شَهِدَ أحداً والمشاهد بعدها مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)».

صحبة رسول الله: «كَانَ من أَصْحَاب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم»[١١٧]. فقد

عدّه الإمام الرضا (عليه السلام) من الصحابة المقبولين، «الذين مضوا على منهاج نبيهم (صلى الله عليه وآله)، ولم يغيروا ولم يبدلوا، مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذرّ، الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليماني، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، (وعثمان بن حنيف، وأخويه) وعبادة بن الصامت، وأبي أيوب ؛ لأنصاريّ، وخزيمة بن ثابت ؛ ذي الشهادتين، وأبي سعيد ؛ الخدريّ، وأمثالهم رضي الله عنهم [١١٨]. وما يؤكد قربه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أَنَّهُ كان يروي أحاديثه (صلى الله عليه وآله) فقد « روى عنه أبو أمامة بن سهل بن حنيف»[١١٩]؛ كما كان واحداً من اثني عشر صحابياً رفضوا خلافة أبي بكر، محتجّين بأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أشار بأنّ الخلافة من بعده في أهل بيته (عليهم السلام)، وبالتحديد في علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١٢٠]. وقام معه أخوه عثمان بن حنيف فقال: «سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم، وقدموهم فهم الولاة بعدي. فقام إليه رجل، فقال: يا رسول الله وأي أهل بيتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: علي والطاهرون من ولده. وقد بين صلى الله عليه وآله: فلا تكن - يا أبابكر - أول كافر به، ولا تخونوا الله والرسول، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون»[١٢١]. وقد حَكَمَ رجال الجرح والتعديل من السنّة والشيعة بوثاقة عثمان بن حنيف، فقد «عدّه الشيخ الطوسي من رجاله»[١٢٢].

وقدْ عُدّ «من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام»[١٢٣]، ومنَ الذينَ مضَوا على منهاج نبيِّهم (صلّى الله عليه وآله)، ولم يغيِّروا ولم يبدّلوا، وشهِدَ الجمل معه، تحوّل بعد معركة الجمل للسّكن في الكوفة، وتوفّي بها»[١٢٤]. وهو من شرطة الخميس[*]، الذين قال لهم الإمام علي (عليه السلام): «تشرطوا

فـوالله مـا اشـتراطكم لذهـب ولا فضـة ومـا اشـتراطكم إلاّ للمـوت»[١٢٥]. فضـلا عـماّ تقـدم فقـد كان لـه رأي ثاقـبٌ ومعرفـةٌ وتجربـة، فعندمـا سـأل الخليفـة عمـر المسـلمين عـن رجـل منهـم يوليـه أمـر الخـراج وخاطبهـم قائـلاً: «**فَمَـنْ رَجُـلٌ لَـهُ جَزَالَـةٌ وَعَقْـلٌ يَضَـعُ الأَرْضَ مَوَاضِعَهَـا، وَيَضَـعُ عَلَـى الْعُلُـوجِ مَـا يَحْتَمِلُـونَ؟ فَاجْتَمَعُـوا لَـهُ عَلَـى عُثْـمَانَ بْـنِ حنيـف وَقَالُـوا: تبعثـه إلى أهـل ذَلِـكَ؛ فَـإِنَّ لَـهُ بَصَـرًا وَعَقْـلا وَتَجْرِبَـةً؛ فَـأَسْرَعَ إِلَيْـهِ عُمَـرُ فَـوَلاهُ مِسَـاحَةَ أَرْضِ السَّـوَادِ**»[١٢٦].

٢ـ عبيد الله بن عباس

«عبيـد الله بـن عبـاس بـن عبـد المطلـب القـرشي الهاشـمي أخـو عبـد الله بـن عبـاس، ابـن عـم النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) والإمـام أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام). ولـد عـلى عهـد النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه)»[١٢٧]. وُيذكـر: «إنـه سـمع الحديـث عـن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) في صغـره، وحفظـه، وحـدث بـه»[١٢٨]، وكان يُقـال عنـه وعـن أخيـه عبـدالله: «كان يقـدم هـو و أخـوه عبيـد الله المدينـة فيوسـعهم عبـد الله علـما، و يوسـعهم عبيـد الله كرمـا»[١٢٩]، وقـد عـدَّه ابـن عبـد ربـه مـن أجـواد الحجـاز فقـال: «أجـواد الحجـاز ثلاثـة في عـصر واحـد: عبيـد الله بـن العبـاس، وعبـد الله بـن جعفـر، وسـعيد بـن العـاص»[١٣٠]، ومـع أنـه كان مشـهورا بالسـخاء؛ لكنـه عـلى مـا يبـدو لم يكـن مقدامـاً في القتـال وهـذا مايمكـن ملاحظتـه ممـا جـاء في مخاطبـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) لـه عندمـا ولاه اليمـن فقـد كتـب إليـه: «مـن عبـد الله عـلي أمـير المؤمنـين إلى عبيـد الله بـن العبـاس وسـعيد بـن نمـران، سـلام عليكـما، فـإني أحمـد إليكـما الله الـذي لا إلـه إلا هـو، أمـا بعـد، فإنـه أتـاني كتابكـما تذكـران فيـه خـروج هـذه الخارجـة وتعظـمان مـن شـأنها صغـيرا، وتكثـران مـن عددهـا قليـلا، وقـد علمـت أن نخـب أفئدتكـما وصغـر أنفسـكما وشـتات رأيكـما وسـوء تدبيركـما هـو الـذي أفسـد عليكـما مـن لم يكـن عنكـما

نائما، وجرأ عليكما من كان عن لقائكما جبانا، فإذا قدم رسولي عليكما فامضيا إلى القوم حتى تقرءا عليهم كتابي إليهم، وتدعواهم إلى حظهم وتقوى ربهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلنا منهم، وإن حاربوا استعنا عليهم بالله ونبذناهم على سواء: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ**﴾[١٣١] والسلام عليكما»[١٣٢]. ويؤكد ذلك ما تحدث به ابو الوداك قائلاً: «كنت عند علي (عليه السلام) حين قدم عليه سعيد بن نمران الكوفة فعتب عليه وعلى عبيد الله أن لا يكونا قاتلا بسرا، فقال سعيد: والله قاتلت، ولكن ابن عباس خذلني وأبى أن يقاتل، ولقد خلوت به حين دنا منا بسر، فقلت: إن ابن عمك لا يرضى مني ولا منك إلا بالجد في قتالهم، وما نعذر، قال: لا والله، ما لنا بهم طاقة ولا يدان. فقمت في الناس، وحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: يا أهل اليمن، من كان في طاعتنا وعلى بيعة أمير المؤمنين فإلي إلي، فأجابني منهم عصابة فاستقدمت بهم فقاتلت قتالا ضعيفا وتفرق الناس عني، وانصرفت ووجهت إلى صاحبي فحذرته موجدة صاحبه عليه، وأمرته أن يتمسك بالحصن ويبعث إلى صاحبنا ويسأله المدد، فإنه أجمل بنا وأعذر لنا، فقال: لا طاقة لنا بمن جاءنا، وأخاف تلك»[١٣٣].

٣ـ قيس بن سعد:

قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاري الخزرجي، وأبوه سعد كان زعيم الخزرج[١٣٤]، يصفه الواقدي(ت:٢٠٧هـ) فيقول: «من كرام أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأسخيائهم ودهاتهم»[١٣٥]. رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه سمات التفوق والصلاح، فأدناه منه حتى قيل عنه: «إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ كَانَ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرَطِ مِنَ الأَمِيرِ»[١٣٦]. وكان »من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وهو

مشكور، لم يبايع أبابكر»[١٣٧]، و كان من شرطة الخميس، ومن أمرائهم في الكوفة، وقد لخص قيس اخلاصه للأمام علي (عليه السلام) قائلاً له: «يا أمير المؤمنين، ما على الأرض أحد أحبّ إلينا أن يقيم فينا منك، لأنّك نجمنا الذي نهتدي به، ومفزعنا الذي نصير إليه، وإن فقدناك لتظلمن أرضنا وسماؤنا»[١٣٨].

كان الإمام علي (عليه السلام) قد ولّى قيس بن سعد مصر «لما ظن عنده من الخير، ورجا من قصده وإيثاره الحق في أموره وتقدمه اليه في العدل والإحسان، والشدة على المريب، والرفق بالخاصة والعامة»[١٣٩]. وقال في كتاب تقديم قيس إلى اهل مصر: «... وهو ممن ارضى هديه وأرجو صلاحه ونصحه...»[١٤٠] ولكن الإمام علي (عليه السلام) بلغه الكثير عن قيس بن سعد اثناء ولايته على مصر، وقد كان ذلك بفعل من معاوية وماكنة إعلامه التي سخرها للايقاع بقيس عند الإمام علي (عليه السلام)، لأهمية مصر عند معاوية من جهة، ولمكانة قيس عند الإمام علي (عليه السلام)، الامر الذي اضطر الإمام إلى عزل قيس عن الولاية ؛ فوجد قيس في نفسه وكاد ان يميل عن علي (عليه السلام) ولكنه تراجع عن فكرته ولام نفسه على ماسولت به قائلاً: «والله إن هذا لقبيح أن أفارق عليا وإن عزلني، والله لألحقن به. فلحق به، وحدثه بما كان يعتمد بمصر»[١٤١] ؛ فأدرك الإمام علي (عليه السلام) أن قيس: «كان يداري أمرا عظيما بالمكيدة»[١٤٢].

إنَّ علاقة قيس بالإمام علي (عليه السلام) القائمة على الإيمان بمقدرته والثقة بعدالته هي التي وقفت بوجه محاولات معاوية للايقاع بينهما، ولذلك نجد أن الإمام علي (عليه السلام) قد حفظ لقيس موقفه الصلب في مقاومة الفساد ولم يتخلَّ عنه كقائد حتى ولاّه آذربيجان[١٤٣].

٤ـ مالك الاشتر:

هو «مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلّمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج»[١٤٤]، اختاره الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لتولي إدارة مصر بدلاً من محمد بن أبي بكر، في وقت صعب كانت تمر به مصر، ولا بد أن يكون لمالك شخصية جديرة بثقة الإمام علي (عليه السلام) ليسند له هذا الأمر وقد كان كذلك، فقد قال فيه عليه السلام « كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله»[١٤٥]. ويقول فيه: «فإنه ممن لايخُاف وهنه ولاسقطته ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم، ولاإسراعه إلى مالبطْ عنه أمثل»[١٤٦]، بهذه الكلمات نوَّه أمير المؤمنين (عليه السلام) بِمَقام مالك الأشتر.

لم يُعرَف الكثير عن مالك قبل الإسلام، كما لم تُحدد المصادر التي تناولت سيرته تاريخ ميلاده واكتفت بالقول: «وُلِد قبل الإسلام بقليل.... قبل بعثة النبي بعقدين أو ما يزيد عن ذلك قليلا»[١٤٧] وأسلم على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله) ولكن لم يُذكر متى أسلم. فهو وإن عاصر النبي لكنه لم يره أو يسمع حديثه، وقد عُدَّ من التابعين، وكان صاحب دين، وقد ذُكر عند رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال فيه «أنه المؤمن حقّاً»[١٤٨]، كما كان من الذين قال فيهم رسول الله «عصابة من المؤمنين» الذين شهدوا موت أبي ذر الغفاري[١٤٩].

وقد شخص فيه الإمام علي (عليه السلام)هذه الخصلة عندما قال له:» فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ...»[١٥٠].

اشتهر (بالأشتر)[*] حتى غلب هذا اللقب على اسمه، وقد لحق به هذا اللقب جراء إصابة عينه في معركة اليرموك قرب حمص وهي المعركة التي دارت بين المسلمين والروم سنة (١٣ هـ)، وكان قد برز إلى ماهان قائد جيش هرقل

«فأخرج ماهان عموده وضرب به مالكاً على البيضة التي على رأسه فغاصت في جبهة مالك فشترت عينه، فمن ذلك اليوم سمي بالأشتر»[١٥١]. كما لقب «بكبش العراق»[١٥٢] لانه المقدم على جيش الإمام علي (عليه السلان) وحامل رايته.

لم تكن علاقته مع الإمام علي مبنية على أسس شخصية وانما كانت مبنية على أساس الأيمان الصادق برسالة الإسلام وبنبوة محمد (صلى الله عليه واله)، وهذا ما عبر عنه مالك بنفسه قائلا: « فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصي نبي سواك، وإنّا لنعلم أن الله لا يبعث بعد نبينا (صلى الله عليه وآله) نبياً سواه، وإن طاعتك لفي أعناقنا موصولة بطاعة نبينا»[١٥٣]. وكانت علاقة متميزة فقد ثبت مع الإمام علي (عليه السلام) عندما تخاذل أصحابه عنه وفر بعضهم إلى معاوية فخاطبه حينها الإمام قائلا: «أنت من آمن الناس عندي و أنصحهم لي و أوثقهم في نفسي إن شاء الله»[١٥٤].

وقد شخص فيه الإمام علي (عليه السلام) خصالاً قلما تجتمع لغيره « كان ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل»[١٥٥].

يعزز من هذه الصفات النصح في علاقته مع الإمام فقد قال (عليه السلام) فيه بعد استشهاده: «كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ اللهُ! فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلاَقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضونَ»[١٥٦]

لم يكن مالك الأشتر في معزل عن الأحداث التي عصفت بالأمة الإسلامية، فقد كان رافضاً للظلم أياً كان مصدره، و كان معارضاً لسياسة ولاة عثمان المتعسفة فكان رده بليغاً على سعيد بن العاص والي الكوفة يوم قال: «إِنَّمَا السواد بستان لقريش، فَقَالَ له الأشتر: أتجعل مراكز رماحنا وَمَا أفاء اللهُّ عَلَيْنَا بستانًا لَك

ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعا يتصأصأ منه»[١٥٧]،الامر الذي ترتب عليه نفي الاشتر واصحابه إلى الشام، كما كتب اليه عثمان يتوعده: «إني لأراك تضمر شيئًا لو أظهرته لحل دمك، وَمَا أظنك منتهيًا حَتَّى تصيبك قارعة لا بقيا بعدها، فَإِذَا أتاك كتابي هَذَا فسر إلى الشام لإفسادك قبلك وأنك لا تألوهم خبالًا»[١٥٨]. ولذلك كان من اشد المعارضين لسياسة عثمان بن عفان وكان من قادة وفد الكوفة إلى عثمان سنة ٣٥ هـ[١٥٩]، وقد دعاه عثمان لمعرفة ما يريد الناس قائلًا له: « يَا أَشْتَرُ، مَا يُرِيدُ النَّاسُ مِنِّي؟ قَالَ: ثَلَاثٌاً، لَيْسَ لَكَ مِنْ إِحْدَاهُنَّ بُدٌّ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: يُخَيِّرُونَكَ بَيْنَ أَنْ تَخْلَعَ لَهُمْ أَمَرَهُمْ فَتَقُولَ: هَذَا أَمْرُكُمْ فَاخْتَارُوا لَهُ مَنْ شِئْتُمْ، وَبَيْنَ أَنْ تَقُصَّ مِنْ نَفْسِكِ، فَإِنْ أَبَيتَ هَاتَيْنِ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَاتِلُوكَ، قَالَ: أَمَا مِنْ إِحْدَاهُنَّ بُدٌّ؟ قَالَ: لَا»[١٦٠]. وانتهت الأحداث بمقتل عثمان.

وعندما أخذت المؤامرات تحاك للوقوف بوجه المشروع الإصلاحي للإمام علي (عليه السلام) فكانت بدايتها في مكة المكرمة بقيادة عائشة وطلحة والزبير؛ فنكثوا البيعة وخرجوا إلى البصرة بمن معهم من بني أمية ومَن حولهم. وكانت الأخبار تصل تباعاً إلى الإمام (عليه السلام) بما دُبِّر في مكة، ثم بخروج عائشة بمن معها.

أمَرَ الإمام (عليه السلام) بأن يُنادى في الناس بالتأهب للمسير إلى العراق. فأتاه من يعتذر إليه من الخروج، بحجة أن هذه فتنة، أو بأنهم لا يقاتلون مسلماً. ولكن كان لمالك الاشتر موقفاً يختلف عن الآخرين، إذ لما بلغه نداء الإمام علي (عليه السلام) أسرع إليه وقال له: «يا أمير المؤمنين، إنا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار، فإنا من التابعين بإحسان. وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا، فليسوا بأولى بما شركناهم فيه. وهذه بيعة عامة، الخارج منها طاعن مستعتب. فحُضّ

هؤلاء الذي يريدون التخلف عنك باللسان، فإن أبوا فأدبهم بالحبس»[١٦١].

ومن هنا صارت مواقف الأشتر واضحةً جَليَّة المعالم؛ فأصبح جُندياً مخلصاً لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يفارقه قطُّ ولازمه في كل معاركه، فقد تولى أمر تحشيد الناس في الكوفة بعد أن استأذن الإمام قائلا له:» فإن رأيت جُعلت فداك أن تبعثني في أثرهم فإن أهل الكوفة أحسن لي طاعة وإن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد منهم»[١٦٢]. فأذِن له. وكانت مواقفه مشهودة في حرب الجمل، امّا في صفين فكادت تكون نهايتها على يديه لولا خدعة رفع المصاحف، فقد كان على (عدوة فرس) من النصر، ولكنه رضي بما رضي به أمير المؤمنين (عليه السلام) [١٦٣].

كان معاوية يحسب للاشتر حسابه. وكان يعده من اخلص أصحاب علي « فقد عده ضمن الخمسة الذين قنت عليهم وهم: علي والحسن والحسين - عليهم السلام - وعبد الله بن عباس، والاشتر ولعنهم»[١٦٤]، حتى انه قد ساءه ان سمع اخبار ارسال علي مالك الاشتر لولاية مصر، وكان معاوية يعتقد ان الاشتر لو وصل إلى مصر لم يعد لمعاوية امل في استمالتها لجانبه لذلك بذل طاقته في منعه من الوصول اليها، وقد كان له ذلك على يد رأس اهل الخراج المقيم في (القلزم[*]) حيث بعث اليه معاوية كتابا جاء فيه:» أن عليا قد بعث بالاشتر إلى مصر وإن كفيتنيه سوغتك خراج ناحيتك ما بقيت، فاحتل في قتله بما قدرت عليه»[١٦٥].

فاحتال الدهقان «وحمل إليه طعاما دس في جملته عسلا جعل فيه سما، فلما شربه الاشتر قتله ومات من ذلك»[١٦٦]، عندها «قال عمرو بن العاص: إن لله جنوداً من عسل»[١٦٧]، وفي رواية ان معاوية هو الذي قال « إن لله جنوداً من عسل»[١٦٨]، في حين يقول ابن كثير: «فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام

قالـوا: إن لله جنـوداً مـن عسـل»[١٦٩].

ولأهميـة الاشـتر فقـد قـال معاويـة:» كان لعـلي ابـن ابي طالـب يمينـان قطعـت احداهما يـوم صفـين - يعني عـمار بـن يـاسر - وقطعـت الأخـرى اليـوم – يعنـي مالـك الاشـتر»[١٧٠].

لقـد صـدق ابـن ابي الحديـد وهـو يصـف الاشـتر: «لله أم قامـت عـن الأشـتر، لـو أن إنسـانا يقسـم أن الله تعـإلى مـا خلـق في العـرب و لا في العجـم أشـجع منـه إلا أسـتاذه (عليـا) عليـه السـلام لمـا خشـيت عليـه الإثـم»[١٧١].

ولذلـك قـال فيـه الإمـام وهـو يخاطـب أصحابـه: «ليـت فيكـم إثنـين مثلـه، بـل ليـت فيكـم مثلـه واحـداً يـرى في عـدوي مثـل رأيـه»[١٧٢].

وقـد أبَّنَـه (عليـه السـلام) قائـلا: «لله دَرُّ مالـك! ومـا مالـك ؟! لـو كان جَبَـلاً لـكان فِنْـدا، ولـو كان حجَـراً لـكان صَلْـدا، أمَـا والله ليَهُـدّنّ موتُـك عالمَـا، ولَيُفرِحَـنّ عالمَـا، عـلى مِثـل مالـكٍ فلْتَبـكِ البواكـي وهـل موجـود كمالـك»[١٧٣].

وقـال (عليـه السـلام):» لا أرى مثلـه بعـده أبـدا»[١٧٤]. ولذلـك تتوقـف الأقـلام في مـدح مالـك عنـد مـدح الإمـام علياً (عليـه السـلام) فقـد مدحـه «ومَـدْحُ الإمـام إمـام كل مَـدْح، ومـن تصـدّى للقـول بَعْـدَه فقـد تعـرَّض للقـدح»[١٧٥]

إن في مـا تقـدم مـن مشـاهد سـيرة مالـك الاشـتر يعطـي صـورة عـن ان الرجـل كان مـن ذوي الحـزم والحسـم والإعتـداد بالـرأي لا يـتردد إطلاقـاً في اتخـاذ الإجـراء الكامـل والحاسـم فيـما يـرى انـه الصـواب ومـا يجـب ان يكـون. هـذه الصفـات التـي اهلتـه ليكـون مرشـح الإمـام عـلي لادارة ولايـة تعـد الأهـم بـين ولايـات الدولـة الإسـلامية، وعـلى وفـق منهـج كان انموذجـا يتعـدى حـدود الدولـة الإسـلامية لـو أتيـح لـه التطبيـق.

٥ـ سهل بن حنيف

أسمه وكنيته ونسبه: هو سهل بن حنيف بن وهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحرث بن عمر بن خناس بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. ويكنى ابو سعيد.

صحبته: أسلم قبل هجرة النبي (صلّى الله عليه وآله) من مكة. كان من النقباء الاثني عشر الذين اختارهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) في بيعة العقبة الثانية، وشهد مع النبي (صلّى الله عليه وآله) مشاهده كلها»[١٧٦]. وكان ممّن ثبت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوم أُحد حين انكشف الناس، وبايعه على الموت، وفي هذا الموقف قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام): «...لقد صدق معك القتال اليوم سهل بن حنيف»[١٧٧]. و بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله) انضم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكما بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد بايع امير المؤمنين على الموت فكان من شرطة الخميس [١٧٨]، وهو ممن وصفهم الإمام الرضا(عليه السلام) بقوله: «الذين مضوا على منهاج نبيّهم(صلى الله عليه وآله)، ولم يغيّروا، ولم يبدّلوا مثل:... سهل بن حنيف... وأمثالهم رضي الله عنهم، ورحمة الله عليهم»[١٧٩].فقد كان من الاثني عشر رجلاً الذين وقفوا بوجه ابي بكرحينما رقى المنبر في أوّل جمعة له، فوعظوه وخوّفوه من الله سبحانه وتعالى، ودافعوا عن أحقّية الإمام علي(عليه السلام) بالخلافة حيث قال: «أشهد أنّي سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال على المنبر: إمامكم من بعدي علي بن أبي طالب، وهو أنصح الناس لأُمّتي»[١٨٠]. وولّاه أمير المؤمنين (عليه السلام) المدينة، ثم ولاه على فارس.

وفاته: تُوفي عام ٣٨هـ بمدينة الكوفة ودُفن فيها، وقام الإمام علي(عليه السلام)

بتكفينه» في برد أحمر حبرة»[١٨١]. كما قام (عليه السلام) بالصلاة عليه، فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ كَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) عَلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وكَانَ بَدْرِيّاً خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ مَشَى سَاعَةً ثُمَّ وَضَعَه وكَبَّرَ عَلَيْه خَمْسَةً أُخْرَى فَصَنَعَ ذَلِكَ حَتَّى كَبَّرَ عَلَيْه خَمْساً وعِشْرِينَ تَكْبِيرَةً»[١٨٢]. وروي عن الإمام الصادق(عليه السلام) قوله: «لمّا مات جزع أمير المؤمنين(عليه السلام) جزعاً شديداً»[١٨٣].

٦ـ حذيفة بن اليمان:

ولاه على المدائن، ويصفه الإمام علي فيقول: «...وسأل عن المعضلات حين غفل عنها غيره فإن سألتموه عنها تجدوه عالماً بها»[١٨٤]، وقال عنه: «هو من أرضى بهداه وأرجو صلاحه»[١٨٥]

يُلاحظ مما تقدم ومن خلال الثلة التي تناولها البحث كنموذج لولاة الإمام علي (عليه السلام) أنَّ معايير اختيار الولاة في عهد الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لاتختلف كثيراً عن تلك التي وضعتها المنظمات الدولية المهتمة بمكافحة الفساد، أوالتي تشترطها الحكومات في تعيين موظفيها، إلاّ أن ما حققه الإمام علي (عليه السلام) في القضاء على الفساد، على امتداد الدولة الإسلامية، وفي الفترة الزمنية من عمر حكومته التي تعد قصيرة نسبياً بالقياس إلى مانحن فيه حيث وصل بما ورثه من فساد إلى ادنى مستوياته إن لم يكن قد انعدم وجوده وزالت آثاره إلاّ في المناطق التي لم تصل إليها حكومته (عليه السلام) في حين أنّ مستويات الفساد لدينا لم تتغير ان لم تكن في تصاعد، ولاشك أن نجاح إدارة الإمام علي (عليه السلام) يرجع إلى تطبيق معايير الاختيار بحذافيرها وإلى العلاقة السليمة المتبادلة بين الإمام علي (عليه السلام) وإدارته، في حين أن المعايير اليوم لاتتعدى حدود الورقة التي كُتِبَتْ عليها بِسبب مايشوب العلاقات الإدارية من شبهات.

المبحث الثاني

الرقابة

لاتنتهي علاقة الرئيس باختيار مرؤوسيه، وإنما تتطور هذه العلاقة لتنتقل إلى طور متابعة المرؤوس وهو يؤدي عمله الذي كُلِّفَ به للتأكد من تنفيذه المهام الموكلة إليه على الوجه المطلوب وهذا مايعرف بالرقابة.

تعريف الرقابة

الرقابة في اللغة: للفظة الرقابة في اللغة معان كثيرة ذكرتها معاجم اللغة العربية ومنها:

ففي تاج العروس:» الرَّقِيبُ: الحَفِيظُ والرَّقِيبُ: المُنْتَظِرُ ورَقِيبُ القَوْمِ: الحَارِسُ وهو الذي يُشْرِفُ على مَرْقَبَةٍ لِيَحْرُسَهُمْ والرَّقِيبُ: الحَارِسُ الحَافِظُ... ورَقَبَ الشَّيْءَ يَرْقُبُه: حَرَسَه كَرَاقَبَه مُرَاقَبَةً ورِقَاباً...»(١٨٦).

وفي لسان العرب:» رقب في أسماء الله تعالى: الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وفي الحديث: ارقبوا محمدا في أهل بيته، أي أحفظوه فيهم»(١٨٧).

أما في الاصطلاح: «فتعني عملية التحقق من مدى انجاز الأهداف المرجوة، والكشف عن الصعوبات في تحقيق هذه الأهداف، والعمل على إزالتها في أقصر وقت ممكن»(١٨٨). لا يخفى على أحد ما للرقابة من أهمية في سير الأعمال، وحسن تأدية العمال لواجبهم، والرقابة الواعية المنضبطة تحقق العديد من الأهداف التي رسمت لها ومنها: حماية العمال والولاة من الانزلاق في خيانة الأمانة وأكل المال العام.

والرقابة في الشرع: هي القواعد المستنبطة من الشريعة الإسلامية، والتي تستخدم لمحاسبة المرء في عمله، سواء تعلق الأمر بدينه أو دنياه. وقد ميز

المختصون بين اربعة أنواع من الرقابةهي: رقابة علوية من الله تعالى على البشر، ورقابة ذاتية وهي رقابة الإنسان على ذاته وعلى تصرفاته وعلى سلوكه، ورقابة إدارية من الرئيس على المرؤوس، ومن الراعي على الرعية، ورقابة شعبية من الأفراد على الرؤساء وعلى غيرهم من الأفراد(١٨٩).

حفلت المصادر بالكثير من النصوص التي تشير إلى ممارسة الإمام علي (عليه السلام) الرقابة على ولاته وعماله، وقد كان (عليه السلام) حريصاً على تتبع أخبارهم، واستكشاف أمورهم، وبقدرحرصه ذاك كان حريصاً على أن تكون هذه الأخبار دقيقة وصادقة، بعيدة عن الوشاية والكيد، ولذلك كان يختار عيونه(*) ممن يثق بهم. ولم تكن الرقابة عند الإمام علي (عليه السلام) الغرض منها التنكيل بالولاة، وإنما كان الغرض منها تحصينهم ووقايتهم من الوقوع في الخطأ الذي يؤدي إلى ضياع حقوق الأفراد والمجتمع، ومن ثم الإنحراف بالأمة عن مسارها الصحيح الذي أراده لها الإسلام.

نقل الإمام علي (عليه السلام) مقر إدارته إلى الكوفة فصارت عاصمة لدولة تمتد على رقعة جغرافية مترامية الاطراف ترتبط اقاليمها المتباعدة بطرق للقوافل قد لاتكون سالكة في بعض الأحيان، وهذا يعني إن إدارة أي إقليم من أقاليم الدولة ستكون خاضعة لسلطة الوالي كلياً، وتكاد تكون سلطته شبه مطلقة، والسلطة المطلقة تقود إلى فساد مطلق، كما يقول اللورد أمريش أكتون(*) (١٨٣٤م – ١٩٠٢م): «إذ القوة تميل إلى الفساد، السلطة المطلقة تفسد على الإطلاق»(١٩٠). وكان الإمام علي (عليه السلام) قد سبق أمريش بقرون عديدة وتنبه لهذا الأمر فاتخذ من الإجراءات مايمنع التفرد بالسلطة ويأتي في مقدمتها الفصل بين السلطات، فاعتمد (عليه السلام) مبدأ توزيع السلطات وتحديد الصلاحيات،

ويكـون بذلـك قـد سـبق مونتسـيكيو[*] بقـرون عديـدة، وقـد كانـت فلسـفته (عليـه السـلام) في هـذا الميـدان تقـوم عـلى عـدم حـصر السـلطات بيـد شـخص واحـد حتـى وإن كان يتمتـع بالكفـاءة والمقـدرة عـلى ذلـك، فقـد « أمّـر ابـن عبـاس عـلى البـصرة، وولى زيـاداً الخـراج وبيـت المـال، وامـر أبـن عبـاس أن يسـمع منـه»[١٩١] كـما عـين أبـا الأسـود الـدؤلي عـلى القضـاء[١٩٢].

ويعـد الفصـل بـين السـلطات واحـدا مـن أهـم آليـات مكافحـة الفسـاد إذ أن «التنافـس السـياسي الـذي يـؤدي إلى عـدم الالتـزام بمبـدأ الفصـل المتـوازن بـين السـلطات الثـلاث التنفيذيـة والتشريعيـة والقضائيـة في النظـام السـياسي وطغيـان الأحـزاب والإرهـاب وضعـف الجهـاز القضائـي، ممـا يـؤدي إلى الإخـلال بمبـدأ الرقابة المتبادلـة عـلى السـلطة التنفيذيـة والسـلطة التشريعيـة»[١٩٣] ممـا يـؤدي إلى تفـشي الفسـاد، وهـذا مايجـري في العـراق في الوقـت الحـاضر.

كـما أنّ الـوالي في مثـل هـذه الحالـة لاتوجـد عليـه رقابـة مبـاشرة ولا مـن وسـيلة تحـد مـن صلاحياتـه إلاّ مـا يمليـه عليـه ضمـيره، وتؤكـد الدراسـات الحديثـة عـلى أن: «المدخـل الأهـم والأكثـر فاعليـة في منظومـة حمايـة النزاهـة ومكافحـة الفسـاد يـأتي مـن خـلال الإعتـماد عـلى عمليـة تقويـم أداء تعتمـد مـؤشرات علميـة مسـتمرة خلال السـنة، ومراقبـة ومتابعـة مـدى تحقيـق المنظمـة الحكوميـة لأهدافهـا بكفـاءة»[١٩٤]. ولذلـك كان الإمـام عـلي (عليـه السـلام) سـبّاقا إلى إيجـاد آليـات مراقبـة دائمـة ومتابعـة جـادة تَحِـدُّ مـن سـلطة الـولاة وتُضَيّـق فُرصـة وقوعهـم في دائـرة الفسـاد مـن خـلال مـا يعـرف بالرقابـة. فأنشـأ الإمـام عـلي (عليـه السـلام) نظامـاً رقابيـاً فعـالاً تمكّـن مـن خلالـه الإشراف ومتابعـة الممارسـات التـي تتـم مـن قبـل الـولاة والعـمال العاملـين في حكومتـه.

إنَّ نجـاح الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في بنـاء علاقـة سـليمة مـع مرؤوسـيه –

ولاته وعماله - إنما يرجع إلى المنهج الذي اعتمده (عليه السلام) والذي يقوم على قاعدة (القدوة) «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ»[١٩٥]. وكما ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدوة امَرَ اللهُ المسلمين أن يقتدوا به حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[١٩٦]. فإنَّ الإمام علي (عليه السلام) وهو الامتداد الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قد جعل من نفسه أُسوة حسنة حيث يبدأ بنفسه قبل غيره قولاً يلازمه عمل فهو القائل «من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، و ليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، و معلم نفسه و مؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس و مؤدبهم»[١٩٧]. كما قال (عليه السلام): «من نصح نفسه كان جديراً بنصح غيره»[١٩٨]، وبذلك لم يُبقِ حجة لأحد فأن يعترض على إرشاد أو يتهرب من توجيه، ذلك أن النصح من وجهة نظر الإمام علي (عليه السلام) يقوي العلاقة ويزيد من وشائج الإرتباط لأن « النُّصحُ يُثمِرُ المَحَبَّةَ»[١٩٩].

و للوقوف على جهود الإمام علي (عليه السلام) في إدامة العلاقة بينه وبين ولاته للحيلولة من دون وقوعهم في مطبات الفساد، من خلال منهجه الرقابي سيتناول البحث ثلاثة أنواع من الرقابة مارسها الإمام علي (عليه السلام) على ولاته هي: الرقابة الذاتية، والرقابة الإدارية (الخارجية)، والرقابة الشعبية.

الرقابة الذاتية: من خصائص الإسلام أنه يربي مبدأ المراقبة لله تعالى في نفس المسلم؛ فالمسلم رقيب على نفسه من خلال إيمانه بأن الله تعالى رقيب على كل لحظات العبد وسكناته؛ وهو تعالى عالم الغيب والشهادة، ذلك أنَّ «المراقبة دوام علم العبد وتيقّنه باطّلاع الحقّ سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه»[٢٠٠]. وقد

سعى الإسلام لتقوية الرقابة الذاتية لدى الإنسان المسلم، والرقابة الذاتية من أقوى ما يمكن أن يشكل ضمانةً لعدم الوقوع في الفساد، وبذلك يوصي الإمام علي (عليه السلام) فيقول: «اجعل من نفسك على نفسك رقيباً واجعل لآخرتك من دنياك نصيبا»[٢٠١]. ولذلك يمكن تعريف الرقابة الذاتية بأنها: «إحساس داخلي للموظف منشأه الإيمان الذي لايخامره شك بأن الله جلّت قدرته يرى جميع تصرفاته الصغيرة والكبيرة والخفية والمعلنة وأنه محاسب عليها»[٢٠٢]. ولذلك يسعى المسلم لأن تتطابق أعماله في السر والعلن حتى يكون قد أخلص العبادة لله تعالى كما يراه الإمام علي (عليه السلام) «**وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ**»[٢٠٣]. وإلى المعنى نفسه يذهب الإمام علي (عليه السلام) في قوله: «**وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ**»[٢٠٤].

فالرقابة الذاتية هي إحدى القيم الإسلامية التي يستند إليها المسلم في سلوكه و لاتعدو أن تكون تذكيراً بما أنزل الله تعالى في تنبيه المسلم على وجود الله تعالى رقيباً لايغفل عن عباده كما في قوله تعالى: «﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾»[٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾»[٢٠٦]، كما قال تعالى:» ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[٢٠٧]، كذلك يحذرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة فيقول: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»(٢٠٨). وإلى نفس المضمون يشير الإمام علي (عليه السلام) فيقول: «**فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ**»(٢٠٩).

مما تقدم فإنَّ الرقابة الذاتية التي سعى الإمام علي (عليه السلام) إلى غرسها وتنميتها في نفوس ولاته أراد أن يقول لهم فيها: «خف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك»(٢١٠)، ليُؤكد في مشروعه الرقابي على تنمية الرقابة الذاتية لدى ولاته وعماله، وذلك لأن المنهج الإسلامي يعتمد العمل من داخل النفس الإنسانية لامن خارجها، ومع أنه كان «لايخص بالولايات إلاّ أهل الديانات والأمانات»(٢١١)، فإنه يحرص على تعزيز الوازع الديني لديهم ولهذا جاءت توجيهاته (عليه السلام) وإرشاداته إلى ولاته لتجعل من الشخص رقيباً على نفسه، وقد تضمنت كتبه ورسائله في هذا الجانب امثلة كثيرة منها: ما كتبه إلى شريح القاضي وقد بلغه أنه اشترى داراً فبعث إليه وعاتبه على مافعل قائلاً: «**يَا شُرَيْحُ: أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً**»(٢١٢)، وبعد أن ذكره بالموت حذّره أن يكون اشترى الدار بغير ماله وبين له جزاء ذلك «**فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ**»(٢١٣).

وفي كتابه (عليه السلام) إلى الأشعث بن قيس عامله على أذر بيجان يقول فيه: «**وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ**

فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ وَالسَّلَامُ»[٢١٤]. بين الإمام (عليه السلام) للاشعث ان مافي يده من عمل ليس بمأكلة له كما اعتاد على ذلك عمال عثمان، وإنما هو امانة في عنقك، ثم يرسم له حدود صلاحياته فيشعره بوجود مسؤول عنه لايجيز له التصرف بالمال الذي لديه دون معرفته وإذن منه، ومع حصول الإذن لابد من التوثيق، وبذلك يكون (عليه السلام) قد سد منفذاً مهماً من منافذ الفساد، باعتبار أن المال هو احد العوامل التي تؤدي إلى فساد وانهيار الحكومات، ويؤكد على التوثيق لما له من أهمية في الحد من الفساد، إذ تعتبره الدراسات الحديثة المهتمة بالفساد في العراق واحداً من نقاط ضعف الحكومة في مكافحة الفساد فاشارت إلى أن مايتيح العمل لممارسة الفساد هو: «غياب قواعد العمل والاجراءات المكتوبة، ومدونات السلوك للموظفين في قطاعات العمل العام والأهلي والخاص»[٢١٥]، ثم يعود ليشد من اواصر العلاقة معه فيطيب خاطره بعد ان اشعره انه يشك في امانته[٢١٦].

ولهوى النفس في فكر الإمام علي (علي السلام) أهمية كبيرة في مشروعه الرامي إلى مكافحة الفساد، فهو الجهاد الأكبر كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[٢١٧]، ولذلك كان الكثير من كتبه إلى ولاته تتضمن النصيحة بردع النفس عن هواها، كما في عهده (عليه السلام) لمحمد بن أبي بكر يوم ولاه مصر بعد أن بين له اسلوب إدارته لاهل مصر[٢١٨]. راح يفيض عليه من وافر تقواه ليعزز عنده الوازع الديني في أربع توصيات مهمة هي بمثابة آليات لسد منافذ الفساد الإداري لا في ولاية مصر فحسب وإنما يمكن ان تكون قواعد لمحاربة الفساد تصلح لكل مكان وفي كل

زمـان، ومـا أحوجنـا اليهـا ونحـن نعيـش أزمـة نزاهـة، قائـلاً لـه:» وَاعْلَـمْ ـ يَـا مُحَمَّـدُ بْـنَ أَبِي بَكْـر ـ أَنِّي قَـدْ وَلَّيْتُـكَ أَعْظَـمَ أَجْنَـادِي فِي نَفْسِي أَهْـلَ مِصْرَ» مبينـاً لـه اهمية مصر ومقـام اهلهـا في نفسـه (عليـه السـلام) وفي نفـس الوقـت يعـبر لـه عـن مستوى العلاقـة الرفيـع بينهـما واهميتـه عنـده فاختـاره لهـذه الولايـة المهمـة، ثـم يبـدأ بإرشـاده: «فَأَنْـتَ مَحْقُـوقٌ أَنْ تُخَالِـفَ عَـلَى نَفْسِـكَ»، يوصيه بمخالفـة هـوى نفسـه،، ومـع ان جهـاد النفس واجـب عـلى الجميـع إلاّ انـه اشـدُّ لزومـاً عـلى الـولاة ومـن بيدهـم الأمـر ؛ فلـو سيطرت عليهـم الأهـواء والشـهوات فـإنَّ ذلـك مـن شـأنه إشـاعة الفسـاد في ولاياتهـم. وبالمعنى نفسـه كتـب (عليـه السـلام) إلى الأسـود بـن قطبـة «**فَـإِنَّ الْـوَالِيَ إِذَا اخْتَلَـفَ هَـوَاهُ مَنَعَـهُ ذَلِـكَ كَثِـيراً مِـنَ الْعَـدْلِ**»[٢١٩].

ويـرى الإمـام علي (عليـه السـلام) أن القضـاء عـلى الفسـاد منـوط باسـتقامة العـدل الـذي بـه تُقَـرُّ عـين الـولاة وُكسَـب ود الرعيـة: «**وَإِنَّ أَفْضَـلَ قُـرَّةِ عَـيْنِ الْـوُلَاةِ اسْـتِقَامَةُ الْعَـدْلِ فِي الْبِـلَادِ وَظُهُـورُ مَـوَدَّةِ الرَّعِيَّـةِ و إِنَّـهُ لَا تَظْهَـرُ مَوَدَّتُهُـمْ إِلَّا بِسَـلَامَةِ صُدُورِهِـمْ وَلَا تَصِـحُّ نَصِيحَتُهُـمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِـمْ عَـلَى وُلَاةِ الْأُمُـورِ**»[٢٢٠]. فالإمـام عـلي (عليـه السـلام) يؤكـد عـلى سـلامة الصـدور وهـذه الخاصيـة لاتتحقـق إلاّ مـن خـلال ترويـض النفـس عـلى التقـوى، وإلى نفـس الغايـة يوجـه عاملـه عـلى حلـوان: «... فـ**لْيَكُـنْ أَمْـرُ النَّـاسِ عِنْـدَكَ فِي الْحَـقِّ سَـوَاءً، فَإِنَّـهُ لَيْـسَ فِي الْجَـوْرِ عِـوَضٌ مِـنَ الْعَـدْلِ، فَاجْتَنِـبْ مَـا تُنْكِـرُ أَمْثَالَـهُ، وَابْتَـذِلْ نَفْسَـكَ فِيـما افْـتَرَضَ اللهُ عَلَيْـكَ، رَاجِيـاً ثَوَابَـهُ، وَمُتَخَوِّفـاً عِقَابَـهُ**»[٢٢١].

وفي كتابـه (عَلَيْـهِ السـلام) إلى مالـك بـن كعـب الأرحبـي وقـد ولاه معونـة البهقبـاذات مـن النصـح الجميـل مـا ينمـي عنـده الرقابـة الـذاتي: «فآثـر طاعـة الله، واعلـم أن الدُّنْيَـا فانيـة، والآخـرة آتيـة واعمـل صالحـا تجـز خـيرا، فـإن عمـل ابـن آدم محفـوظ عَلَيْـهِ وإنـه مجـزي بِـهِ، فعـل الله بنـا وبـك خـيرا»[٢٢٢].

ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) على أهمية الدين في تقويم النفس البشرية، فهو لم يفتأ يحث ولاته على التمسك بالقرآن، فالقرآن ﴿**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾(٢٢٣). والمسلم إذا تدبر ماورد في القرآن من أوامر ونواهي وعمل بها فإن نفسه تسمو، وتترفع عن رذائل الأخلاق ودنس النفوس. ولذلك تضمّن الكثير من كتبه (عليه السلام) دعوة ولاته للتمسك بالقرآن فقد جاء في كتابه إلى الحارث الحمراني: «**وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً وَآخِرَهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ**»(٢٢٤).

كما إنَّ الإمام علي (عليه السلام) يُدرِك أنَّ للصلاة أثراً كبيراً في تزكية النفس والسمو بها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات، فقد بين الله تعالى أن الصلاة تطهر النفس من الباطل وتحصنها من الفساد بكل أنواعه فقال: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾(٢٢٥). كما بين النبي (صلى الله عليه وآله) أثر الصلاة في تزكية النفس وإصلاحها، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: «كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوَضوئه وحاجته، فقال لي: سل، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أوَغيرَ ذلك ؟ قلت: هو ذاك، قال: فأَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود»(٢٢٦)، فالنبي (صلى الله عليه وآله) يشير إلى أن الصلاة تهذِّب النفس وتعين على إصلاحها. وفي كتابه إلى محمد بن أبي بكر يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على موضوع الصلاة فيقول: «**صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا، وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغ، وَلاَ تُؤْخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاشْتِغَال، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْء مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ**»(٢٢٧). ويأتي تاكيد الإمام علي (عليه السلام) على الصلاة

لأنها (تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء) وما الفساد إلاّ صورة من صور الفحشاء.

لقد تنبه الكثير من الدول إلى أهمية الرقابة الذاتية فاتجهوا إلى إنشاء ميثاق لأخلاق العمل، وقد أكدت دراسة صادرة عن الأمم المتحدة أن وجود ميثاق لأخلاق العمل يعد من الوسائل الوقائية المهمة لمحاربة الفساد في الدول النامية[٢٢٨]. ولاشك أنّ مايحصل اليوم من اختلاس للمال العام بأرقام تفوق الوصف، رغم وجود الرقابة بكل أنواعها وأدواتها المتطورة، يُؤكد على أهمية الرقابة الذاتية، وأنها أنجع أنواع الرقابة للوقوف بوجه الفساد بكل أشكاله، وهذا ماتؤكده الدراسات الحديثة، حيث ترى: «أنّ وجود الرقابة وأدواتها، والإجراءات الرقابية لاتعدو أن تكون من وسائل العلاج وبما أنّ درهم وقاية خير من قنطار علاج، فإنَّ الإعداد الأخلاقي للموظفين يعتبر من أهم وسائل الوقاية في هذه الجوانب»[٢٢٩]. وهذا ماحرص عليه الإمام علي (عليه السلام)، فإنَّ الرقابة الذاتية التي سعى إلى غرسها وتنميتها في نفوس ولاته، هي تعزيز علاقة العبد بربه تعالى، وتحفيز الإرادة الخيِّرة في الناس، وأراد أن يقول لهم فيها: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[٢٣٠].

الرقابة الرئاسية (الرقابة الخارجية)

مع أهمية الرقابة الذاتية فإن كثيراً من النفوس تحتاج إلى رادع خارجي، «فقد يخون الأمين ويغش الناصح»[٢٣١]، ويتمثل هذا الرادع بالرقابة الرئاسية، وتعني الرقابة الخارجية، وقد أولى الإمام علي (عليه السلام) هذا النوع من الرقابة أهمية لاتقل عن أهمية الرقابة الذاتية باعتبارها تعكس الإهتمام بسلامة الأداء. فأخضع ولاته لرقابة صارمة معتمداً أسلوب التفتيش الأداري السليم والدقيق بأن يرسل أشخاصاً تتخفى في المجتمع و تراقب الوالي عن كثب وترصد كيفية إدارته لمهمته

وفي الوقت نفسه تستقطب الآراء وتعمل على جمع المعلومات الدقيقة وتقدمها للإمام علي (عليه السلام). ولذلك نجد في معظم كتبه إلى ولاته ترد لفظة (بلغني)، كما كان (عليه السلام) يأمر ولاته بمراقبة عمالهم، فقد كتب للأشتر النخعي حين ولاه على مصر، يأمره بالاهتمام بالرقابة على عمل (الموظفين): «ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم جدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية».

والمراقبة عند الإمام علي (عليه السلام) لاتقف عند التوجيه والإرشاد فقط وإنما تلازمها المتابعة، فهو عندما يُصدر أمراً إلى ولاته ينتظر منهم الرد على تنفيذ الأمر وما ترتب عليه كما هو الحال في أمر أصدره بنسخة واحدة إلى جميع ولاته وعماله يتعلق بخروج الخوارج ومما جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من العمّال: أمّا بعد فإنّ رجالاً لنا عندهم بيعة خرجوا هرباً فنظنّهم وجّهوا نحو بلاد البصرة، فاسأل عنهم أهل بلادك، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك، ثم اكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم، والسلام»[٢٣٢]. والإمام علي (عليه السلام) يرى أنّ عدم المتابعة يؤدي إلى فساد الأمور، ولذلك يؤكد على ولاته بوجوب المتابعة «يجب على الوالي أن يتعهد، أموره، ويتفقد أعوانه، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك أعوانه تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر»[٢٣٣].

فالإمام علي (عليه السلام) وبعدأن أحسن اختيار ولاته وعماله، وعزز في نفوسهم الرقابة الذاتية، راح يتابع أعمالهم، ويحاسبهم، ويعاقبهم إن اقتضى الأمر باللوم أو بالتوبيخ، أو بالعزل أحياناً، فقد حفلت المصادر بالكثير من النصوص

التي يشير فيها أو يؤكد فيها الإمام علي (عليه السلام) الرقابة على العمال، وقد جاءت على شكل كتب و رسائل تُعد من أهم الوسائل التي تعبر عن صورة من صور العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) وبين ولاته على الأقاليم والتي كان لها الأثر الكبير في تقويم سلوكهم، وقد كان فيها ناصحاً تارة و موجها تارة أخرى، أو محذراً من ارتكاب خطأ، مما كان لها أكبر الأثر في معالجة الفساد، أو الحد من الوقوع فيه، لأن هذه الكتب والرسائل كانت بمثابة الرقابة الدائمة خاصة إذا ماجاءت بصيغة التحذير أو النهي كرد على فعل ارتكبه الوالي نفسه، ثم هي تعزز الوقاية من الفساد إذا ما جاءت بصيغة النصح والإرشاد، وبقدر ما كانت كتبه (عليه السلام) إلى ولاته تعبر عن علاقة المعلم بتلميذه فإنها كانت وسيلة فعالة لمكافحة الفساد وقطع طريقه أمام الولاة، ومن بين كتبه الأرشادية إلى ولاته في هذا الميدان من ميادين علاقته بهم كنماذج على سبيل المثل لاالحصر:

من كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله: يبين له فيه طبيعة علاقته به وأهميته عنده «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ**» ثم يبدأبتوجيهه في عمله «**فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ وَالسَّلَامُ**»[٢٣٤].

وفي كتابه (عليه السلام) إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان يرشده إلى اتباع العدل في معاملة الرعية والتجرد عن الهوى فيقول: «**فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ**

فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ وَالِاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ وَالسَّلَامُ»(٢٣٥).

وأحضر الإمام (عليه السلام) الأشعث بن قيس، وكان عثمان استعمله على آذربيجان، فأصاب مائة ألف درهم، فبعض يقول: أقطعه عثمان إيّاها، وبعض يقول: أصابها الأشعث في عمله. فأمره علي (عليه السلام) بإحضارها فدافعه، وقال: ياأمير المؤمنين، لم أُصبها في عملك. قال: والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين، لأضربنّك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب. فأحضرها وأخذها منه وصيّرها في بيت مال المسلمين، وتتبّع عمّال عثمان، فأخذ منهم كلّ ما أصابه قائماً في أيديهم، وضمّنهم ما أتلفوا(٢٣٦). وهذا الموقف يكشف عن جانب من الجوانب المهمة في إدارة الإمام علي (عليه السلام) هو قوة الإرادة. وفي هذا الاتجاه فقد شخصت الدراسات الحديثة ان من بين نقاط فشل الحكومات في مكافحة الفساد هو «ضعف الإرادة لدى القيادة السياسية لمكافحة الفساد، وذلك بعدم اتخاذ أية إجراءات وقائية أو عقابية جادة بحق عناصر الفساد بسبب انغماسها نفسها أو بعض أطرافها في الفساد»(٢٣٧).

ففي كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه عامله على فارس وقد بلغه تواطؤه لاختلاس جزءاً من أموال الخراج ضمن ولايته: «أما بعد فإن رسولي أخبرني بعجب زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه أن الاكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيرا من الخراج، وقلت له: لا تعلم بذلك أمير المؤمنين، يا زياد وأقسم

بـالله إنـك لـكاذب، ولئـن لم تبعـث بخراجـك لاشـدن عليـك شـدة تدعـك قليـل الوفـر، ثقيـل الظهـر إلا أن تكـون لمـا كـسرت مـن الخـراج محتمـلا»[٢٣٨].

مايلفـت الانتبـاه في هـذه الرسـالة هـو الشـدة والصرامـة التـي بـدت عـلى موقـف الإمـام عـلي عليـه السـلام) ممـا يـدل عـلى فداحـة مـا قـام بـه زيـاد مـن محاولـة لاختـلاس المـال العـام، فضـلا عـن كونـه خيانـة لأمانـة وظيفتـه، فهـو دخـول في نفـق الفسـاد المـالي، الـذي لـو نجـح زيـاد في تحقيقـة لفتـح أبوابـاً ليـس مـن السـهل إغلاقهـا، ولذلـك انتفـض الإمـام عـلي (عليـه السـلام) هـذه الانتفاضـة التـي اسـفرت عـن تهديـد بانـزال اقـصى العقوبـات بزيـاد دون ان يلتفـت لاهميـة زيـاد في الـصراع مـع معاويـة، فبـين لـه مـا سـيحل بـه لـو ثبـت مـا نقـل عنـه سـيجعل منـه: (قَلِيـلَ الْوَفْـرِ) اي قليـل المـال ممايعنـي أنـك سـتعيش الفقـر. و(ثَقِيـلَ الظَّهْـرِ) سيء السـمعة لايأتمنـك أحـد عـلى مالـه. و(ضَئِيـلَ الْأَمْـرِ) أي حقـيراً، ومينـاً، وذليـلاً. هكـذا تعامـل الإمـام عـلي (عليـه السـلام) مـع محاولـة اختـلاس لم تسـتكمل، فكيـف الحـال والغلبـة الغالبـة مـن ولاة الإدارة تعيـث نهبـا في المـال العـام دونـا رادع عـلى الرغـم مـن وجـود قوانـين تتشـدد بالمحاسـبة عـلى مثـل هـذه الجريمـة[٢٣٩]. فالقوانـين لم تجـد مـن ينفذهـا كـما هـو الحـال مـع الإمـام عـلي (عليـه السـلام) الـذي يتبـع فعلـه قولـه.

كـما يلفـت الانتبـاه أيظـاً في هـذه الرسـالة مـا يشـير الى قـوة الجهـد الاسـتخباري واخلاصـه في العمـل، ورفضـه لمغريـات المـال ممـا يـدل عـلى المسـتوى التنظيمـي ألعـالي لـه مـن جهـة، ونـوع العلاقـة بـين الإمـام عـلي (عليـه السـلام) وجهـازه الاداري.

ويبـدو أنـه (عليـه السـلام) أُحيـط علـماً بـما يقـوم بـه زيـاد مـن انفـاق غـير معقـول فكتـب لـه: «**فَـدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِـداً وَ اذْكُـرْ فِي الْيَـوْمِ غَـداً وَ أَمْسِـكْ مِـنَ الْمَـالِ بِقَـدْرِ ضَرُورَتِـكَ وَ قَـدِّمِ الْفَضْـلَ لِيَـوْمِ حَاجَتِـكَ أَ تَرْجُـو أَنْ يُعْطِيَـكَ اللهُّ أَجْـرَ الْمُتَوَاضِعِـينَ**

وَ أَنْـتَ عِنْـدَهُ مِـنَ الْمُتَكَبِّرِيـنَ وَ تَطْمَـعُ- وَ أَنْـتَ مُتَمَـرِّغٌ فِي النَّعِيـمِ تَمْنَعُـهُ الضَّعِيـفَ وَ الْأَرْمَلَةَ- أَنْ يُوجِـبَ لَـكَ ثَـوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ إِنَّـمَا الْمَـرْءُ مَجْزِيٌّ بِـمَا سَـلَفَ وَ قَـادِمٌ عَـلَى مَـا قَـدَّمَ وَ السَّـلَامُ»[٢٤٠].

ومـن كتـاب لـه عليـه السـلام إلى المنـذر بـن الجـارود العبـدي بعـد أن تأكـدت لـه خيانتـه في بعـض مـا ولاه مـن أعمالـه، وكان عـلى مايبـدو أنـه (عليـه السـلام) قـد اختـاره لانـه سـليل عائلـة تمتـاز بالصـلاح: «**أَمَّـا بَعْـدُ فَـإِنَّ صَـلَاحَ أَبِيـكَ غَـرَّنِي مِنْـكَ وَظَنَنْـتُ أَنَّـكَ تَتَّبِـعُ هَدْيَـهُ وَتَسْـلُكُ سَبِيلَهُ**» ولكنـه (عليـه السـلام) اكتشـف مـن خـلال مراقبتـه انـه ضعيـف أمـام هـوى نفسـه منقـاداً لرغباتهـا «**فَـإِذَا أَنْـتَ فِيـمَا رُقِّـيَ إِلَيَّ عَنْـكَ لَا تَـدَعُ لِهَـوَاكَ انْقِيَـاداً وَلَا تُبْقِـي لِآخِرَتِـكَ عَتَـاداً تَعْمُـرُ دُنْيَـاكَ بِخَـرَابِ آخِرَتِـكَ وَتَصِـلُ عَشِـيرَتَكَ بِقَطِيعَـةِ دِينِـكَ**»، فـم راح يضعـه أمـام حقيقـة نفسـه ويأمـره بالقـدوم إليـه «**وَلَئِـنْ كَانَ مَـا بَلَغَنِـي عَنْـكَ حَقّـاً لَجَمَـلُ أَهْلِـكَ وَشِسْـعُ نَعْلِـكَ خَـيْرٌ مِنْـكَ، وَمَـنْ كَانَ بِصِفَتِـكَ فَلَيْـسَ بِأَهْـلٍ أَنْ يُسَـدَّ بِـهِ ثَغْـرٌ أَوْ يُنْفَـذَ بِـهِ أَمْـرٌ أَوْ يُعْـلَى لَـهُ قَـدْرٌ أَوْ يُـشْرَكَ فِي أَمَانَـةٍ أَوْ يُؤْمَـنَ عَـلَى جِبَايَـةٍ فَأَقْبِـلْ إِلَيَّ حِيـنَ يَصِـلُ إِلَيْـكَ كِتَـابِي هَـذَا إِنْ شَـاءَ اللهُ**»[٢٤١].

وفي كتابـه إلى أحـد عمالـه يتبـين أهميـة المراقبـة عـلى الـولاة، وحسـن أداء العيـون المكلفـين بالمراقبـة في منـع استـشراء الفسـاد «**أَمَّـا بَعْـدُ فَقَـدْ بَلَغَنِـي عَنْـكَ أَمْـرٌ** »، ومـن خـلال سرعـة وفاعليـة معالجـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام)، والتـي قامـت هنـا عـلى التنبيـه وتقويـم الاخـلاق «**إِنْ كُنْـتَ فَعَلْتَـهُ فَقَـدْ أَسْـخَطْتَ رَبَّـكَ وَ عَصَيْـتَ إِمَامَـكَ وَ أَخْزَيْـتَ أَمَانَتَـكَ**»، ثـم بيـان طبيعـة الفسـاد الـذي ارتكبـه «**بَلَغَنِـي أَنَّـكَ جَـرَّدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَـذْتَ مَـا تَحْـتَ قَدَمَيْـكَ وَ أَكَلْـتَ مَـا تَحْـتَ يَدَيْـكَ**»، ولم يتوقـف عنـد هـذا الحـد وانـما طالبـه برفـع حسـابه وتسـليم مابذمتـه، وذكـره بـأنّ حسـاب الله أعظـم مـن اي حسـاب «**فَارْفَـعْ إِلَيَّ حِسَـابَكَ وَ اعْلَـمْ أَنَّ حِسَـابَ اللهِ أَعْظَـمُ مِـنْ حِسَـابِ النَّـاسِ وَ السَّـلَامُ**»[٢٤٢].

وكان أشدُّ ما يُغضب الإمام علي (عليه السلام) من تصرفات ولاته هو تجاوزهم على المال العام واستغلاله لمنافعهم الخاصة ففي كتاب له (عليه السلام) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني و هو عامله على أردشيرخرة[٢٤٣]: «**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ اَلْمُسْلِمِينَ اَلَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خُيُولُهُمْ وَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ اِعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ فَوَالَّذِي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ وَ بَرَأَ اَلنَّسَمَةَ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً وَ لَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ وَ لاَ تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ اَلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً أَلاَ وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَ قِبَلَنَا مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا اَلْفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ**». وهذا يعني استغلال السلطة لمحاباة قومه وإيثارهم على غيرهم من غير وجه حق، وهذه الممارسة هي صورة من صور الفساد الاداري، ولهذا فإن الإمام يقسم متشدداً إن كان ما بلغه صحيحا، وهذا لايعني التشكيك بـ (عيونه) وانما هي سياسة الإمام (عليه السلام) في علاقته مع ولاته القائمة على معالجة الخطأ بالإصلاح فإن عالج الأمر وأثبت براءته وإلا فالعقوبة، والفيء عند الإمام علي (عليه السلام) ليس لأحد دون الآخر وإنما هو للمسلمين بالسوية.

وكتب عَلَيْهِ السلام إلى قدامة بن عجلان عامله عَلَى كسكر: أما بعد فاحمل ما قبلك من مال الله فإنه فيء للمسلمين، لست بأوفر حظا فيه من رجل فيهم ولا تحسبنّ يا بن أم قدامة أن مال كسكر مباح لك كمال ورثته عَن أبيك وأمك، فعجل حمله وأعجل فِي الإقبال إلينا إن شاء الله[٢٤٤]. وكتب (عَلَيْهِ السلام) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني- وكان على «أردشير خرّة» من قبل ابن عباس : بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أتيت شيئا إدّا بلغني أنك تقسم فيء المسلمين فيمن

اعتناك ويغشاك من أعراب بكر بن وائل، فو (الله) الذي فلق الحبّة وبرء النسمة وأحاط بكل شيء علما، لئن كَانَ ذلك حقا لتجدنّ بك عليّ هوانا فلا تستمينّ بحق ربك ولا تصلحن دنياك بفساد دينك ومحقه فتكون من الأخسرين أَعْـمَالا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا(٢٤٥).

ولأهمية المال العام فإنَّ الإمام علي(عليه السلام) يضع صيانته والحفاظ عليه على أولويات منهجه التربوي الذي يتمثل في تذكير الولاة بشكل خاص والانسانية بشكل عام بأن المسؤول هو القدوة التي يجب أن لايحابي أحداً على حساب امانته مهما بلغت درجة قرابة الخائن منه، يتضح ذلك فيما كتبه إلى أحد ولاته المقربين إليه وكان قد قال فيه: «**كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ**»، ولكنه عندما تجاوز على المال العام عدّه خائناً ولم تشفع له القرابة ولا العلاقة فعنفه أشد تعنيف «**أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِي الْأَلْبَابِ كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ فَاتَّقِ اللهَ وَارْدُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ**»، ثم هدّده بأشد تهديد «**فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**»، وضرب له من ولغيره من نفسه مثلاً فقال: «**وَ وَ اَللهِ لَوْ أَنَّ اَلْحَسَنَ وَ اَلْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ اَلَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَ لاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ اَلْحَقَّ مِنْهُمَا وَ أُزِيحَ اَلْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا وَ أُقْسِمُ بالله رَبِّ اَلْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي**»(٢٤٦) وكأنه (عليه السلام) يعيد للأذهان قسم رسول الله

(صلى الله عليه وآله) حيث قال: «**وَايْمُ اللهِّ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[٢٤٧]. اللافت في هذه المعاملة هو أنّ الإمام علي (عليه السلام) يُعطي مثلًا في العدالة ليس له نظير إلاّ عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبهذه القيم يمكن أن يجتث الفساد وتُستأصل امتداداته. ومن المواضيع التي يدخل فيها الموظف الحكومي نفق الفساد الهدية الوظيفية، والمقصود هنا الهدية التي تقدم إلى الموظف أثناء تأديته واجبه الوظيفي لما للهدية من تأثير على النفس، وتشير المصادر إلى أن لأصل في هدايا العمال والموظفين على اختلاف مراتبهم وجهات عملهم المنع والتحريم تضافرت على ذلك الأدلة، ولجلاء شرها وصفها بعض أهل العلم بأنها أصل فساد العالم. فقد ذُكِر أنَّ الإمام علي (عليه السلام) « استعمل رجلا من بني أسد يقال له ضبيعة ابن زهير؛ فلما قضى عمله أتى عليا بجراب فيه مال؛ فقال: يا أمير المؤمنين إن قوما كانوا يهدون لي حتى اجتمع منه مال فها هو ذا فإن كان لي حلالا أكلته وإن كان غير ذاك فقد أتيتك به؛ فقال علي: لو أمسكته لكان غلولا؛ فقبضه منه وجعله في بيت المال»[٢٤٨]. فالإمام علي (عليه السلام) يؤكد على خطر الهدايا التي يتقبلها الموظف العام ويعتبرها مقدمة للإنحراف والفساد، وقد جاء فعله هذا مطابقاً لما قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد روي أنّ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآله) اسْتَعْمَلَ رَجُلا «**يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: « مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ**»[٢٤٩]. كما ورد عن النبي (صلّ الله عليه وآله) أنه قال : « هدية العمّال غلول

وفي بعضها: «هدية العمّال سحت»[٢٥٠].

وقد ادركت الدول الحديثة ومنها العراق خطورة الهدية الوظيفية وعملت على محاربتها وشرَّعَت القوانين الخاصة بها ومن بين ما أصدرته تعليمات رقم(١) لسنة ٢٠٠٥ تعليمات قواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة. و جاء في نموذج قواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة و في التسلسل رقم١٠ يتعهد الموظف بـ «عدم طلب أو قبول الهدايا أو المنافع التي يكون غرضها التاثير في حياديتي أو نزاهتي أو يكون غرضها المكافئة على أداء واجباتي أو تكون في مصلحة أحد أفراد عائلتي وأقربائي إلى الدرجه الرابعة مادامت للغرض نفسه أعلاه»[٢٥١] إلّا أنَّ هذا التعهد أو غيره من القوانين لم تحد من تفاقم ظاهرة الفساد الإداري لأنَّ إرادة التنفيذ لا تقترب من إرادة الإمام علي (عليه السلام) و لو بنسبة بسيطة. على إنّنا يجب أن لا ننسى أنّ الإمام علي (عليه السلام) بما اتصف به من زهد وورع كان يمثل لِولاته واقعاً حياً يدفعهم للإقتداء به ولذلك فقد تأثر معظمهم بسلوكه الشخصي فتورعوا عن أموال الناس وعن ظلمهم فكان حقا لهم أن يقولوا عن أنفسهم (أتباع علي عليه السلام).

الرقابة الشعبية

وهي رقابة الأمّة لولي الأمر وتعَرَّف بأنها: «متابعة أفراد الأمة لنشاطات السلطة التنفيذية المتمثلة بالجهاز الحكومي المكون من الحكام وولاة الأمور، وأعمالهم في مجالات الحياة كّلها، ومناصحتهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمعالجة الأخطاء والمخالفات الواقعة منهم والقضاء عليها»[٢٥٢]. فالرقابة الشعبية تقوم على مبدأ (الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر) مع الإعتراف بأنَّ هناك قصوراً في فهم كثير من الناس لهذا المبدأ، إذ اقتصروا في تطبيقه على فقرات

معينه في حين كثيرا من ممارسات الفساد بشكل عام والفساد الإداري بشكل خاص لا سيما المتعلقة بسوء استخدام الوظيفة الحكومية لا تحظى باهتمام الناس، مع أن القرآن الكريم يدعو الناس في كثير من آياته لممارسة هذا النوع من الرقابة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٢٥٣)، وقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾(٢٥٤)، وقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٢٥٥)، كما أنَّ السنة النبوية فيها الكثير من الشواهد التي يدعوا فيها النبي (صلى الله عليه واله) الناس إلى ممارسة الرقاب الشعبية منها قوله (صلى الله عليه وآله): «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»(٢٥٦). وقوله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس مُروا بالمعروف وانهُوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم»(٢٥٧)، وقَالَ (صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَآله): «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الْمُسِيءِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» . كما قال (صلى الله عليه وآله): «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»(٢٥٨)

لم يغب أمر الرقابة الشعبية عن بال الإمام علي (عليه السلام) فقد أولى إشراك الرعية في مراقبة الوالي اهتماما كبيرا فشجع الناس على ممارسة هذا النوع

من الرقابة و هو القائل: «**وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي**»(٢٥٩). وعلمهم على ان لا يسكتوا عن حقهم حتى أقر له أعداءه بذلك وخير دليل ما جاء على لسان معاوية بن أبي سفيان وهو يخاطب سودة بنت عمارة الهمدانية :» لقد لمظكم ابن أبي طالب على السلطان فبطيئاً ما تفطمون»(٢٦٠)، وكان سبب ذلك أنها اشتكت له سوء إدارة عامله بُسر بن أرطاة فيهم، ولمّا وجدته غير آبه بها استفزته بذكر موقف لها مشابه مع الإمام علي (عليه السلام) فقالت «لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائما يريد صلاة فلما رآني انفتل، ثم أقبل علي بوجه طلق ورحمة ورفق، وقال: ألكِ حاجة؟ فقلت: نعم، وأخبرته بالأمر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد أني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك، ثم اخرج من جيبه قطعة جلد، وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾، وإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتى يقدم عليك من يقبضه، والسلام، ثم دفع إلي الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا»(٢٦١).

وعملا على تشجيع الرعية على قول الحق، وعرض ما يشكون من سوء تصرف العمال فقد كان (عليه السلام) يستمع إلى شكاواهم وينظر في طلباتهم، ويحاسب ولاته عليها فقد كتب إلى عَمْرو بن سَلَمَةَ الأرحبي : أما بعد فإن

دهاقين بلادك شكوا منك قسوة وغلظة، واحتقارا (وجفوة) فنظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، ولم أر أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لَهُم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، في غير ما أن يظلموا (كذا) ولا ينقض لهم عهد، ولكن تقرعوا بخراجهم [٥] ويقاتل (بهم) من وراءهم، ولا يؤخذ منهم فوق طاقتهم فبذلك أمرتك، والله المستعان والسلام.(٢٦٢)

وكتب عَلَيْهِ السلام إلى قرظة بن كعب: أما بعد فإن قوما من أهل عملك أتوني فذكروا أن لَهُم نهرا قد عفا ودرس، وأنهم إن حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم وقووا عَلَى كل خراجهم وزاد فيء المسلمين قبلهم، وسألوني الكتاب إليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفره والإنفاق عَلَيْهِ، ولست أرى أن أجبر أحدا عَلَى عمل يكرهه، فادعهم إليك، فإن كَانَ الأمر فِي النهر عَلَى ما وصفوا، فمن أحب أن يعمل فمره بالعمل، والنهر لمن عمله دون من كرهه، ولأن يعمروا ويقووا أحب إلي من أن يضعفوا والسلام (٢٦٣).

الخاتمــــة

يُستنتج مما تقدم أنَّ الإمام علي(عليه السلام) قد نجح في اجتثاث الفساد الذي استشرى في خلافة عثمان لأنه تعامل مع الموضوع بجدية ورفض أنصاف الحلول وقد تجلى ذلك واضحا في خطوتين خطاهما الإمام (عليه السلام) حالما تولى سُدة الحكم :-

١- عَزَلَ الولاة الفاسدين ولم يداهن فيهم على الرغم من حراجة الموقف وقد تَجلّى ذلك في رفضه لقبول بقاء معاوية قائلاً: «لايسألني الله عز وجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء ابدا»[٢٦٤]

٢- استرداد أموال بيت المال: وقد تشدد (عليه السلام) في استرجاع أموال بيت المال قائلا: «فأن الحق القديم لايبطله شي، ولو وجدته وقد تزوج به النساء، وفرق في البلدان لرددته إلى بيت المال»[٢٦٥]

إنَّ نجاح الإمام علي(عليه السلام) مرجعه إلى أنَّه لم يكن أسير السلطة فهو يزهد السلطة كما يزهد الدنيا إذ الدنيا عنده (أَزْهَدَ مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ) وقد سبقت إليه السلطة راكعة أمام قدميه ولم يسع إليها ولذلك أنصفه مَن قال: «إنّ الخلافة لم تزيّن عليّا بل عليّ زانها»[٢٦٦].

ولقد استطاع أن يحافظ على حكومة يمكن القول عنها أنها خالية من الفساد من خلال الاختيار الصحيح للولاة حيث وضع الرجل المناسب في المكان المناسب،وبناء العلاقة السليمة القائمة على الاحترام المتبادل والحاجة المتبادلة التي عززها بالمراقبة الدائمة المشفوعة بمبدأ الثواب والعقاب.

ومأأحوجنا اليوم لاستحضار روح الإمام علي(عليه السلام) ونتبع منهجه

حـق الاتِّبـاع حتـى يمكـن أن نقـف بوجـه هـذه الظاهـرة التـي اتـت عـلى ماتبقـى مـن القيـم التـي جـاء رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) أن يتمهـا.

والحمد لله رب العالمين

هوامش البحث:

(١) الجوهـري، اسـماعيل بـن حمـاد (ت٣٩٣هـ) الصحـاح، تحقيـق: احمـد عبـد الغفـور عطـار، بـيروت – دار العلـم للملايـين، ط٢ – ١٩٧٩م، ص٥١٩.

(٢) ابـن منظـور، محمـد بـن مكـرم (ت٧١١هـ) لسـان العـرب، تحقيـق: نخبـة مـن العاملـين، مـصر – دار المعـارف.

(٣) الزبيـدي، محمـد مرتـضى الحسـيني (ت ١٢٠٥ هـ)، تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس، تحقيـق: عـلي هـلالي، الكويـت، ط١ – ٢٠٠١م.

(٤) عمـر، احمـد مختـار عبـد الحميـد (ت١٤٢٤هـ) معجـم اللغـة العربيـة المعـاصرة، بـيروت – عـالم الكتـب، ط١ – ٢٠٠٨م، مـادة: ف س د، ١/ ١٧٠٦.

(٥) webester.١٩٧٥

(٦) البعلبكي، منير، المورد قاموس انكليزي / عربي، ط ٢٠٠٥م

(٧) الراغـب، ابي القاسـم الحسـين الاصفهـاني (ت٥٠٢هـ)، المفـردات في غريـب القران،تحقيـق: محمـد سـيد كيـلاني، بـيروت، دار المعرفـة، د. ت.

(٨) يُنظـر: الفيروزآبـادي، مجـد الديـن محمـد بـن يعقـوب (ت٨١٧هـ) بصائـر ذوي التمييـز، تحقيـق: محمـد عـلي النجـار، القاهـرة – ١٩٩٢م، ٤/ ١٩٢ ؛ المنـاوي، عبـد الـرءوف (ت١٠٣١هـ)التوقيـف عـلى مهـمات التعاريـف، تحقيـق: عبـد الحميـد صالـح، القاهـرة – عـالم الكتـب، ط١ – ١٩٩٠ م، ص٥٥٦.

(٩) الطـوسي، ابوجعفـر محمـد بـن الحسـن (ت٤٦٠هـ) التبيـان في تفسـير القـران، بـيروت – دار احيـاء الـتراث، ١/ ٧٥.

(١٠) الطـبرسي، أبـو عـلي الفضـل بـن الحسـن (ت٥٤٨هـ) مجمـع البيـان في تفسـير القـران، بـيروت – دار العلـوم، ط١ – ٢٠٠٥م، ١/ ٦٤

(١١) العسـكري، الحسـن بـن عبـد الله (ت ٣٩٥هـ) لفـروق اللغويـة، تحقيـق: محمـد ابراهيـم سـليم، القاهـرة – دار العلـم والثقافـة، ص٢١٤.

(١٢) ابـن الجـوزي، جمـال الديـن ابـو الفـرج عبـد الرحمـن (ت ٥٩٧هـ) نزهـة الأعـين النواظـر، تحقيـق: محمـد

عبد الكريم، مؤسسة الرسالة، ط٣-١٩٨٧م ص٤٦٩.

(١٣) يُنظر: الترابي، البشير على حمد، مفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد١١ - ٢٠٠٥م، ص١٠١.

(١٤) البقرة: ٢٠٥،

(١٥) القصص: ٧٧

(١٦) المائدة: ٦٤

(١٧) الفجر: ٦- ١٤.

(١٨) البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١-١٤٢٢هـ، ح: ٣١١٨، ٤/ ٨٥.

(١٩) ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) فتح الباري، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة - دار الريان، ط١ - ١٩٨٦م، ح: ٣١١٨، ٦/ ٢٥٣.

(٢٠) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت - دار الكتب العلمية،، ط٣- ٢٠٠٣ م،ح:١١٥٢٥،٦/ ١٦٠.

(٢١) المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت٩٧٥هـ) كنز اعمال، ضبط: بكري حياني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥-١٩٨٥م، ح:٩٥٠٢، ٤/ ٥٩.

(٢٢) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) الكافي، بيروت - منشورات الفجر، ط١-٢٠٠٧م ٥/ ١٦٧.

(٢٣) ياسر خالد بركات الوائلي - الفساد الاداي مفهومه واسبابه - مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية - www.annabaa.org - مجلة النبأ - العدد ٨٠ كانون الثاني - ٢٠٠٦.

(٢٤) مايكل جونسون - الفساد / نظرة عامة - مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية - موقع يو اس انفو - http:usinfo.state.go

(٢٥) د. جاسم محمد الذهبي - الفساد الاداري في العراق وتكلفته الاقتصادية والاجتماعية - مقال متاح على الموقع الالكتروني www.berc-iraq.com

(٢٦) الجابري، سيف راشد و القيسي، كامل صكر، كيف واجه الاسلام الفساد الاداري، دبي- دائرة الاوقاف والشؤون الاسلامية، ط١ - ٢٠٠٥م، ص٢٨.

(٢٧) منظمة الشفافية الدولية - تقرير الفساد العالمي لعام ٢٠٠٧.

(٢٨) الجمعية اللبنانية لتعزيز الشفافية / لا فساد - كتاب الفساد- ط١ - ٢٠٠٥ - مطابع تكنوبرس

- لبنان.

(٢٩) العكيلي، رحيم حسن، الفساد تعريفه وأسبابه وآثاره ووسائل مكافحته تعريفه وأسبابه وآثاره ووسائل مكافحته، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية -www-nazaha iq/search /web/trboy ٤.com،

(٣٠) هيئة النزاهة / الدائرة القانونية / قسم البحوث والدراسات: مفهوم الموظف العام في التشريع العراقي وقوانين مكافحة الفساد (دراسة مقارنة)، ٢٠١٠م، ص٤١.

(٣١) محمد: ٢٢

(٣٢) القرطبي،ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لاحكام القران، تحقيق: هشام سمير النجاري، الرياض، دار عالم الكتب، ١٦/ ٢٤٥.

(٣٣) هود: ١١٦

(٣٤) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله (ت) المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض – مكتبة الرشد، ط١ – ١٤٠٩ هـ، ح: ٣٤٣٦٨، ٧/ ٨٣.

(٣٥) ساهر عبد الكاظم مهدي،الفساد الإداري أسبابه وأثاره واهم أساليب المعالجة:متح على الموقع الالكتروني www.nazaha.iq/search_web/muhasbe/ ١

(٣٦) م. ن.

* المقصود بالأئمة المضلين: الأئمة المتبوعون الذين يضلون الناس عن سبيل الله، فيدخل في ذلك: الحكام الفسدة، والعلماء الفجرة، والعُبَّاد الجهلة

(٣٧) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت،ح: ٤٢٥٢، ٤/ ٩٧.

(٣٨) الصالح، صبحي نهج البلاغة، القاهرة – دار الكتاب المصري، ط٤ – ٢٠٠٤م، خ٢١٦، ص ٣٣٣.

(٣٩) تاج العروس ٣: ١٩٤ ـ ١٩٥

(٤٠) وفي لسان العرب ٤: ٢٦٧

(٤١)قلعجي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، بيروت – دار النفائس، ط١ – ١٩٩٦م، ص٢٩.

(٤٢) كنز العمال، ح: ٣١٥٦٧، ١١/ ٢٩٩ ؛ الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم – دار الحديث، ط١ – ١٤٢٢هـ، ١/ ١٢٦.

(٤٣) الاعرجي، السيد زهير، الصديق الاكبر، قم المشرفة – المطبعة العلمية، الطبعة الاولى – ١٤٢١ هـ، ٢/ ٦٩٣.

(٤٤) صحيح البخاري، كِتَاب الْأَحْكَامِ ، بَاب مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَنْصَحْ، ح: ٧١٥١،

٩/ ٦٤.

(٤٥) صبحي الصالح، خ: ١٩٢، ص٣٠٠.

(٤٦) القندوزي، سليمان بن الشيخ ابراهيم (ت١٢٩٤هـ) ينابيع المودّة،تصحيح: علاء الدين الاعلمي، بيروت – مؤسسة الاعلمي، ط١ – ١٩٩٧م، ١/ ٨٥.

(٤٧) الحاكم النيسابوري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله ( )المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – دار الكتب العلمية، ط٢ – ٢٠٠٢م، ح:٤٦٣٩، ٣/ ١٢٨.

(٤٨) ابن حميد، ابو محمد عبد الحميد (ت٢٤٩هـ) المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: مصطفى العدوي، الرياض – دار بلنسيه، ط٢ – ٢٠٠٢م، ح ٢٤٠، ١/ ٢١٤.

(٤٩) القصص: ٢٦

(٥٠)يوسف: ٥٥

(٥١) مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤآد عبد الباقي، بيروت – دار احياء التراث العربي، ح: ١٨٢٥، ٣/ ١٤٥٧.

(٥٢) الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر (ت٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، ٥/ ٢٣٢.

(٥٣) صحيح البخاري، ح: ٦٤٩٦،٨/ ١٠٤.

(٥٤) صبحي الصالح، خ: ٩٢، ص١٣٦.

(٥٥) الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي (ت٥٤٨هـ) الاحتجاج، منشورات الشريف الرضي، ط١– ١٣٨٠ه ١/ ١٠٣

(٥٦) الخوارزمي، الموفق بن احمد بن محمد المكي (ت٥٦٨هـ) المناقب، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، قم – مؤسسة النشر الاسلامية، ط٢– ١٤١١هـ، ص٩٨ ؛ اهل البيت (تنوع ادوار ووحدة هدف)، تحقيق عبد الرزاق الصالحي، ط١، بيروت – دار الهدى، ط١ – ٢٠٠٣م، ص٨٩.

(٥٧) ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي(ت٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت – دار الجيل، ط١ – ١٩٩٢م، ٣/ ١١٠٣.

(٥٨) البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط١–١٩٩٦م، ٢/ ٨٥٣

(٥٩) كنز العمّال،ش ح: ١٤٥٠٩، ٥/ ٨٣٤

(٦٠) الثعلبي، ابو اسحاق احمد بن محمد (ت ٤٢٧هـ) قصص الأنبياء، القاهرة – مكتبة الجمهورية العربية، ص٤٦٨ ؛ الفيروزآبادي، السيد مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، قم –

منشـورات فـيروز ابـادي، ط٢ - ١٤٢٤هـ، ٢/ ٣٢٦

(٦١) الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله (ق٥هـ) شواهد التنزيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت - مؤسسة الاعلمي، ط٢-٢٠١٠م، ١/ ٣٠

(٦٢) ابن شهراشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، بيروت - دار الأضواء، ط٢ - ١٤١٢هـ، ٢/ ٤١٠.

(٦٣) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت - شركة الاعلمي، ط١ - ٢٠١٠م، ٢/ ٧٦.

(٦٤) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٥.

(٦٥) الاستيعاب ٤ / ١٦٧٩.

(٦٦) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ) مروج الذهب، اعتنى به: كمال حسن مرعي، بيروت - المكتبة العصرية، ط١ - ١٤٢٥هـ، ٢ / ٢٦٩.

(*) السواد . رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل، وحد السواد من حديثة الموصل طولا إلى عبادان، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضا، فيكون طوله مائة وستين فرسخا.

(٦٧) انساب الاشراف ٥/ ٥٢٩.

(٦٨)يُنظر: الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) تاريخ الطبري، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مصر - دار المعارف، ط٢ - د.ت، ٤/ ٢٣٣؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء، قطر - ادارة الشؤن الاسلامية، ط٢ - ٢٠١٣م، ص٢٦٦.

(٦٩) القرشي، باقر شريف، موسوعة الإمام علي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ١٠ / ٣.

(٧٠) المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ح: ٨٤٧٥، ٤/ ٥٢٦.

(٧١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٠ ؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ،تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي، بيروت - دار الكتب العلمية، ط١ - ١٩٨٧م، ٣/ ٨٦.

(٧٢) رضا، محمد، الإمام علي بن ابي طالب، بيروت - دار القلم، ص٥٣. متاح على الموقع الالكتروني: https://books.google.iq/books?isbn

(٧٣) حسين، طه، الفتنة الكبرى علي وبنوه، مصر - دار المعارف، ط١٣، ص ٢١.

(٧٤) ينظر: الشاطبي، ابو اسحق ابراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ) الموافقات، السعودية - دار ابن عفان، ط١ - ١٩٩٧م، ٢/ ١٨.

(٧٥) النجار، عبد الوهاب، الخلفاء الاربعة، تحقيق: خليل الميس، بيروت- دار القلم، ط٤- ١٩٩٤م،

ص٣٨٣.

(٧٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٧٧.

(٧٧) يُنظر: الصنعاني، ابو بكر عبد الرزاق (ت٢١١هـ) المصنف، تحقيق:عبد الرحمن الاعظمي، بيروت – المكتب الاسلامي، ط١– ١٩٧٢م، ٥/ ٤٥٦؛ ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة (ت ٢٦٢هـ) تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ، ٣/ ٨٣٧ ؛ إبن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين العمروي، بيروت – دار الفكر، ١٩٩٥م، ٤٧/ ٢٨٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٤٨٥ ـ٤٨٦.

(٧٨) ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت – دار احياء الكتب العربية، ط٢ – ١٩٦٥م ١٢/ ٨٢.

(*) منظمة الشفافية الدولية هي مجموعة من ١٠٠ فرع محلي، مع سكرتارية دولية في برلين، بألمانيا. تاسست في عام ١٩٩٣ بألمانيا كمؤسسة غير ربحية، وهي الآن منظمة عالمية غير حكومية، وتدعو لأن تكون منظمة ذات نظام هيكلي ديمقراطي متكامل. الشفافية الدولية: على الموقع الالكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki

(٧٩) التنير، سمير، الفقر والفساد في العالم العربي، بيروت– دار الساقي، ط١ – ٢٠٠٩م، ص١٥.

(٨٠) صبحي الصالح، خ: ١٤٦، ص٢٠٣.

(٨١) الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٤١٣هـ)، الجمل، ط١ – ١٩٨٣، ص١٥٤.

(٨٢) محمد الياسري، هل اضحى الفساد جزءاً من الشخصية العراقية؟ متاح على الموقع الالكتروني: htm.١٨٠٨٧ /http://mail.almothaqaf.com/aqlam٢٠٠٩

(٨٣) صبحي الصالح، خ: ١٣١، ص١٨٩.

(٨٤) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) اصول الكافي، بيروت – منشورات الفجر، ط١– ٢٠٠٧م، ١/ ٢٥٥ ؛ الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي القمي (ت٣٨١هـ) الخصال، قم – مؤسسة النشر الاسلامي، ١/ ١١٦.

(٨٥) تاج العروس، مادة: ورع، ٢٢/ ٣١٣.

(٨٦) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت ٣٦٠هـ) مكارم الاخلاق، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١ – ١٩٨٩م، ١/ ٣١٢.

(٨٧) صبحي الصالح، خ: ٢٣٠، ص٣٥١.

(٨٨) لسان العرب، مادة: حلم، ص٩٨٠.

(٨٩) الجويني، ابراهيم (ق٨هـ) فرائد السمطين، تحقيق: محمد باقر المحمودي، قم – دار الحبيب، ط١

- ١٤٢٨هـ،٢/ ٦٨.

(٩٠) الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٤١٣هـ) كتاب الامالي،دار المرتضى، المجلس١٤، ص ١١٨.

(٩١) الخصال، ص٢٨٦.

(٩٢) صبحي الصالح، ص٤٢٤

(٩٣) صبحي الصالح، خ: ١٣١، ص١٨٩.

(٩٤) تاج العروس، مادة : بخل، ٢٨/ ٦٣.

(٩٥) البقرة: ٤٤.

(٩٦) النقوي، محمد تقي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، طهران – قائن، ط١ – ١٤٢٦ هـ، ١٠/ ٢٧.

(٩٧) الحراني، ابو محمد الحسن بن علي (ق٤هـ) تحف العقول عن الرسول، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ط٧-٢٠٠٢م، ص٢٨.

(٩٨) آل عمران: ١٥٩

(٩٩) ميزان الحكمة، ح: ٥٠٨٦، ٣/ ١٠٨٤.

(١٠٠) شرح نهج البلاغة، ٨/ ٢٦٦.

(١٠١) البقرة: ١٨٨.

(١٠٢) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ) مجمع البيان في تفسير القران، بيروت – دار العلوم، ط١ – ٢٠٠٥م، ٢/ ٢٨

(١٠٣) البزار، ابو بكر أحمد بن عمر (ت٢٩٢هـ) البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، بيروت – مؤسسة علوم القرآن، ط١ – ١٩٨٨م، ح: ١٠٣٧، ٣/ ٢٤٧.

(١٠٤) الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر (ت٨٠٧هـ) كشف الاسرار، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١ – ١٩٧٩م، ٢/ ١٢٤.

(١٠٥) جريدة الوقائع العراقية، العدد: ٤٠٩٣، ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٨، ص٥.

(١٠٦) يُنظر: تاريخ الطبري ٤/ ٤٧.

(١٠٧) الصلابي، علي محمد محمد،فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، الامارات – مكتبة الصحابة، ط١- ٢٠٠٢ م، ص٤١٤.

(١٠٨) ينظر: ابن حجر الهيتمي، شهاب الدين أبو العباس أحمد(ت ٩٧٣ هـ) تطهير الجنان واللسان، مصر – دار الصحابة للتراث، ط١ – ١٩٩٢م، ص٦٨.

(١٠٩) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) سير اعلاء النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، بيرقت – مؤسسة الرسالة،ط ٢- ١٩٨٢م، ٣/ ٣٣.

(١١٠) م. ن. ص٣٤.

(١١١) تاريخ الطبري، ٥ / ٣٣٠.

(١١٢) تاريخ دمشق ٥٦/ ١٧٧.

(١١٣) يُنظر: سمر عادل حسين، الفساد الاداري: اسبابه، آثاره وطرق مكافحته، بحث منشور في مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات، العدد السابع – ٢٠١٤م، ص١٢١ – ص ١٥١.

(١١٤) البُستي، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ) الثقات، الهند – دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط١ – ١٩٧٣م، ٢/ ٢٧٣ ؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين (ت ٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة – دار الكتب والوثائق القومية، ط١ – ١٤٢٣ هـ، ٢٠ / ٢١.

(١١٥) العمري، اكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، ص١٤٣.

(١١٦) سير اعلام النبلاء ٢/ ٣٢٠ ؛ ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة،بيروت – المكتبة العصرية، ط١ – ٢٠١٢م، ت: ٥٩٠٨، ص١٠٠٥.

(١١٧) العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله الكوفى (ت ٢٦١هـ) معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم البستوي، المدينة المنورة – مكتبة الدار، ط١ – ١٩٨٥م، ٢/ ١٢٧.

(١١٨) يُنظر: الصدوق،ابو جعفر محمد بن علي القمي (ت٣٨١هـ) عيون اخبار الرضا، منشورات الشريف الرضي، باب ٣٥، ٢/ ١٣٤.

(١١٩)ابن أبي حاتم،أبو محمد عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ) الجرح والتعديل، بيروت – دار إحياء التراث العربي، ط ١ – ١٩٥٢ م، ٦١٤٦.

(١٢٠) بحر العلوم، محمد مهدي (ت١٢١٢هـ)الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، طهران – مكتبة الصادق، ط١ – ١٣٦٣هـ، ٣/ ٧٨.

(١٢١) الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي (ت٥٤٨هـ) الاحتجاج، منشورات الشريف الرضي، ط١–١٣٨٠هـ، ١/ ١٠١.

(١٢٢) الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ) ر جال الطوسي، تحقيق: جواد الفيومي، قم – مؤسسة النشر الاسلامي، ت: ٦٤٨، ص ٧١.

(١٢٣) البروجردي، السيد علي (ت ١٣١٣ هـ) طرائف المقال، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، قم – ردمك، ط١ – ١٤١٠هـ، ٢/ ٩٩؛ الاردبيلي، محمد بن علي الغروي (ت ١١٠١ هـ) جامع الرواة، قم – مكتبة المرعشي، ١٤٠٣هـ، ١/ ٥٣٢ ؛ التفرشي (ق١١هـ) نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل

البيت، قم –مؤسسة آل البيت، ط١ – ١٤١٨هـ، ٣/ ١٩٢.

(١٢٤) طرائف المقال، ٢/ ٩٩.

* شرطة الخميس: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم: تشرطوا فأنا اشارطكم على الجنة ولست اشارطكم على ذهب ولا فضة. الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبرى (ت ٤١٣هـ) الاختصاص، تحقيق: علي اكبر غفاري، بيروت – مؤسسة الاعلمي، ط١ – ٢٠٠٩م، ص١٤.

(١٢٥) القبانجي، السيد حسن، مسند الإمام علي، تحقيق: طاهر السلامي، بيروت – مؤسسة الأعلمي، ط١– ٢٠٠٠م، ٧/ ٣١٤.

(١٢٦) أَبُو يُوسُف، يَعْقُوب بن إِبْرَاهِيم بن حبيب (ت ١٨٢هـ) كتاب الخراج، تَحْقِيق: طبه عبد الرءوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، المكتبة الأزهرية للتراث ١/ ٣٦.

(١٢٧) سير أعلام النبلاء: ٣ / ٥١٢.

(١٢٨)محب الدين، ابو العباس احمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ) ذخائر العقبى، تحقيق: اكرم البوشي،ط ١، ص ٣٩٣.

(١٢٩) ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق: محيي الدين اديب، بيروت – دار بن كثير، ط٢ – ٢٠١٠ م، ٨/ ١٣١.

(١٣٠) البغدادي، عبد القادر (ت١٠٩٣هـ)خزانة الادب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة – مطبعة الخانجي، ط٣ – ١٩٦٦م، ٧/ ٢٥٧.

(١٣١)الأنفال: ٥٨

(١٣٢) ابن هلال الثقفي، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد، الغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، بيروت – دار الاضواء، ط١ – ١٩٨٧م، ص٤٠٦.

(١٣٣) م. ن. ص٤٢٥.

(١٣٤) يُنظر: الخوئي، ابو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي (ت ١٤١٣هـ) معجم رجال الحديث، النجف الاشرف – مكتبة الإمام الخوئي، رقم: ٩٦٧٥، ١٥/ ٩٦.

(١٣٥) ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي(ت٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت – دار الجيل، ط١ – ١٩٩٢م، رقم: ٢١٣٤، ٣/ ١٢٨٩.

(١٣٦) صحيح البخاري، ح: ٧١٥٥، ٩/ ٦٥ ؛ البداية والنهاية، ٨/ ١٤٤.

(١٣٧) بن المطهر، ابو منصور الحسن بن يوسف الحلي (ت٧٢٦هـ) خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي، قم – مؤسسة الفقاهة، ط٤ – ١٤٣١هـ، رقم:٧٨٤، ص٢٣١.

(١٣٨) الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ) كتاب الامالي، طهران، دار الكتب الاسلامية، ص٩٩٠.

(١٣٩) انساب الاشراف ٣/ ١٦٨.

(١٤٠) نهج السعادة ٤/ ٣٥ ؛ الغارات ص٣٧.

(١٤١) سير اعلام النبلاء ٣/ ١١٠

(١٤٢)المصدر نفسه

(١٤٣)م ن

(١٤٤) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ)،الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م، ٦/ ٢١٣ ؛ ابن حجر، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت–المكتبة العصرية، ط١–١٤٣٣هـ، رقم ٧٦٦٠، ص ١٣١٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) سير اعلاء النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، بيرقت – مؤسسة الرسالة،ط ٢– ١٩٨٢م، ٤/ ٣٤.

(١٤٥) القمي، عباس (ت ١٣٥٩ هـ) سفينة البحار، قم – دار الاسوة، ط٢ –١٤١٦هـ، ٤ / ٣٨٨ ؛ ابن شهراشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، بيروت – دار الأضواء، ط٢ – ١٤١٢هـ، ١/ ٢٩١ ؛ ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت –دار احياء الكتب العربية، ط٢ – ١٩٦٥م، ١٥/ ٩٨ ؛ العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ) خلاصة الاقوال، تحقيق: جواد القيومي، قم – نشر الفقاهة، ط٤ – ١٤٣١هـ، ص٢٧٧.

(١٤٦) صفين ص١٥٣ ؛ نفح الولاية ٩/ ١٥٣.

(١٤٧) الأمين، محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت – دار التعارف، ١٩٨٣م، ٩/ ٤١.

(١٤٨) م. ن. ١/ ٤٩.

(١٤٩) سفينة البحار، ٤/ ٣٧٩.

(١٥٠) م. ن. ٤/ ٣٨٤.

* الشَّتَر: انشقاق جفن العين وبه سمي الاشتر النخعي. ابن دريد، الاشتقاق ص٢٩٧.

(١٥١) الواقدي، عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) فتوح الشام، تصحيح: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١ – ١٩٩٧م، ١/ ٢١٥ ؛ الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر – دار المعارف، ط٢، ٣/ ٧٤.

(١٥٢) المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق:عبد السلام هارون، بيروت – دار

الجيـل، ١٩٩٠م، ص٤٨٤.

(١٥٣) البحراني، السيد هاشم (ت١١٠٩هـ)، بغية المرام وحجة الخصام، تحقيق: علي عاشور، بيروت – مؤسسة التاريخ العربي،ط١–٢٠٠١م، ٤/ ٣١٨؛ العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي، المركز الإسلامي للدراسات، ط١– ٢٠٠٩م، ٢١/ ٢٦.

(١٥٤) سفينة البحار ٤/ ٣٧٩.

(١٥٥) الاميني، عبد الحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والادب، بيروت– الاعلمي، ط١–١٩٩٤م، ٩/ ٦٠.

(١٥٦) شرح النهج ٦/ ١٢٤؛ صبحي الصالح ص٤٠٨.

(١٥٧) البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩ه)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط١–١٩٩٦م، ٦/ ٢٤٢٠. .

(١٥٨) م. ن.

(١٥٩) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٩.

(١٦٠) طبقات بن سعد ٣/ ٢٧٣؛

(١٦١) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة – دار احياء الكتاب العربي، ط١–١٩٦٠ م، ص١٤٣.

(١٦٢) المفيد، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٤١٣هـ) الجمل، ط١–١٤٠٣هـ، ص١٣٥

(١٦٣) يُنظر: المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق:عبد السلام هارون، بيروت – دار الجيل، ١٩٩٠م، ص٤٩٢.

(١٦٤) شرح النهج ١٥/ ٩٨.

* القلزم بالضم ثم السكون ثم زاى مضمومة وميم مدينة على ساحل بحر اليمن من جهة مصر ينسب البحر إليها. وفي هذا البحر بقرب القلزم غرق فرعون، وبينها وبين مصر ثلاثة أيام (المراصد)

(١٦٥) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ) الامالي، دار التيار الجديد، ١/ ٨٢.

(١٦٦) امالي المفيد ١/ ٨٣.

(١٦٧) انساب الاشراف ٣/ ١٦٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ٥٦/ ٣٨٦.

(١٦٨) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله (ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان، بيروت – دار صادر، ١٩٥٦م، ١/ ٤٥٤.

(١٦٩) أبن كثير، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق: محيي الدين اديب، بيروت – دار بن كثير، ط٢ – ٢٠١٠ م، ٧/ ٣٤٦.

(١٧٠) الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ)الغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، بيروت - دار الأضواء، ط١ - ١٩٨٧م، ص١٦٩ ؛ سفينة البحار ٤/ ٣٨٦.

(١٧١) شرح النهج ١/ ٤٢٤

(١٧٢) القمي، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت١٣٥٩هـ) منازل الاخرة، ترجمة: حسين كوراني، سوريا دار التعارف، ١٩٩٣م، ص١٢٤.

(١٧٣) الغارات ص١٧٠.

(١٧٤) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ) الإختصاص، تحقيق: علي اكبر غفاري، بيروت - مؤسسة الأعلمي، ط١ - ٢٠٠٩م، ص٨٧.

(١٧٥) سفينة البحار ٤/ ٣٨٧.

(١٧٦) الطوسي، تهذيب الأحكام: ٣/ ٣١٨.

(١٧٧) الأمين، محسن، أعيان الشيعة،٧/ ٣٢٢.

(١٧٨) يُنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٢٥٢.

(١٧٩) عيون أخبار الرضا، ٢/ ١٣٤.

(١٨٠) الصدوق،الخصال، ص٤٦٥.

(١٨١) الحر العاملي، وسائل الشيعة،٣/ ٧.

(١٨٢) الكليني، الكافي،٣/ ١٨٦.

(١٨٣) المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ) بحار الأنوار،بيروت - مؤسسة الأعلمي، ط١ - ٢٠٠٨م، ٧٨/ ٣٧٦.

(١٨٤) المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة، طهران - مؤسسة الطباعة والنشر، ط١ - ١٤١٨هـ، ٣/ ٣٩٧.

(١٨٥) م. ن. ٤/ ٣١.

(١٨٦) تاج العروس، مادة: ر ق ب، ٢/ ٥١٣.

(١٨٧) لسان العرب، مادة: ر ق ب، ص ١٦٩٩.

(١٨٨) رحيم علي صياح و عبد الحميد حمودي الشمري، الفكر الرقابي عند الإمام علي (عليه السلام) بحث منشور في مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية / المجلد٢٢/ العدد١: ٢٠١٤.

(١٨٩) يُنظر: البرعي، محمد عبد الله ومرسي، محمود عبد الحميد، الإدارة في الإسلام، جدة- المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط٢ - ٢٠٠١م، ص١٩١.

❋ العين: قال ابن سيده: و العَيْنُ الذي يُبْعث ليَتجسَّس الخبرَ. لسان العرب

* جون امريش إدوارد دالبرغ أكتون: بارون أكتون من الدنهام، ولد في ١٠ كانون الثاني ١٨٣٤ في نابولي، أستاذ التاريخ الحديث في جامعة كامبردج في عام ١٨٩٥، توفي عام ١٩٠٢م.

(١٩٠) مقال متاح على الموقع الاكتروني ar.html-٣٢٧٧٨-http://www.noqta.info/page

* شارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم مونتيسكيو (Montesquieu) (١٦٨٩ - ١٧٥٥م)، فيلسوف فرنسي صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليا.

(١٩١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٣.

(١٩٢) يُنظر: ابن خياط، خليفة (ت٢٤٠هـ) تاريخ خليفة، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض - دار طيبة، ط٢ - ١٩٨٥م، ص٢٠٠.

(١٩٣) الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ص ١٠

(١٩٤) كاظم، رعد عدنان، الاستراتجية الوطنية لمكافحة الفساد في العراق ٢١٠ - ٢٠١٤، ص١٢، بحث متاح على الموقع الالكتروني /www.undp-aciac.org/publications/ac compendium/iraq/Iraq

(١٩٥) صبحي الصالح، ك٤٢، ص٤٢٠.

(١٩٦) الأحزاب: ٢١

(١٩٧) صبحي الصالح، حكمة: ٧٣، ص٤٨٠.

(١٩٨) الآمدي، ناصح الدين ابي الفتح عبد الواحد (ت٥٥٠هـ) غرر الحكم، تدقيق: عبد الحسن دهيني، بيروت - دار الهادي، ط١ - ١٩٩٢م، حكمة: ١٥٣٩، ص ٣٦٨.

(١٩٩) م. ن، حكمة: ٢١٣٩، ص ٦٨.

(٢٠٠) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد (ت٧٥١ه) مدارج السالكين، تحقيق محمد المعتصم بالله، بيروت - دار الكتاب العربي، ط٧ - ٢٠٠٣ م، ٢/ ٦٥.

(٢٠١) ميزان الحكمة محمد الريشهري، ٢ / ١١٠٨.

(٢٠٢) الأشعري، احمد بن داود، مقدمة في الإدارة الإسلامية، جدة، ط!- ٢٠٠٠م، ص٣٥٩.

(٢٠٣) صبحي الصالح، ص٣٨٢.

(٢٠٤) م. ن. ص٤٥٩.

(٢٠٥) النساء : ١

(٢٠٦) ق : ١٨

(٢٠٧) المائدة : ٨

(٢٠٨) الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون،

مـصر - مصطفـى البـابي الحلبـي، ط٢- ١٩٧٥م، ح: ٢٤١٦، ٤/ ٦١٢. وقـال
(٢٠٩) صبحي الصالح، ص٣٨٣.
(٢١٠) الريشهري، ميزان الحكمة، ١ / ٨٢٥
(٢١١) ابـن عبـد الـبر، ابـو عمـر يوسـف بـن عبـد الله القرطبـي(ت٤٦٣ هـ)، الاسـتيعاب في معرفـة الاصحـاب، تحقيـق: عـلي محمـد البجـاوي، بـيروت - دار الجيـل، ط١ - ١٩٩٢م، ١/ ١١١١.
(٢١٢) صبحي الصالح، ص ٣٦٤
(٢١٣) م. ن.
(٢١٤) صبحي الصالح، ص٣٦٦.
(٢١٥) كاظـم، رعـد عدنـان، الاسـتراتجية الوطنيـة لمكافحة الفسـاد في العـراق ٢١٠ - ٢٠١٤، ص٩، بحث متـاح عـلى الموقـع الالكـتروني /www.undp-aciac.org/publications/ac/compendium iraq/Iraq.
(٢١٦) ينظر: شرح نهج البلاغة ١٤/ ٣٤.
(٢١٧) مسند الإمام علي، ح: ٤٥٣٠، ٤/ ٣٧٩.
(٢١٨) صبحي الصالح، ص ٣٨٣
(٢١٩) م. ن.ص٤٤٩.
(٢٢٠) م. ن ص٤٣٣.
(٢٢١) م. ن، ص ٤٤٩.
(٢٢٢) م ن
(٢٢٣) الإسراء: ٩
(٢٢٤) صبحي الصالح، ص٤٥٩.
(٢٢٥) العنكبوت: ٤٥
(٢٢٦) صحيح مسلم، ح: ٤٨٩، ١/ ٣٥٣.
(٢٢٧) م. ن
(٢٢٨) الدغيثر، عبد العزيز بن سعد، الرقابة الإدارية، ص٩
(٢٢٩) العمـر، فـؤاد عبـد الله، اخـلاق العمـل وسـلوك العامليـن في الخدمـة العامـة، جدّة - المعهد الإسـلامي للبحوث والتدريب، ط١ - ١٩٩٩م، ص٧٥.
(٢٣٠) صحيح البخاري، كتاب الايمان، ح: ٥٠، ١/ ١٩.
(٢٣١) المـاوردي، ابـو الحسـن عـلي بـن محمـد (ت ٤٥٠هـ) الاحـكام السـلطانية، تحقيـق: احمـد مبـارك،

الكويـت – مكتبـة دار بـن قتيبـة، ط١ – ١٩٨٩م، ص٢٣.

(٢٣٢) تاريخ الطبري، ٦/ ٦٧ ؛ العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٤٠٧.

(٢٣٣) الحلـواني، الحسين بـن محمـد (ق٥هـ) نزهـة الناظـر وتنبيـه الخاطـر، قـم – مدرسـة الإمـام المهـدي، ط١ – ١٤٠٨ هـ، ص٦٩.

(٢٣٤) صبحي الصاللح، ص٤٢٠.

(٢٣٥) م. ن. ص٤٤٩

(٢٣٦) مسند الإمام علي، ح: ٤٤٦٩/ ٣، ٤/ ٣٥٥.

(٢٣٧) كاظـم، رعـد عدنـان، الاسـتراتجية الوطنيـة لمكافحـة الفسـاد في العـراق ٢٠١٠ – ٢٠١٤م، ص١٠، بحـث متـاح عـلى الموقـع الالكـتروني /www.undp-aciac.org/publications/ac compendium/iraq/Iraq.

(٢٣٨) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٠٩

(٢٣٩) المـوا د (٣١٥ – ٣٢١) مـن قانـون العقوبـات رقـم ١١١ لسـنة ١٩٦٩ المعـدل. ويُنظر:الجـوراني، نـاصر كريمـش و عبـد عـلي، حيـدر كاظـم، التدابـير الدوليـة لمكافحـة الفسـاد وانعكاسـاتها عـلى التشريـع العراقـي، مجلـة الكليـة الاسـلامية الجامعـة، العـدد٣٦، ٢٥ آذار ٢٠١٥.ص١٠٧ – ص١٥٠.

(٢٤٠) صبحي الصالح، ص٣٧٧.

(٢٤١) يُنظر: صبحي الصالح، ص٤٦١.

(٢٤٢) يُنظر: صبحي الصالح ص٤١٢.

(٢٤٣) صبحي الصالح، ص ٤١٥

(٢٤٤) انساب الاشراف، ٢/ ١٦٠

(٢٤٥) انساب ٢/ ١٦٠.

(٢٤٦) يُنظر: صبحي الصالح، ص ٤١٢.

(٢٤٧) العيـد، تقـي الديـن بـن دقيـق (ت٧٠٢هـ) إحكام الأحكام، تحقيـق: احمـد محمـد شـاكر، القاهـرة – مكتبـة السـنة، ط١– ١٩٩٤م، ح ٣٥٧، ص٦٣١. انظـر ؛ الدارمـي: سـنن الـدار مـي،٢/ ٦١٥، كتـاب الحـدود، بـاب الشـفعة في الحـدود، ح ٢٢١٧، الترمـذي: سـنن الترمـذي، ص ٣٣٨، ح ١٤٣٠

(٢٤٨) وكيع، محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ) أخبار القضاة، بيروت – عالم الكتب،١/ ٥٩.

(٢٤٩) صحيح مسلم، ح: ١٨٣٢، ٣/ ١٤٦٣.

(٢٥٠) الطـوسي، ابـو جعفـر محمـد بـن الحسـن (ت٤٦٠ هـ)، المبسـوط، تصحيـح: محمـد تقـي الكشـفي، بـيروت – دار الكتـاب الإسـلامي، ٨/ ١٥١.

(٢٥١) يُنظر: جريدة الوقائع العراقية، العدد رقم: ٣٩٩٢ في ١٢/ ٢/ ٢٠٠٥م، ص١٢.

(٢٥٢) الإدارة الإسلامية: دراسة مقارنة بين النظم الإسلامية والوضعية الحديثة، د.فوزي كمال أدهم: ص ٣١٢، الرقابة الإدارة

الإسلامية، عبد العزيز محمد هنيدي: ص ٤ وما بعدها.

(٢٥٣) آل عمران : ١٠٤

(٢٥٤) آل عمران : ١١٠

(٢٥٥) التوبة : ٧١

(٢٥٦) سنن الترمذي ح: ٢١٦٩، ٤/ ٤٦٨.

(٢٥٧) البغدادي، ابو بكر عبد الله بن محمد (ت٢٨١هـ) كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاجي، المدينة – مكتبة الغرباء، ط١ – ١٩٧٧م، ص٨٨.

(٢٥٨) سنن ابي داوود كتاب الملاحم، ح: ٤٣٤٤، ٤/ ١٢٤.

(٢٥٩) نهج البلاغة، ص ٣٣٢.

(٢٦٠) ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨ هـ)، طبائع النساء، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، القاهرة – مكتبة القرآن، ص٢٢٤.

(٢٦١) ابن الصباغ، علي بن محمد بن احمد المالكي(ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: جعفر الحسيني، (بيروت،المجمع العالمي لأهل البيت،٢٠١١م)، ص١٨٤ ص١٨٥

(٢٦٢) م ن

(٢٦٣) م. ن ٢/ ١٦٢.

(٢٦٤) امالي الطوسي، ص٨٧، مناقب آل ابي طالب، ٣/ ١٩٥

(٢٦٥) شرح النهج ١/ ٢٦٩

(٢٦٦) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ) مناقب الإمام احمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر – هجر للطباعة والنشر، ص٢١٩.

تكافؤُ فرصِ العملِ

بينَ الذكرِ والأنثى وأثرُهُ في زيادةِ البطالةِ

نظرةٌ فاحِصَةٌ في فكر الإمام علي(عليه السلام)

والواقعِ الاجتماعيّ المعاصر

الدكتور عبد الهادي كاظم كريم.

كليَّة التربية الأساسيَّة- جامعة تلعفر

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ رُسُلِهِ وخَلْقِهِ أجمعين أبي القاسم محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين وعلى آلهِ الأئمةِ الطيِّبينَ الطاهرينَ المعصومينَ، وأصحابِهِ الغُرِّ الميامينَ الذينَ لم ينقلبوا على أعقابهِم بعد حين.

أمّا بعدُ:

فإنَّ موضوعَ البطالةِ جديرٌ بالاهتمامِ والمراقبةِ والمتابعةِ والتشخيص ومن ثَمَّ معالجته وإيجاد الحلول المناسبة الناجعة له التي تضمن عدم تفشيهِ واستفحالِ أمرهِ بين أفراد المجتمع، وكذلك يتطلَّبُ وضعَ استراتيجيات عامة، وخُطط أساسيَّة صحيحة مدروسة تصدرُ عن مراكز القرار في الدولة، وتعمل مؤسَّساتُها على تنفيذها والعمل بها ؛ كي يكون المجتمعُ في منأًى عن الوقوعِ في مستنقعِ المشاكلِ الكثيرةِ المتراكبةِ والمتشعبَّة التي يصْعُبُ حلَّها والقضاءَ عليها في كثيرٍ من الأحيان إن لم نقل مستحيلة المعالجة، التي تسببها البطالة أو التي تكون فيها البطالة السبب الأساس أو الدافعَ الأول في حدوثها.

وهي مسألةٌ حَظيتْ باهتمامٍ كبيرٍ في النصوصِ التشريعيّة السماويَّةِ ولا سيَّما القرآن الكريم وفكر آل البيت(عليهم السلام)؛ لأنَّها تَمَسُّ جوهرَ المجتمع فتؤثِّر في سلوكِ أفراده سلبًا وإيجابًا، بل إنَّها تزلزلُ كيانَ الإنسانِ كلِّهُ وتهزُّ عقيدتَهَ وإيمانَهَ فيكون سلوكُهُ متحررًا من كلِّ ذلك، وهذا ما أشارَ إليه مولانا الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالب(عليهما السلام) بقولِهِ:» لولا الخُبزُ ما عُبِدَ الله» إذًا للبطالةِ آثارٌ خطيرةٌ على الناسِ والمجتمع قد تَعْصِفُ بهما وتقضي عليهما إنْ لم يُسيطر عليها ويُتدارك أمرها

مـن خـلال تحديـد أسـبابها ومعالجتهـا والقضـاء عليهـا تدريجيًّـا.

وهـذا مـا دفعَنـا إلى أن نَنظُـرَ فيـما نـراه واحـدًا مـن أسـبابِها الكثـيرة، (هـو تكافـؤ فـرصِ العمـلِ بـين الذَّكـرِ والأُنثـى) نَظـرةً تـكادُ أن تكـونَ مختلفـةً عـن غيرهـا محاولـين إيجـادَ الحلـول المناسـبةَ لـه. وسـنذكرُ ذلـك ونُثْبِتُـهُ في خاتمـة البحـثِ إن شـاء الله تعـالى.

فـكان عنـوانُ هـذا البحـثِ (أثـرُ تكافـؤ فـرص العمـل بـين الذَّكـرِ والأنثـى في زيـادةِ البطالـةِ. نَظـرةٌ فاحصـة في فكـر الإمـام علي(عليـه السـلام)، والواقـع الاجتماعـيّ المعـاصر)، وقـد أقمنـا البحـثَ عـلى وفـقِ خطَّـةٍ يسـيرةٍ تتألّـفُ مـن مُقَدِّمـةٍ هـي هـذه التـي بـين أيدينـا التـي ذكرنـا فيها موضـوعَ البحـثِ وأهميَّتَـهُ وعنوانَـهَ، ومبحثـين، الأول: التشريـع الإسـلاميّ وفـرص العمـل، بحثنـا فيـه مـا يوجبُـهُ التشريـعُ عـلى الذَّكـر والأنثى مـن واجبـات وحقـوق تسـتدعي خلـق فـرصِ عمـلٍ لكليهـما؛ للإيفـاء بمتطلبـاتِ تلـكَ الواجبـات والحقـوق، وسـنقصر البحـثَ عـلى مصـدر التشريـع الإسـلاميّ الأول وهـو القـرآن الكريـم. ثُـمَّ نبيِّن ذلـك في فكـر الإمـام علي(عليـه السـلام)؛ لنـرى مـدى تطابقهـما فيـه. وفي المبحـثِ الثـاني بحثنـا في نـماذج تطبيقيَّـة لفـرص العمـل مـن الواقـعِ الاجتماعـيّ فذكرنـا مـا لهـا ومـا عليهـا ممَّـا يتعلَّـق بمـدى تطابقِهـا أو عدمِـهِ بـما ذكرنـاه في المبحـث الأول وهـو مـدى انسـجامها مـع تلـك الواجبـات والحقـوق التـي أقرَّهـا التشريـع الاسـلاميّ للذكـرِ والأنثـى وثبتـت في فكـر الإمـام (عليـه السـلام)، التـي عـلى أساسـها ينبغـي خلـق تلـك الفـرص.

ثُـمَّ ختمنـا البحـثَ بخاتمـةٍ ذكرنـا فيهـا النتائـجَ التـي قادنـا البحـثُ إليهـا فأثبتناهـا، وكذلـك ذكرنـا عـددًا مـن التوصيـات التـي – كـما نـرى– لابـدَّ منهـا للقضـاء عـلى آفـةِ البطالـةِ و معالجـة آثارهـا السـلبيَّة، أو التقليـل منهـا ومـن آثارهـا بِنِسَـبٍ لا بـأسَ فيهـا؛ للنهـوض بالمجتمـع والارتقـاء بـه نحـو الأفضـل ورفـع مسـتواه المعيشيّ والاقتصـاديّ

وجعلهما مقبولين. ثُمَّ أتممنا البحثَ بذكرِ مصادِره ومراجعِهِ وروافدِهِ التي انتجت متنَهُ ومادته. وفي ختام ذلكَ نسألُ الله عزَّ وجل أن يوفقَنا في ذلك خدمةً للمجتمع وارتقاءً به؛ إنَّهُ نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير. وآخرُ دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ تعالى وبركاتُه.

المبحث الأول

التشريع الإسلاميّ وموجبات خلق فرص العمل والبحثُ عنها

سنحاولُ في هذا المبحث كشفَ ما جاء به التشريع الإسلاميّ مِمَّا يتعلَّق بالأسباب التي توجب على الإنسانِ السعيَ في طلب الرزقِ والبحثِ عن فرص العمل التي توفِّر له رزقَهُ و تضمنَ له القدرة على كسبِ قوتِهِ من أجل عيشهِ وحياتِهِ في المجتمع.

إنّ القرآن الكريم فتحَ البابَ بشكلٍ مطلقٍ أمام الإنسان ذكرًا كان أو أنثى في العمل والبحث عن فرصهِ لتحصيل رزقه وتلبية متطلبات عيشه وحاجاته الأساسيَّة التي تكفل بقاءه على الحياة وعدم الاتكال على غيره أو تكفف الآخرين في ذلك؛ فقال سبحانهُ وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾(الملك:١٥)، فالمشي والسعي إلى الرزق في الأرض كلِّها في جبالها وسهولها وأطرافها وجوانبها(١) ووديانها وأنهارها وبحارها وصحاريها(٢)، وهو أمر عام مطلق يفيد الإباحة(٣)، وكذلك الرزق عامٌ يشمل كل ما يفيد الإنسانُ منه في البَرِّ والبحر(٤). وهذا أصلٌ أساس يَعمُّ جنسَ الإنسان كلَّه.

ولكن بعد ذلك قُصِرَ جلبُ هذا الرزق وتحصيلهُ والبحث عن أسبابِهِ وطرقِهِ بمن يجبُ عليهم ذلك لأنفسهم ولغيرهم كالأب الذي يعيل نفسه وعائلته، والرجل الذي يعيل نفسه وزوجته، والأخ الذي يعيل نفسهُ وأخوته وأخواته، والابن الذي يعيل نفسه وأُمهُ أو أبيه أو كليهما، وهكذا في كلِّ طبقات المجتمع وفئاتِهِ وأفرادهِ. وهذه سُنةٌ كونيَّة، لا يمكن أن نحيدَ عنها، فلو تخيَّلنا أنَّ كلَّ فردٍ من المجتمع ذكرًا أو أنثى، كبيرًا أو صغيرًا، رجلًا أو طفلًا، شيخًا أو شابًا، أبًا

أو أمًّـا، ابنًـا أو أخًـا أو أُختًـا، زوجًـا أو غـير زوج عليـه أن يخـرجَ بنفسـه إلى العمـل لكسـب رزقـهِ لأصبحـت الحيـاة متعبـةً بشـكل لا يُطـاق لا يحتمـل مطلقًـا، بـل مـن غـير الممكـن ذلـك. لـذا ربـطَ المـشرّع الإسـلاميّ العمـل بالإنفـاق فأوجـب الإنفـاق على مـن يجب عليـه الإنفـاق لنفسـه ولغـيرهِ فأوجـبَ نفقـة الأب عـلى مـن يعولهـم مـن أهلـه وولـده، واوجـب نفقـة الـزوج عـلى زوجـه، وأوجـب نفقـة الابـن عـلى أبويـه إن كانـوا لا يستطيعون العمـل وليس لديهـم مـا ينفقونـه عليهـم، وهكـذا الحـال مـع أفـراد المجتمـع جميعًـا.

فقـال تعـالى: ﴿**الرِّجَـالُ قَوَّامُـونَ عَـلَى النِّسَـاءِ بِـمَا فَضَّـلَ اللهُ بَعْضَهُـمْ عَـلَى بَعْـضٍ وَبِـمَا أَنْفَقُـوا مِـنْ أَمْوَالِهِـمْ فَالصَّالِحَـاتُ قَانِتَـاتٌ حَافِظَـاتٌ لِلْغَيْـبِ بِـمَا حَفِـظَ اللهُ وَالـلَّاتِي تَخَافُـونَ نُشُـوزَهُنَّ فَعِظُوهُـنَّ وَاهْجُرُوهُـنَّ فِي الْمَضَاجِـعِ وَاضْرِبُوهُـنَّ فَـإِنْ أَطَعْنَكُـمْ فَـلَا تَبْغُـوا عَلَيْهِـنَّ سَـبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّـا كَبِـيرًا**﴾ (النسـاء: ٣٤) فـأول سببٍ جعـل الرجـال قوامين عـلى النسـاء بالانفـاق عليهـن وتحقيـق كفايتهـن في المؤونـة[٥]، ودفـع حقوقهـا[٦]، وتعليمهـنَّ وتأديبهـنَّ وإصـلاح أمورهـنَّ[٧]، وهـو السـبب الثـاني للقوامـة، أمَّـا السـبب الأول وهـو التفضيـل فـلا يخـرج عـن العـود لهـن بالخـير؛ لأنَّ مـن مصاديقِـهِ -كـما قيـل- القـوة الجسـديَّة والقلبيَّـة والنفسـية التـي تفضـل بهـا الله سـبحانه وتعـالى عـلى الرجـل كـي يعمـل ويسـعى في طلـب رزقـه ويتـولى رعايـة أمـور أهلـه وزوجـه وولـده، وتلبيـة متطلبـات عائلتـه، وشـؤون بيتـه[٨]، «والقـوَّام: المبالـغ فِي القيـام، يُقَـالُ: هَـذَا قيِّـمُ المـرأةِ وقوَّامُهـا للـذي يقـوم بأمرهـا ويحفظهـا»[٩]. وهـو أمـرٌ خصَّـه الله تعـالى بالرجـل مـن دون المـرأة ؛ لأنَّـه هـو المسـؤول عنـه والمطالـب بـه والمتكفـل بـه، وأعفـى المـرأة مـن ذلـك كلـه فلـم يوجـب عليهـا أيَّ شيء مـن أمـور القوامـة إلى الرجـل ؛ لأنَّ القوامـة تتناسـبُ وتنسـجمُ مـع طبيعـة الرجـل وكيانـه اللـذان تفضـل سـبحانه بهـما عـلى الرجـل

من خلال امداده بالقوة في الجسد والقلب والنفس، فتفضَّل سبحانه وتعالى على الرجل بذلك،أمَّا مصاديق التفضيل الأخرى للرجل كاختصاصه بالنبوة والولاية والجهاد والشهادة وصلاة الجمعة والجماعة والميراث(١٠)، وغيرها من أمور الدين الاخرى(١١) فلا تكاد تخرج عن مراعاة طبيعة المرأة فأعفيت منها؛ لأنَّها تسبب لها المشقة والحرج. وبعضها كُيِّفت فجاءت منسجمةً وموافقةً لحالها ووضعها ومسؤولياتها.

وكذلك يتجلَّى سبب السعي وراء فرص العمل في قوله تبارك وتعالى: **﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**(البقرة:٢٣٣)

فيجب على الوالد(الأب) الإنفاق ولدهِ وأمِّ ولدهِ (زوجه) سواءً كانت معه في بيته أم كانت مطلقة، وهذا الإنفاق يتضمن كل ما يتطلبه الغذاء والطعام واللباس(١٢) للزوجة وإعطاء الأجر للمطلقة(١٣). بل أوجب الإسلام إيجاد السكن أيضًا مع الاستطاعة والقدرة للمرأة المرضع المطلقة(١٤) في قوله تعالى: **﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾** (الطلاق:٦-٧).

نستنتجُ من خلال ما سبق من الآيات القرآنيَّة المباركة أنَّ الدينَ الإسلاميَّ العظيمَ لا يوجبُ أيَّ إِنْفَاقٍ أو مسؤوليَّةٍ ماليةٍ على المرأةِ تجاه الرجلِ سواءً كانت هذه المرأةُ أُمًّا أو أُختًا أو زوجًا أو بنتًا أو غير ذلك. وعلى عكسِ ذلك تمامًا أوجب على الرجل الإنفاق على المرأة في كلِّ أوصافها وأحوالها التي ذكرناها على وفق ماجاء به القرآن الكريم. وبناءً على هذا الأساس تكون حاجةُ الرجلِ الى فرصة العمل أحوجَ وأشدَّ وهي الأولى بالإعطاء وتوفيرها له بل تكاد تكون هي الأصل في التلبية التي لا يمكن العدول عنها لغيره. وعلى وفق ذلك يجب أن تكون فرص العمل في المجتمع المخصَّصة للرجل هي الاكثرُ وهي الغالبة على فرص العمل الممنوحة للمرأة في مجالات العمل كلِّها؛ لأنَّ ذلك يؤثِّرُ في نسبة البطالة في المجتمع ارتفاعًا وانخفاضًا؛ فكلَّما ازدادت فرص العمل المخصَّصة للرجل عل فرص العمل المخصَّصة للمرأةِ انخفضت نسبة البطالةِ في المجتمع، والعكس بالعكس وهكذا؛ فالعلاقةُ بين فرص العمل للرجل ونسبة البطالة في المجتمع علاقة عكسيِّة، إذا ارتفعت أيٌّ منهما انخفضت الأخرى.

وحين ننظرُ في تراثِ أمير المؤمنين (عليه السلام) الفكريّ، وما أُثِرَ عنه من تراث ولاسيَّما سفره الخالد نهج البلاغةِ نظرةً متأنيَّةً فاحصةً سنرى مجاراتهُ عليه السلام وموافقتهُ التَّامتين لكلِّ ما جاء به التشريع الإسلاميّ المقدَّس ولاسيَّما القرآن الكريم فيما يتعلَّق بالواجبات والحقوق الماليَّة للذكر والأنثى، وما يؤسِّسهُ في خلق فرص العمل بينهما على وفق تلك الحقوق والواجبات، فالعلاقة تكادُ أن تكون طرديّةً بين فرص العمل وما أوجبه الشرع المقدَّس على الذكر والأنثى من نفقات ماليَّة تضمن حياتهما وعيشهما.

وكل ما أوردهُ الإمام(عليه السلام) من ذكرٍ أو قولٍ يخصُّ المرأةَ، أو النساءَ

بشكل عام يدور في أُفقِ مراعاتها ووجوب الإحسان إليها، وبيان وظائفها وأعمالها التي يجدر أن تطَّلِعَ بها، وكذلك ذكر أوصافها الحسنة، والأوصاف التي قد تؤاخذ بها، وإصلاحها، والقيام على قضاء أمورها وإصلاح شأنها وما يستلزمه من نفقةٍ أو عمل.

فمن ذلك قوله (عليه السّلام): «الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ - والْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ- ولِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ - وجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ»(١٥). «وجهاد المرأة هو حسن المعاشرة مع زوجها وتحمّل المكاره المتوجّهة منه إليها من سوء القول والفعل، فربما يكون أقواله وأعماله جارحات القلوب، فصبر المرأة تجاهها تعدّ من الجهاد.»(١٦) ومعناه حسن معاشرة بعلها وحفظ ماله وعرضه، وإطاعته فيما يأمر به، وترك الغيرة(١٧). وهذا من أوصافها الجليلة التي ينبغي أن لا تحيد عنها ؛ لأنَّ فيه أجرًا عظيمًا ما بعده أجرٌ لها.

وقال (عليه السّلام): « خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ - الزَّهْوُ والْجُبْنُ والْبُخْلُ - فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا - وإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا ومَالَ بَعْلِهَا - وإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا »(١٨). فهذا النَّصُّ يدلُّ على أنَّ «أهمّ الأوصاف الممدوحة والواجبة في المرأة العفاف والأمانة، لأنها في معرض شهوة الرجال الأجانب، وملتهب العشق والاحساس من كلّ جانب، ولأنّها صاحبة البيت وربّتها والمستودع مال الزوج عندها ومعروفة بالضعف لدى النّاس، فلا بدّ لها ممّا يجبر هذه الأخطار المتوجهة إليها في النفس والمال فيحسن منها الزّهو والتكبّر بحيث يمنعها ذلك عن نظرها إلى الأجانب أو طمع الأجانب فيها، وهذا التمنّع يعدّ في الرّجل تكبّرا مذموما وفي المرأة تعفّفا ممدوحا.

كما أنّ إمساكها لما في يدها من الأموال وترك الاقدام على البذل والافضال

ممدوح وإن عدّ من البخل أو الشحّ، لأنّ ذلك سدّ عن طمع الأجانب في نفسها وعن طمع الغاصبين والسارقين لما في يدها. والجبن يعينها عن الخروج في الخلوات والسّفر في ظلمة اللَّيالي والصحراوات فيفيدها من الناحيتين مضافا إلى أنّ هذه الصفات تأثّرات ترتبط بالإحساس والاحساس في المرأة أقوى من الرّجل.» [١٩].

ومن بديع تعبيرِهِ (عليه السلام) عن المرأة قوله:» فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ»[٢٠] والقهرمانة: تعني الوكيل على الشيء والقائم بأموره والمتعهد له والحفيظ عليه[٢١]، وقيمة البيت ومديرته والمربيَّة والخليلة وأمينة الحرم[٢٢]

«(فإن المرأة ريحانة) للرقة والحنان، والدعة والاطمئنان (وليست بقهرمانة) تتصرف فيما يخص الرجل نيابة عنه (ولا تعدو بكرامتها نفسها إلخ).. كرامة المرأة أن تبقى امرأة، وأن تضع نفسها حيث وضعتها الطبيعة، ولا تتطفل على وظائف الرجل. وقال الشيخ محمد عبده: «أين هذه الوصية من حال الذين يصرفون النساء في مصالح الأمة»[٢٣].

أمَّا ما ذكره الإمام (عليه السلام) من أوصاف المرأة، في قوله: «**وإِيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ - فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ - واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ - فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ - ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ - مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِه عَلَيْهِنَّ - وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ - ولَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا - فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ - ولَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ولَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا - وإِيَّاكَ والتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ - فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ - والْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ...**»[٢٤].

فهو لا يعدو كونه وصفًا موضوعيًّا لحالها وما تكون عليه من أحوال تجعل رأيها وعزمها معارضين للزلل أو عدم الصواب. وزبدة دلالة قوله (عليه السلام)

هذا ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه إذ قال: «(ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها)، أي لا تدخلها معك في تدبير ولا مشورة، ولا تتعدين حال نفسها وما يصلح شأنها. فان المرأة ريحانه، وليست بقهرمانة، أي إنما تصلح للمتعة واللذة، وليست وكيلا في مال ولا وزيرا في رأي»[٢٥]. وكذلك قوله (عليه السلام): «**مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ - نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ - نَوَاقِصُ الْعُقُولِ - فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ - فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ - وأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ - فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ - وأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ - فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ - فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ - ولَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ**»[٢٦]، فهو وصْفٌ لطبيعة النساء، وإشارةٌ ذكيَّةٌ لطيفة إلى أحكام عبادتهن وحقوقهن الشرعيَّة.

«ولما نبّه على نقصانهنّ بهذه الوجوه الثّلاثة أشار إلى علّة جهات النقص بقوله (فأمّا نقصان ايمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة والصّيام في أيام حيضهنّ) وقعودهنّ عنها وإن كان بأمر اللهّ سبحانه إلّا أنّ سقوط التّكليف لنوع من النقص فيهنّ وسبب النقص هو حالة الاستقذار والحدث المانعة من القرب المعنوي المشروط في العبادات وفي كلامه دلالة على كون الأعمال اجزاء الايمان. (وأما نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين كشهادة الرّجل الواحد)[٢٧] فهو مطابق لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ**

إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى...﴾[٢٨] .

وقوله (وأما نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الانصاف من مواريث الرّجال) فهو مطابق لقوله تعالى: **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**[٢٩]

إنَّ ما ذكرناه من نصوصٍ تخصُّ المرأة للإمام علي(عليه السلام)، تمثِّلُ أنوذجًا لأقواله وكلامه المعجز بعد كلام الله سبحانه وتعالى، الذي قيل فيه إنَّه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق[٣٠] فهو كذلك حقًّا وصدقًا، وكذلك تمثِّل صورة لُأفُقِ تفكيرِهِ (عليه السلام) ونَظَرِهِ للمرأة. وعلى كثرة أقواله تلك التي تتعلق بالمرأة وشؤونها في الحياة والمجتمع، لا نجد انَّه (عليه السلام) قد أسندَ أو علَّق مسؤوليَّةً ماليَّة على المرأة لغيرها أي للرجل مهما كانت صلته وقرابته منها، وكذلك لم يلزمها أيَّ جهد من عملٍ أوكدٍّ تجلبه للرجل لتوفير متطلبات حياتها. وهذا هو مسار التشريع الإسلاميّ الصحيح الذي أُنزِل به القرآن الكريم؛ فالتطابق بينهما على أعلى درجاته وصوره في التمام والكمال. وبناءً على ذلك ينبغي أن يعطى الذكر النصيب الأوفر في العمل وخلق فرصه، والأولويَّة بل وتفضيله على الأنثى في ذلك ؛ لأنَّه هو المسؤولَ الأول والأخير عن كلِّ ما يتعلَّق بالمرأة وشؤونها، وشؤون أهله وبنيه وذويه ومن يعيلهم داخل أسرته وبيته، وفي مقدمتها المأكل والمشرب والتطبيب، وينبغي أن لا تُشرك المرأةُ في العمل أو إن تحلَّ محّله فيه إلَّا إذا قامت

بمسؤوليَّته تلك ؛ لفقده أو لأسباب أخرى توجب على المرأة أن تقوم بواجب الرجل وأداء وظيفته.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المبحث الثاني

الجانب التطبيقيّ

سنقتصر في هذا المبحث على ذكر نماذج من فرص العمل التي أُتيحت للذكر والأنثى في المجتمع العراقي ؛ لنرى مدى تطابقها أو انسجامها مع ما أقررناه ووصلنا إليه في المبحثين الأول والثاني. وقد اكتفينا بنموذجين من فرص العمل، هما: فرص العمل في وزارة التربية، وفرص العمل في وزارة الصَّحة. وقد اخترناهما من دون غيرهما من الوزارات الأخرى؛ لأنها أثر الوزارات في توفير فرص العمل وأكثرها وضوحًا في ذلك وللإطلاع أكثر راجع ما ورد في المواقع المذكورة في الهامش[٣١]

ونرى في فرص العمل هذهِ أنَّها جاءت غير موافقة لما أوجبه التشريع الإسلامي على الرجل من أعباء ماليِّة يجب عليه إنفاقها على المرأة التي تستلزم زيادة الفرص أمام الرجل ؛ فالجهات التي أتاحت هذه الفرص غير ناظرة إلى هذه المسألة الجوهريَّة التي خصَّها الله سبحانه وتعالى بالرجل من دون المرأة ؛ إذ نرى أنَّها قد ساوت بينهما في ذلك وربَّما جعلت فرص المرأة أكثر من الرجل. وهو أمرٌ نراه غير سليمٍ بل خاطئ وذا خطل. ويبدو أنَّ هذا الأمر مستشرٍ في وزارات الدولة كلِّها ومؤسَّساتها كلِّها، بل سرى وشاع في مؤسسات القطاع الخاص أيضًا. وهو أمر في غاية الأهميَّة يجب على الجهات المسؤولة عنه والمشرفة عليه في القطاع العام والخاص إعادة النظر فيه وتوجيهه بما يراعي مسؤوليّة الرجل وأعباءه المالية الكبيرة تجاه المرأة، وبما ينسجم مع ما جاء به الدين الإسلامي العظيم.

خلاصة البحث

مـن خـلال مـا ذكرنـاه سـابقًا في المبحـث الأول والثـاني، وجدنـا تطابقًـا تامًّـا بـين التشريـع الإسـلامي وفكـر الإمـام عـلي (عليـه السـلام)؛ لمعالجـة مشـكلة البطالـة في المجتمـع، وعـلى وَفـقِ هـذا التطابـق نسـتطيع أن نوجـزَ فكـرة البحـث وأهدافـه وتوصياتـه بـالآتي:

أولًا: فكرة البحث ومضمونُه:

١- مسـألة تكافـؤ الفـرص بشـكل مطلـق بـين الرجـل والمـرأة عـلى حـدٍّ سـواء أمـرٌ مغلـوط وفيـه زلـل كبـير ؛ لأَنَّـه يـؤدِّي إلى زيـادة نسـبة البطالـة بـين صفـوف الرجـال وهـذا يعنـي زيـادة نسـبة البطالـة في المجتمـع بـل يـؤدِّي إلى زيـادة نسـبة الفقـر ومـا دون الفقـر في المجتمـع ؛ لأَنَّ كلَّ رجـلٍ لابُـدَّ أن يكـون مسـؤولًا عـن امـرأة، أُمٍّ أو أخـتٍ أو زوجٍ أو بنـتٍ، إن لم يكـن مسـؤولًا عـن أبٍ كبـير أو أخٍ صغـير.

٢- إنَّ فكـرةَ هـذا البحـث هـي مراعـاة الذكـر في فـرص العمـل المتاحـة في المجتمـع سـواءً عـلى مسـتوى الدولـة ومؤسَّسـاتها ووزاراتهـا أم عـلى مسـتوى القطـاع الخـاص، ويتـم ذلـك مـن خـلال زيـادة حصَّـة الرجـل في فـرص العمـل ؛ لأَنَّ الرجـل عليـه مسـؤوليَّات ماليـة كبـيرة وعظيمـة، والمـرأةُ ليـس عليهـا شيء مطلقًـا في الديـن وفي غـيره.

ثانيًا: أهداف البحث:

١- إلغـاء تكافـؤ فـرص العمـل بـين الذكـر والانثـى؛ لأَنَّـه يـؤدِّي إلى زيـادة نسـبة البطالـة والفقـر في المجتمـع كـما ذكرنـا سـابقًا.

٢- إعطـاء الذكـر الأولويَّـة في فـرص العمـل وخلقهـا وتشـجيعه ومسـاعدته مـن

الجهات الحكوميَّة ومؤسَّسات الدولة.

٣- زيادة حصَّة الرجل في فرص العمل على المستويين العام والخاص، وإعطاؤهُ

الأوليَّة فيها، لأنَّه يمثِّل لَبِنَةً ستنبثِقُ منها أسرةٌ في المستقبل، إن لم يكن صاحبَ أسرةٍ في الواقع.

ثالثًا: توصيات البحث:

١- تقنين فرص العمل المتاحة أمام المرأة وجعلها موافقةً لمسؤولياتها الماليَّة في المجتمع، فمن كانت تعيل أسرة وليس لها مورد مالي وليس هناك من ينفق عليها ويتكفَّل أسرتها، تعطى الأولويَّة في فرصة العمل.

٢- فتح مراكز تأهيل للذكور العاطلين عن العمل ممن ليس لديهم مؤهِّل تعليميّ أو علميّ، تتبناها الدولة ومؤسَّساتها لينخرطوا في المجتمع ويكونوا قادرين عل خلق فرص عملٍ لهم بأنفسهم يستطيعون من خلالها الحصول على موردٍ ماليٍّ مقبول يكفل لهم العيش في الحياة.

٣- على الدولة ومؤسَّساتها التي تعنى بالتخطيط ورسم سياسات البلد أن تجري استبيانات دوريَّة من دون انقطاع، وكشوفات و مسوحات سنويَّة مستمرة للتحري والكشف الحقيقي عن مستويات البطالة والفقر في المجتمع ؛ من أجل معرفتها وأخذها بالحسبان، ووضع الحلول المناسبة لها ومتابعتها ؛ للقضاء عليها في المستقبل أو تقليلها.

٤- يجب أن تُعطى الأولويَّة في فرص العمل للرجل الذي ليست لزوجه فرصة عمل أي لا تعمل أو المرأة التي ليس لزوجها فرصة عملٍ أي لا يعمل،

ويجبُ اشتراط ذلك في شروط وضوابط التعيين وفرص العمل في القطاعين العام والخاص. من أجل اتِّساع نطاق فرص العمل حيثُ تشملُ أكبر عددٍ ممكنٍ من الأفراد من الذين ليس لأزواجهم عمل ؛ ممَّا يسهم في تقليل نسب البطالة في المجتمع.

٥- يجب أن تكون ضوابط فرص العمل وشروطها واضحةً لا تحتملُ التأويل الفاسد، وتعلنُ أمام الملأ قبلها وبعدها، وكذلك المنافسةُ فيها ؛ كي ينال كل فردٍ حقَّه بشكل عادل.

٦- يجب أن يَسودَ تفضيلُ الرجل على الأنثى في فرص العمل، دينيًّا و خُلُقيًّا وإنسانيًّا، في فكر الدولة ومؤسَّساتها كلِّها، وفي القطاع الخاص ومؤسَّساته أيضًا، إلَّا في فرص العمل التي تقتصر على المرأة ؛ لأنَّ الرجل- كما قلنا سابقًا- مشروع أسرة وهو مسؤولٌ عليها وعنها وليست المرأة كذلك.

٧- يجب مراقبة الجهات التي توفِّر فرص العمل مراقبةً شديدةً، وعدم السماح للمتنفذين فيها والمسؤولين على قراراتها في السيطرة عليها وتجييرها لصالحهم حيث تتحول تلك المؤسَّسات والأماكن إلى إقطاعيَّات أو أُسر كاملة لهذا المسؤول أو ذاك، والتحرّي عن ذلك باستمرار، ومحاسبتهم ومعاقبتهم على ذلك على وفق قانونٍ مشرَّعٍ لهذا الموضوع و أمثاله في كلِّ مفصلٍ أو مؤسَّسة من مفاصل الدولة ومؤَسَّساتها.

٨- يجب إجراء تعدادٍ سنويٍّ دقيق للمجتمع تثبتُ في بياناته أعداد الذكور والإناث، وأعداد الأطفال قبل السنة العاشرة، أعداد الذين بعدها، للذكور والإناث، وأعداد الذكور وأعداد الإناث من الشباب، وأعداد العاملين (الذين لديهم فرص عمل) وأعداد غير العاملين منهم. وأعداد المتزوجين وأعداد

غير المتزوجين منهم وأعداد الشيوخ من الرجال والنساء. وكذلك أعداد غير القادرين على العمل من الشباب. من أجل رسم الخطط والسياسات التي تعنى بفرص العمل وجعلها ملائمة لكل تلك البيانات.

٩- يجب متابعة أعداد الذين خرجوا من فرص العمل بالتقاعد او بقضاء أجلهم أو بأسباب أخرى كالعوق والمرض، وكذلك أعداد الذين دخلوا في فرص العمل، من الذكور و الإناث في كل سنةٍ وفي كلِّ مؤسَّسةٍ في البلد ومعرفة كلِّ ذلك بشكل صحيح دقيق. من أجل إعطاء الذكور الفرص التي يستحقونها وكذلك الإناث.

١٠- يجب أن يكون أجر الذكر أعلى من أجر الانثى المتساويين في العمل وفي الدرجة والتحصيل العلميّ بِنِسبٍ ثابتةٍ مدروسة ؛ لأنّ أعباءَ الرجلِ - مهما كان حالُهُ- كبيرةٌ ومسؤولياتِهِ كثيرة.

والحمدُ لله ربِّ العالمين أولًا وآخرا

هوامش البحث:

(١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)

تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٢٣ / ٥١٢.

وتفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ١٠ / ١٦٦.

(٢) يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧

هـ: ٤ / ٣٩٩. و مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت

الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ: ٣٠/ ٥٩١. وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت: ٨ / ١٣٩.

(٣) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م: ١٨ / ٢١٥.

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ: ٢/ ١٨٩.

(٥) يُنظر: جامع البيان: ٨/ ٢٩٠. ومعاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)،تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ١ / ٣٠٧.

(٦) يُنظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ):١ / ٢٩٩.

(٧) يُنظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م: ٣ / ٣٠٢.

(٨) يُنظر: لطائف الإشارات(تفسير القشيري): عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر،الطبعة: الثالثة:١ / ٣٣٠.

(٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس،قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م: ٢/ ٤٥.

(١٠) يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ: ١ / ٦١١.

(١١) يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٥٠٥ – ٥٠٦. وزاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ : ١/ ٤٠١.و مفاتيح الغيب: ١٠ / ٧٠ – ٧١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ: ٢ / ٧٢. ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م: ١ / ٣٥٤. والبحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ: ٣ / ٦٢٢. و فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ: ١ / ٥٣١.والتحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ: ٥/ ٣٧ – ٣٩.

(١٢) يُنظر: جامع البيان: ٥ / ٤٤

(١٣) يُنظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ٢ / ١٧٦. و الكشف والبيان عن تفسير القرآن،: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م:٢ / ١٨٠.وا لنكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان: ١ / ٢٩٩. و لطائف الإشارات (تفسير القشيري): عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني،الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر،الطبعة: الثالثة: ١ / ١٨٣.

(١٤) يُنظر: جامع البيان: ٢٣ / ٤٥٦. و الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)ن تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور
، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م: ٤/ ٣١٥.

(١٥) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (ع)،تحقيق: ما أختاره وجمعه الشريف الرضي // ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح،الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧م: ٤٩٤.

(١٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤ه)، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي،الطبعة: الرابعة، مطبعة الاسلامية بطهران، دار الهجرة - إيران - قم، ١٣٦٠ه: ٢١/ ٢٠٧.

(١٧) يُنظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد(ت:٦٥٦ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٢ م: ١٨/ ٢٨٥.

(١٨) نهج البلاغة: ٥٠٩ - ٥١٠.

(١٩) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٢١/ ٢٩٦.

(٢٠) نهج البلاغة: ٤٠٥.

(٢١) يُنظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث: ٢/ ١٩٣، و النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي: ٤/ ١٢٩،و لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ (قهم).

(٢٢) ينظر: تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ –٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية،الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م: ١/ ١٩٣، و٨ / ٣٠٤، و ٤٢٣.

(٢٣) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠ ه) الطبعة: الأولى مطبعة ستار،١٤٢٧هـ: ٣/ ٥٣٠.

(٢٤) نهج البلاغة: ٤٠٥.

(٢٥) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٢٤.

(٢٦) نهج البلاغة: ١٠٥ –١٠٦.

(٢٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥ / ٣٠٣ – ٣٠٧.

(٢٨) سورة البقرة: من الآية (٢٨٢).

(٢٩) سورة النساء: ١١.

(٣٠) يُنظر: الإمام علي بن أبي طالب (ع) : أحمد الرحماني الهمداني، الطبعة: الأولى، المنير للطباعة والنشر – تهران، سنة الطبع: ١٤١٧ه .

(٣١) http://moh.gov.iq/upload/upfile/ar/ ٥٢٤. ٣١pdf/ ١٠/ ٢٠١٦م.

http://moh.gov.iq/upload/upfile/ar/ ٥٢٥.pdf

١/ ١١/ ٢٠١٦

المصادر والمراجع

١. - الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : أحمد الرحماني الهمداني، الطبعة: الأولى، المنير للطباعة والنشر - تهران، سنة الطبع: ١٤١٧هـ

٢. - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت: ٨/ ١٣٩.

٣. - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

٤. - بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .

٥. - البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٦. - التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

٧. - تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٨. - تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية

وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية،الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م

٩. – الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٠. – جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

١١. – زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١٢. – يُنظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد(ت:٦٥٦ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٢م.

١٣. – فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

١٤. – في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠ ه) الطبعة: الأولى مطبعة ستار،١٤٢٧ ه.

١٥. – الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

١٦. – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،

الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

١٧. - لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٨. - لطائف الإشارات(تفسير القشيري): عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر،الطبعة: الثالثة .

١٩. - مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٢٠. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٢١. - معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .

٢٢. - معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)،تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٣. - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت،الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

٢٤. - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي،الطبعة: الرابعة، مطبعة الاسلامية بطهران، دار الهجرة - إيران - قم، ١٣٦٠ه.

٢٥. - النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢٦. - نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)،تحقيق: ما أختاره وجمعه الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح،الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧م.

٢٧. - النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨. - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس،قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٩. http: / /moh.gov.iq /upload /upfile /ar /٥٢٤.pdf -٣١/ ١٠/ ٢٠١٦م.

٣٠. http: / /moh.gov.iq /upload /upfile /ar /٥٢٥.pdf - ١/ ١١/ ٢٠١٦

مدخل إلى المعالجات الاستراتيجية التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام) في معالجته لمشكلة الفقر

فاطمة مصحب لفته

جامعة واسط /كلية الادارة والاقتصاد

المقدمة

لا يـزال الفقـر هـذه المفـردة البسـيطة في لفظهـا، العميقـة في إبعادهـا، يشـكل الظاهـرة الأخطـر، والهاجس الأكـبر للبشريـة، رغـم كل التطـور العلمـي وكل البرامـج والمناهـج الاقتصاديـة عـلى كل الأصعـدة.

لقـد جسـد الإمـام عـلي (عليـه السـلام) النهـج النبـوي في خلـق مجتمـع امـن اقتصاديـا ومعيشـيا، فقـد خـبر أسـباب الفقـر فجـاءت معالجاتـه لهـا كمنظومـة علميـة وقانونيـة لاقتصـاد ناجـح ومثمـر لا يـدع مجـالا للفقـر بـين أبنـاء المجتمـع الإسـلامي.

وهـذه الدراسـة جـاءت كمحاولـة جـادة رغـم كونهـا دراسـة مصغـرة لمعالجـة مشـكلة الفقـر في المجتمـع والقضـاء عليهـا، لان مجـرد وجـود هـذه المشـكلة يتعـارض ويتناقـض تمامـا مـع النظـم والتعاليـم التـي جـاء بهـا الإسـلام.

مشكلة البحث

مـا تـزال معالجـة مشـكلة الفقـر مـن جذورهـا بعيـدة عـن أضـواء البحـث والدراسـات والقـرارات الكبـيرة عـلى صعيـد بلادنـا الإسـلامية وبـلاد العـالم، وأن الإمـام عـلي (عليـه السـلام) قـدم حلـول نموذجيـة مقابلـة لمشـكلة الفقـر، فقـد تألـق نظريـا وعمليـا عندمـا أضحـى حاكـما عـلى الدولـة الإسـلامية التـي لم يـرى فيهـا فقـيرا واحـدا وذلـك في أقـل مـن خمسـة سـنوات.

أهمية البحث

ينطلـق البحـث مـن أهميـة اعتبـار كلـمات وحكـم وممارسـات الإمـام عـلي (ع) الاقتصاديـة التـي تتعلـق بمشـكلة الفقـر المسـتندة عـلى مـا جـاء في القـران الكريـم والسـنة النبويـة الشريفـة هـي المرجـع الأسـاس للتعـرف عـلى الأسـباب والحلـول الاسـتراتيجية

لمكافحة الفقر.

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن للإمام علي ابن أبي طالب (ع) رؤية مميزة وشاملة وعميقة لأسباب مشكلة الفقر من جهة والاستفادة من هذه الرؤية لحل المشكلة في واقعنا المعاصر من جهة أخرى (قال رسول الله (ص): أعلمكم علي).

أهداف البحث

يسعى البحث إلى دراسة الأتي:

١- معرفة مشكلة الفقر

٢- الأسباب والحلول الاستراتيجية لمشكلة الفقر التي بينها الإمام علي (ع) في نظريته الاقتصادية المتكاملة التي طبقها على ارض الواقع.

٣- الاستفادة من تجربة الإمام علي (ع) في معالجة مشكلة الفقر على ارض الواقع الراهن.

منهجية البحث

أن طبيعة موضوع الدراسة واحتوائه على عدة عناصر رئيسة كالاقتصاد والتاريخ والفقه والسياسة، قد حددت منهجية البحث بالمنهجين التاريخي والتحليلي بشكل رئيس والاستفادة من المنهج المقارن كلما اقتضت الضرورة ذلك.

هيكلية البحث

من اجل التحقق من فرضية البحث، ثم الوصول إلى أهدافه، فقد تناول البحث المباحث الآتية:

المبحث الأول/ مفهوم الفقر.

المبحث الثاني / أسباب الفقر في ضوء ما أكد عليه الإمام علي (ع).

المبحث الثالث / الحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر في ضوء ما بينها الإمام علي (عليه السلام).

المبحـــث الأول

مـفـهـوم الفقــــر

الفقـر يشـير في اللغـة إلى الافتقـار بمعنـى العـوز، والمتعـارف عليـه أن الفقـر هـو حالـة العـوز المـادي حيـث يعيـش الإنسـان دون حـد الكفـاف المتمثـل يسـوء التغذيـة والمجاعـة حتـى المـوت، والـذي يـؤدي إلى انخفـاض المسـتوى الصحـي والتعليمـي والحرمـان مـن امتـلاك السـلع المعمـرة والأصـول الماديـة الأخـرى وفقـدان الضـمان لمواجهـه الحـالات الطارئـة كالمـرض و الإعاقـة والبطالـة والكـوارث والأزمـات(١).

وقـد تصـدى الإسـلام للفقـر وأولاه اهتمامـا خاصـا، فقـد ذكـر في القـران الكريم في أكثـر مـن أيـة مشيرة إلى الحالـة التـي يعـاني منهـا الفقـراء مثـل « بسـم الله الرحمـن الرحيـم للفقـراء الذيـن أحصروا في سـبيل الله لا يسـتطيعون ضربـا في الأرض يحسـبهم الجاهـل أغنيـاء مـن التعفـف تعرفهـم بسـيماهم لا يسـألون النـاس ألحافـا»(٢)

وقـد تنـاول المـشرع الإسـلامي مسـألة الفقـر، فقـد أشـار الرسـول محمـد (ص) أن الله يسـأل أيـن صفـوتي مـن خلقـي ؟ فتقـول الملائكـة ومـن هـم يـا ربنـا فيقـول: فقـراء المسـلمين. وقـول الإمـام عـلي (عليـه السـلام): الفقـر كالمـوت الأكـبر، فالإمـام يـرى أن القـبر خـير مـن الفقـر(٣).

وبـين السـيد مرتـضى الشـيرازي بـأن الفقـر يمثـل عـدم القـدره للوصـول إلى الحـد الأدنـى مـن الاحتياجـات المهمـة الماديـة كالطعـام والسـكن والملبـس ووسـائل التعليـم والصحـة وحاجـات غـير ماديـة مثـل حـق المشـاركة والحريـة الإنسـانية والعدالـة الاجتماعيـة(٤)، فهـو يتمثـل بعـدم القـدرة عـلى تحقيـق الحـد الأدنـى مـن مسـتوى المعيشـة.

هـذا وتنطلـق تقاريـر التنميـة البشريـة مـن قناعـه مفادهـا أن الفقـر الحقيقـي هـو

الذي يتمثل في انخفاض دليل التنمية البشرية HDI الذي صاغته التقارير بناء على مكونات عديدة يمثل الفقر منظورا أليا فيها[٥].

وفي هذا الصدد فقد عرف تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٠ الفقر بأنه لا يعني عدم كفاية الدخل فحسب بل يتجاوزه إلى إبعاد أخرى منها تدهور الصحة وسوء التغذية، وتدني مستوى التعليم والمهارات، وعدم كفاية موارد العيش، وعدم توفر السكن اللائق، والإقصاء الاجتماعي، وعدم المشاركة، فهذا الفقر الذي يعيشه الكثيرون في مختلف أنحاء العالم.[٦] ومن التعاريف التي تستند إليها الدراسات الراهنة في برنامج العمل الدولي وهو التعريف الذي أطلقته لجنة الأمم المتحدة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي تعرف الفقر بأنه ظرف أنساني يتسم بالحرمان المستدام أو المزمن من الموارد، والمقدرات والخيارات، والأمن والقوة الضرورية للتمتع بمستوى لائق للحياة وغيرها من الحقوق المدنية والثقافية و الاقتصادية والسياسية والاجتماعية[٧].

أذن أن الفقر لا يعني قلة في الخبز ولا يعني التضور من الجوع الجسدي فحسب، أنما يتعدى إلى كونه نوع أخر يسهم في تدمير حياة الإنسان ويجعل الأخير غير قادر على الإنتاج والإبداع وبهذا يتحول إلى عبئ ليس على نفسه وعائلته فحسب، وإنما عبئ على مجتمعه ودولته، فضلا عن كونه عبئا على العالم أجمع[٨] وكلما كثر هذا النوع من الناس كلما كبرت وتضاعفت نسب الفقر في العالم.

المبحث الثـانـــي

أسبـــاب الفقـــر

هناك أسباب كثيرة تقف وراء حدوث ظاهرة الفقر وتزيد من نسبة الفقراء في المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر ومن أهم هذه الأسباب:-

١ـ ملكية الدولة[٩]

للتملك في النظام الإسلامي حالتان، فأما أن يكون الشيء المراد تملكه واقعا تحت ملك الغير فهذا يمتلك أما بالشراء أو الهبة أو الميراث.

والتملك لهذا الشيء في هذه الحالة مرتبط بقوانين وشروط البيع والهبة والإرث، ولا فرق بعد ذلك بين أحد من الناس في تملك ذلك أذا ما كان محققا لشروط البيع أو الهبة أو الإرث. أما الحالة الثانية فهي أذا كان الشيء المراد تملكه غير خاضع تحت ملكية مسبقة فهو في هذه الحالة غير خاضع لأي شروط غير شرط السبق والحياز والإعمال، وإلا فالكل له الحق في التملك أذا سبق إلى شيء وهو حر في التصرف فيه.

قال تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا »[١٠]، ولان الأرض لله ولمن سبق إليها وعمرها إذ في الإسلام في هذا الباب قاعدتان:-

القاعدة الأولى

«هي قاعدة (الأرض لمن عمرها) ويتبعها كما في حديث أخر قول الرسول (ص وأله) (ثم هي

لكم مني أيها المسلمون)».

القاعدة الثانية

قاعدة «من سبق إلى ما لا يسبقه إلية المسلم هو أحق به ».

أي المباحات التي جعلها الله تعالى للجميع من بر وبحر وسهل وجبل وغابة وما أشبه ذلك أذا سبق أحد إلى شيء منها بنية الحيازة كان هو أحق بها لملكية لها بالحيازة، فالإنسان مثلا لو أستخرج الملح من المعدن وحازة فهو له، وكذلك مع باقي مصادر الثروات الطبيعية، والبحار وثرواتها، والغابات، والمعادن

فالأرض ومصادر الثروات الطبيعية الأخرى وكذلك الثروات الطبيعية نفسها لو كانت متاحة.

ومجانية للجميع فأن تكاليف هائلة ستسقط عن كاهل الفقراء وتنخفض نسبة الفقر بشكل ألي، كما تتوفر للفقراء فرص ومصادر سهلة للإثراء المشروع.

وفي حكومة الإمام علي (عليه السلام) تم أعطاء حق الحرية للفرد في أن يزرع أو يبني أو يرعى أو يستثمر حيث يشاء في أي مصدر من مصادر الثروات الطبيعية(١١).

٢ـ نهب المال العام

الحصول على أموال الدولة والتصرف بها دون وجه حق تحت مسميات مختلفة، بحيث يتزعزع كيان الدولة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والتي تتمثل بالاختلاسات الضخمة التي تأخذ من المال العام وتذهب إلى الحسابات الشخصية لجهات معينة، وبالتالي تركز الأموال الضخمة في أيد فئة قليلة من المجتمعات، وحرمان الأكثرية من الناس من الخدمات الضرورية من الماء والكهرباء والمشتقات النفطية على أنواعها. وغير ذلك من أعمال تصب في

النهاية في سرقة المال العام. كالرواتب الضخمة التي يتمتع جهات معينة بالإضافة إلى المبالغ الكبيرة التي تصرف على أمور لا تصب في مصالح العامة من الناس التي أخذت حيزا كبيرا من أموال الدول، في حين يعاني الكثير من موظفي دوائر الدول والمؤسسات من قلة الرواتب وعدم كفايتها لسد حاجاتهم وحاجات عوائلهم بالإضافة إلى الذين لا يجدوا عمل فهولاء في حال مالي أسوء. كما أن هناك سرقة تقوم بها الحكومات ولكنها مقنعه كالضرائب أو بيع النفط والغاز، مع أنه ملك للناس.[١٢]

٣ـ الفساد

قال الإمام علي (عليه السلام) « لا ينبغي أن يكون الوالي المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع «.[١٣]

ظهور عدد من حالات الفساد على مستويات عالية أثارت مخاوف على المستوى الدولي، ومع

تزايد توافق الآراء على أن الفساد يمكن أن ينال بدرجة خطيرة من قدرة البلد المعني على تحقيق النمو الاقتصادي الاحتوائي.[١٤]

لبيان دور الفساد المالي في ظهور الفقر وتعميق لابد من الرجوع إلى التعريف الذي وضعته منظمة الشفافية الدولية للفساد،

حيث عرفته على أنه: «استغلال السلطة من أجل المنفعة الخاصة[١٥] ويسبب الفساد المالي المزيد من الفقر وعدم العدالة في توزيع الدخل ويؤدي إلى تقليل فرص الفقراء في الحصول على حقهم الطبيعي في وظائف الدولة «.

ويمكن النظر إلى الفساد كمعوق للاستثمار وللتنمية الاقتصادية ويرفع من

كلفتها، فالمستثمرين الذين يهمهم الربح السريع والعالي يسألون عن (مفاتيح) الفساد وعن رجال الإعمال المحليين من أصحاب النفوذ. إذن يتضح في النهاية أن الفساد يسبب[١٦]:

- انخفاض الإيرادات العامة والزيادة في النفقات.
- التقليل من النوعية والجودة والكفاءة
- اضطراب إجراءات التوظيف والترفيع والتعيين في الدولة والقطاع العام

وهذا كله يساهم في وجود ملايين من البشر أسرى البؤس والفقر والمرض والصراعات وأشكال الاستغلال الوحشي.

٤ـ الربا

أن مسألة الربا لغة بمعنى: «الزيادة، وأن الربا مشتق من الربوة، بمعنى العلو،إذ أن المرابي يعلو على غيره، وان ماله يعلو على مال غيره، والربا بنظر الشرع حرام وبنظر العقل باطل، وبنظر الاقتصاد ممحوق، وليس ذلك أمر غيبيا بل أمر خارجي حقيقي[١٧]» قال سبحانه: «يمحق الله الربا ويربي الصدقات»[١٨]، فذلك لأجل أن الربا يجمع المال من أيادي متعددة إلى يد واحدة، وبذلك يقل العمل والإنتاج، وذلك محق وتقليل للثروة، إذ اليد الواحدة الأكلة للربا لا تتمكن من عمل كل أولئك، فتبطوء عجلة الإنماء.

قال الله سبحانه: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس،ذلك بأنهم قالوا أنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا « إلى قوله سبحانه «فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون «[١٩].

جاء النهي عن الربا لما له من نتائج وخيمة مترتبة غالبا عليه: الفقر المدقع

الموجب لمختلف

الجرائم، وأنواع الأمراض وما أشبه ذالك فأن الفقر سواد الوجه في الدارين كما قال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)[٢٠].

أن الربا لا يأتي منه إلا الفساد حتى وأن كان كما يدعى بنمو معتدل وقد أشار إلى ذلك الإمام الرضا (عليه السلام) في جواب السؤال عن علة تحريمه قائلا: «لما فيه من فساد الأموال إلى أخر قوله (عليه السلام)، فحرم الله عز وجل على العباد الربا لعلة فساد الأموال «.وعلية فالفائدة مكسب غير شرعي لأنها لا تقوم على أساس عمل منفق[٢١].

وان ما يميز العولمة الإسلامية من الجانب المادي والمالي هو عدم المراباة، فأن عدم المراباة هو الميزة الجوهرية للاقتصاد الإسلامي، حيث لا يَظلم ولا يُظلم صاحب رأس المال، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ**﴾[٢٢].

وهذه الميزة إلا ربوية هي من مفاخر وخصائص هذا الاقتصاد السماوي السليم وبها يتميز وينفرد وبشكل واضح عن الاقتصاد الرأسمالي وعن الاقتصاد الشيوعي والاشتراكي السائد.

ينظم الإسلام برنامج اقتصادياته ويرسم الحدود والقيود للمكاسب من باب أن العمل سبب لتنمية المال فلأخير لا ينمو، والنقود لا تلد النقود ولو مر عليها ألف سنة.

هذا وان من الحالات التي ينشر بها الربا آفة الفقر في الامة[٢٣]:

١ – أما أن يكون المقترض بحاجة ماسة، كما لو احتاج إليها لتلبية حاجاته أو حاجات عائلته الملحة أو لتسديد دين أو لدفع غرامة أو ضريبة أو غير ذلك.

٢ – أن يقترض للتجارة أو التوسع في التجارة، فأن اخذ الربا من هذا المستثمر يؤدي إلى تشديد الضغط على الفقراء أيضا، فهو من اجل إن يعوض نسبة الربا المفروضة علية، يضطر أما لتخفيض أجور العمال، وهم عادة من ذوي الدخل المحدود، وإما لزيادة قيمة منتجاته مما ينعكس سلبا على الفقراء.

وأخيرا نرى كيف أن الإسلام بتحريمه للربا يبعد اثر هذه الآفة عن الأمة ويعطي في نفس الوقت فرص لتحقيق الأرباح، حيث إن الأصول التي تتملكها البنوك التي تطبق الشريعة الإسلامية في كافة عملياتها ارتفعت بنسبة ٦ ,٢٨٪ لتصل إلى ٨٢٢ مليار دولار في عام ٢٠٠٩ مقابل ٦٣٩ مليار دولار في عام ٢٠٠٨ في حين إن اكبر إلف بنك في العالم لم يتجاوز النمو السنوي في أصولها ٨ ,٦٪ خلال نفس المدة، حيث هناك صلات وثيقة بين القطاع المالي والأصول الحقيقية حيث ساعد هذا على حماية هذا القطاع من أسوء أزمة ائتمان.

٥ـ انعدام المساواة

أن انعدام المساواة المتنامي على نطاق العالم قد أصبح اتجاها رئيسا فيما بين البلدان وداخل البلد الواحد [٢٤]. فمن الملاحظ إن الثروة العالمية تتركز على نحو متزايد في أيدي قلة ضئيلة، فقد بينت الإحصاءات أن نسبة (١٪) من سكان العالم يمتلكون نسبة (٢٠٪) من الثروة العالمية وما زال يوجد (٢ ,١) مليار شخص يعيشون في حالة فقر مدقع، ويموت كثير من الأطفال من سوء التغذية قبل بلوغ سن الخامسة. وهذا ما يدل على وجود علاقة تشابك ما بين انعدام المساواة والفقر. فمن غير الممكن مناقشة السياسات الحكومية الرامية إلى إنهاء الفقر دون

التصدي لأسباب انعدام المساواة[٢٥].

ويرتبط احد أسباب تزايد أوجه انعدام المساواة شواغل تتعلق باليد العاملة، حيث أن الأجور لم تواكب الإنتاجية، والنمو. ويمكن أن يعزى نمو أوجه انعدام المساواة إلى[٢٦]:

١- (القيود المفروضة على المساومة الجماعية.

٢- الانخفاض المزن الطويل الأجل في نصيب الأجور من الدخل لصالح الإرباح[٢٧]

٣- الشروط المعمول بها في قطاع العمل غير الرسمي.

٤- نماذج الضرائب.

٥- أوجه عدم التجانس كبيرة في قوة المساومة بين المشترين الكبار والمنتجين الصغار.

٦- انعدام الاستدامة في خطة التنمية).

٦- إعطاء الأولوية للضرائب على حساب الأعمار والتنمية

من المعروف أن الضرائب لا تخلو من كونها من المضعفات لحوافز العمل والإنتاج والتوزيع لدى الإفراد فهي تؤثر على العمل من حيث كونها تمثل اقتطاع جزء من دخول الإفراد مما تساهم في خفض مستوى استهلاكهم من السلع الضرورية وبالتالي النقص من قدرتهم على العمل، والضرائب عندما تساهم في تخفيض الدخول ينخفض حجم المدخرات ثم ينخفض حجم الاستثمار وبالتالي ينخفض حجم الإنتاج، وينشأ عن الضرائب الغير مباشرة سوء توزيع للدخول والثروات أذا أصابت الفئات الفقيرة أكثر من الفئات الغنية[٢٨].

أن إعطاء الضرائب الأولوية المطلقة على حساب السياسات الاقتصادية الداعمة لتوفير السلع الضرورية ولتنمية القطاعات المهمة في حياة الإفراد

كالتعليم (النوعي و الكمي) والإنفاق على البنى التحتية كبناء الجسور والطرقات والضمان الاجتماعي وغيرها الكثير يفيد في تكريس الاستبداد بعينه وقمع الشعوب ومصادرة الحريات وفي النهاية كل هذا يصب في زيادة غنى الأغنياء وفقر الفقراء.

فالرؤية الاقتصادية للنظرة الإسلامية التي ترى في إعطاء الضرائب الأولوية يصب في خسارتين[٢٩]:

١- التقليل من مستوى الإنتاج، حيث يصبح الفرد المنتج غير راغب في زيادة الإنتاج رغم طموحة الكبير في مجال عمله وهذا ينعكس على انخفاض مستوى الناتج المحلي الإجمالي.

٢- التبعات من فرضها تكون سلبية إذ ستتناقص نسب الضرائب التي كانت تحصل عليها الحكومة بشكل مؤكد.هذا بالإضافة إلى الإضرار النفسية والاجتماعية التي ستترك في المجتمع.

٧ـ المقامرة

قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾[٣٠]. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يسلم على أربعة، السكران في سكره، وعلى من يعمل التماثيل، وعلى من يلعب النرد، وعلى من يلعب بالأربعة عشر، وأنا أزيدكم الخامسة أنهاكم أن تسلموا على أصحاب الشطرنج»[٣١]

لقد كانت المقامرة من الأسباب الرئيسة لتدمير البناء الاجتماعي للفقراء،كما تعد سبب رئيس للازمات المالية العالمية وخصوصا في بدايات القرن الحالي، حيث جاءت من خلال تأمين حاملي السندات العقارية على أصل تلك السندات

وعوائدها لدى شركات التأمين وفي حالة فشل المقترض ممثلا في مشتري العقار في الوفاء بما عليه من التزامات تقوم مؤسسة التأمين بسداد مستحقات حامل السند ثم بيع العقار فيما بعد، وعندها تحصل شركة التأمين على مستحقاتها وقد ظهرت المقامرة من خلال المقامرات باسم المضاربات أو المراهنات من خلال البيع على المكشوف، والمشتقات المالية على الأوراق المالية[٣٢].

أن عقود المشتقات في وقت الأزمة ما هي ألا مقامرة على وقائع غيبية لا يحدث فيها تسليم ولا قبض للسلع ولا دفع ثمن، وإنما تسوية عند التصفية لفروق يدفعها الخاسرون ويربحها الرابحون، فقد كان إجمالي المشتقات عالميا يزيد على كدرليون(Quadrillion) دولار وهو رقم لم يتعود معظمنا على استخدامه[٣٣].

وعلية فأن ثمرة المقامرة تكونت من المشتقات المالية والبيع على المكشوفات، والمضاربات الوهمية، والتي أدت في نهاية المطاف إلى دمار الإفراد والمؤسسات والاقتصاد.

٨ـ الاحتكار

تعددت الكلمات في كتب اللغة ومصادر العربية حول كلمة الاحتكار والحكره، ففي هذا بين الفيروز أبادي أن الحكر الظلم وإساءة المعاشرة وبالتحريك ما احتكر، أي احتبس انتظارا لغلائه وفاعله حكرا[٣٤].ويتمثل الاحتكار في الاقتصاد بالحالة التي يوجد فيها بائع أو منتج واحد يؤمن المنتوج ويسيطر على كامل السوق، وهو الذي يقرر أسعاره[٣٥].

وفي هذا الصدد قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «الحالب مرزوق، والمحتكر ملعون»،وقال أيضا (صلى الله عليه وآله): «أطلعت في النار فرأيت واديا

في جهنم يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا؟ فقال لثلاثة: المحتكرين والمدمنين الخمر والقوادين «[٣٦].

قال الإمام علي (عليه السلام) في كتابه إلى مالك الاشتر:» فأمنع من الاحتكار فأن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

منع منه، وليكن البيع سمحا بموازين عدل واسعا لا يجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل وعاقب في غير إسراف»[٣٧].

٩ـ تلوث البيئة

العملية الصناعية التحويلية لم تؤدي إلى مشاكل بيئية كبيرة في الدول النامية في بداية الأمر لان هذه الدول كانت بكرا والصناعة محدودة، مع الاعتماد على مناطق المناجم لإنتاج المواد الأولية، بحيث حتى وان حدثت بعض المشاكل، فأن المشكلة الأساسية كانت تتمثل بتوفير لقمة العيش وإيجاد فرص للعمل، إضافة إلى إن الحكومات نفسها كانت لم تعير اهتماما بشعوبها وبالتأكيد فأن صناع الغرب لم يكن ليهتموا بهذه الشعوب.» ولكن استمرار الاستثمار بهذه الصناعة ولد الكثير من الملوثات منها على سبيل المثال زيادة نسبة غاز ثاني اوكسيد الكاربون من(٢٧٨) جزء/ المليون في عام ١٨٠٠ إلى (٣٧٨) جزء/ المليون عام ٢٠٠٤ إي بنسبة زيادة (٣٦٪)، وهنا تتضح أهمية اتفاقية كيوتو وضرورة تطبيقها»[٣٨].

١٠ـ التسليح

«رغم حاجة المجتمعات إلى الحاجات الأساسية من سلع الاستهلاك وحياة السلم ولرفاه الاجتماعي المدني، إلا أن مغريات الربح الفائق غير العادي في مجالات الإنتاج العسكري، دفعت أصحاب رؤوس الأموال الضخمة في دول العالم إليه،

فقد مثل هذا الربح الأساس الاقتصادي للحروب وسباق التسلح، فقد قاربت النفقات العسكرية العالمية حوالي(٢٨٠٠) مليار دولار أي تريليونين و(٨٠٠) مليار دولار، فقد قفزت الميزانية العسكرية الأمريكية إلى حوالي (٣٧٩) مليار دولار عام ٢٠٠٦». [٣٩]

١١ـ كثرة الموظفين

أن الإسلام يرى في ظاهرة البطالة المقنعة عبئا على الفقراء، حيث أن من تداعياتها ضعف أداء هذه الفئة من الموظفين المساهمة و بشكل كبير في كثرة الغيابات، وانشغال الوقت في إعمال غير الإعمال المناطة بالموظف، وترك مكان العمل دون عذر،» وغياب الدافعية، وطغيان السلبية، وندرة المحفزات بأنواعها وبالتالي تدني مستوى الإنتاجية، وتعطيل العمل، وتأخير الانجاز، ونشر جو من التخاذل بين الإفراد العاملين بعد أن كان الأخيرين محبين للعمل والإنتاج، وترسيخ نظرية أن العمل الحكومي المغلق يصرف الراتب سواء عمل الموظف أم لم يعمل، مما يعني توليد طبقة تستهلك دون أنتاج، بينما الفقير يجهد نفسه لينتج لكنه بالكاد يتمكن من الاستهلاك والحصول على ما يريده»[٤٠].

ومن الأسباب التي كانت وراء حدوث هذه الظاهرة في الدول النامية تكدس العاملين في الجهاز الحكومي بما يفوق احتياجات تلك الأجهزة كنتيجة التزام الجهاز بتعين الخرجين دون أن يكون هناك احتياج حقيقي لإعمالهم، بحيث يكون هناك وجود لمن يؤدي عملا ثانويا لا يوفر له كفايته من سبل العيش أو أن بعض إفراد يعملوا سوية في عمل يمكن أن يؤديه فرد واحد، وفي كلا الحالتين لا يؤدي العامل عملا يتناسب مع ما لدية من قدرات وطاقة للعمل. «مع العلم أن التواريخ كتبوا أن مصر في زمان الإسلام، حيث كان عدد نفوسها عشرة ملايين

كان الموظفين فيها خمسمائة فقط، ما عدا الجيش، والكل يعلم أن الجيش في الإسلام شعبي لا يكلف الدولة شيئا، لا جيش احتياط ماعدا بعض الإفراد أو الذين يلزم وجودهم الدائم للتدريب والحفظ وما أشبه»[٤١].

المبحث الثالث

معالجات الفقر عند الإمام علي (عليه السلام)

لا يـزال الفقـر يشـكل مشـكلة خطـيرة في المجتمـع البـشري، رغـم كل التطـور العلمـي وكل البرامـج والمناهـج الاقتصاديـة عـلى جميـع الأصعـدة، فهـذه المشـكلة تتعقـد بشـكل مسـتمر في كافـة نواحـي الحيـاة: السياسـية منهـا والاجتماعيـة، والنفسـية والفكريـة والروحيـة، والقانونيـة والدينيـة. وقـد بـات واضحـا عجـز الإنسـان عـن التوصـل إلى حـل شـامل ومتكامـل لمشـكلة الفقـر، وإذا كان ثمـة حـل جـذري للمشـكلة، فـأن مصـدره السـماء، «حيـث أن الإلـه الحكيـم والعـادل والمحيـط بـكل شيء والقـادر هـو الـذي يكمـن عنـده حـل المشـكلة بـما فيهـا مكوناتهـا الثـلاث البـشر- الثـروات - النظـم و المناهـج ».

ومـن هنـا كان التجاءنـا إلى التعاليـم الإلهيـة التـي ارشـد إليهـا القـران الكريـم وأقـوال رسـول الله (ص وألـه) والإمـام عـلي (ع) في التعـرف عـلى حـل لمشـكلة الفقـر.

أولا: امتلاك الناس لكل الثروات

انطلاقـا مـن قولـه تعـالى «خلـق لكـم مـا في الأرض جميعـا »[٤٢]، كل مـا خلـق في الأرض هـو ملـك لكافـة النـاس، وهـذا يعنـي لا توجـد هنـاك ملكيـة للحكومـة المعنيـة عـلى كل مـا موجـود في الأرض، وبعبـارة أخـرى» أن كل مـا موجـود عـلى الأرض هـو ملـك وبشـكل مبـاشر لكافـة النـاس وظيفـة الحكومـة فقـط تنظيـم هـذه العمليـة فحسـب، بحيـث يمكـن لأي فـرد امتـلاك قطعـة ارض ليسـكن فيهـا أو يسـتثمر فليس عليـة دفـع ثمنهـا إلى الحكومـة، وفي هـذا حـل لمعظـم المشـاكل الاقتصاديـة التـي تمـر بهـا الـدول «، فعندمـا تصبـح الأراضي مجانـا هـذا يوفـر فـرص عمـل هائلـة (فتـح

متاجر وورش ومصانع) ويزيد قدرة معظم الناس وخصوصا أصحاب الدخول المنخفضة على الاستثمار حيث يسهل دخول هولاء إلى المجالات الإنتاجية كإنشاء المزارع الإنتاجية ورعي الأغنام والأبقار وهذا يرفع من مستويات الإنتاج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني. وهنا يرى الإمام علي (عليه السلام) «إن ثروة الأمة تكون لأبنائها العاملين فقط، بعد اخذ الحق العام، فجناة أيديهم لا تكون لغير افواهم»[٤٣].

ثانيا/ الضمان الاجتماعي

يعتبر الفقر من المشاكل التي يعالجها الضمان الاجتماعي وهو من اخطر المشاكل وأكثرها سلبية على الفرد والمجتمع، ولقد عزز الإمام علي (عليه السلام) من مسألة الضمان الاجتماعي،إذ يقول: «أدوا ما افترض الله عليكم من الحج والصيام والزكاة ومعالم الإيمان فأن ثواب الله عظيم وخيره جسيم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وأعينوا الضعيف وانصروا المظلوم»[٤٤].

وفي رؤيته (عليه السلام) « الخلق عيال الله، وأحب الناس إلى الله أشفقهم على عياله»[٤٥]، كما يقول (عليه السلام): «ما من عمل أحب إلى الله تعالى من كشف الضر، يكشفه رجل عن رجل»[٤٦]، ونلاحظ في هذه المقولة مدى سعة حق الضمان الاجتماعي لكل إنسان بغض النظر عن إي وصف أخر،ولاسيما إذا ما كان تحت سلطة الدولة الإسلامية.

من إشارات الإمام علي (عليه السلام) في الضمان الاجتماعي في نظر الكاتب المعاصر هي[٤٧]:

١- رسم إلية وصيغ تنفيذ الضمان الاجتماعي ونقله من النظرية المثالية إلى

الواقع العملي الملموس.

٢- تحديد طبقة الفقراء وغيرهم من الفئات الاجتماعية المستفيدة من الضمان الاجتماعي ففي هذا يحدد الإمام علي (عليه السلام) هذه الفئات بقوله: «ثم الله الله في الطبقة السفلى الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس (شدة الفقر) والزمنى (ذوي العاهات) فأن في هذه الطبقة قانعا(سائلا) ومعترا المتعرض للعطاء بلا سؤال وأحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم وأجعل لهم قسما من بيت مالك من غلات (الثمرات))».

ففيما يتعلق برسم الإلية التي تتجسد في:-

١-إنشاء هيئة الضمان الاجتماعي والتي حددها الإمام بأن تكون «من أهل الخشية والتواضع»[٤٨]

ويتصف القائم على هذه الهيئة بالتقوى «إن يتقي الله في سرائر وخفيات إعماله حيث لا يشهد غيور ولا وكيل دونه»[٤٩] وعمل هذه الهيئة مرتبط مباشرة بالحاكم وتكون ذات أولوية خاصة لدية، إذ يقول «ليكن احضى الناس منك أحوطهم على الضعفاء وأعلمهم بالحق»[٥٠].

٢- إلية تنفيذ العمل تكون من خلال وجود خطة للعمل، ابرز معالمها:

أ- التركيز على إعطاء الحقوق لمستحقيها إذ يقول الإمام هنا «أفضل الجود إيصال الحقوق إلى أهلها»[٥١] و«خير البر ما وصل إلى المحتاج»[٥٢].

ب- التأكيد على إعطاء الحقوق دون مماطلة أو تسويف من الجهة المانحة سواء كانت الدولة أو غيرها.

وفي هذا يقول الإمام علي (عليه السلام): «أفضل الجود إعطاء العطية قبل

ذل السؤال»[٥٣]، ويقول «السخاء ما كان ابتداء فأما ما كان عن مسائلة فحياء وتذمم»[٥٤]

انسجاما مع رؤية الإسلام وفلسفته للحياة، بل أن الإمام يؤكد أن تحقيق الضمان الاجتماعي لإزالة الفقر هو جزء مهم من أسباب الدعوة الإسلامية ككل، حيث يقول الإمام (عليه السلام) «أن لأهل الدين علامات يعرفون بها صدق الحديث ورحمة الضعفاء»[٥٥].

ثالثا/ التكافل الاجتماعي

يعني التكافل الاجتماعي أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفاسد والإضرار المادية والمعنوية بحيث يشعر كل فرد فيه أن علية واجبات إزاء الآخرين كما له حقوق، ويكون له شعور بالمسؤولية إزاء الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع إليهم ودفع الإضرار عنهم

والتكافل الاجتماعي يتحقق بتطبيق الإسلام عقيدة وشريعة ونظاما وسلوكا وهذا واضح من سيرة الرسول الأكرم والإمام علي (عليه السلام) صلى الله عليهما وسلم وفي هذا يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد أذا أشتكى منه عضوا تدعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ومما يدل على أن الإسلام أهتم ببناء المجتمع المتكامل بوضعه لدعائم وأسس التكافل الاجتماعي في أبعاد عديدة انطلاقا من قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى» وقول رسوله (صلى الله عليه وآله) »ما أمن بي من بات شبعانا وجاره

جائع « « وليس بمؤمن من بات شبعانا وجاره جائع «.وقد طبقت أسس التكافل الاجتماعي في حكومة الإمام علي (عليه السلام) حيث طبقت التعاليم التي أقرها الإسلام في مجال التكافل الاجتماعي:

١- «قانون تكفل الزوج لنفقات الزوجة.

٢- تكفل الابن لنفقات والديه ما داموا محتاجين إليه

٣- تكفل الأب لنفقات أولاده».

وكل ذلك كان بمعنى محاصرة الفقر من كافة أطرافه، فأن الزوجات والإباء والأبناء يشكلون أكثرية المجتمع وكان ذلك مطبقا في حكومة الإمام علي (عليه السلام)[٥٦]

رابعا/ الحرية من المقومات الأساسية لنهوض المجتمعات

قال تعالى « ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم «[٥٧] عندما أصل الإسلام مبدأ الحرية وجعله مطلبا طبيعيا وحاجة بشرية وجعل لهذا الأصل امتداداته الواسعة والشاملة لكل مناح الحياة، وجعل في نفس الوقت هذه الحرية محكومة بالمصلحة الإنسانية ومنقادة لها بحيث لا تؤدي إلى ضرره أو إلى ضرر الآخرين فللإنسان حريته ولكن للآخرين حرية أخرى فيلزم أن لا تصطدم حريته بحريتهم وبعبارة أخرى أن الجميع أحرارا في جميع الأمور باستثناء المحرمات فقط[٥٨] ومن هذه المحرمات المقامرة، والربا، والاحتكار... الخ.

الإسلام منح الناس الحرية التي يجب في نفس الوقت أن تسندها الدولة في أنتاج وتصنيع ما يحتاجونه أو يريدونه من مواد غذائية وإنشائية وخدماتية سواء في مجال الزراعة، أو الصناعة، أو الفنون والتقنيات اللازمة، فتفتح عليهم أبواب

العلوم والحرف والمهن والكسب والاكتساب والتصدير والاستيراد، وفي هذا يقول الإمام علي (عليه السلام): «كل شيء يكون فيه حلال وحرام هو لك حلال أبدا حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه»[٥٩]. أن الإمام لا يكتفي بأن يؤصل الحرية بقوله «أيها الناس أن أدم لم يلد عبدا ولا أمة وأن كل الناس أحرار «بل يدعوا الإنسان إلى إن يطالب ويكافح من أجل حقه المشروع في الحرية فيقول (عليه السلام): «ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا»[٦٠].

خامسا/ المساواة

من السمات البارزة للإمام علي (عليه السلام) المساواة العادلة بين مختلف أفراد الأمة في تقسيم أموال الأمة التي هم فيها سواء عليهم بالسوية.

من صفاته (عليه السلام) « القاسم بالسوية، العادل في الرعية» وتطبيق ذلك كلف الإمام علي (عليه السلام) الكثير من المتاعب والانشقاقات والحروب وتفرق بعض الرؤوس عنه ولكن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يعبئ بكل ذلك مقابل التطبيق الحرفي والدقيق للإسلام وقد بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) في المساواة بنفسه الكريمة أولا ثم طبقها على غيره، لكي لا يكون للناس حجة[٦١]

سادسا/ تحديد الضرائب

عندما نتدبر كلام أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) فيما يتعلق بالضرائب، فهو يقول: «تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فأن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة، خرب البلاد وأهلك العباد ولم

يستقم أمره إلا قليلا»[٦٢].

كلما كانت الضرائب من قبل الدولة على المكلفين مرنة، كلما صبت في مصلحتهم، أي سيحققون مزيدا من الإيرادات ثم الإرباح مما سيدفعهم إلى زيادة جهودهم واستغلالهم لها لتوسيع الإنتاج ومن ثم زيادة إرباحهم، من اجل تغطية الضرائب المفروضة عليهم، التي بمثابة تكاليف إضافية تضاف إلى تكاليف الإنتاج الكلية، وإبقاء مستويات إرباح هولاء المنتجين على حالها لابد من زيادة مستوى الإنتاج الذي يؤدي إلى توفر المزيد من السلع، وهذا يؤدي إلى تطور قطاع التجارة وقطاع النقل وغيرها من القطاعات المكونة للاقتصاد القومي.

وإذا ما تم إنفاق الضرائب لتدعيم الخدمات العامة، والى تحسين البنى الارتكازية، فأن ذلك سيؤدي إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وحل الكثير من المشاكل المتعلقة بالسكن والغذاء[٦٣]، وغيرها من مشاكل الفقر.

سابعا/ تقليص ساعات العمل

رأى الإسلام في تقليص ساعات العمل توفير مساحة اكبر للفقراء للمشاركة في الإنتاج لانتشال أنفسهم من الفقر، إضافة إلى أن في تقليص ساعات العمل فوائد للعامل منها[٦٤]:-

١- «توفر الوقت اللازم لتجديد نشاطه

٢- تنمية ملكاته

٣- الإشراف على شؤون أسرته

حيث إن حياة العامل تبدأ حيث ينتهي عمله».

هـذا وقـد رفـض الإمـام عـلي (عليـه السـلام) إن يفـرغ الإنسـان مـن محتـواه ويتحـول إلى أداة للإنتـاج الاقتصـادي، لذلـك أشـار (عليـه السـلام) إلى حـق العامـل في إن يخلـد إلى الراحـة،إذ يقـول: « للمؤمـن ثـلاث سـاعات، سـاعة يناجـي فيهـا ربـه، وسـاعة يـرم معاشـه، وسـاعة يخلي فيهـا بـين نفسـه وبـين لذاتها فيـما يحـل ويجمـل»[٦٥]. وقـد دعـا الإمـام (عليـه السـلام) إلى تقليـص سـاعات العمـل في وقـت خلافتـه عـبر طـرق عديـدة منهـا[٦٦].

١ - «التحريض على الخروج مبكرا من السوق.

٢- الالتزام بالصلوات في أوقاتها مما يعني الخروج من السوق مرتين أو أكثر يوميا.

٣- التحريـض عـلى تخصيـص قسـم جيد مـن الوقـت للعبـادة وللعائلـة والأصدقاء وللنزهة».

ثامنا/ التنظيم والتخطيط

التنظيـم مسـألة ضروريـة لـكل جوانـب حيـاة الإنسـان، حيـث أن فائـدة التنظيـم تتمثـل:

١- حفظ الأولويات في العمل.

٢- حفظ الجهد من الإهدار

٣- تأمين الحاجات الأساس في المجتمع.

٤- تحقيق الإنتاج الكثير بأقل الجهد والزمن.

٥- تطوير حركة المجتمع.

والتخطيـط نحـو مـن التنظيـم للمشـاريع الكبـيرة قبـل البـدء بهـا، إذ يقـول الإمـام

علي: « فان من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحوزها »(٦٧) وفي هذا تأكيده على العمل بالمشاريع ذات البعد المستقبلي وعناصر التخطيط تحدد الغايات والأهداف وتضع البرامج العملية للوصول إليها ضمن مراحل العمل وكذلك يقول (عليه السلام): « شتان بين عملين، عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره»(٦٨)، وقوله (عليه السلام): «لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان»(٦٩)، فالتخطيط الواقعي الدقيق يأخذ بنظر الاعتبار دور الزمان في انجاز المشروع والإمكانات اللازمة له والعقبات التي تعيق العمل، والطريقة الصحيحة لمواجهة العقبات وهذا معنى التدبير والعلم والحيلة في الإسلام».

تاسعا / مبدأ المساءلة والمحاسبة

لقد كرس الإمام علي (عليه السلام) مبدأ المساءلة والمحاسبة بل وفتح باب معاقبة وعزل الحاكم فيما أذا خرج عن النهج الاقتصادي أو السياسي السليم الذي يعطي الناس حقوقهم.

قد هدد الإمام علي (عليه السلام) أحد الولاة المتهمين بالخيانة قائلا: «وأني لأقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لا شدن عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر والسلام»(٧٠).

عاشرا / منع الربا والاحتكار والمقامرة والاكتناز والإسراف والتبذير وكل العوامل الأخرى المساهمة في نشوء الفقر(٧١).

الاستنتاجات والتوصيات

أولا: الاستنتاجات

١- الفقر لا ينحصر في الجانب المادي فحسب بل له امتدادات واسعة إلى ابعد الحدود، حيث أن الفقر لا يعني قلة في الخبز ولا يعني التضور من الجوع الجسدي فحسب، أنما يتعدى إلى كونه نوع أخر يسهم في تدمير حياة الإنسان ويجعل الأخير غير قادر على الإنتاج والإبداع وبهذا يتحول إلى عبئ ليس على نفسه وعائلته فحسب، وإنما عبئ على مجتمعه ودولته، فضلا عن كونه عبئا على العالم أجمع، وكلما كثر هذا النوع من الناس كلما كبرت وتضاعفت نسب الفقر في العالم.

٢. مشكلة الفقر لا تكمن في أشخاص يفترشون الأرض ويستعطون الناس، إنما في العوامل والأسباب العديدة والمتشابكة، والتي فيها مخالفة لتعاليم السماء والتي في نفس الوقت كانت السبب في وجود هذه الشريحة الكبيرة وظهورها على السطح بهذه الصورة التي طالما تثير الأسى والأسف، أكثر مما تثير الشفقة والتضامن.

٣- ملكية الدولة تساهم في وجود تكاليف هائلة على كاهل الفقراء مع زيادة في نسب الفقر.

٤- أن تركز الأموال الضخمة في أيد فئة قليلة من المجتمعات في حين أن تعاني الفئة الأكبر الأخرى من عدم كفاية أجورها لسد حاجاتها حيث وجودها في أحوال مالية سيئة.

٥- للفساد المالي دور كبير في ظهور الفقر وتعميقه من حيث مساهمته في

وجـود ملايـين مـن البـشر أسرى البـؤس والفقـر والمـرض والصراعـات كنتيجـة لإعاقتـه للاسـتثمار وللتنميـة الاقتصاديـة

٦- أن أعطاء الضرائب الأولوية المطلقة على حساب السياسات الاقتصادية الداعمة لتوفير السلع الضرورية ولتنمية القطاعات مهمة في حياة الإفراد كالتعليم (النوعي و الكمي) والإنفاق على البنى التحتية كبناء الجسور والطرقات والضمان الاجتماعي وغيرها الكثير يفيد في تكريس الاستبداد بعينه وقمع الشعوب ومصادرة الحريات وفي النهاية كل هذا يصب في زيادة غنى الأغنياء وفقر الفقراء.

٧.هناك جملة من المعالجات التي وضعها ونفذها الإمام علي (ع) في أيام حكومته مستندا فيها على ما جاء في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٨. من جملة ما أكد علية الإمام علي (ع) في المعالجات مسألتي الضمان الاجتماعي والتكافل الاجتماعي لان فيهما ضمان حقوق الفقراء.

٩- ومن المعالجات منع الربا والاحتكار والاكتناز وتركز الثروات في أيدي قليلة من الناس.

ثانيا: التوصيات

استناداً إلى ما تضمنته الدراسة نوصي بالاتي:

١ . قد بات واضحا عجز الإنسان عن التوصل إلى حل شامل ومتكامل لمشكلة الفقر، وإذا كان ثمة حل جذري لهذه المشكلة، فأن هذا الحل مصدره السماء ومن يعرف تعاليم السماء وكيف يطبقها على ارض الواقع حق المعرفة.

٢. إشاعة وتعميم تجربة الإمام علي من حيث تعامله مع مشكلة الفقر، عبر نشرها والأخذ بها كمنهج إصلاحي ونموذج حضاري متميز لا تنضوي تحت لوائه الأمة الإسلامية فحسب وإنما تنهل منه البشرية بأسرها..

هوامش البحث:

(١) راجي محيل هليل الخفاجي، (قياس وتحليل ظاهرة الفقر وعلاقته بالتفاوت في توزيع الدخل في الاقتصاد العراقي للمدة (١٩٨٧-٢٠٠٧)، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩، ص٢.

(٢) القران الكريم، سورة البقرة، أية ٢٧٣.

(٣) محسن باقر الموسوي، (الفكر الاقتصادي في نهج ألبلاغه)، الطبعة الأولى، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان بيروت، ٢٠٠٢، ص١٣١

(٤) السيد مرتضى الشيرازي، (إستراتيجية ومكافحة الفقر في منهج الإمام علي (ع))، الطبعة الأولى، دار هيئة محمد الأمين (ص)، العراق، كربلاء، ٢٠١٢، ص١٣١.

(٥) ندوه هلال جودة، (تحليل وقياس اتجاهات الفقر في العراق للمدة ١٩٨٠- ٢٠٠٥)، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الاداره والاقتصاد، جامعة البصرة، ٢٠٠٦، ص٢٥.

(٦) تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٠، ص٩٥.

(٧) سلسلة منشورات الصحة وحقوق الإنسان، العدد ٩،٥/ ٢٠١٠،ص٦.

(٨) يقوم البنك الدولي كل عدة سنوات بنشر تقديرات محدثة عن أوضاع الفقر، استناد إلى احدث البيانات العالمية المتعلقة بتكلفة المعيشة وكذلك إلى المسوحات القطرية الخاصة بمعدلات الاستهلاك لدى الأسر، فقد جاء في تقرير لرئيس البنك الدولي أن العالم اليوم يختلف كثيرا عما كان علية الحال قبل بضع سنوات موضحا أن المجتمع الدولي يواجه تحديات ذات طبيعة اقتصادية وإنسانية وبيئية متنوعة، ولكنها وكما بين رئيس البنك تشترك معا في سمات أساسية:-

أولا:- أنها تشكل خطرا على مكاسب التنمية التي تحققت بشق الأنفس في العقود الأخيرة.

ثانيا:- أنها ليست محصورة داخل حدود بلد واحد، فقد أدت الصراعات والحروب إلى تشرد الملايين من البشر قسرا ويعيشون ألان في مناطق أكثر هشاشة من أي وقت مضى، ويمكن أن تدمر مخاطر انتشار الحوائج والأوبئة صحة الإفراد، وكذلك اقتصاديات البلدان وتزداد مخاطر التغيرات المناخية -

وضوحا يوما بعد يوم مما يجعل الفئات الأكثر فقر ومعاناة الأكثر تضرر، بحيث أسفرت أوضاع الهشاشة والصراع إلى تشرد عشرات الملايين من الناس ونزوحهم من بيوتهم.

وتشير التقديرات التي نشرها البنك الدولي عام ٢٠١٦ إلى أن عدد من يعيشون في إفريقيا على أقل من دولارين (١,٩٠) في اليوم هو (٣٨٩) مليون فرد مشكلين نسبة ٤٢,٧٪ من مجموع السكان.

أما في منطقة شرق أسيا والمحيط الهادئ فيقدر عدد من يعشون في خط الفقر المدقع هو (٩٠) مليون فرد بالإضافة إلى احتمالية كبيرة في وقوع (٢٥٠) مليون فرد في براثن الفقر المدقع بالإضافة إلى ما تعانيه هذه المنطقة من مستوى مرتفع للتفاوت الاقتصادي. أما بالنسبة لمنطقة أوربا وأسيا الوسطى فيعيش فيها نحو (٦٦) مليون فرد في الفقر من بينهم (١٩) مليون فرد يعيشون في خط الفقر المدقع. وفي منطقة أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي فهناك نسبة (٣٩٪) من السكان معرضين للسقوط في براثن الفقر مع وجود تباطأ وتيرة الزيادة في حجم الطبقة الوسطى.

أما في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فهناك احتمالية كبيرة لوصول نسبة من هم في براثن الفقر إلى (٥٣٪) من سكان هذه المنطقة. وأخيرا في منطقة جنوب أسيا فهناك (٣٠٩) مليون فرد يعيشوا على أقل من دولارين للفرد في اليوم.

وفي هذا الصدد يبين البنك الدولي في تقريره المذكور أن هناك أكثر من (٢٠٠) مليون فرد يعيشون في أحياء عشوائية ويفتقر (٥٠٠) مليون فرد إلى الكهرباء، بالإضافة إلى وجود إشكال مفرطة من الإقصاء الاجتماعي وفجوات ضخمة في البنية التحتية، كما تشهد البلدان الأكبر زيادة في معدلات عدم المساواة.التقرير السنوي للبنك الدولي ٢٠١٦، ص ص، ٢٤، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٣٤، ٤٤.

(٩) مؤسسة الأنوار الأربعة عشر، (الحرية في فكر الإمام الشيرازي)، المؤمل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص٣١.

(١٠) القران الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٩.

(١١) السيد مرتضى لشيرازي،(أستراتجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي (ع))، مصدر سابق، ص ٨٤

(١٢) حسن طبرة، (دور الفساد في تعميق مظاهر الفقر في العراق، الكلفة الاجتماعية للفساد)، بحث منشور في مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات، العدد السادس،،ص ٢٤.

(١٣) للمزيد أنظر: نهج البلاغة، الخطبة ١٣١، ص٣٠.

(١٤) السيد محمد الحسني الشيرازي، (الاقتصاد)، الجزء الأول، دار العلوم، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧، لبنان، ص ١٨٧.

(١٥) تقرير صندوق النقد الدولي ٢٠١٦، ص٣.

(١٦) سمير التنير، (الفقر والفساد في العالم العربي)، دار الساقي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، لبنان، ص١٥

(١٧) المصدر السابق نفسه،ص ص٢٧ – ٢٨

(١٨) القران الكريم، سورة البقرة، أية ٢٧٦

(١٩) القران الكريم، سورة البقرة، أية ٢٧٥.

(٢٠) محمد بن الحسن الحر ألعاملي، (وسائل الشيعة)، الجزء ١٨، الطبعة الثانية، مؤسسة أل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم،إيران،١٤١٤،،ص١٢١.

(٢١) علي حسن مطر، (دروس في الاقتصاد الإسلامي)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٢٢٩

(٢٢) القران الكريم، سورة البقرة، أية ٢٧٨– ٢٧٩.

(٢٣) السيد مرتضى الشيرازي، (إستراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي (عليه السلام)، مصدر سابق، ص٩٨.

(٢٤) أظهر تقرير المخاطر العالمية لعام ٢٠١٢ إن التفاوت الحاد في الدخول والأوضاع الملية غير المستقرة للحكومات تشكلان اكبر تهديد اقتصادي يواجه العالم، واظهر تقرير للبنك الدولي لعام ٢٠١٦ ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب حيث بين أن هناك أكثر من (٢٠٠) مليون شاب حول العالم عاطلون عن العمل، فلم يعد الناس يعتقدون ولأول مرة منذ أجيال أن أولادهم سيكبرون ليتمتعوا بمستويات معيشية أفضل، وقد بين التقرير أن هناك حوالي ملياري شخص إي أكثر من ربع عدد سكان العالم، في بلدان تعاني من أوضاع الهشاشة والصراع والعنف، تقرير البنك الدولي لعام ٢٠١٦، ص ص٢٠ ـ ٢٤

(٢٥) مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، (نحو نظام عالمي اقتصادي أفضل تحقيقا للمساواة والتنمية المستدامة بعد عام ٢٠١٥)، الدورة الحادية والعشرين، البند ١٢ (ب) من جدول الإعمال المؤقت، جنيف، سويسرا، ١٥– ١٦ أيلول،٢٠١٤، ص٣– ٤.

(٢٦) المصدر السابق، نفسه ص ٥.

(٢٧) ولعل هذا يفسر الأرقام الواردة في تقرير التنمية البشرية الواردة لعام ٢٠٠٥ الذي يظهر أن دخول أغنى ٥٠٠ شخص في العالم مجتمعه تتجاوز دخول أفقر ٤١٦

مليون شخص في العالم، كما بين هذا التقرير أن أكثر من مليار إنسان يعيش أحدهم بأقل من دولار واحد في اليوم، وهي درجه متدنية إلى حد تهديد التبقي. وهناك

مليار و(٥٠٠) مليون آخرين يعيشون على ما يتراوح بين دولار واثنين في اليوم، فيما يشكل ما يزيد

على (٤٠٪) من سكان العالم فعليا طبقة عالمية دنيا تجابه كل
يوم واقع الفقر المدقع أو تهديده. تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥، ص ص ٢٤، ٣٧.

(٢٨) ريسان حاتم كاطع، (قياس وتحليل مؤشرات الفقر في حضر مدينة الديوانية، دراسة حالة)، رسالة ماجستير، جامعة القادسية،كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠٠٩، ص٦٢

(٢٩) للمزيد ينظر: السيد مرتضى الشيرازي (استراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي (عليه السلام))، مصدر سابق

(٣٠) القران الكريم، سورة البقرة، أية ٢١٩.

(٣١) السيد الشيرازي الثاني، (فقه العولمة)، هيئة خدام الهدى، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص ٢٧٢

(٣٢) أشرف محمد دوابه، (الدروس المستفادة من الأزمة المالية العالمية والرؤية المستقبلية لمؤسسات الزكاة)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، ٥/ ٢٠١١، ص٣- ٢٢.

(٣٣)-، Toby Birch، The Role of Derivatives in Creating the Financial Crisis Research Presented to the thirty- Al Bara ka Seminar on Islamic Economics Jeddah، ٢٠٠٩، P.٢٦.

(٣٤) الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، (القاموس المحيط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ص٣٤١.

(٣٥) جي هولتن ولسون، (الاقتصاد الجزئي، المفاهيم والتطبيقات)، ترجمة كامل سلمان العاني، السعودية، ١٩٨٧، ص ٣١١

(٣٦) محمد بن الحسن الحر ألعاملي، (وسائل الشيعة)، الجزء ١٧، تحقيق وطباعة مؤسسة أل البيت عليهم السلام، قم، إيران، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٣٧) محمد عبده، (شرح نهج البلاغة)، الطبعة الثانية، ذوي القربى، قم، إيران، ١٤٢٧، ص ٤١١

(٣٨) عقدت اتفاقية كيوتو في اليابان في مدينة كيوتو غي عام ١٩٩٧ لغرض تقليل الغازات المسببة للاحتباس الحراري، وأساسا ثاني اوكسيد الكاربون وقد اعتمدت كاتفاقية عالمية عندما تم تصديقها من قبل روسيا في أواخر عام ٢٠٠٤. فؤاد قاسم الأمير، (الطاقة: التحدي الأكبر لهذا القرن)،مؤسسة الغد للدراسات والنشر، بغداد، العراق،٢٠٠٥،ص٩٨، ٣٦٨..

(٣٩) جواد كاظم البكري، (حاجة الاقتصادات الرأسمالية للحروب في معالجة الأزمات، الاقتصاد الأمريكي.. أنموذجا)، مجلة أبحاث عراقية، مركز حمو رابي للبحوث والدراسات الإستراتجية، العدد (١)، السنة الأولى، ٢٠٠٧،ص ١١٢

(٤٠) – السيد مرتضى الشيرازي، (إستراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي (عليه السلام))، مصدر سابق، ص٨٤.

(٤١) السيد محمد الحسبني الشيرازي، (الاقتصاد، الجزء الثاني)، الطبعة الرابعة، دار العلوم، ١٩٨٧، ص١١٢

(٤٢) القران الكريم، سورة البقرة، أية ٢٩.

(٤٣) محمد بن الحسين الشريف الرضي،(نهج البلاغة)، تعليق وفهرسة د.صبحي الصالح، تحقيق فارس تبريزيان، إيران،مؤسسة دار الهجرة، ١٣٨٠،الخطبة ٢٣١،ص٤٩٨.

(٤٤) محمد باقر المحمودي، (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة)، بيروت،مؤسسة المحمودي، ص٣٥٣

(٤٥) كاظم مدبر،(الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، ج١، الطبعة ١، مشهد،مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة،١٤١٧، ص٤٤٨.

(٤٦) كافي الدين أبو الحسن االواسطي، (عيون الحكم والمواعظ)، تحقيق حسين الحسني، قم، إيران، دار الحديث، ١٣٧٦، ص٤٧٨.

(٤٧) غسان السعد، (حقوق الإنسان عند الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، رؤية علمية)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص٣٥٢

(٤٨) محمد بن الحسين الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح محمد عبده،بيروت،دار المعرفة، ص٥٦٥.

(٤٩) محمد بن الحسين الشريف الرضي، (نهج البلاغة)، تعليق وفهرسة د.صبحي، مصدر سابق، ص٤٨٣.

(٥٠) كافي الدين أبو الحسن الواسطي، (عيون الحكم والمواعظ)، مصدر سابق، ص٤٠٦.

(٥١) كاظم مدبر، مصدر سابق، ص١٥.

(٥٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٥٤

(٥٣) كاظم مدبر، مصدر سابق، ص١٥

(٥٤) محمد بن الحسين الشريف الرضي، (نهج البلاغة)، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق، الحكمة ٤٨،

(٥٥) مدبر، مصدر سابق،ج١، ص٢٦٧

(٥٦) السيد مرتضى الشيرازي (استراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي (عليه السلام)، مصدر سابق، ص٥٢

(٥٧) القران الكريم، سورة الأعراف، أية ١٥٧ .

(٥٨) مؤسسة الأنوار الأربعة عشر، (الحرية في فكر الإمام الشيرازي)، مصدر سابق، ص٢٠ .

(٥٩) السيد الشيرازي الثاني، (فقه العولمة)، مصدر سابق، ص١١٢ .

(٦٠) مؤسسة الأنوار الأربعة عشر، (الحرية في فكر الإمام الشيرازي)، مصدر سابق، ص٢٢ .

(٦١) السيد صادق الحسيني الشيرازي، (السياسة من واقع الإسلام)، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان،٢٠٠٣،ص١٢٩

(٦٢) محمد عبدة، (شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، مصدر سابق، ص ٩٦.

(٦٣) رضا صاحب أبو حمد، (الإمام علي بن أبي طالب ع وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والأعمار)ة، بحث منشور في مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، السنة الحادية عشر، المجلد العاشر، عدد خاص بمؤتمر الإسكان، ص١٢٢-١٢٣، ٢٠١٥

(٦٤) حسين عبد اللطيف حمدان، (قانون العمل، دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص٣٥

(٦٥) محمد باقر المجلسي، (بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار)، الجزء الثامن والسبعون، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص٤

(٦٦) السيد مرتضى الشيرازي (استراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي (عليه السلام))، مصدر سابق، ص٦١ .

(٦٧) مهدي محبوبة، (ملامح من عبقرية الإمام علي (ع))، ا لطبعة الثانية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٨٦.

(٦٨) الشريف الرضي، (نهج البلاغة)، تعليق وفهرسة د. صبحي، حكمة ١١٦، مصدر سابق، ص٦٢٦ .

(٦٩) لبيب بيضون، (تصنيف نهج البلاغة)، الطبعة الثالثة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ١٤١٧ه، ص ٧٣٦.

(٧٠) محمد عبده، (شرح نهج البلاغة)، مصدر سابق، ص ٣٥٣.

(٧١) للمزيد ينظر: السيد مرتضى الشيرازي (إستراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي (عليه السلام))، مصدر سابق.

المصادر والمراجع

أولا / الكتب

١- السيد صادق الحسيني الشيرازي، (السياسة من واقع الإسلام)، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان،٢٠٠٣.

٢- السيد الشيرازي الثاني، (فقه العولمة)، هيئة خدام الهدى، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢.

٣- السيد محمد الحسني الشيرازي، (الاقتصاد، الجزء الأول)، دار العلوم، الطبعة الرابعة، لبنان، ١٩٨٧.

٤- السيد محمد الحسيني الشيرازي، (الاقتصاد، الجزء الثاني)، دار العلوم،الطبعة الرابعة، ١٩٨٧.

٥- السيد مرتضى الشيرازي، (إستراتيجية ومكافحة الفقر في منهج الإمام علي (عليه السلام))، الطبعة الأولى، دار هيئة محمد الأمين (ص واله)، العراق، كربلاء، ٢٠١٢.

٦- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، (القاموس المحيط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٧- القران الكريم.

٨-حسين عبد اللطيف حمدان، (قانون العمل، دراسة مقارنة)، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى،بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

٩-جي هولتن ولسون، (الاقتصاد الجزئي، المفاهيم والتطبيقات)، ترجمة كامل سلمان العاني، السعودية، ١٩٨٧.

١٠- سمير التنير، (الفقر والفساد في العالم العربي)، دار الساقي، الطبعة الأولى، لبنان، ٢٠٠٩.

١١- علي حسن مطر، (دروس في الاقتصاد الإسلامي)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

١٢- غسان السعد، (حقوق الإنسان عند الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، رؤية علمية)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨.

١٣- فؤاد قاسم الأمير، (الطاقة: التحدي الأكبر لهذا القرن)، مؤسسة الغد للدراسات والنشر، بغداد، العراق،٢٠٠٥.

١٤- كاظم مدبر،(الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي (ع))، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة مشهد، إيران، ١٤١٧.

١٥- كافي الدين أبو الحسن الواسطي، (عيون الحكم والمواعظ)، تحقيق حسين الحسني، دار الحديث، قم، إيران، ١٣٧٦.

١٦-لبيب بيضون، (تصنيف نهج البلاغة)، الطبعة الثالثة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ١٤١٧.

١٧- محسن باقر الموسوي، (الفكر الاقتصادي في نهج ألبلاغه)، الطبعة الأولى، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ٢٠٠٢.

١٨- محمد باقر المحمودي، (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة)، بيروت،مؤسسة المحمودي.

١٩- محمد باقر المجلسي، (بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار)، الجزء الثامن والسبعون، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.

٢٠-محمد بن الحسن الحر ألعاملي، (وسائل الشيعة)، الجزء السابع عشر، تحقيق وطباعة مؤسسة أل البيت عليهم السلام، قم، إيران، ١٤١٤.

٢١-محمد بن الحسن الحر ألعاملي، (وسائل الشيعة)، الجزء الثامن عشر، مؤسسة أل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،الطبعة الثانية، قم،إيران،١٤١٤.

٢٢- محمد بن الحسين الشريف الرضي، (نهج البلاغة)، تعليق وفهرسة د.صبحي

الصالح، تحقيق فارس تبريزيان،، مؤسسة دار الهجرة، الخطبة ٢٣١، إيران، ١٣٨٠.

٢٣- محمد بن الحسين الشريف الرضي، (نهج البلاغة)، شرح محمد عبده،بيروت،دار المعرفة، (بلا سنة طبع).

٢٤- محمد عبده، (شرح نهج البلاغة)،الطبعة الثانية، ذوي القربى، قم، إيران،١٤٢٧.

٢٥- مهدي محبوبة، (ملامح من عبقرية الإمام علي (ع))، الطبعة الثانية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧.

٢٦- مؤسسة الأنوار الأربعة عشر، (الحرية في فكر الإمام الشيرازي)، الطبعة الأولى، المؤمل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.

ثانيا/ البحوث والرسائل

١- أشرف محمد دوايه، (الدروس المستفادة من الأزمة المالية العالمية والرؤية المستقبلية لمؤسسات الزكاة)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، ٥/ ٢٠١١.

٢- جواد كاظم البكري، (حاجة الاقتصادات الرأسمالية للحروب في معالجة الأزمات، الاقتصاد الأمريكي.. أنموذجا)، مجلة أبحاث عراقية، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العدد (١)، السنة الأولى، ٢٠٠٧.

٣- حسن طبرة، (دور الفساد في تعميق مظاهر الفقر في العراق، الكلفة الاجتماعية للفساد)، بحث منشور في مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات، العدد السادس.

4- راجي محيل هليل الخفاجي، (قياس وتحليل ظاهرة الفقر وعلاقته بالتفاوت في توزيع الدخل في الاقتصاد العراقي للمدة (١٩٨٧-٢٠٠٧)، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩.

٥- رضا صاحب أبو حمد، (الإمام علي بن أبي طالب (ع) وسياسته في الخراج لمعالجة

السكن والأعمار)، بحث منشور في مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، السنة الحادية عشر، المجلد العاشر، عدد خاص بمؤتمر الإسكان ٢٠١٥.

٦- ريسان حاتم كاطع، (قياس وتحليل مؤشرات الفقر في حضر مدينة الديوانية، دراسة حالة)، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠٠٩.

٧- ندوه هلال جودة، (تحليل وقياس اتجاهات الفقر في العراق للمدة ١٩٨٠- ٢٠٠٥)، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الاداره والاقتصاد، جامعة البصرة، ٢٠٠٦.

ثالثا/ التقارير والمؤتمرات

١- التقرير السنوي للبنك الدولي ٢٠١٦.

٢- تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥.

٣- تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٠.

٤- تقرير صندوق النقد الدولي ٢٠١٦.

٥- سلسلة منشورات الصحة وحقوق الإنسان، العدد ٩،٥/ ٢٠١٠.

٦- مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، (نحو نظام عالمي اقتصادي أفضل تحقيقا للمساواة والتنمية المستدامة بعد عام ٢٠١٥)، الدورة الحادية والعشرين، البند ١٢ (ب) من جدول الإعمال المؤقت، جنيف، سويسرا، ١٥- ١٦ أيلول،٢٠١٤.

رابعا/ المصادر الانكليزية

1-Toby Birch،The Role of Derivatives in Creating the Financial Crisis، Research Presented to the thirty- Al Bara ka Seminar on .Islamic Economics Jeddah،2009

دور الدولة في التخفيف من الفقر في العراق في ضوء سياسة الامام علي (عليه السلام)

م.م حسين علي الكرعاوي

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) فرع النجف

م.د سلطان جاسم النصراوي

كلية الإدارة والاقتصاد- كربلاء

المقدمة:

مـر دور الدولـة في الاقتصـاد بـأدوار مختلفـة ومتعاقبـة، وقـد تصارعـت المـدارس الفكريـة الاقتصاديـة بمختلـف انتماءاتها منـذ بدايـة ظهورهـا ولغايـة يومنـا الحـاضر حـول موضـوع هـل تتدخـل الدولـة في النشـاط الاقتصـادي أم لا؟ وقـد كانـت هنـاك أفـكار تدعـو تـارةً إلى تدخـل الدولـة وتـارة إلى عـدم تدخـل الدولـة وتـارةً أخـرى إلى تدخـل بشـكل أو بآخـر للدولـة في النشـاط الاقتصـادي.

وبالرغـم مـن التطـور الهائـل الـذي حصـل عـلى دور الدولـة عـبر التاريـخ وعـلى مختلـف الأصعـدة، إلا إن الملاحـظ إن الدولـة لم تسـتطع تلبيـة حاجـات مجتمعاتهـا بالشـكل الأمثـل وبقيـت تعـاني مـن مشـاكل الفقـر والحرمـان والعـوز، إلى جانـب زيـادة حـدة عـدم المسـاواة في توزيـع الدخـول، الأمـر الـذي أدى بشـكل أو بآخـر إلى زيـادة المشـكلات الاقتصاديـة التـي تعـاني منهـا الـدول الناميـة والمتقدمـة عـلى حـد سـواء.

ففـي النظـام الرأسـمالي مـر دور الدولـة بأشـكال مختلفـة وظهـرت تيـارات فكريـة رأسـمالية تنـادي مـرة بـضرورة تدخـل الدولـة بشـكل أو بأخـر في النشـاط الاقتصـادي مثـل المدرسـة التجاريـة « الماركنتيليـة» والمدرسـة الكنزيـة وغيرهمـا، ومـرة أخـرى تنـادي بـضرورة عـدم تدخـل الدولـة في النشـاط الاقتصـادي إلا في نطـاق ضيـق ومحـدود جـداً وتطبيـق مقولـة دعـه يعمـل دعـه يمـر مثـل أفـكار الطبيعيـين « الفيـزو قـراط» وأفـكار الكلاسـيك الأوائـل والنيوكلاسـيك والى جانـب أفـكار النيوكلاسـيك المحدثـين والأكثـر حداثـة.

وبالرغـم مـن ذلـك، ولم ينجـح النظام الرأسـمالي في مواجهة مشـاكل الفقـر والحرمان التـي تعـاني منهـا مجتمعاتهـم، إلى جانـب انعـدام المسـاواة في توزيـع الدخـول الأمـر الـذي ترتـب علية انقسـام المجتمع إلى طبقـات، وظهـور طبقـة تعـاني مـن مشـاكل الفقـر فيها.

أما في النظام الاشتراكي، فقد تميزت أفكار المدرسة الاشتراكية (لاسيما كارل ماركس) على تحليل ونقد النظام الرأسمالي والتنبؤ بمستقبله اكثر من توضيح الأسس النظرية للنظام الاشتراكي، ولم تقدم هذه المدرسة أي حلول لمواجهة الفقر والقضاء عليه، وقد دعت إلى ضرورة سيطرة الدولة على كل مفاصل الاقتصاد، ومع ذلك لم تنجح في السيطرة على زمام الأمور وتسير شؤون الاقتصاد بالشكل المطلوب، وكانت النهاية انهيار الأفكار الاشتراكية بشكل كامل تقريباً.

بالمقابل نجد إن دور الدولة في الاقتصاد طبقاً للمفاهيم الدين الإسلامي الحنيف لم تحظى بالفرصة الكافية ولم يجرى تطبيقها إلا في نطاق ضيق جداً ومحدود.

فالدولة في ظل النظام الإسلامي تسعى إلى تطبيق الأحكام الشرعية المنصوص عليها في الجانب الاقتصادي كمنع الربا ومنع الاستغلال والسلع المحرمة وغيرها، وهي تسعى إلى أن تلعب دوراً مهماً في عملية التنمية الاقتصادية.

وتتجه الدولة في ظل الاقتصاد الإسلامي إلى إعادة النقد إلى دوره الطبيعي كأداة للتبادل لا أداة لتنمية المال والربا والادخار، ومقاومة الاحتكار، وتسعى كذلك إلى تحويل النظام المصرفي من كونه وسيلة للتنمية الرأسمالية إلى كونه وسيلى لإثراء الأمة ككل وتجميع أموالها في مصب واحد لإسهام اكبر عدد من المواطنين في عملية الادخار، واستثمار ما يُدخر في مشاريع إنتاجية مفيدة تخطط لها الدولة على أساس قواعد المضاربة بين العامل والمالك.

مما سبق يتضح، إن الدولة في النظام الإسلامي تتدخل في النشاط الاقتصادي لضمان لتوفير الحياة الكريمة للأفراد، وتوفير مستوى ملائم من المعيشة لكل فرد، فهي تتدخل لتحقق مصلحة المجتمع الإسلامي. هذا إلى جانب تحقيق العدالة في توزيع الثروات وإعادة توزيعها كلما وقع اختلال فيها، لضمان تكافؤاً في الفرص.

وفي العراق، وعلى الرغم من إن الدستور العراقي ينص على إن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، إلا انه نجد إن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف في الجانب الاقتصادي لم يجرى تطبيقها، فالمصارف تتعامل بالربا والفائدة، والفقر وصل «لا سيما خلال السنوات الأخيرة» إلى مستويات قياسية جداً لا يمكن تحملها، وأوضاع الاقتصاد العراقي في تراجع مستمر في ظل الانخفاض المستمر لأسعار النفط، والاقتصاد العراقي يعتمد على النفط فقط، إلى جانب الفساد المالي والإداري، فضلاً عن التوزيع غير العادل للثروات، ناهيك من مسألة عدم استخدام الموارد والخيرات الأخرى التي وهبها الله لهذا البلد، وهذه جميعها تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

تأسيساً على ما تقدم، جاء هذا البحث ليقف على مقولة دور الدولة في مواجهة الفقر في ضوء مفاهيم وفلسفة الأمام علي (عليه السلام) وإمكانية تطبيقها في العراق، وذلك من أجل التخلص المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها البلد، وبناء مجتمع خالي من الفقر.

وينطلق البحث من فرضية مفادها إن عدم قيام الدولة باستخدام تعاليم الدين الإسلامي الاقتصادية المتجسدة في منهج الأمام علي (عليه السلام) في معالجة أوضاع الفقر في العراق سوف يؤدي إلى زيادة مشاكل الفقر وتفاقهما، الأمر الذي يؤثر بشكل سلبي على اقتصاد العراق.

في حين تتمحور مشكلة البحث في إن الفقر والحرمان من شأنه أن يؤدي إلى تفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها العراق.

ويهدف البحث إلى بلورة وصياغة فلسفة جديدة لمواجه الفقر في العراق بعيداً عن تلك التي تم تبنيها سابقاً والمتمثلة بالنظم الوضعية، من أجل التخفيف من حدة الفقر في العراق ومحاولة القضاء عليه.

المبحث الاول

الاطار النظري لـدور الدولة في مواجهة الفقر: تحليل مقارن للانظمة الوضعية والنظام الاسلامي.

مـر دور الدولـة في الاقتصـاد بـأدوار مختلفـة ومتعاقبـة، وقـد تصارعـت المـدراس الفكريـة بمختلـف انتماءاتها منـذ بدايـة ظهورهـا وحتـى الآن حـول موضـوع تدخـل الدولـة في النشـاط الاقتصـادي مـن أجـل مواجهـة الفقـر والتقليـل منـه، وظهـرت أفـكار تـارة تدعـو إلى تدخـل الدولـة بشـكل قـوي وتـارة إلى عـدم تدخـل الدولـة في النشـاط الاقتصـادي وتـارة أخـرى تدعـو إلى تدخـل بشـكل أو بآخـر للدولـة في النشـاط الاقتصـادي.

فمـع الانقسـام الطبقـي الأول في المجتمـع في النظـام العبـودي ظهـرت الدولـة كجهـاز عنـف لحماية وتثبيـت المجتمـع الطبقـي ضـد الأخطـار التـي تهـددهُ مـن الداخـل والخـارج، وهكـذا فقـد كان مـن أهـم مخلفـات النظـام العبـودي تاريخيـاً هـي مؤسسـة الدولـة، والمقصـود بالدولـة هنـا ليـس الجوانـب التنظيميـة فيهـا بـل الجوانـب القمعيـة التـي تنبثـق ضرورتهـا مـن الطابـع الاسـتثماري (الاسـتغلالي للمجتمـع)، وقـدد حـدد لينـين العلاقـة العضويـة بـين ظهـور الدولـة والطابـع القمعـي لنظـام العبوديـة بالقـول «عندمـا ظهـر الشـكل الأول لانقسـام المجتمـع إلى طبقـات، أي عندمـا ظهـر نظـام العبوديـة، وعندمـا اسـتطاعت طبقـة مـن النـاس كرسـت نفسـها لأقسـى أنـواع العمـل الزراعـي أن تنتـج بعـض الفائـض، وعندمـا اسـتولى مالـك العبيـد عـلى هـذا الفائـض الـذي مـا كان يمكـن الاسـتغناء عنـه قـط لمعيشـة العبـد البائسـة، وعندمـا رسـخ عـلى هـذه الصـورة وجـود هـذه الطبقـة مـن ملاكـي العبيـد، ولكـي تسـتطيع هـذه الطبقـة

أن تثبت أقدامها، عند ذلك ومن أجل ذلك أصبح لزاماً أن تظهر الدولة إلى الوجود»[١].

وبعد أن تميزت العصور الوسطى بسيطرة مثل عليا مثل الدين والأخلاق، بدأت في القرن الثامن عشر ظهور الاهتمام باعتبارات السياسة والاقتصاد، فظهرت الدولة كوحدة سياسية، وقد ساعدت هذه الوحدات السياسية الجديدة الراغبة في النمو والتوسع على نشوء اتجاهات فكرية جديدة تتفق مع متطلبات الوضع القائم واحتياجاته قبل كل شيء[٢]. وفي سياق هذه التطورات، بدأت الدولة بالتوسع والتطور، وبدأت الأنظمة الاقتصادية بالتشكل، وظهرت تيارات فكرية مختلفة

ففي النظام الرأسمالي، مر تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي بأشكال مختلفة، وظهرت أفكار اقتصادية تنادي مرة بضرورة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي مثل المدرسة التجارية «الماركنتيلية» والمدرسة الكنزية وغيرهما، ومرة تنادي بضرورة عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي إلا في حدود توفير الأمن والحماية فقط كالمدرسة الطبيعية «الفيزوقراط» والكلاسيك الأوائل (آدم سميث وريكاردو ومالثوس) والمدرسة النيوكلاسيكة المحدثة Neo Classical (المدرسة النقدية).

ففي منتصف القرن الثامن عشر ظهرت أفكار المدرسة التجارية والتي كانت تدعو وبقوة لتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ليس من اجل مواجهة الفقر ومساعدة الفقراء بل من أجل تحقيق القوة للدولة والتي تأتي من نهب ثروات البلاد الأخرى والسيطرة عليها وإفقارها إلى جانب حماية طبقة التجار الذين كانوا يقومون بصياغة السياسات الاقتصادية للبلد.

وفي منتصف القرن الثامن عشر ظهرت أفكار المدرسة الطبيعية والذين نادوا بالحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وساد شعار «دعهَ يعمل دعهَ يمر» وكان المقصود منها هو عدم وضع القيود المتمثلة بتدخل الدولة في الاقتصاد، فالحكمة (بحسب راي أصحاب هذه المدرسة) تقتضي بترك الأمور تسير وفقاً للبواعث والقيود الطبيعية دون تدخل[٣]، وهذه المقولة يمكن وصفها على إنها ضد أي تدخل للدولة في النشاط الاقتصادي وبأي شكل من الأشكال.

وخلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر ظهرت أفكار الرواد الأوائل للمدرسة الكلاسيكية (آدم سميث وريكاردو ومالثوس) الذين استندوا على مبدأ التناغم القائم بين المصلحة الفردية ومصلحة المجتمع، إلى جانب ضرورة عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، وأيمانهم العميق بقانون ساي للأسواق» العرض يخلق الطلب المساوي له» وعدم وجود بطالة في الاقتصاد. فقط دع الأمور كما هي فهناك يد خفية تعمل باتجاه تحقيق مصالح المجتمع من خلال آلية السوق (اليد الخفية).

وفيما يتعلق بسيرورة الفقر والأسس التي قامت عليها أفكار هؤلاء المفكرين، فيمكن الاستدلال عليها من خلال نظريتهم في الأجور والتي سميت بأجر الكفاف أو كما اطلق عليها ريكاردو «نظرية الأجر الحديدي» والتي ترى ضرورة أن يكون أجر العامل عند المستوى الضروري للبقاء على قيد الحياة لا اكثر.

فريكاردو يرى أن الأجور هي الثمن اللازم لتمكين الفقراء والكادحين من البقاء دونما زيادة أو نقصان، وهو يقرر إن من يعملون سيكونون فقراء، وانهم لن ينقذوا من الفقر على يد دولة رحيمة، أو صاحب عمل رحيم، أو من خلال نقابات العمال، أو من خلال عمل آخر يقومون به، وإن الأجور شأنها شأن كل

العقود يجب أن تترك للمنافسة الحرة في السوق، وأن لا تكون محكومة قط بتشريع، فالبؤس لا مفر منه والقانون الاقتصادي الذي يفرضهُ لا يمكن الخروج عليه(٤)، تلك هي الرأسمالية كما يؤمن بها ريكاردو.

في حين ربط مالثوس بين نظريته في السكان وتأثيراتها في الأجور، بل ذهب إلى ابعد من ذلك، عندما نادى بضرورة إلغاء إعانة الفقراء وعارض مشروعات إسكان الطبقات العاملة، وعلى الرغم من هذا الموقف السلبي تجاه العمال إلا انه يدعي حرصهُ على مصالح الطبقات الفقيرة، وقد فسر أصحاب النظريات الاجتماعية المعاصرين ممن افترضوا بلطف بأن يترك الفقراء كي يموتوا بسلام في الشوارع(٥).

هذه الحلقة المفرغة والمعقدة والمبالغ في تعقيدات أسبابها ونتائجها، كان السبب الكامن وراءها هو زيادة التراكم وإعادة استثماره لدى الرأسماليين، ومن ثمَ الإبقاء على حالة الفقر عند حد الكفاف لكبح أي زيادة في الطلب الداخلي، وبذلك بشر كلُ من ريكاردو ومالثوس كلٌ بحسب تفسيرهُ لأسباب المشكلة ونتائجها، بحتمية الصراع الذي يمزق المجتمع عبر التطورات المتلاحقة في الحياة الاقتصادية وتناقض فعالياتها عبر تناقض المصالح(٦).

وخلال عقدي العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي أخفقت آلية السوق في تحقيق الاستقرار الاقتصادي على اثر أزمة الكساد العظيم ١٩٢٩-١٩٣٢، ونتيجة لانتشار الفقر وتزايد نسبته، قوضت الركائز الأساسية التي استند عليها هذا النظام والتي كانت تؤمن بالتصحيح التلقائي لأوضاع السوق، ظهرت أفكار الاقتصادي جون مايناردكينز والذي كان يرى بضرورة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي عند الضرورة لتوفير فرص العمل والتخفيف عن كاهل الفقراء

ومساعدتهم.

وقد اكد كينز على إن الرخاء الذي يحققه النظام الرأسمالي يحمل في طياته بذور تراجع معدلات النمو الاقتصادي، وانتشار البطالة بنحو مزمن، ومن ثم زيادة معدلات الفقر، وتبعاً لذلك، سادت خلال هذه الحقبة قناعة قوية بين المفكرين الاقتصاديين بل وحتى السياسيين بضرورة سيطرة الدولة على الشؤون الاقتصادية ومعالجة أوضاع الفقر والبطالة عن طريق برامج الإعانات والتوظيف وغيرها.

وفي سبعينات القرن الماضي ونتيجة لتعرض الاقتصاد العالمي لمشاكل جمة لعل ابرزها ظاهرة التضخم الركودي، ظهرت أفكار المدرسة النيوكلاسيكة المحدثة «مدرسة النقوديون» بزعامة ميلتون فريدمان والذي أعاد إحياء أفكار المدرسة الكلاسيكية التي كانت ترى بضرورة عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وان تدخلها يؤدي إلى تشويه الاقتصاد وعرقلته، إلى جانب كونه يمثل تهديد للحرية الاقتصادية.

ويقول فريدمان إن البرامج المَوجه نحو التخفيف من الفقر تبدد قدراً من المال اكثر مما يمكن تبريره بأنها تخفف حدة الفقر، فهي تؤسس نظاماً تفرض بموجبه ضرائب على البعض لدفع إعانات مالية للآخرين، وهناك خطر أن يتحول النظام الذي تفرض فيه الغالبية ضرائب على نفسها بمحض إرادتها لمساعدة الأقلية البائسة إلى نظام تفرض فيه الأغلبية ضرائب لمصلحتها الخاصة على أقلية غير راغبة(٧)،من جانب آخر، يرى فريدمان إن البرامج الهادفة لمساعدة الفقراء وإعادة توزيع الدخل بما يحقق توزيعاً عادلاً يشمل كافة طبقات المجتمع لاسيما الفقراء منهم مثل ضريبة الدخل والإصلاحات النقدية والبرامج الزراعية الهادفة إلى مساعدة المزارعين المعدمين وبرامج الإسكان وإجراءات الضمان الاجتماعي

قد أهدرت المال العام وشوهت استخدام الموارد وفرضت ضوابط ثقيلة على الدولة[٨].

لقد طورت الرأسمالية القوى المنتجة بوتيرة واتساع لا مثيل لهما في التاريخ، ولكنها حفرت هوةً بين ما يمكن أن يسمح به هذا التطور وبين الاستخدام الفعلي لنتائجه، وهي هوَة لم يعرفها أي نظام سابق في التاريخ، كما إن منطق تحويل الوسيلة إلى غاية بحد ذاتها (الربح والتراكم) قد انتج فوراق هائلة في القدرة على التنعم بالخيرات التي أنتجها، وان استمرار منطقها بهذه الطريقة ينتج مزيداً من الفقر واللا مساواة، وبهذا المعنى يتحقق قانون الإفقار الذي ينتجهُ التراكم الرأسمالي[٩]، لقد كان التقدم الذي حققته وتحققهُ الليبرالية مصحوباً بنمو متفجر للتفاوت في توزيع الدخول وزيادة في معدلات الفقر والبطالة.

بشكل عام، يتضح إن النظام الرأسمالي يتميز بغياب الأرضية المشتركة لتياراته الفكرية المختلفة وضعف الأسس المنطقية لها، إلى جانب التقلبات الحادة في السياسات الاقتصادية المتبعة والتي كانت تعكس المصالح الآنية لكل مرحلة، مما يجعل من الصعوبة بمكان عن الحديث عن نظرية اقتصادية متكاملة لمواجهة الفقر فيها[١٠].

وفي هذا الاطار، ويرى البعض من الاقتصاديين إن تفاقم التفاوت في توزيع الدخل يُعد من الخصائص الرئيسة للنظام الرأسمالي، ومن ثمَ لا يمكن الحد من هذا التفاقم إلا اذا كانت هناك قوى عكسية تخفف من وطأته، وتُجسد هذه القوى من خلال تدخل الدولة لمصلحة الرعاية الاجتماعية من خلال ما تقوم به النقابات العمالية[١١].

أما فيما يتعلق بالنظام الاشتراكي، وعلى الرغم من الجذور الضاربة في القدم

للأفكار الاشتراكية (منذ عهد أفلاطون)، إلا أن تحليلاته الاقتصادية تبلورت خلال النصف الأول من القرن العشرين، فقد جاءت بعد بروز ظاهرتين هما، ظهور طبقة العمال من ناحية وتعدد الأزمات الاقتصادية من ناحية أخرى، وما ترتب عليه من بؤس للعمال، وعليه قام تيار فكري قوي لمعارضة ونقد النظام الرأسمالي(١٢).

بشكل عام، تسعى الاشتراكية إلى إلغاء الملكية الخاصة لتحل بدلاً عنها الملكية العامة لوسائل الإنتاج وتصبح الدولة هي مالكة وسائل الإنتاج، وإلغاء الطبقية في المجتمع، إلى جانب مبدأ «من كل حسب طاقتهُ ولكل حسب عملهُ». وقد ظهرت ثلاثة تيارات رئيسة للاشتراكية وهي، الاشتراكية الديمقراطية، واشتراكية السوق، والاشتراكية الماركسية.

فالاشتراكية الديمقراطية بخلاف الماركسية لا تؤمن باستخدام العنف والقوة وبالانهيار المحتم للرأسمالية، بل تؤمن بوصفها مثلاً اعلى لا تنفصل عن الديمقراطية وانه ينبغي تحقيقها سلمياً وتدريجياً من خلال العمليات بالموافقة الحرة للمحكومين وبدون ثورة، وان ملكية الدولة الكاملة لوسائل الإنتاج والتخطيط المركزي أمران أساسيين لتحقيق الأهداف الاشتراكية(١٣)، انتشرت الاشتراكية الديمقراطية عقب الحرب العالمية في معظم أنحاء أوروبا الغربية، وكانت تدعو إلى التخلي عن الصراع الطبقي والمبادئ الماركسية الأخرى، والى ضرورة مشاركة كل فئات الشعب في قيادة السلطة السياسية والاقتصادية، وتكوين مجتمع يعمل فيه جميع الناس متساوين، وقد تبنت إجراءات اقتصادية واجتماعية عدة مثل، تأميم بعض أجزاء الصناعات الثقيلة والمناجم والمؤسسات المالية، واعتماد إجراءات واسعة النطاق في الرقابة الحكومية على الاقتصاد، إلى جانب تحقيق إصلاحات

بنيوية في حقل الضمان الاجتماعي[١٤].

وبالرغم من تحول هذا التيار إلى حركة إصلاحية تنادي ببناء مجتمع الرفاة واقتصاد الرفاة، وعلى الرغم من تأكيدها على أهمية تدخل الدولة في كل مفاصل الاقتصاد إلا إنها لم تفلح في معالجة أوضاع الفقر في اغلب البلدان التي طبقت أفكار الاشتراكية الديمقراطية.

أما بالنسبة لاشتراكية السوق والذي طورها أوسكار لانجة كان هدفها الأساسي تحقيق لا مركزية في اتخاذ القرارات الاقتصادية، وذلك بإتاحة دوراً كبيراً في تخصيص الموارد وتوزيعها، وقد حاولت مجموعة من الدول مثل (يوغوسلافيا وهنغاريا وبولندا والصين وألمانيا الشرقية ورومانيا وبلغاريا وتشكوسلوفاكيا) تطبيق ألـلا مركزية في صنع القرار الاقتصادي من خلال منح مؤسسات الدولة مزيداً من الاستقلال، وتسعير المنتجات، وقطع الإعانات بغية تخفيض العجز في الموازنة[١٥].

لم يستطع هذا التيار هو الآخر من معالجة المشاكل التي تعاني منها الدول التي حاولت تطبيق هذه الأفكار وظل الفقر والبؤس وانعدام المساواة والبطالة والتضخم وارتفاع الديون العامة السمة البارزة لهذه المجتمعات.

وفيما يتعلق بالاشتراكية الماركسية والتي تؤمن بالتفسير المادي للتاريخ، وبفلسفة هيجل فركزت على تحليل ونقد النظام الرأسمالي والتنبؤ بمستقبله، ولم تركز على توضيح النظريات التي تفسر النظام الاشتراكي وبكيفية إدارة الاقتصاد.

وفيما يتعلق بموضوعة الفقر فقد انتهى ماركس إلى النتيجة نفسها التي توصل من قبله الكلاسيك الأوائل وهو بقاء العمال عند مستوى الكفاف، وذلك بسبب استخدام الآلات والمكائن لتحل محل الأنسان، مما يؤدي إلى الاستغناء عن عدد

كبير من العمال، مما يؤدي إلى من زيادة عرض جيش العمال الاحتياطي وينمو تبعاً له البؤس والفقر والفاقة[١٦]، ومن هنا يبدأ الصراع الطبقي بين نمو القوى المنتجة وعلاقات الملكية السائدة حتى تصبح معيقة له بالكامل، ومن ثمَّ هناك طبقة من المجتمع تخوض المعركة لحساب القوى المنتجة ضد طبقة أخرى لحسابات العلاقات القائمة، وهكذا يستمر التناقض لتنتج أوضاع اقتصادية جديدة تنسجم مع مرحلتها[١٧].

إجمالاً، لم تفلح المدرسة الاشتراكية بمختلف تياراتها الفكرية من تحقيق الأهداف المنشودة منها، ولم تستطع معالجة المشاكل التي كانت تعتقد بأنها السمة المميزة للنظام الرأسمالي، مثل البطالة والفقر وانعدام المساواة وازدياد حدة التفاوت الطبقي في المجتمعات.

ولم تمتلك النظرية الاشتراكية (لاسيما الماركسية) استراتيجية مصممة بشكل مناسب لتحقيق أهداف مواجهة الفقر والتخفيف منه، أو إعادة توزيع الدخول بنحو عادل بين طبقات المجتمع، بل كان هدفها الأساس هو توجيه النقد اللاذع للنظام الرأسمالي، وهكذا بقي الفقر والفقراء يعانون معاناة كبيرة في المجتمعات الاشتراكية وكانت المحصلة النهائية هو انهيار هذا النظام وتفكك الدول وتحولها إلى اعتناق المذهب الرأسمالي كما هو الحال في الاتحاد السوفييتي السابق ودول شرق أوروبا.

أما بالنسبة للنظام الإسلامي فيتميز عن سائر المذاهب الاقتصادية الأخرى في خطوطه العريضة، فهو يتألف من ثلاثة أركان رئيسة هي[١٨]:

١. الملكية المزدوجة (الملكية ذات الأشكال المتنوعة): فهو يؤمن بالملكية الخاصة والملكية العامة وملكية الدولة ويخصص لكل واحد من هذه الأشكال

حقلاً خاصاً تعمل فيه.

٢. الحرية الاقتصادية في نطاق محدود: من خلال السماح للأفراد على الصعيد الاقتصادي بحرية محدودة بحدود القيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الإسلام، فهو يسمح للأفراد بممارسة حرياتهم ضمن نطاق القيم والمثل التي تهذب الحرية وتصقلها وتجعل منها أداة خير للإنسانية كلها.

٣. العدالة الاجتماعية: والتي جسدها فيما زود به نظام توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي من عناصر وضمانات، تكفل للتوزيع قدرته على تحقيق العدالة الإسلامية وانسجامه مع القيم التي يرتكز عليها. وقدد حدد الإسلام هذا المفهوم وبلورهُ في مخطط اجتماعي، وجسدهُ في واقع اجتماعي حي تنبض جميع شرايينه وأوردتهُ بالمفهوم الإسلامي للعدالة. والصورة الإسلامية للعدالة تحتوي على مبدأين هما، مبدأ التكافل العام، ومبدأ التوازن الاجتماعي، وبهاذين المبدأين تحقق القيم الاجتماعية العادلة.

في ضوء ذلك، وضعت الشريعة الإسلامية مبدأ تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي من اجل حماية مصالح الأفراد على أساس إن الاقتصاد جزء من كل المذهب الإسلامي وليس بمعزل عنه، والأصل التشريعي لهذا التدخل هو في القران الكريم في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[١٩].

لقد تعرض الإسلام لمشكلة الفقر قبل أن تصبح المشكلة الأبرز التي تعاني منها المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء، فالفقر من وجهة نظر إسلامية يمثل خطر على الإنسان وخطر على الأخلاق وخطر على المجتمع، وقد حارب

الإسلام الفقر وبكل قوة من اجل أن يحيا الإنسان حياة كريمة.

فالإسلام يدعو إلى تحقيق حياة معيشية رغدة للإنسان ويحارب الفقر ويطاردهُ بشتى الوسائل، ووضع الإسلام الحلول الناجعة لمواجهة الفقر، فقد حث الإسلام على تدخل الدولة من أجل توفير فرص العمل، كما استخدم النقود بالشكل الصحيح وحرم استخدامها كوسيلة للكسب الحرام، كما فرض تدخل الدولة من اجل توفير العيش الكريم للأفراد، كما عالج موضوع التوزيع غير العادل للدخل والثروة من اجل القضاء على التفاوت الطبقي في المجتمع.

فالاقتصاد الإسلامي يؤمن بأن مصادر الثروة الطبيعية كلها لله سبحانه وتعالى وإن اكتساب حق خاص في الانتفاع لا يقوم إلا على أساس الجهد والعمل، إذ يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأَنهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[٢٠]. ويؤمن بأن أي إنتاج بشري للثروة الطبيعية لا يعطي حقاً في الثروة المنتجة إلا للعامل المنتج نفسهُ وليست الطبيعة أو وسائل الإنتاج إلا أدوات لخدمة الإنسان[٢١].

لقد مجد الإسلام العمل وحث عليه وفرض على ولي الأمر أو الدولة التدخل في مجالات عدة في ميدان العمل لعل من ابرزها[٢٢]:

١. تسهيل أسباب الحياة الطبيعية للعاملين، حتى إن الإسلام يعمل على تزويد العاملين الذين لا يستطيعون مئونة الزواج ويسكنهم في مساكن تليق بهم.

٢. كما إن مسؤولية الدولة تنصرف إلى القيام بالأعمال الضرورية، فإنها تنصرف

كذلك لمكافحة الأعمال السيئة، وعليه فإن الدولة تمنع العمل بالأعمال المحرمة طبقاً للشريعة الإسلامية.

٣. المراقبة الشاملة لجميع الأعمال من خلال الشرطة المدنية المسؤولة عن الأسواق.

٤. إن للدولة الحق في الإشراف والرقابة والاستمرار، مثلاً أن تجبر الناس للقيام ببعض الأعمال الضرورية التي لا تتم مصلحة الناس إلا بها.

٥. كما يمكن أن تتدخل الدولة لتحديد قيمة الأجر العادل للعامل يمنع الظلم الذي تتعرض له فئة معينة بسبب ضعف موقفها من اجل إقامة العدل والتوازن الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

كما تتجه الدولة في ظل الصورة الكاملة للاقتصاد الإسلامي إلى إعادة النقد إلى دوره الطبيعي كأداة للتبادل لا كأداة لتنمية المال بالربا والادخار ووضع ضريبة على الادخار والتجميد، وحذف ما يمكن حذفه من العمليات الرأسمالية التي تتخلل بين إنتاج السلعة ووصولها إلى المستهلك ومقاومة الاحتكار، أي كل عملية تستهدف إيجاد حالة ندرة مصطنعة للسلعة بقصد رفع ثمنها، وكذلك يسعى النظام الإسلامي إلى تحويل دور النظام المصرفي من كونه وسيلة للتنمية الرأسمالية إلى كونه وسيلة لإثراء الأمة ككل، وتجميع أموالها المتفرقة في مصب واحد لإسهام اكبر عدد من المواطنين في عملية الادخار والاستثمار[٢٣].

ويسعى النظام الإسلامي من خلال تدخل الدولة إلى توفير مستوى ملائم من المعيشة لكل فرد وليس فقط لتوفير حاجات الأنسان من مأكل وملبس ومسكن التي تمثل الحاجات الأساسية أو حد الكفاف (كما في النظام الرأسمالي) بل يتعداها إلى ما تستقيم به حياته ويصلح له أمرهُ، ويجعله يعيش في مستوى

المعيشة السائد والذي يُسمى «حد الكفاية» والذي يستطيع الفرد العيش بالمستوى اللائق والكريم بحدود إمكانات الدولة وظروفها المادية والتي لا تصل إلى حد الإسراف والترف.

من جانب آخر، فقد شدد الإسلام على موضوع التوزيع العادل للدخل والثروة بين أفراد المجتمع، بوصفها أداة ضرورية لضمان تحقيق العدالة الاجتماعية، إذ قال الله تعالى ﴿**مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٢٤].

وقد وضع برامج فعالة من اجل تقليص حالات عدم المساواة بين الأفراد بالمجتمع مثل الزكاة وغيرها. وقد وردت كلمة زكاة في القرآن الكريم اكثر من ٣٢ مرة لما لها من أهمية في الاقتصاد الإسلامي، ويقول جل في علاه ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ**﴾[٢٥].

تأسيساً على ما تقدم، يتضح إن دور الدولة في الاقتصاد الإسلامي ليس ذات طابع رأسمالي يتمثل بفكرة عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، كما انه ليس شموليا وقسرياً يقمع الحرية ويقتل روح المبادرة والمغامرة لدى الفرد، وهو أيضاً ليس له طابع دولة الرفاهية العلمانية التي تكثف الطلبات على الموارد بسبب عزوفها عن الأحكام القيمية، وتؤدي إلى حالات اختلال في الاقتصاد الكلي،

بل إن دور الدولة هو دور إيجابي وهو عبارة عن التزام أخلاقي بالمساعدة على تحقيق رفاهية الجميع من خلال ضمان التوازن بين المصلحتين الخاصة والاجتماعية وحفظ القطار الاقتصادي على السكة المتفق عليها ومنع تحويلهُ من جانب المصالح المتأصلة القوية، على أن يكون محكوماً ومحصوراً ضمن القيود الذي وضعتها الشريعة الإسلامية(٢٦).

المبحث الثاني

واقع الفقر في العراق

عند تصفح اوراق التاريخ الحديث في العراق نجد ان فيه الكثير من المتغيرات السياسية و الاقتصادية قد القت بظلالها على واقعه ومستقبله، وأثرت بشكل مباشر على الحياة ونوعها، فقد اضحت الحروب التي خاضها العراق احد اسباب الفقر (حرب الشمال، الحرب العراقية- الايرانية، حرب الخليج الاولى ١٩٩١، العقوبات الاقتصادية ١٩٩١-٢٠٠٣، حرب الخليج الثانية ٢٠٠٣)، فضلاً عن طبيعة النظام السياسي الحاكم في العراق منذ تاسيس الدولة العراقية واساليب تعامله مع المجتمع وسوء التصرف بالثروة التي يمتاز بها العراق و عوامل كثيرة تداخلت فيما بينها كنتاج لهذين السببين الرئيسيين، افضت الى ان يكون العراق وشعبه يرزخ تحت طائلة الفر و العوز في حين كان يجب ان يكون في مقدمة البلدان في التقدم الاقتصادي و العلمي و الاجتماعي في المنطقة، ولم يتحسن الحال كثيرا بعد العام ٢٠٠٣ رغم الجهود التي بذلتها الحكومات المتعاقبة نيجة التركة الثقيلة التي ورثها العراق من الحقب السابقة فضلا عن الدمار الذي لحق الكنشات العراقية نيجة الحرب الاخيرة، اضافة الى افة الارهاب التي باتت عاملا مهماً في تردي الاوضاع في العراق.

اولاً: نظرة تاريخية على الفقر في العراق.

لقد ادت حرب الثمان سنوات العراقية-الايرانية الى تدهور اوضاع السكان وبخاصة مناطق التماس مع الحدود الايرانية في وسط و جنوب العراق، اذ نزح سكان المحافظات الجنوبية من البصرة وميسان الى المدن الابعد عن وقائع الحرب،

مما ادى الى تدهور اوضاع هذه العوائل وافقارها، كما ان سنوات الحرب و اوضاعها قد زعزعت الاسس التي بنيتى عليها الدولة وأدت الى بروز ظواهر جديدة كنتاج افرزته هذه الحرب، فقد تمت عسكرة المجتمع بصورة مكثفة، وألغيت الحريات بصورة كاملة، وأصبح الفقر و الحاجة السمتين الاساسيتين للعوائل والافراد العراقيين[٢٧]، فبعد ان ارتفع نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي نتيجة ارتفاع اسعار النفط في عقد السبعينيات، اذ تضاعف نصيب الفرد (١٠) مرات خلال الفترة (١٩٧٠-١٩٨٠) وبلغ (٣٨٦٤ دولار) ثم انخفض الى (٣١٧٦ دولار) عام ١٩٨٨، الان ان هذه الحصة قد بدأت بالتآكل نتيجة التضخم الذي ارتفع من ٥٪ بداية عقد السبعينات وصل الى ٦٨٪ نهاية العقد، وبسبب الزيادة في الانفاق الحكومي لإدامة آلة الحرب اخذ معدل التضخم بالتزايد المستمر الى ان وصل ٣٦٩٪ عام ١٩٨٨، وبذلك فان الجزء الاعظم من حصة الفرد من الناتج المحلي الاجمالي قد ضاعت او تبددت[٢٨].

لقد تراجع الناتج المحلي الاجمالي من ١٥،٩ مليار دينار عام ١٩٨٨ الى ٣،٥ مليار دينار عام ١٩٤٤ (باسعار ١٩٨٠) وبذلك بلغت نسبة التدهور نحو ٧٧،٩٪ ما قبل حرب الخليج الثانية مقارنة بما بعدها (١٩٨٨-١٩٩٤) وترتب على ذلك تقلبات واسعة في متوسط حصة الفرد من اجمالي الناتج المحلي، فقد بلغ نحو ٥٦٤ دولار في مطلع عقد السبعينات، وأقصاه نحو ١٥٨٦ دولار في مطلع عقد الثمانينات ثم اخذ بالتراجع الى نحو ١٦١ دولار في منتصف عقد التسعينات، بعبارة اخرى تناقص متوسط حصة الفرد من الناتج المحلي الاجمالي والتي يصعب التخلي عنها بالنسبة الى كافة فئات الدخل[٢٩].

في العام ١٩٩٠ فرضت العقوبات الاقتصادية ثم الحرب على العراق بعد

اجتياحه للكويت، فتراجع في اثرهما مستوى المعيشة، اذ انخفض مستوى نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي الى ١٨٠ دولار عام ١٩٩٤، ثم بدأ يشهد ارتفاعاً متدرجاً حيث وصل الى ٧٧٠ دولار عام ٢٠٠٢،بسبب تطبيق برنامج الامم المتحدة (الغذاء مقابل النفط) بعد عام ١٩٩٥،لقد عكست سنوات العقوبات الاقتصادية تدني حصة الفرد من الناتج المحلي الاجمالي وقد القت هذه العقوبات ثقلها الاكبر على الافراد و الاسر من فئات الدخل الضعيفة و المتوسطة، وطبقا لتقديرات منظمة الغذاء و الزراعة لعام ١٩٩٥، فان ثلثي العراقيين تعرضت مستويات معيشتهم لانتكاسة خطيرة، انخفض الدخل الاسري الى ثلث ما كان عليه عام ١٩٨٨، وإزاء هذا المستوى المتذبذب من القدرة الدخلية وظلت أنماط الاستهلاك الاسري تميل لصالح اشباع الحاجات الاساسية ومنها بشكل خاص مجموعة المواد الغذائية، ومن الطبيعي ان تنخفض نتيجة لذلك نسب الاشباع من اوجه الانفاق الاخرى الضرورية منها و الكمالية، فاهتمت الاسر يتامين غذائها حتى صارت تنفق ٦٢٪ من اجمالي انفاقها خلال تلك الفقرة على الغذاء لتضحي بالكثير من السلع و الخدمات تحقيقاً للحد المطلوب من الامن الغذائي[٣٠].

وقد عبر تون ميات (Tun Myat) منسق الامم المتحدة في العراق عن الحالة التي عاشها الشعب العراقي في فترة الحصار « ان الشعب اصبح فقيرا في بعض الحالات الى حد ان الناس لا قبل لهم بتناول الطعام الذي يعطى لهم لان حصة الطعام بالنسبة الى كثيرين منهم تمثل الجزء الاكبر من دخلهم، فيتعين عليهم ان يبيعوا الطعام لكي يشتروا ثيابا او احذية او زيا مما يحتاجون»، وطبقا لتقرير الامين العام للام المتحدة عن الوضع الانساني في العراق «ان الشرائح الاشد فقرا في المجتمع مجبرة غالبا على مقايضة ما تحصل عليه من سلة الطعام لكي

تستطيع ان تشتري ضرورات اخرى... فالقوة الشرائية قد انحدرت باطراد، وبينما المواد الغذائية متاحة بسهولة للأسواق، فإنها غير ممكنة الشراء للمواطن العراقي المتوسط... وحتى على الرغم من ان لدى العراق وفرة في الخضراوات و الفواكه و المنتجات الحيوانية، فان غالبية العراقيين لا يستطيعون شرائها»[٣١].

ثانياً: حال الفقر في العراق بعد ٢٠٠٣.

بدأ العراق بعد العام ٢٠٠٣ بالإصلاح الاقتصادي للإختلالات الموروثة نتيجة الممارسات غير الصحيحة للحكومة السابقة، وفي ظل ذلك تم البدء بالتحول نحو اقتصاد السوق ووضعت لأجل ذلك برامج إصلاحية تضمنت تحرير التجارة وإصلاح النظام الضريبي وتشريع قانون للبنك المركزي ضَمِنَ إستقلاله، فضلاً عن الاصلاحات في السياستين المالية والنقدية.

إلا ان الاصلاح لم يجرِ بسلاسة فقد واجه مشاكل جمة في مقدمتها أُحادية الاقتصاد العراقي المعتمد على المورد النفطي وبروز ظاهرة الفساد المالي والإداري، فضلاً عن تردي الوضع الامني بشكل أدى إلى تعثر جهود الاصلاح.

فقد اقرت الدولة الابتعاد عن التدخل في الحياة الاقتصادية وتعزز هذا التوجه بموجب الالتزامات الاقتصادية والمالية المترتبة على العراق في اطار اتفاقية الاستعداد للأخذ ببرنامج الاصلاح الاقتصادي و الترتيبات المساندة كجزء من متطلبات اتفاقية نادي باريس (٢٠٠٤) لخفض ديون العراق التي تقدر بحوالي ٣٦,٨ مليار دولار بنسبة ٨٠٪ على ثلاث مراحل، من ضمن هذه الاصلاحات (خصخصة شركات القطاع العام،تقليص دور الدولة في النشاط الاقتصادي،ازالة التشوهات في نظام الاسعار من خلال ازالة القيود التي تحدد الاسعار)، وقد احدثت بعض هذه الاجراءات اثاراً سلبية على الفقراء، فقد ادت سياسة تخفيض

الدعم الحكومي على المشتقات النفطية الى ارتفاع مستوى الانفاق الاسري الشهري على مجموعة السكن و المياه و الوقود من ١٣٪ عام ١٩٩٣ الى ٢٩٪ عام ٢٠٠٧، والى مضاعفة الانفاق الاسري الشهري على النقل اذ ارتفع من ٥٪ الى اكثر من ١٠٪ للاعوام ١٩٩٣ و٢٠٠٧ على التوالي[٣٢].

ولغرض الوقوف على حالة الفقر في العراق خلال مدة البحث قسم على ثلاث مدد وكما يلي:

١. الدولة الجديدة.. اوضاع مضطربة ٢٠٠٤-٢٠٠٧.

للوقوف على حال الفقر في العراق في هذه الفترة سيتم تحليل الفقر حسب التحليل المكاني، عموماً يرتبط مستوى المعيشة في العراق إلى حد كبير مع درجة التحضر، فبوجه عام تعاني المناطق الريفية من أعلى درجات الحرمان، ويتجه الحرمان للإنخفاض كلما كبر حجم التجمع السكاني ليصل أدنى مستوياته في المدن الكبيرة مما شكل دافعا مهما للهجرة الداخلية في العراق باتجاه المدن الكبيرة وخاصة خلال عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي، وقد ساهمت عوامل عديدة في خلق هذا التباين ما بين الريف والحضر منها تحيز الدولة في توفير الخدمات لصالح المدن الكبيرة على حساب المدن الصغيرة والريف، وقلة فرص العمل في المناطق الريفية، وإنخفاض الأسعار النسبية للمنتجات الزراعية، إلا أن زيادة الإهتمام بالريف منذ بدء السبعينات وإرتفاع الأسعار الحقيقية للمنتجات الزراعية، وخاصة بعد فرض الحصار الإقتصادي بداية التسعينات من القرن الماضي، ساهم في تخفيض الفجوة بين الحضر والريف فإنخفضت معدلات الهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر وتغير نمط الهجرة من هجرة داخلية ضمن العراق إلى هجرة خارجية، وخاصة من المدن الكبيرة، إلى خارج العراق[٣٣]، كما

يرتبط الفقر في العراق بحجم الاسرة وتكوينها (عادتاً ما يرتبط الفقر بالأسر الاكبر حجماً) من جهة، والتعليم و قطاع العمل لرب الاسرة المسئول عن اعالتها من جهة اخرى، وفي الوقت الذي ترتبط فيه وظائف القطاع العام باحتمال ان تكون اقل فقراً، فان الاسر التي تعتمد على الزراعة والبناء من المرجح أن تكون ضعيفة الدخل مقارنة بالأسر الاخرى[٣٤].

وفي الريف تأثر مستوى المعيشة بعوامل عدة بعد عام ٢٠٠٣، فمن ناحية تسبب اطلاق استيراد المواد الغذائية و انخفاض منسوب المياه في نهري دجلة و الفرات في تخفيض دخل الاسرة الزراعية مما اثر سلبا في مستويات المعيشة في الريف، ومن ناحية اخرى ساهم التوسع في حجم قوات الشرطة و بقية القوات المسلحة في خلق فرص عمالة ذات اجور جيدة نسبياً[٣٥].

جدول (١) مقارنة بين الحضر و الريف في توزيع الاسر حسب مستوى الحرمان من الحاجات الاساسية ٪

الميدان	حرمان عال				حرمان متوسط				حرمان منخفض				الحرمان في الريف الى الحضر ٢٠٠٤	الحرمان في الريف الى الحضر ٢٠٠٧
	٢٠٠٤		٢٠٠٧		٢٠٠٤		٢٠٠٧		٢٠٠٤		٢٠٠٧			
	حضر	ريف	حضر	ريف	حضر	ريف	حضر	ريف	حضر	ريف	حضر	ريف		
التعليم	٢٢,٥	٦٣,٤	٢٠,٦	٤٨,٣	٣٥,١	٢٤,٤	٣٢,٠	٣٢,٩	٤٢,٤	١٢,٢	٤٧,٤	١٨,٨	٢,٨	٢,٣
الصحة	١٥,٣	٣٩,٢	٢١,٥	٤١,٤	٢٢,٦	٢٩,٦	٣٦,٦	٣٥,٥	٦٢,١	٣١,٢	٤١,٨	٢٣,٢	٢,٦	١,٩
البنى التحتية	٤٩,٥	٨٩,٣	٣٨,٤	٩٣,٢	٣٠,٤	٨,٩	٣٨,٥	٦,٢	٢٠,٥	١,٨	٢٣,١	٠,٧	١,٨	٢,٤
المسكن	١٤,٤	٣٩,٦	٢٢,٣	٤٦,٧	٢٥,٩	٣١,١	٣٩,٤	٢٩,٦	٥٩,٦	٢٩,٣	٣٨,٤	٢٣,٧	٢,٧	٢,١
وضع الاسرة الاقتصادي	٥٣,٧	٥٩,٨	٢٧,٤	٤٥,٤	٢٧,٤	٢٧,٤	٣٢,٦	٣٠,٦	١٨,٩	١٢,٩	٤٠,٠	٢٤,٠	١,١	١,٧
دليل مستوى المعيشة	٢١,٢	٦٤,٩	١٧,٤	٥٧,٥	٤٩,١	٣١,١	٥٤,٩	٣٧,٩	٢٩,٧	٤,٩	٢٧,٧	٤,٢	٣,١	٣,٣

المصدر: من اعداد الباحثين بلاعتماد على:-

خارطة الحرمان ومستوويات المعيشة في العراق٢٠٠٦، وزارة التخطيط و التعاون الانمائي،الجهاز المركزي للاحصاء وتكنلوجيا المعلومات،برنامج الامم المتحدة الانمائي،٢٠٠٦،ص٢٠،جدول (١-١٤).

خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق٢٠١١،وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، الجهاز المركزي للاحصاء وتكنلوجيا المعلومات،برنامج الامم المتحدة الانمائي، ٢٠١١،ص٧٤، الجدول (٢-٦).

يبين الجدول (١) مقارنة بين الريف و الحضر في مستويات المعيشة، ويشير الى ان هناك تباين كبير في مستويات الحرمان، ويتضح هذا التباين في دليل مستوى المعيشة، اذ تبلغ نسبة الحرمان في الريف ثلاثة امثال النسبة المقابلة في الحضر للاعوام ٢٠٠٤ و ٢٠٠٧، اما على مستوى الميادين المنفردة فيظهر هذا التباين في ميادين التعليم و الصحة و المسكن، اذ ان نسبة الاسر المحرومة فيها ضمن المناطق الريفية تبلغ ما يقارب ثلاثة امثال النسب المقابلة في المناطق الحضرية في عام ٢٠٠٤، بينما سجلت هذه الميادين انخفاضاً في العام ٢٠٠٧ رغم انها بقيت مرتفعة عموماً، اذ اصبحت نسب الاسر المحرومة تزيد عن ضعف النسبة المقابلة في المناطق الحضرية.

في حين كان مستوى الحرمان في ميدان البنى التحتية اكثر من الضعف في المناطق الريفية في عام ٢٠٠٤، بينما ارتفع في عام ٢٠٠٧ اذ بلغ ٩٣٪ في الريف مقارنة بـ ٣٨٪ في الحضر.

وبشكل عام ان هذه المؤشرات تشير الى ان ليس الفقر ليس اكثر انتشارا في الريف مما هو عليه في الحضر فحسب، بل هو اكثر عمقاً،اذ بلغ متوسط قيمة دليل مستوى المعيشة للاسر المحرومة في الريف ٠,٨٢ مقارنة بـ ٠,٨٩ في الحضر

لعـام ٢٠٠٤، وبلـغ متوسـط قيمـة الدليـل ذاتـه في العـام ٢٠٠٧ لـلاسر المحرومـة ٠,٨٥ في الريـف مقارنـة بـ ٠,٩٢ في الحـضر[٣٦].

٢. اوضاع مستقرة نسبياً: تحسن في مستويات المعيشة ٢٠٠٧-٢٠١٢.

بـين عامي ٢٠٠٧ و ٢٠١٢ نـما الناتـج المحلي الاجمالي في العـراق بمعـدل تراكمـي يزيـد عـلى ٦٤٪، وبلـغ معـدل نمـو نصيـب الفـر مـن النـاتـج المحـلي الاجمـالي ٧،٦٪، ورافـق ذلـك معـدل نمـو سـكاني بلـغ نسـبة ٢,٥٪ الى ٣،٠٪ سـنوياً، وادى النمـو الاقتصـادي المتسـارع الى تحسـن مماثـل في مسـتوى المعيشـة، اذ ارتفـع الاسـتهلاك الخـاص بنسـبة ٩,٤٪ سـنويا للمـدة المذكـورة[٣٧]، وتبعـاً لذلـك

جدول (٢) مقارنة في الفقر العام بين الريف و الحضر									
البيان	معدل حجم الفقر			فجوة الفقر			المقياس التربيعي لفجوة الفقر		
	2007	2012	التغير	2007	2012	التغير	2007	٢٠١٢	التغير
حضر	17.4	14.8	-2.5	٣,٠	2.7	-0.2	0.8	0.8	0
ريف	38.9	30.6	-8.3	9.1	7.4	-1.7	3.1	2.6	-٠,٦
الكلي	23.6	19.8	-3.7	4.7	4.2	-0.5	1.5	1.3	-0.1
Source: Poverty Estimates And Trends In Iraq: 2007-2012،p21.									

انخفضـت معـدلات الفقـر انخفاضـاً طفيفـاً مـن ٢٣،٦٪ الى ١٩،٨٪ في ٢٠١٢،كـما في الجـدول (٢)، في حـين لم يحـدث تغيـير يذكـر في فجـوة الفقـر وحدتـه، وبعبـارة اخـرى فـان اولئك الذيـن كانـوا دون خـط الفقـر في عـام ٢٠٠٧ قـد اقتربـوا في المتوسـط مـن خـط الفقـر في عـام ٢٠١٢.

لقـد كان الانخفـاض النسـبي في معـدل الفقـر بـين الاعـوام ٢٠٠٧ و ٢٠١٢ نتيجـة الزيـادة في الايـراد النفطـي بـدلاً مـن زيـادة العمالـة في القطـاع الخـاص الـذي يعمـل فيـه اغلـب الفقـراء، اذ ان قطـاع النفـط الـذي يمثـل اكثـر مـن نصـف الناتـج المحـلي الاجمـالي

للعراق وجميع صادراته تقريباً لا

يمثل سوى (١٪) من العمالة في البلد، في حين ان القطاعات الاخرى لم توفر فرص عمل كافية لاستيعاب قوى العمل المتنامية، باستثناء القطاع العام المتضخم نتيجة التوسع في الوظائف مدعماً بالإيراد النفطي.

لم يكن التخفيف من الفقر متساوياً من حيث المناطق الجغرافية، فقد تباينت معدلات الفقر بين الريف و الحضر في العامين ٢٠٠٧ و ٢٠١٢، اذ انخفضت معدلات الفقر في المناطق الريفية من نسبة مقدارها ٣٨،٩٪ عام ٢٠٠٧ الى ٣٠،٦٪ عام ٢٠١٢، أي بمقدار ٨،٣٪ مقارنة بالانخفاض في المناطق الحضرية اذ بلغت نسبة التغير ٢،٥٪.

لقد كان هناك تحسن قليل في حجم الفقر في محافظات بغداد و كردستان في حين انخفضت معدلات الفقر بشكل ملحوظ في المحافظات الـ ١٤ المتبقية وتعيش في هذه المحافظات افقر ٤٠٪ من السكان أي ما يعادل ٧٠٪ من نسبة السكان وبغداد تمثل ٢٠٪ الاخرى، في عام ٢٠٠٧ عاش نصف الفقراء في خمس محافظات (البصرة، بغداد، نينوى، بابل، ذي قار)، وبحلول عام ٢٠١٢ ضلت نسبة الفقراء في بغداد بلا تغيير عند ١٩٪، بينما تضاعفت النسبة تقريباً في نينوى لتصل الى ١٥،٧٪، في حين تركز الفقر في ثلاث محافظات جنوبية هي (ذي قار، ميسان، القادسية) اذ تمثل ما يقارب ربع الفقراء في البلد[٣٨].

٣. الازمة المزدوجة (الصدمة الثنائية): انخفاض اسعار النفط وداعش الارهابي.

لقد ادى الصراع الذي اقترن بالقيود الاقتصادية في السنوات الاخيرة الى عكس المكاسب التي تحققت في الحد من الفقر بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٢، فقد انخفض

معدل الفقر في العراق الى (٨, ١٩٪) في عام ٢٠١٢ بعد ان كان (٦ , ٢٣٪) في عام ٢٠٠٧، الجدول (٢)، الا ان هذا الانخفاض في معدلات الفقر قد تم عكسه بحلول عام ٢٠١٤، اذ يقدر معدل الفقر في عدد السكان في ذات العام نحو (٥ , ٢٢٪)، الجدول (٣) وهو ما يقارب المستوى المسجل في العام ٢٠٠٧ ويشير ذلك الى ان الفقر يتناسب طردياً مع فقدان الامن والنزاع و العنف، وكذلك انخفاض اسعار النفط او النقصان في الايراد النفطي نتيجة الاعتماد المطلق على وارداته.

لقد تبين الاثر السلبي للازمة المزدوجة في العراق على جميع مناطق العراق، إلا ان شدتها تباينت بين منطقة و أخرى، فقد كان التأثير اشد حدة في المناطق المتضررة من ارهاب داعش وكردستان من المناطق الاخرى، اذ يقدر ان مستويات الفقر قد تضاعفت اربع مرات في تلك المناطق عما كانت عليه قبل الازمة، في حين زاد بالمركز بمقدار ٦٪،وكانت الزيادة في الفقر في بقية الشمال و الجنوب مقارب لما في المركز، وكان التدهور في مستويات الرفاه للفقراء في جميع المناطق وفقاً لفجوة الفقر وحدته كبيراً،التي يبينها الجدول (٣)، اذ يتضح ان فجوة الفقر قد ازدادت بعد الازمة الى ١٤،٢٪ عام ٢٠١٤ بعد ان كانت ٥،٣٪ عام ٢٠١٢، وكذلك الحال بالنسبة لشدة الفقر فقد ارتفعت موشراته بعد الازمة ليبلغ ٣ , ٧٪ بعد ان كان ٢ , ٢٪ لذات الاعوام على التوالي.

كما ان هذه الازمة ادت الى القضاء على التحسن الذي حصل في مستويات الفقر بين عامي ٢٠٠٧ و ٢٠١٢، مما ادى الى رفع حجم الفقر الى ٥ , ٢٢٪ عام ٢٠١٤، ودفع ثلاثة ملايين شخص اخرين الى الفقر[٣٩].

يلحظ من الجدول (٣) ان اثار فجوة الفقر وشدته كانت في الجنوب اكثر منها في باقي المناطق الاخرى، ويشير ذلك الى ان النسبة الاكبر يعيشون بالقرب من

خط الفقر قبل عام ٢٠١٤.

جدول (٣) تأثير الازمة على الفقر على الصعيد الإقليمي

البيان	حجم الفقر				فجوة الفقر				الخطورة (حدة الفقر)			
	٢٠١٢	٢٠١٤		التأثير	٢٠١٢	٢٠١٤		التأثير	٢٠١٢	٢٠١٤		التأثير
		الاعتيادي	الازمة			الاعتيادي	الازمة			الاعتيادي	الازمة	
العراق	١٨,٩	١٥,٠	٢٢,٥	٧,٥	٤,١	٣,٩	٦,٦	٢,٧	١,٤	١,٧	٣,٠	١,٣
كردستان	٣,٥	٣,٥	١٢,٥	٩,٠	٠,٦	٠,٦	٣,٧	٣,١	٠,٢	٠,٢	١,٧	١,٥
بغداد	١٢,٠	٨,٥	١٢,٨	٤,٤	٢,٠	٢,٣	٣,٤	١,٠	٠,٥	١,٢	١,٦	٠,٣
التأثير	٢٥,٧	٢٠,٥	٤١,٢	٢٠,٦	٥,٦	٥,٣	١٤,٢	٨,٩	١,٨	٢,٢	٧,٣	٥,٠
بقية الشمال	١٤,٩	١٢,١	١٧,٧	٥,٦	٢,٨	٢,٩	٤,٤	١,٦	٠,٨	١,٢	١,٨	٠,٦
المركز	١٥,٨	١٢,٧	١٨,٦	٥,٨	٣,١	٢,٩	٤,٦	١,٧	١,٠	١,١	١,٨	٠,٧
الجنوب	٣٣,٦	٢٦,١	٣١,٥	٥,٥	٨,٦	٦,٨	٨,٩	٢,١	٣,٢	٢,٧	٣,٧	١,٠

Source: Iraq Systematic Country Diagnostic February 3، Report No. 112333-Iq،World Bank Group، 2017،p36

كما يتجلى اثر الازمة في زيادة الفقر بكونه سبب زيادة في معدلات البطالة مقارنة بما قبل الازمة، فالهجرة الداخلية جعلت البعض عاطلا عن العمل او يعمل بإجور اقل وهو ما ادى الى انخفاض دخل العمالة بنسبة ٢٠٪ عام ٢٠١٤ أي ما يعادل ١٤٪ في اجمالي دخل الاسرة، كما يتضح من الجدول (٤)، وكذلك ان اجمالي الدخل قد انخفض الى النصف تقريبا في المناطق المتضررة من داعش، ان الزيادة في معدلات البطالة تؤدي الى تقليل دخل الايدي العاملة والذي يؤدي بدوره الى انخفاض نصيب الفر من الاستهلاك.

جدول (٤)التأثير على مكونات دخل الفرد ومعيشة الأسر، الأزمة مقابل الأعمال المعتادة

البيان	الفقراء الجدد			الفقر القديم			مجموع السكان		
	العادي	الازمة	٪	العادي	الازمة	٪	العادي	الازمة	٪
نصيب الفرد من الاستهلاك	١٠٨,٥	٦٠,٨	٤٣,٩–	٥٦,١	٤٩,٢	١٢,٢–	١٥٥,٢	١٣٧,٤	١١,٥–
نصيب الفرد من دخل الاسرة									
الدخل الكلي	١٤٤,٠	٧١,٠	٥٠,٧–	٨١,٤	٦٦	١٩,٠–	١٨٢,٥	١٥٥,٣	١٤,٩–
دخل العامل	١١٠,٦	٤٥,٨	٥٨,٦–	٥٤,٢	٤١,٤	٢٣,٦–	١٢٤,١	٩٩,٤	١٩,٩–
الدخل غير العامل	٢٠,٠	١٢,٩	٣٥,٣–	١٧,٧	١٥,٤	٢٣,٦–	٢٨,٨	٢٧,٠	٦,٣–
التحويلات العامة	١٦,١	١١	٣١,٥–	١٤,٣	١٢,٧	١١,٢–	٢٠,٨	١٩,٨	٤,٩–
التحويلات الخاصة	٣,٩	١,٩	٥١,٢–	٣,٤	٢,٧	١٩,٢–	٨,٠	٧,٢	١٠,١–

Source: IRAQ SYSTEMATIC COUNTRY DIAGNOSTIC February 3، Report No. 112333-IQ،World Bank Group، 2017،p39

ان اثر الازمة على «الفقراء الجدد» -أي الاسر التي اصبحت فقيرة نتيجة الازمة المزدوجة- اكثر عمقاً بأربعة اضعاف من بقية السكان قياساً بنصيب الفرد من الاستهلاك و الدخل، ويعزى الاثر الكبير في انخفاض دخل الفرد ومستوى نصيبه من الاستهلاك الى انخفاض دخل العمالة فقد هبط نصيب الفرد من الاستهلاك للفقراء الجدد بنسبة ٤٤٪ وانخفض الدخل الفردي بنسبة ٥١٪ وانخفض دخل العمالة بنسبة ٦٠٪ نتيجة الازمة.

وبدءاً من حزيران ٢٠١٤ وبعد هجوم داعش الارهابي على محافظات العراق

الشمالية و الغربية نتج عنه (٣٥٤٠٠٠) اسرة نزحو داخلياً خلال ستة اشهر من العام ٢٠١٤،ويمثل ذلك حوالي ٢،١ مليون شخص[٤٠]، وبحلول نهاية عام ٢٠١٥ كان حوالي ٤،٢ مليون شخص في العراق قد نزحو داخلياً[٤١].

المبحث الثالث

سبل مواجهة الفقر في ضوء فلسفة الأمام علي (عليه السلام)

للفقر آثار اقتصادية واجتماعية سلبية مؤلمة ومعقدة على الأنسان وعلى المجتمعات، فهو متعدد الأبعاد، لا ينحصر في الجانب المادي الذي يشمل المأكل والملبس والسكن فحسب، بل يشمل فقر التعليم، الحرمان من الرعاية الصحية، الحرمان من الحقوق...الخ.

وعلى الرغم من كل ما تحقق من إنجازات على صعيد مواجهة الفقر، والشعارات التي ترفعها الدول المتقدمة لمحاربة الفقر، لا يزال الفقر يشكل ظاهرة خطرة لا سيما في ظل انتشار ظاهرة العولمة وتسارع خطاها بشكل لافت للنظر، إلى جانب ظاهرة الإصلاحات التي يرعاها صندوق النقد الدولي أو ما يسمى «إجماع واشنطن»[٤٢] والذي كانت له نتائج مؤلمة على الطبقات الفقيرة.

فعولمة الفقر في أواخر القرن العشرين لم يسبق لها مثيل في التاريخ الاقتصادي العالمي[٤٣]. غير إن هذا الفقر ليس نتيجة ندرة الموارد البشرية والمادية كما يرى النظام الرأسمالي، كما إنه ليس نتيجة التناقض بين علاقات الإنتاج كما يرى النظام الاشتراكي، بل هو في سوء الاستخدام الإنسان للموارد بحسب وجهة نظر الاقتصاد الإسلامي وهو نتيجة منطقية للفلسفة التي تكمن وراءهُ.

وان الباحث عن آليات معالجة الفقر والقضاء عليه سرعان ما يجد مصدرها

الأصيل، فبالتأكيد ليس في ثنايا النظرية الرأسمالية، ولا في مضامين النظرية الاشتراكية بكل ألوانها، بل سيجدها في الاقتصاد الإسلامي الذي يستند في جوهرة على القران الكريم والسنة النبوية واحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وفي هذا الاطار، عالج الاقتصاد الإسلامي بوصفهُ جزء من الدين الإسلامي موضوع الفقر بشكل دقيق من خلال وضع التشريعات اللازمة للقضاء عليه، بالتركيز على الفرد بوصفه المسؤول الأول عن هذه الظاهرة.

وبهذا المعنى، فقد حرص الإسلام على تربية الفرد المسلم من الداخل من خلال التقييد بالمبادئ والقيم والتشريعات الموجودة في القرآن الكريم. وقد أجاز القران الكريم للدولة أو الحاكم والمسؤول بالتدخل في النشاط الاقتصادي، وذلك من اجل تصحيح الأسواق، وتحقيق التنمية، ومواجهة كل وسائل الظلم والاستغلال، ليحيا الأنسان حياة كريمة وبما يتناسب مع الأهداف السامية التي وضعتها الشريعة السمحاء.

ومن هنا ننطلق للتعرف على حل مشكلة الفقر في ضوء تعاليم القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والتي استند عليهما أمير المؤمنين (عليه السلام) في فلسفته لمواجهة الفقر.

أولاً: الدولة والفقر في منهج وفلسفة الأمام علي (عليه السلام)

تُعد حقبة خلافة الأمام علي(عليه السلام) بالرغم من إنها لم تتجاوز الخمس سنوات مناراً ومثالاً يُحتذى بها، لما حققهُ من استقرار سياسي واجتماعي فضلاً عن الاستقرار الاقتصادي.

فقد كان للدولة دور كبير في الحياة الاقتصادية، وكان يوصي العاملين في الدولة

بتقوى الله فيما انتم عنه مسؤولين واليه تصيرون، فأن الله تعالى يقول: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾(٤٤) وفي آيات أخرى يقول تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٤٥)

لقد كان (عليه السلام) يحارب الفقر بشتى أنواعهُ، فقد كان يمثل له عدو خطر إذ يقول(عليه السلام): «لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته» وتوضح هذه المقولة مدى اهتمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بموضوع الفقر، وقد استطاع بالفعل محاربتة ومواجهتهُ حتى أصبحت دولته خالية من أوجاع الفقر آلامه.

وفي هذا السياق، وخلال مدة خلافته (عليه السلام) ارسل الكثير من العهود والكتب إلى عامليه في الولايات الإسلامية يحثهم فيها على الالتزام بما انزله الله سبحانه وتعالى بالقران الكريم من تعاليم وقوانين في التعامل مع الأفراد.

ويعكس عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر عندما ولاهُ على مصر جانباً مبتكراً ومهماً في محاربة الفقر، أذ تضمنت وثيقته مجموعة من المبادئ التي من شأنها محاربة الفقر قبل وبعد حدوثه.

فهو يوصي عاملهُ بضرورة تقوى الله ومنع الاحتكار وعاقبة المحتكر والعمل الصالح والعدل والأنصاف ومراعاة المستضعفين بين الناس ومتابعة موضوع الضرائب وأعمار البنى التحتية وتوفير الخدمات ورعاية الأيتام والمسنين، ومراعاة طبقة الكسبة والتجار، وهي جميعاً تمثل أرضية خصبة للفقر اذا لم يتم معالجتها بالشكل الصحيح.

ففيما يتعلق بالعمل الصالح والذي يمثل المرتكز الأساسي لمعالجة أوضاع الفقر، كتب يقول له ((ليكن احب الأعمال إليك ذخيرة العمل الصالح، وابتعد عما هو لا يحل لك، واشعر بقلبك الرحمة للرعية..... ثم يقول الناس صنفان أما

أخٍ لـك في الديـن أو نظـير لـك في الخلق.........الـخ).

أمـا بالنسـبة للعـدل والإنصـاف فكتـب يقـول (انصـف الله وانصـف النـاس في نفسـك ومـن خاصـة اهلـك مـن رعيتـك، فإنـك إلا تفعـل تَظلـم، ومـن ظلـم عبـاد الله كان الله خصمـهُ،.... إن الله سـميع دعـوة المضطهديـن، وهـو للظالمـين بالمرصـاد)[٤٦].

إن مـن اهـم الصفـات التـي يتصـف الاقتصـاد الإسـلامي هـو الصفـة الأخلاقيـة المتمثلـة بالعمـل الصالـح والعـدل والإنصـاف النابعـة مـن داخـل الأنسـان، ولذلـك يجـب أن يـؤدي الحاكـم أو الـوالي أو المسـؤول عملـه بشـكل صحيـح لكـي لا يكـون هنـاك ظلـم عـلى العبـاد، وبهـذا المعنـى يقـول الله سـبحانه وتعـالى في محكـم كتابـة الكريـم ﴿**إِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلاَئِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَـةً قَالُـوا أَتَجْعَـلُ فِيهَـا مَـنْ يُفْسِـدُ فِيهَـا وَيَسْـفِكُ الدِّمَـاءَ وَنَحْـنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ قَـالَ إِنِّي أَعْلَـمُ مَـا لاَ تَعْلَمُـونَ**﴾[٤٧]. أن تحقيـق العـدل والإنصـاف مـن الحاكـم مـن شـأنه أن يـؤدي إلى محاربـة الفقـر مـن خـلال التوزيـع العـادل لـكل ثـروات البـلاد عـلى طبقـات المجتمـع كافـة، وتختفـي الطبقيـة في المجتمـع.

أمـا بالنسـبة لمراعـاة المسـتضعفين فكتـب يقـول (ثـم الطبقـة السـفلى مـن أهـل الحاجـة والمسكنة الذيـن يحق رفدهـم (مسـاعدتهم وصلتهـم) ومعونتهـم وفي الله لـكل سِـعة، ولـكل عـلى الـوالي حـق مـا يُصلحـهُ، وليـس يخـرج الـوالي مـن حقيقـة مـا ألزمـهُ الله مـن ذلـك إلا الاهتـمام والاسـتعانة بـالله وتوطـين نفسـهُ عـلى لـزوم الحـق والصـبر عليـه فيـما خـف فيـه أو ثقـل)[٤٨].

وفي منـع الاحـتكار وعاقبـة المحتكـر كتـب يقـول (واعلـم مـع ذلـك، أن في كثـيراً منهـم ضيقـاً فاحشـاً وشـحاً قبيحـاً، واحـتكاراً للمنافـع وتحكـماً في البياعـات، وذلـك بـاب مـضرة العامـة، وعيـبٌ عـلى الـولاة، فأمنـع مـن الاحـتكار، فـإن رسـول الله منـع

منهُ، وليكـن البيـع بيـعٌ سـمحاً، بموازيـن عـدل، وأسـعار لا تجحـف بالفريقـين مـن البائـع والمشـتري، فمـن احتكـر بعـد نهيك فعاقبـهُ، وعاقـب في غـير إسراف مـن تجـاوز حـد العـدل)[٤٩].

إن للاحتـكار آثـار سـلبية تتمثـل في سـيطرة منتـج واحـد أو مجموعـة قليلـة مـن المنتجين عـلى سـعر السـلعة، ومـن ثـم يفـرض السـلع الـذي يحقـق اعـلى الأربـاح وهـذا لا يتفـق مـع المبـادئ الإسـلامية التـي تمنـع الأنسـان مـن اسـتغلال أخيـه الأنسـان.

وفي موضـع آخـر كتـب يـوصي بأصحـاب المهـن مـن التجـار والصنـاع والكسـبة خـيراً، أذ يـوصي مالـك الأشـتر (رضـوان الله عليـه) (ثـم اسـتوصي بالتجـار وذوي الصناعـات، وأوصِ بهـم خـيرا، المقيـم منهـم، والمضطـرب بمالـهُ، والمرتفـق (المكتسـب) ببدنـهُ، فإنـهُ مـواد المنافـع، وأسـباب المرافـق وجلابهـا مـن المعابـد والمطـارح (الأماكـن البعيـدة)، في بـرَك وبحـرَك وسـهلك وجبلـك، وحيـث لا يلتئـم النـاس لمواضعهـا، ولا يجترئـون عليهـا، فإنهـم سِـلمٌ لا تخـاف بائقتـهُ (دهـاؤهُ)، وصلـحٌ لا تخشـى غائلتـهُ، وتفقَـد أمورهـم بحضرتـك وفي حـواشي بـلادك).

وفي مـورد آخـر كتـب حـول متابعـة الضرائـب وإعـمار البنـى التحتيـة (تفقـد أمـر الخـراج بـما يصلـح أهلـه، فـإن في صلاحـهُ وصلاحهـم صلاحـاً لمـن سـواهم، ولا صـلاح لمـن سـواهم إلا بهـم، لأن النـاس كلهـم عِيـالُ عـلى الخـراج وأهلـه، وليكـن في نظـرك في عـمارة الأرض ابلـغ مـن نظـرك في اسـتجلاب الخـراج، لأن ذلـك لا يـدرك بالعـمارة، ومـن طلـب الخـراج بغـير عـمارة اخـرب البـلاد واهلـك العبـاد، ولم يسـتقم أمـره إلا قليـلاٍ)[٥٠].

أمـا بالنسـبة لتوفـير الخدمـات أولاً ثـم الضرائـب فهـو يـوصي مالـك الأشـتر بـضرورة توفـير الخدمـات للنـاس والتخفيـف عنهـم بـما فيـه صـلاح لأمرهـم، فأنهـم

(أي الناس) ذخراً يعودون عليك به عليك في عمارة بلادك وتزين ولايتك ويوصيه بأن خراب الأرض يأتي من أعواز الفقر والحاجة[٥١].

وهنا نجد اهتمام الأمام (عليه السلام) بموضوع الضرائب، إذ وصى واليهُ في اكثر من موضع على مسألة الضرائب لما لها أهمية كبيرة في توفير الموارد المالية اللازمة لخزينة الدولة، وإعادة توزيعها على الفقراء، فالضرائب أداة مهمة لإعادة توزيع الدخول وتقليل الفوارق الطبقية في المجتمع.

وفي مراعاة الأيتام والمسنين كتب ((وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن (المتقدمون فيه) ممن لا حيله له، ولا يُنصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كلهُ ثقيل، وقد يخففهُ الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم، ووثقوا بصدقٍ موعود الله لهم))[٥٢].

ويستند في مفهومه إلى الأيتام الى كتاب الله الكريم إذ يقول جل في علاه **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[٥٣].

لقد أولى أمير المؤمنين (عليه السلام) عناية خاصة وفائقة بالأيتام والمسنين، فقد كان شديد الحرص على متابعة شؤونهم وتوفير المستلزمات الأساسية لهم، فهو يلقب أبو الفقراء والمساكين.

مما سبق يتضح، إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قدم وصفة إسلامية كاملة لمعالجة أوضاع الفقراء، وهي تقوم على المبادئ الإسلامية التي أوصى بها الله سبحانه وتعالى، وهذه الوصفة تختلف عن الوصفات التي تقدمها المؤسسات الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرهما) لعلاج الفقر في كونها تستند على مبادئ وضعية

مرتكزها الأساسي حرية الأسواق بدون ادنى ضوابط أو أخلاقيات.

تأسيساً على ما تقدم، وبالنظر لما اكتسبتهُ ظاهرة الفقر في العراق أهمية كبيرة في ظل تنامي أعداد الفقراء، خلال العقود الثلاثة الماضية، بعدما كان يُعد من الدول ذات الدخل المتوسط خلال عقد السبعينات (كما تمت الإشارة إليه في المبحث الثاني).

كما إن السياسات الاقتصادية المتبعة بعد عام ٢٠٠٣ والتحول نحو اقتصاد السوق واعتناق الفلسفة الرأسمالية أوقعت البلد في فخ الفقر وانعدام المساواة، مما ترتب عليه ظهور طبقة غنية تمثل فئة قليلة في المجتمع، وطبقة أخرى فقيرة تمثل فئة كبيرة بالمجتمع.

ولذا ومن اجل النهوض بالاقتصاد العراقي ومعالجة آفة الفقر فيه، ومن اجل التخلص من مساوئ التوزيع غير العادل للثروة، نقترح خطوطاً استرشادية وفق رؤية إسلامية تستند إلى فلسفة ومنهج الأمام علي (عليه السلام) في معالجة الفقر والتقليل منه.

ثانياً: فلسفة الإمام علي (عليه السلام) في محاربة الفقر: الدروس المستفادة

انطلاقاً من فلسفة الإمام علي (عليه السلام) ونهجه في ادارة امور الدولة بخاصة الاقتصادية منها، واسترشاداً بمنهجه الذي لم يهمل فئة او شريحة اجتماعية إلا وأوضح واجباتها وحقوقها، فاننا نحاول ان نضع خطوطاً استرشادية تنبع من نهل فلسفته في محاربة الفقر والحد من مخاطره.

١. محاربة الفقر من خلال التعليم:

قال الامام علي (عليه السلام) «تعلموا العلم، فانه زين للغني، وعون للفقير». كما

قال (عليه السلام) «والعلم حاكم و المال محكوم عليه» فالمال بحاجة الى العلم في الاستثمار و في التوزيع، وبه ينمو المال الى اضعاف مضاعفة، فالعلم اداة الفقير لإزالة الفقر، فيتعلم كيف يزرع، وكيف يصنع، وكيف يدير باقي اموره، ان اكثر اسباب الفقر ناشئ من الجهل و الامية، فالزراعة بحاجة الى العلم، والصناعة كذلك لا تستغني عن العلم، فكل ما يريد الانسان صنعه لا بد له من العلم، واليوم استطاع العلم ان يطور مجالات الصناعة بشكل واسع بحيث اصبح الانتاج يضاهي انتاج الامس بآلاف المرات، وعموما فان الدول الفقيرة لا ينقصها في اللحاق بركب الدول الصناعية الكبرى سوى العلم و توابعه، فبلاد اوربا كانت حتى قبل ستة قرون تعتمد على العالم الثالث في طعامها وما شابه، ولم تتطور دول اوربا إلا بالنهضة العلمية التي انطلقت في القرن السابع الميلادي، وبذلك فقد اهتم الاسلام بالعلم و العلماء، فالعلم عامل مؤثر في حياة الناس وبه يكفل تخليص المجتمع من الفقر والفاقة(٥٤).

وتاسيساَ على ما سبق فانه يجب توفير التعليم لكافة افراد المجتمع، ولابد من استهداف الفقراء في ذلك ورفع مستوى تعليمهم، فقد تبين ان قلة التعليم و الفقر يرتبطان بشكل مباشر.

٢. الضمان الاجتماعي:

فرض الاسلام على الدولة حماية افراد المجتمع الاسلامي من الفقر والعوز، فهي ضامنة لمعيشة افراد المجتمع ضماناً كاملاً، من خلال تهيئة وسائل العمل للفرد و فرص المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادي المثمر ليعيش على اساس عمله وجهده، وفي حالة عجز الفرد عن العمل وكسب عيشه لاي سبب، تمارس الدولة مبدأ الضمان الاجتماعي من خلال تهيئة المال الكافي لسد حاجات الفرد

وتوفير حد خاص من المعيشة الكريمة له، وفي هذا السياق فان الامام علي (عليه السلام) هو رائد فكرة الضمان الاجتماعي الذي تتسع دائرته لتشمل حتى غير المسلم، من خلال الحادثة المشهورة حين اجرى راتباً من بيت المال لذلك الشيخ المسيحي الذي فقد فرصة العمل(٥٥).

تتبلور إستراتيجية الحماية الاجتماعية ببرامج الدعم و المساعدات المقدمة للأفراد و العوائل نتيجة التعرض للصدمات والكوارث الطبيعية والأمراض والأزمات الاقتصادية من خلال تطوير شبكات الامان الاجتماعي (كبرامج التقاعد وإعانات اللاجئين والضمان الاجتماعي)، فضلاً عن مخاطر البطالة والعجز او العوق بسبب كبر السن او اصابة العمل، إلا ان شبكات الضمان الاجتماعي لم تلقى حظاً وفيراً ولم تثبت فعاليتها في اغلب الدول النامية وخصوصاً انها تبقى عاجزة في الامد الطويل(٥٦).

يعاني النظام الاجتماعي في العراق للعمال من تحديات خطيرة تتمثل في انخفاض عدد المشمولين واشتراكهم، وتدهور المركز المالي لصندوق الضمان الاجتماعي، فضلاً عن عدم جدية الدولة و مؤسسات القطاع الخاص بتطبيق احكام القانون النافذة، فضلاً عن عدم التفات العمال انفسهم حول القانون و الضغط من اجل تنفيذه بالكامل(٥٧).

٣. رعاية ذوي الحاجات الخاصة:

لقد اشار الامام علي (عليه السلام) الى فئة رئيسية من فئات المجتمع الا وهي فئة او طبقة العمال ومن الذين لا يستطيعون العمل اما بسبب عاهة تمنعهم من ذلك، او بسبب صغر سنهم، او بسبب كبر سنهم، او بسبب المرض الذي يحول بينهم و بين العمل، والفقراء والمحتاجون و القانع و المعتر، وكذلك اشار الى فئة اليتامى، وقد

اوضح الامام علي (عليه السلام) في عهده الى مالك الاشتر وسائل رعاية هؤلاء ومصادر الانفاق عليهم بوصفهم مواطنين في الدولة ولهم حق العيش، وعليها توفير مستلزمات معيشتهم بقوله: «واجعل لهم قسما من بيت المال، وقسما من غلات المحاصيل الزراعية و صوافي الاسلام في كل بلد»[٥٨]، وتعتبر هذه الاجراءات من الاهمية بمكان وبخاصة في ظروف العراق الحالية وما يمر به من نتاج الارهاب و مقارعته، الذي افرز الاعداد الكبيرة من الارامل والايتام الذين هم بحاجة الى التفاتة الدولة ورعايتهم وتولي امور معيشتهم و حفظ كرامتهم وضمان العيش الكريم لهم.

وفي المجال الزراعي فان الامام (عليه السلام) يوجه بضرورة تقديم المساعدات للفلاحين في وقت الازمات كإنتشار الاوبئة والأمراض الزراعية، وعند شحة مناسيب المياه في الترع والانهار، او قلة سقوط الامطار، او بسبب الفيضانات التي تؤدي الى غمر الاراضي الزراعية بالمياه وتدمير محاصيلهم و مزروعاتهم[٥٩]، ذلك لما للقطاع الزراعي من اهمية في التخفيف من الفقر من خلال تشغيل الايدي العاملة و توفير مستلزمات العيش لعوائل الفلاحين التي تمتاز بكبر اعدا افرادها، فضلا عن توفير المنتوجات الزراعية للاسواق المحلية.

٤. الرقابة على السوق: الحد من اثر التضخم

لما كان دخل الفقراء محدودا فان زيادة الاسعار ستؤثر بشكل كبير عل حياتهم فيزدادون فقراً، وهنا لابد من تدخل الدول بالاجراءات الاقتصادية التي تحد من معدلات التضخم وهي الحد من كمية السيولة، زيادة الانتاج لمواجهة كمية السيولة الموجودة في السوق، وضبط الاسعار دون ارتفاعها، ونجد هذه المعالجات في رسالة الامام علي (عليه السلام) الى واليه في مصر مالك الاشتر،اذ نجد مبدأ الترشيد،

ومبدأ زيادة الانتاج، وكذلك مبدأ التسعيرة العادلة.

قال الامام علي (عليه السلام) « وليكن البيع سمحاً: بموازين عدل، وأسعار لاتجحف بالفريقين من البائع و المبتاع»، فالموازين العادلة للأسعار هي التي تأخذ بنظر الاعتبار الوقت و الجهد والمواد الاولية التي دخلت في انتاج هذه السلعة، وهذا البيع هو الذي يقع بتراضٍ من الطرفين البائع و المشتري، ولا يتم ذلك إلا بإشراف الدولة على نظام الاسعار[٦٠].

٥. تنظيم الاسرة:

ان المجتمع الاسلامي هو مجتمع الأغنياء، والفقر فيه حالة استثنائية والتي يمكن معالجتها بحل مؤقت، فضلا عن الفقر يظهر كحالة فردية وليس كحالة جماعية، لذا فان الحل هو قانون تنظيم الاسرة، قال (عليه السلام) «قلة العيال احد اليسارين»، ويعني ذلك تقدير عدد الابناء بشكل يتناسب والدخل، فإذا زاد الدخل فالمشكلة باتت محلولة من جذورها[٦١]، وقد دلت الدراسات على ان الفقر والعدد الكبير من افراد الاسرة يتناسب طرديا، لذا فان ترتيب الامر المالية للاسرة يتضمن تنظيم عدد افرادها بما يتناسب مهم دخولها السنوي او الشهري.

٦. الفساد و الاستئثار بالامتيازات:

وعلى هذا الصعيد ينبه الامام علي (عليه السلام) مالك الاشتر في عهده اليه «ثم ان للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة انصاف في معاملة، فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال»[٦٢]، ولقد لامست السياسة الامور عند الامام (عليه السلام) بشفافية ونقاء متناهيين، فالمال الذي يستوفى من الرعية مال الله، وشدد على من يخون من فيء المسلمين ولو كان شيئاً صغيراً، ودعا الى التعامل مع المكلفين بمنتهى النزاهة و الحرص على الحق، فكان يطلب ممن يستعمله على

الصدقات ان يقول: « عباد الله، ارسلني اليكم ولي الله و خليفته لاخذ منكم حق الله في اموالكم، فهل لله في اموالكم حق فتؤدوه الى وليه، فان قال قائل: لا، فلا تراجعه»[٦٣]، ونجد في قوله (عليه السلام) »بلغني انك جردت الارض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت قدميك، فارفع الي حسابك، واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس « حرصه على اخلاقيات جباية الضرائب وظروفها ومتطلباتها الومانية والمكانية، واخلاقية القائمين على جبايتها وامانتهم ونزاهتهم لانهم الامناء على المصلحة العامة، وفي المقابل نجده (عليه السلام) يؤنب عامله على خيانته الامانة، الذي يعكس الفساد المالي والاداري والمالي ووجوب الرقابة و المحاسبة، ولهذا تحرص الدول على ان تتضمن التشريعات الاقتصادية الكثير من الضمانات و المزايا التي تيسر تحقيق الغايات الاقتصادية وغير الاقتصادية[٦٤].

٧. الحقوق الاجتماعية: للفقراء حق في اموال الاغنياء

تقوم فلسفة الامام علي (عليه السلام) الاجتماعية على الايمان بان الحقوق المفروضة في اموال الاغنياء لصالح الفقراء كافية لرفع الحاجة في المجتمع، اذ يقول (عليه السلام): «ان الله سبحانه وتعالى فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء، فما جاع فقير الا بما منع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»، وبذلك فانه يكفي ان يدفع الاغنياء التزاماتهم الشرعية المفروضة عليهم، حتى يكتفي الفقراء، وقد خص الاسلام فئات من الناس بموارد محددة، كالزكاة التي توزع على الفقراء و المساكين، وفي سبيل عتق الرقاب، وفك دين العاجزين عن الوفاء، وللمسافرين الذين تنقطع بهم السبل، كما ان اخماس الغنائم توزع ايضاً فيمن توزع الزكاة عليهم، وذوي القربى و المساكين وابن السبيل[٦٥].

٨. التوازن بين الريف و الحضر:

كان الامام علي (عليه السلام) اول داعية لايجاد التوازن بين القرى و الارياف والمدن، اذ قال (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر « فان للاقصى منهم مثل للادنى وكل قد استرعيت حقه»، أي ان الحقوق الاقتصادية التي للاقصى، وهم اهل الارياف والبوادي، هي تماماً مماثلة للحقوق التي للادنى، وهم الحضر،»وكل استرعيت حقه» فالحاكم مسؤول عن كلا الحقين، ولا يجوز له ان يفرط باي منهما، كما قال (عليه السلام): «وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم»، فالعناية بالريف هي سبب اساسي في الحفاض على اقتصاد سليم ومتطور[٦٦].

لقد ارتبط الفقر في الوقت الراهن بالريف بشكل كبير نتيجة اهتمام الدولة بالمدينة و الحضر، واهمالها الريف بشكلٍ واضح، مما ادى الى ان تكون نسب الفقر في الريف اكبر بكثير عنها في المدن، وهو ما يستدعي الوقوف عند هذا الخلل ومعالجته، من خلال توفير مستلزمات نهوض الريف كالاهتمام بالصحة والتعليم ودعم القطاع الزراعي لتوفير فرص العمل لابنائه، ليصل الى مصاف الحضر.

٩. بنك الفقراء: تجربة بنك جرامين[٦٧]

يتخذ بنك «جرامين» منهجية معاكسة تماماً للمنهجية البنكية التقليدية، فالبنوك التقليدية مبنية على مبدأ انه كلما زاد ما تملك، ازداد ما يمكن الحصول عليه، فاذا كنت تملك القليل او لا تملك شيئاً فلن تحصل على شيء، ونتيجة لذلك فان نصف سكان المعمورة محرومون من الخدمات المالية للبنوك التقليدية، لان البنوك التقليدية تعتمد على الضمانات الإضافية، ونظام بنك جرامين خال من الضمانات الإضافية، يبدأ بنك جرامين باعتقاد ان الائتمان يجب ان يقبل كحق من

حقوق الانسان، ومن ثم تبني نظاما على اساس ان الشخص الذي لا يملك شيئاً له الاولوية الاولى في الحصول على قرض، فمنهجية بنك جرامين لا تتأسس على تقييم الملكية الفردية للفرد، بل انها تتأسس على الدافعية التي يمتلكها، فهذا البنك يعتقد ان كل البشر بمن فيهم الاكثر فقراً موهوبون بدافعية لا حدود لها، البنوك التقليدية يملكها الاغنياء بأغلبية الرجال، بينما جرامين تمتلكه النساء الفقيرات، ويسعى بنك جرامين الى توفير الخدمات المالية للفقراء، خاصة من النساء(٦٨)، وبالامكان عكس هذه التجربة في العراق من خلال تخصيص مبلغ من ايرادات النفط لتمويل هكذا بنك، وسيسهم ذلك بالتخفيف من الفقر بشكل كبير بسبب توفير فرص عمل للكثير من الفراء الذين سيبدؤون مشاريعهم الصغيرة.

ان استهداف التخفيف من الفقر يجب ان يوضع وفق ستراتيجية قابلة للتطبيق، تأخذ بنظر الاعتبار الظروف التي يمر بها البلد ومنسجمة مع سياسات التنمية الاقتصادية، اذ يجب ان تبنى على وفق معطيات و متغيرات الظروف الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية في الوقت الراهن، مما يتطلب وضع الاهداف والخطط الستراتيجة لمعالجة اسباب الفقر واختيار الادوات الملائمة لكلٍ منها.

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

توصل البحث إلى جملة من الاستنتاجات لعل ابرزها:

١. كشف البحث على إن الاقتصاد الوضعي يعمل في أجواء الحرية غير المقيدة، ويتحرك في ضوء المصلح الفردية، وهدفه الأساس هو الحصول على الأرباح باي شكل من الأشكال، في حين يعمل الاقتصاد الإسلامي في ظل تعاليم القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والتي يكون هدفها آليات بناء الإنسان وتربيته بالشكل المطلوب لكي يمارس دورهُ الاقتصادي بالشكل المطلوب

٢. لم تستطع المدارس الفكرية المتنازعة على اختلاف مشاربها من معالجة أوضاع الفقر، ووضع الحلول الناجعة له، في حين استطاع الإمام علي (عليه السلام) وأثناء مدة خلافته القصيرة جداً أن يبني دولة مترامية الأطراف خالية من الفقر والفقراء.

٣. إن دور الدولة في الاقتصادي الإسلامي هو دوراً إيجابياً من أجل تحقيق المصلحة العامة، وتحقيق الرفاهية والعيش بمستوى لائق، في حين هدف الدولة في الأنظمة الوضعية هو من اجل تحقيق مصالح فئة خاصة من المجتمع دون الأخذ بنظر الاعتبار باقي فئات المجتمع.

٤. رغم التقدم والتطور الفكري الكبير الذي يتسم به الاقتصاد الإسلامي تجاه تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، وتجاه قضايا الفقر، إلا إن الملاحظ إن هذا النظام الإسلامي لم يجري تطبيقه في اغلب دول العالم حتى الإسلامية منها،

وأصبحت الدول تعتمد على الأنظمة الوضعية ونظرياتهُ في مواجهة الفقر

٥. لقد تسببت الحروب المتعاقبة التي خاضها العراق بأثر سلبي على الاقتصاد بشكل عام، وأدت الى تزايد وتعميق الفقر بين فئات المجتمع العراقي، اذ ان زيادة الانفاق على الحرب العراقية- الايرانية ادت الى ارتفاع معدل التضخم الذي ادى الى تاكل الجزء الاعظم من حصة الفرد من الناتج المحلي الاجمالي، وكانت نتيجة حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠ وما تبعها من عقوبات اقتصادية الى تعرض مستويات المعيشة لثلثي العراقيين لانتكاسة خطيرة، اذ انخفض الدخل الاسري الى ثلث ما كان عليه عام ١٩٨٨، وقد القت العقوبات الاقتصادية بثقلها الاكبر على الافراد والاسر من فئات الدخل الضعيف والمتوسط.

٦. هناك تباين كبير في معدل الفقر ما بين الريف و الحضر، اذ تبلغ نسبة الحرمان في الريف ثلاثة امثال النسبة المقابلة في الحضر للاعوام ٢٠٠٤ و٢٠٠٧، وعموما فان تحليل البيانات الخاصة بهذه الفترة يشير الى ان الفقر اكثر انتشاراً واكثر عمقاً في الريف مما هو عليه في الحضر.

٧. شهدت الفترة بين عامي ٢٠٠٧ و ٢٠١٢ تحسناً في مستويات المعيشة، اذ ارتفع الاستهلاك الخاص بنسبة ٤ ,٩٪ سنوياً، و تبعاً لذلك انخفضت معدلات الفقر من ٦ ,٢٣٪ الى ٨ ,١٩٪، لم يكن التخفيف من الفقر متساوياً من حيث المناطق الجغرافية، فقد تباينت معدلات الفقر بين الريف والحضر في العامين ٢٠٠٧ و ٢٠١٢، اذ انخفضت معدلات الفقر في المناطق الريفية من نسبة مقدارها ٣٨،٩٪ عام ٢٠٠٧ الى ٣٠،٦٪ عام ٢٠١٢، أي بمقدار ٨،٣٪ مقارنة بالانخفاض في المناطق الحضرية اذ بلغت نسبة التغير ٢،٥٪.

٨. لقد ادى فقدان الامن والنزاع (الحرب على داعش الارهابي) الذي تزامن

مـع انخفـاض اسـعار النفـط (المـورد الرئيـسي للايـرادات في العـراق) الى عكـس المكاسـب التـي تحققـت في السـنوات السـابقة، إذ يقـدر معـدل الفقـر في عـدد السـكان في عـام ٢٠١٤ (٢٢,٥٪)، وهـو مـا يقـارب المسـتوى المسـجل في العـام ٢٠٠٧، لقـد تبـين الأثـر السـلبي للازمـة المزدوجـة في العـراق عـلى جميـع مناطـق العـراق، إلا إن شـدتها تباينـت بـين منطقـة و أخـرى، فقـد كان التأثـير اشـد حـدة في المناطـق المتضررة مـن إرهـاب داعـش وكردسـتان مـن المناطـق الأخـرى، إذ يقـدر إن مسـتويات الفقـر قـد تضاعفـت اربـع مـرات في تلـك المناطـق عـما كانـت عليـه قبـل الأزمـة، كـما إن فجـوة الفقـر قـد ازدادت بعـد الأزمـة إلى ١٤،٢٪ عـام ٢٠١٤ بعـد إن كانـت ٥،٣٪ عـام ٢٠١٢.

٩. بـدءاً مـن حزيـران ٢٠١٤ وبعـد هجـوم داعـش الإرهـابي عـلى محافظـات العـراق الشـمالية و الغربيـة نتـج عنـه (٣٥٤٠٠٠) أسرة نزحـوا داخليـاً خـلال سـتة اشـهر مـن العـام ٢٠١٤، ويمثـل ذلـك حـوالي ٢،١ مليـون شـخص، وبحلـول نهايـة عـام ٢٠١٥ كان حـوالي ٤،٢ مليـون شـخص في العـراق قـد نزحـو داخليـاً، إن اثـر الأزمـة عـلى «الفقـراء الجـدد» أصبحـت اكثـر عمقـاً بأربعـة أضعـاف مـن بقيـة السـكان قياسـاً بنصيـب الفـرد مـن الاسـتهلاك و الدخـل، ويعـزى الأثـر الكبـير في انخفـاض دخـل الفـرد ومسـتوى نصيبـه مـن الاسـتهلاك إلى انخفـاض دخـل العمالـة فقـد هبـط نصيـب الفـرد مـن الاسـتهلاك للفقـراء الجـدد بنسـبة ٤٤٪ وانخفـض الدخـل الفـردي بنسـبة ٥١٪ وانخفـض دخـل العمالـة بنسـبة ٦٠٪ نتيجـة الأزمـة.

ثانيا: التوصيات

١. ضرورة العمـل عـلى تبنـي سياسـات اقتصاديـة موجهـة نحـو شريحـة الفقـراء، تتماشـى مـع السياسـات الاقتصاديـة التـي تتبناهـا الدولـة في اطـار التنميـة المسـتدامة،

ووضع رؤية شاملة تبدأ بتشخيص اسباب الفقر مروراً بوضع اهداف محددة للتخفيف من الفقر، من خلال اليات قابلة للتطبيق وتمس جميع الفئات المستهدفة.

٢. العمل على بناء مؤسسات مالية تستهدف شريحة الفقراء من خلال إنشاء البنوك ومؤسسات مالية تتبع منهج الاقتصاد الإسلامي ولا تتعامل بالربا، تكون موجهة لشريحة الفقراء والشرائح الأشد فقراً وذوي الدخل المحدود.

٣. ضرورة الاستفادة من منهج وفلسفة الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة الفقر في العراق، ووضع استراتيجية ذات مدد مختلفة تستند إلى فكر ومنهج الأمام (عليه السلام) حتى يتنسى بناء مجتمع خالي من الفقر.

٤. العمل على إنشاء صناديق خاصة للفقراء من موارد وإيرادات النفط. وبالإمكان عكس تجربة بنك جرامين (بنك الفقراء) في العراق.

٥. العمل على بناء منظومة إحصائية متكاملة لمعرفة أعداد الفقراء وتوزيعهم الجغرافي ليتسنى اتخاذ الإجراءات اللازمة، ووضع الخطط المناسبة للتخفيف منه والقضاء عليه.

٦. العمل على محاربة ومواجهة الفساد المالي والإداري، بوصفهما عناصر تزيد من مشاكل الفقراء، وضرورة تكريس وترسيخ مبدأ المساءلة والمحاسبة، ليتنسى بناء مجتمع خالي من الطبقية.

٧. إعادة النظر في النظام الضريبي في العراق وإعادة هيكلتهُ بالشكل الذي يتلاءم مع أوضاع الطبقة الفقيرة في المجتمع، بوصفها من اهم أدوات إعادة توزيع الدخل.

ضرورة العمل على توفير الحماية الاجتماعية والضمان الاجتماعي للفقراء وذوي

الدخول المحدودة، وتوفير المستوى المعاشي اللائق بهم، وذلك من خلال سن القوانين والتشريعات اللازمة.

هوامش البحث:

(١) إبراهيم كبة، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ج١، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥، ص٢١٢.

(٢)حازم الببلاوي، دليل الرجل العادي إلى تاريخ الفكر الاقتصادي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣٥-٣٦.

(٣)جون كينيث جالبريث، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، ترجمة: احمد فؤاد بلبع، سلسلة عالم المعرفة ٢٦١، الكويت، ٢٠٠٠، ص٦٤.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٩٨-٩٩.

(٥) روبرت هيلبرونر، قادة الفكر الاقتصادي، ترجمة: راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص٩٣.

(٦) احمد ابراهيم منصور، عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية: رؤية إسلامية مقارنة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧، ص٢١٣-٢١٤.

(٧) ميلتون فريدمان، الرأسمالية والحرية، ترجمة: مروة عبد الفتاح شحاتة، ط٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٢٣٧.

(٨) **للمزيد يُنظر في ذلك**: المصدر السابق نفسه، ص ٢٤٢-٢٤٧.

(٩) سمير أمين، الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرون، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٩.

(١٠) عبد الرزاق الفارس، الحكومة والفقراء والإنفاق العام: دراسة لظاهرة عجز الموازنة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية، ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١، ص٢١.

(١١) كارل غيورك تسين، الرخاء المفقر: التبذير والبطالة والعوز، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٦، ص١٥١-١٥٢

(١٢) حازم الببلاوي، المصدر السابق، ص٧٧.

(١٣) محمد عمر شبرا، الإسلام والتحدي الاقتصادي، ترجمة: محمد زهير السمهوري، المعهد العالي

للفكـر الإسـلامي والمعهـد العـربي للدراسـات الماليـة والمصرفيـة، عـمان، ١٩٩٦، ص١٤٥.

(١٤) حسن لطيف الزبيدي، النظم الاقتصادية المقارنة، النجف الأشرف، ٢٠١٣، ص١٦٨.

(١٥) محمد عمر شبرا، المصدر السابق، ص١٣٩-١٤٠.

(١٦) حازم الببلاوي، المصدر السابق، ص١٠١.

(١٧) محمـد باقـر الصـدر، اقتصادنـا: دراسـة موضوعيـة تتنـاول بالنقـد والبحـث المذاهـب الاقتصاديـة للماركسـية والرأسـمالية والإسـلام في أسسـها الفكريـة وتفاصيلهـا، ط٢، دار التعـارف للمطبوعـات، بـيروت، بـدون تاريـخ، ص٤٧-٤٨.

(١٨) المصدر السابق نفسه، ص٣٠٦- ٣٠١٤.

(١٩) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢٠) سورة إبراهيم، الآية ٢٣-٣٤.

(٢١) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ط٢، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ص٥١-٥٢.

(٢٢) عبـد الهـادي عبـد النجـار، الإسـلام والاقتصـاد: دراسـة مـن المنظـور الإسـلامي لأبـرز القضايـا الاقتصاديـة والاجتماعيـة المعـاصرة، سلسـلة عـالم المعرفـة (٦٣)، الكويـت، ١٩٨٣، ص٢٥-٢٦

(٢٣) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، المصدر السابق، ص٥٢-٥٣.

(٢٤) سورة الحشر، الآية ٧.

(٢٥) سورة البقرة، الآية ١٧٧

(٢٦) محمد عمر شبرا، المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٢٧) حسـن لطيـف الزبيـدي، الفقـر في العـراق مقاربـة مـن منظـور التنميـة البشرية،مجلـة بحـوث اقتصاديـة، العـدد (٣٨) العـراق،٢٠٠٧،ص١٠١.

(٢٨) عبـاس النصراوي، الاقتصـاد العراقـي بـين دمـار التنميـة و توقعـات المسـتقبل ١٩٥٠-٢٠١٠، ترجمـة: محمـد سـعيد عبـد العزيـز، دار الكنـوز الادبيـة،ط١، ١٩٩٥،ص ١٢٦-١٢٧.

(٢٩) سـالم توفيـق النجفي،التنميـة الاقتصاديـة في العراق:الحـاضر و المسـتقبل، في نـدوة احتـلال العـراق وتداعياتهـا عربيـا و اقليميـا ودوليـا، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة،٢٠٠٤، بـيروت، ص٨٦٤.

(٣٠) التقريـر الوطنـي لحـال التنميـة البشريـة ٢٠٠٨، وزارة التخطيـط و التعـاون الانمائـي وبيـت الحكمـة، العـراق، ٢٠٠٩، ص٤١-٤٢.

(٣١) حسن لطيف الزبيدي، مصدر سابق، ص ١٠٣.

(٣٢) الاسـتراتيجية الوطنيـة للتخفيـف مـن الفقـر ٢٠٠٩، جمهوريـة العـراق، وزارة التخطيـط والتعـاون

الانمائي،وزارة التخطيط / اقليم كردستان، العراق، ص٧.

(٣٣) خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق٢٠١١،وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، الجهاز المركزي للاحصاء وتكنلوجيا المعلومات،برنامج الامم المتحدة الانمائي، ٢٠١١،ص٦.

(٣٤) Iraq the Unfulfilled Promise of Oil and Growth Poverty Inclusion and Welfare in Iraq ٢٠١٢-٢٠٠٧،World Bank Group،November ٢٠١٤ ،٧،p١٩

(٣٥)خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق ٢٠١١،جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، برنامج الامم المتحدة الانمائي، العراق،ص٧٤.

(٣٦) انظر في: - خارطة الحرمان و مستويات المعيشة في العراق ٢٠٠٦،جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء،برنامج الامم المتحدة، العراق، ص٢٢.

خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق ٢٠١١،جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، برنامج الامم المتحدة الانمائي، العراق،ص٧٤.

(٣٧) Child Poverty in Iraq An Analysis of the Child Poverty Trends and Policy Recommendations for the National Poverty Reduction Strategy -٢٠١٧ ٢٠٢١، United Nations Children's Fund (UNICEF)، Ministry of Planning (MoP) Baghdad، Iraq، ٢٠١٧،p١٦.

(٣٨)Iraq the Unfulfilled Promise of Oil and Growth Poverty Inclusion and Welfare in Iraq ٢٠١٢-٢٠٠٧،World Bank Group،November ٢٠١٤ ،٧،p.١٩

(٣٩)Iraq Systematic Country Diagnostic February ٣، Report No. -١١٢٣٣٣Iq،World Bank Group، ٢٠١٧، p.٣٦

(٤٠) حدث الجزء الاكبر من النزوح القسري للاشخاص في المحافظات الخمس المتضررة من داعش (الانبار،صلاح الدين، نينوى، كركوك، ديالى) وهو ما يمثل وحده ٩٠٪ من الاسر النازحة.

(٤١) IRAQ SYSTEMATIC COUNTRY DIAGNOSTIC February ٣، Report No. -١١٢٣٣٣IQ،World Bank Group، ٢٠١٧، p٣٩

(٤٢) تعود قصة اتفاق واشنطن إلى اتخاذ معهد الاقتصاد الدولي في واشنطن في عام ١٩٨٩ قراراً بعقد ندوة يقدم فيها مؤلفون من عشر دول من أمريكا اللاتينية بحوثاً تشرح بالتفصيل التطورات الاقتصادية التي قادت إلى أزمة الديون في دول أمريكا اللاتينية، وكان جون ويليامسون الزميل الرئيس في معهد الاقتصاد قد شارك في بحث أورد فيه عشرة نقاط تتمثل في (الانضباط المالي، إعادة

توجيه الأنفاق العام، الإصلاح الضريبي، حرية الأسواق، وتحرير قطاع التجارة مع التركيز على مبدأ القضاء على القيود الكمية كمنح التراخيص والامتيازات، تحرير تدفق الاستثمارات الأجنبية، خصخصة مؤسسات الدولة، تحرير وإلغاء اللوائح والقوانين التي تعوق دخول الأسواق أو تقيد المنافسة، سعر صرف العملة يكون مناسباً ويعكس القوة الاقتصادية)، اطلقت عليها فيما بعد « اتفاق واشنطن»، ولم يعتقد ويليامسون في يوم من الأيام إن هذه النقاط العشرة ستكون مثار نقاش بين مؤيد ومعارض لها، يُنظر في ذلك:

- أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ترجمة: عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة (٤٣٥)، ٢٠١٦، ص٦٤

(٤٣) ميشيل تشوسودوفيسكي، عولمة الفقر، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص١٨.

(٤٤) سورة المدثر، الآية ٣٨.

(٤٥)سورة الحجر، الاية ٩١- ٩٢

(٤٦) عهد الخليفة الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة- قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ٢٠١٠،

(٤٧) سورة البقرة الآية ٣٠

(٤٨) عهد الخليفة الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رضوان الله عليه)، المصدر السابق.

(٤٩) المصدر السابق نفسه.

(٥٠) عهد الخليفة الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رضوان الله عليه)، المصدر السابق.

(٥١) المصدر السابق نفسه.

(٥٢) المصدر السابق نفسه.

(٥٣) سورة البقرة، الآية ٢٢٠

(٥٤) محسن باقر الموسوي، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت لبنان، ٢٠٠٢،ص١٤٨-١٤٩.

(٥٥) محسن باقر الموسوي، المصدر نفسه،ص١٧١.

(٥٦) احمد فتحي عبد المجيد،اثر سياسات الاقتصاد الكلي على الفقر في دول نامية مختارة،اطروحة

دكتوراه، كلية الادارة و الاقتصاد، جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص٣٨

(٥٧) حسن لطيف كاظم الزبيدي، نظام الحماية الاجتماعية في العراق: تحليل اصحاب المصلحة، مؤسسة فريدريش ايبرت مكتب الاردن و العراق،٢٠١٧،ص٢٨

(٥٨) شاكر مجيد كاظم، الرؤية السياسية عند الامام علي (عليه السلام) قرأءة في عهده الى مالك الاشتر،العتبة الحسينية المقدسة-مؤسسة علوم نهج البلاغة،ط١، ٢٠١٧، ص٩٨-٩٩

(٥٩) المصدر نفسه، ص٩٥

(٦٠) محسن باقر الموسوي، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة،دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت لبنان، ٢٠٠٢،ص١٧٣-١٧٤.

(٦١) محسن باقر الموسوي، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة،دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت لبنان، ٢٠٠٢،ص١٦٢.

(٦٢) اية الله نوري همداني، في المؤتمر الدولي للامام علي(عليه السلام) و العدالة و الوحدة والامن «مجموعة مقالات» المجلد الاول، معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية،٢٠٠١، ص١٥

(٦٣) علي مهدي زيتون، في المؤتمر الدولي للامام علي(عليه السلام) و العدالة و الوحدة والامن «مجموعة مقالات» المجلد الاول، معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية،٢٠٠١،ص٤٨.

(٦٤) حيدر عبد المطلب البكاء، المنهج الاقتصادي في نهج البلاغة ((قراءة معاصرة))، مجلة اداب الكوفة، العدد١٧، المجلد ١، ٢٠١٣، ص٢١٤

(٦٥) ضرغام خالد عبد الوهاب، العدالة الاجتماعية و السياسية في عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشتر، ص٢١-٢٣ على الموقع الالكتروني Arabic.balaghah.net

(٦٦)مرتضى الحسيني الشيرازي، استراتيجيات مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)،هيئة محمد الامين (صلى الله عليه وآله)، العراق،٢٠١٢، ص٥٠

(٦٧) ولد بنك جرامين في قرية جوبرا عام ١٩٧٦ في بنغلادش، وتحول الى بنك رسمي عام ١٩٨٣ في ظل قانون خاص، هذا البنك يمتلكه الفقراء المقترضون، ويعمل حصرياً من اجلهم، هذا البنك يمتلك المقترضون ٩٤٪ من اسهمه، وتمتلك الحكومة الـ ٦٪ الباقية، يبلغ مجموع المقترضين من البنك ٦,٦١ مليون مقترض، ٩٧٪ منهم من النساء.

(٦٨) مجدي سعيد، تجربة بنك الفقراء، الدار العربية للعلوم-ناشرون،مركز يافا للدراسات و الابحاث،ط٢،بيروت، لبنان، ٢٠٠٧، ص٢٧-٢٨.

الإمام علي (عليه السلام)
بيان لدولة الإنسان
وإنسانية الدولة

الباحث محسن وهيب عبد

مقدمة:

بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على خير خلق الله محمد واله ومن ولاه لاسيما بقية الله واللعن الدائم على الظالمين اعداء الله.

السياسة كما ألفها البشر هي ممارسة سلطة الدولة على الناس بزعم تحقيق العدل والامن والمساواة كغايات سامية للحاكم، ولكنها تخفي وراءها كل الشر الذي عانت منه البشرية في تاريخها الطويل، ولا زالت تعاني منه، وذلك لان البشرية خالفت الله تعالى في اختياره لها اشخاصا معصومين لامامتها وسياستها لكن البشرية رفضت ذلك الاختيار الى ارذل البشر ليحكموها فحق قول الله تعالى على الناس: **قَالَ ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾**[١].

فبعد فشل خيار الله لآدم في الجنة، جاء خيار النبوة(الهدى) فمن يتبعه فلا يضل ولا يشقى، وحتى هذا الخيار فشل ايضا، فبعد الهدى اتبع الناس اخس وارذل الناس ليسوسوهم، فما كانت الا معيشة الضنك والوبال والحروب وفقدان الامان.

وهذا تاريخ البشرية كله عبارة عن حكاية لمآسي السياسة والسياسيين، وان رأى بعض المصابين بالدونية لاوربا والغرب بعض البحبوحة في العيش هناك؛ فانها بحبوحة مبنية على الجماجم والدماء البشرية بما يقرف ويؤسف، وحتى الان وان الحرية بكل اشكالها في الغرب لها اتجاه واحد لاغير هو خدمة الظلم والظالمين.، فالمراة لها حرية ان تمشي عارية وتمارس الرذيلة حيث تشاء ولكنها تمنع من الدخول الى الجامعة اذا اختارت العفاف او ان تتحجب، والكاتب يستطيع ان يكتب بما يرغب ويسب الرسول صلى الله عليه واله ويتعدى على المقدسات

لكنه عندما كتب روجيه غارودي عن الاساطير الصهيونية صودر الكتاب وغرم الناشر وتعرض غارودي للمحاكمة، في حين نشر كتاب سليمان رشدي بثلاثمائة لغة وقلد ارفع وسام في بريطانيا من قبل الملكة اليزابث لانه كتاب ينال من قدسية الرسول الاعظم، وعندما تصدر منظمة الامم المتحدة قرارا ضد بلد يطبق راسا ولكن عشرات القرارات الدولة لا قيمة لها عندما تصدر ضد اسرائيل!!!!

ولازال الارهاب الذي يضرب العالم ليس له تعريف بسبب الولايات المتجدة ليبقى عائما ولتوجهه حيث تشاء فتوصم خصومها بالارهاب ولازال العالم يحكم يمعايير مزدوجة!...الخ

واذن ؛ ففي العالم لا وجود لدولة العدل ولا وجود لدولة الانسان ولامعنى لانسانية الدولة الا مع المعصوم وبالمعصوم ذلك ما نكتب عنه وكتبنا عنه الان في هذا البحث ومن الله التوفيق فهو ولي السداد وهو الغاية.

محسن وهيب عبد

كربلاء المقدسة

الفصل الاول

تمهيد

هناك حقائق عن معاني السياسة وادرات الدول في تاريخ البشر لابد من الاحاطة بها قبل البدء بالبحث في معاني دولة الانسان عند الامام عليه السلام باعتباره القران الناطق وتاسيسه للدولة انما هو تاسيس القران(٢) لتلك الدولة كما سنرى.

اذن فدولة المعصوم هي دولة القران ولذا فان كل السياسات في التاريخ البشري وعلى الاطلاق انما تحكي سيرة الحكام والملوك والامراء وحسب نزواتهم وعقدهم واخلاقهم ولاشيء من هموم الشعوب بل ربما تحكي القسوة في قتل شعوب بكاملها كما ابيد الهنود الحمر السكان الاصليين والآزوتيك، وكما يباد كثير من الشعوب من قبل الحكام المستبدون والعملاء وكما تباد الناس بالحروب لمجرد قرارات سياسية بشن الحرب. ولنرى:

١. طبيعة السياسة في التاريخ البشري كـ(شر لابد منه):

منذ ان عرف الانسان المجتمعات لم تكن السياسة يوما إلا الشر الذي لابد منه، فقد قال الامام علي عليه السلام في معاني ذلك الشر الذي لابد منه:

(أمير عادل خير من مطر وابل، و أسد حطوم خير من سلطان ظلوم و سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم)(٣).

بمعنى ان لابد من حاكم على اي حال لدرء الفتن فمجتمع بلا حاكم يغدو فريسة لمحن الفتن ؛ فيغدو البلد لا امن ولا امان فيه ولا كرامة و لا طعم لحياة ولا امل بالخلاص.

والدليل على شر الساسة هو اشعار الناس بأنهم متفضلون، وان راى الناس ان احدهم في حال من التواضع كما يفترض كما باقي الناس المخلوقين يكون موضع عجب وترحاب والناس على كل حال في حال قبول شاءوا ام ابوا.

والواقع هو ان المندوب لسياسة المجتمع بما يسمونه ؛ (إدارة الدول)؛ انما هو مكلف لا شرف له من خلال ذلك المنصب الا ليقيم حقا او يدحض باطلا[٤] - كما يقول الامام علي عليه السلام - فالمناصب الحكومية كلها تكليف وليس تشريف والذي يشرفه المنصب وحسب هو مما لا شرف له، فيجد في المنصب شرفا وعزة.

وقد اثبت التاريخ بطوله وعرضه انه عبارة عن حكاية تتكرر لمعنى؛ ان السياسة شر لابد منه، وقد عانت البشرية من الحكام والسياسيين ما عانت من ويلات وحروب واستغلال واستعمار، بل التاريخ كله يحكي معاناة البشرية من الساسة والحاكمين، وقيل ان التاريخ هو حكاية لسيرة الملوك والحكام.

فعن ابى عبد الله عليه السلام يقول: (شرار الخلق الملوك)[٥].

وعن جعفر الصادق، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السّلام)، عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: (ألا إن شرار أُمَّتي الذين يُكرمون مخافة شرهم، ألا ومن أكرمه الناس اتقاء شره فليس مني)[٦].

وعن الامام علي عليه السلام: (ولاة الجور شرار الأمة و أضداد الأئمة)[٧].

وللذين يشعرون بالدونية ازاء الغرب ويرون في سياستهم افضلية؛ افردنا بحثا خاصا بالوقائع لرفع الغشاوة التي تسسببا بها دونيتهم.

٢. اطروحة تطابق العدل مع السياسة:

على طول تاريخ العالم، وعلى امتداد المعارف الاكاديمية وفي مساحة كل جامعات العالم، ومع وجود المفكرين المبدعين والعباقرة، لم يطرح موضوع للبحث عن الحال يصير فيه العدل ملاكا للسياسة: متى؟ وكيف؟ واين؟ وانى يمكن ان نجد تطابقا للسياسة مع العدل ؟

هذه الاطروحة المهملة في التاريخ البشري، هي التي يجب ان تنال اهتمام كل الاكاديميات في العالم، لاندري لماذا اهملت بالرغم من هذا العنت الذي تعانيه البشرية من السياسة والسياسيين في كل التاريخ؟

فالدين الذي - كما هو مفترض - اصل العدل والاخلاق تم عزله مبكرا من ان يكون ساحة لأطروحة البحث عن العدل في السياسة.. لماذ؟

لان الاسلام انحرف وأُطر في اول يوم لوفاة النبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم، لما جرى في السقيفة وتحول فيه السياسي من اصطفاء واختيار رباني الى فلتة عبثية[٨]، بعدها صار يستطيع اي احد ان يكون الحاكم والامام بدل المصطفى المختار من قبل الله تعالى. فالاصطفاء والاهتيار الذي ابتني به الدين انتهى في السقيفة، ولينتهي دور الدين السياسي العادل ليؤطر في مجموعة احاديث موضوعة تتعارض بشكل صارخ مع كتاب الله منه على سبيل المثال: الحديث الموضوع: (تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)[٩]. والله تعالى يقول: (﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[١٠]

واما المسيحية فقبل عزلها؛ صارت العوبة بيد الكنيسة لتبيع صكوك الغفران

ولينتهي دورها بالضربة القاضية.

اما اليهودية فقد كان ينظر اليها بريبة بسبب عنصرية نظرة اليهود للناس وتعاليهم.

وبقي في الميدان المعرفي لبلوغ العدل في السياسة فقط النظريات العلمانية الوضعية التي لا تغني ولا تسمن من جوع في ردع الحاكم او السياسي من حيازة موفورات الترف او في منع الاستلاب الذي تعاني منه الناس.

لذا برزت وبدون منازع الميكافيللية ملكة على كل السياسات الوضعية بدون منازع، لانها ذرائعية نهلت من الليبرالية والنظريات الغربية منذ ابيقور الى نيتشة الى هيجل في تفوق الرس الابيض ودهمتها اليوم نظريات فرنسيس فوكوياما في نهاية التريخ والانسان الاخير، ونظريات صوئيل هنتنغتون في صدام الحصارات.

٣. متى يتطابق العدل مع السياسة ؟

ان الحال الوحيدة التي يتم بها تطابق العدل مع السياسة، بل ويكون ملاك السياسة العدل فيها ؛ هي حال تولي المعصوم امور ادارة الدولة، او يكون المتولي لنظام الملة في حال غياب المعصوم بشرط ضمان طاعة المعصوم.

تلك هي الحال الوحيد التي تتطابق فيها السياسة مع العدل وتكون فيها الدولة هي دولة الانسان وتتحقق فيها انسانية الدولة.

فان لم يكن هناك معصوما او لمن لا يؤمن بالعصمة كنمط كوني حتمي، فليس عليه ان يجد حلا على الاطلاق لتطابق العدل مع السياسة، وعليه ان يفكر بضرورة المعصوم على راس الدول لضمان العدل في السياسة.

فالعصمة ليست ترفا عقائديا او مسلمة اعتقادية طرحها الامامية مغالين

بائمتهـم، بالعصمـة حقيقـة كونيـة وحتـم لبلـوغ الخلـق مرحلـة الكـمال. فـاذا كان الانسـان مرحلـة كـمال واضحـة يتميـز بـه الكائـن العاقـل عـن الحيوانـت بارتفـاع القصـور الـذاتي والحيـوي، فـان في النبـوة ارتفـاع كل القصـورات الذاتيـة والحيويـة والعقليـة، فالواقـع ان كل ماعتـد الانسـانية مـن مضامـين للكـمال والجـمال اصلهـا مـن الانبيـاء ولا احـد يسـتطيع ان ينكـر هـذا، فقـد كان الانبيـاء يسـتطيعن ان يصيبـوا الحسـن والكـمال والحـق دون محاولـة او تجريـب كـما عنـد البـشر.

ومـن هـذا المنطلـق ولمـن يريـد ان يتأكـد مـن هـذا الطـرح جـاء بحثنـا هـذا لنعـرض انموذجـا تاريخيـا لسياسـة رجـل معصـوم مطهـر مـن الرجـس بـارادة الله تعـالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١١)، هـو الامـام عـلي عليـه السـلام، فقـد ارتضـاه الله وصيـا لخاتـم رسـله معصومـا يمنـح ثقافـة انسـانية للدولـة التـي يقودهـا، فهـو مصـداق دولـة الانسـان وهـو يواجـه الفتـن والبـلاء في ممارسـته لبنـاء تلـك الدولـة.

٤ . خصائص دولة الانسان وميزات انسانية الدولة:

دولـة الانسـان ؛ هـي التـي توفـر العـدل لـكل البـشر بـلا اسـتثناء عـلى اختلافهـم، وتعتـبر الدولـة بميـزات انسـانية اذا وفـرت للراعـي والرعيـة المنهـج والوسـائل لمحاربـة الظلـم مـن كل مصـادره ومنـع اسـتغلال الانسـان لاخيـه الانسـان. بمعنـى ان دولـة الانسـان والانسـانية هـي دولـة تحـارب الظلـم والاسـتلاب ببغـض الـترف والمترفـين مـن خـلال طاعـة المعصـوم المختـار مـن قبـل الله تعـالى لاقامـة العـدل والتمسـك بمنهجـه طبقـا لقولـه تعـالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾**(١٢).

٥. ماهية العدل وكيفية قيام الناس به:

العدل؛ هو بديهة قيمومة وقيام الكون والتكوين للكائنات، فنحن وكل الكائنات انما قائمون بالعدل، فالعدل؛ النظام الفاعل في كوننا وكينونتنا ؛ نعيشه ونتنفسه فلا نستشعره لبداهته، مثلما لا نستشعر وجود الضغط الجوي على اجسامنا بالأطنان، وكما لا نستشعر وجود الجاذبية الكونية على اجسامنا وتكلفنا مئات النيوتنات في كل لحظة، وما دام لا يخترق نظام الكون البديهي هذا فان العدل سار، فإذا اخترق وحيثما يتم الاختراق يحصل الظلم ويجأر المظلوم، وهكذا يجأر حتى الظالم اذا اخترق امانه البديهي بالعدل.

ويأت التعريف العلمي المعجز للعدل من القران الكريم من لدن العليم الخبير الحكيم الصانع ؛ فان تعريف العدل في القران اعتمد الضد البديهي للتعريف به ؛ وهكذا يعرف القران بالضد جميع البديهيات الكونية (أي السنن الكونية التي تحكم الوجود وتنفذ فيه وتهيمن عليه)، فالسنن الكونية لا تعرّف الا بضدها حيث يتم الاختراق.

فالعدل هو عدم الظلم(أي عدم اختراق بدهية الكون القائم بها والساري بموجبها. وقد عرف العدل بقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[١٣].

وعليه فان الظلم ؛ معنى جامع لكل القبائح ولكل الخروقات للبديهيات الكونية، لان تلك الخروقات تتجسد في الفعاليات المعاكسة للنسق الكوني القائم بالحق والساري بالعدل.

وقد بيّن الله تعالى في محكم التنزيل؛ ان الحق ؛ علم ومعرفة لثوابت الصدق في

واقع الكون والتكوين، وان العدل هو الفعل القائم وفقا لمعرفة الحق، او اعادة الحق الى نصابه اذا زل عنه.

فقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[١٥]

فالحق - كما يقرر القران – معرفة وعلم لثوابت الصدق في واقع الكائنات، واما العدل فهو العمل بتلك المعرفة أي اعادة الحق الى نصابه في الوجود،، عليه يتحقق: ان من لا يعرف الحق لا يمكن ان يكون عادلا. وقد اشار الى ذلك الامام علي عليه السلام فقال: (اعرف الحق تعرف اهله)[١٦].

وهنا ومرة اخرى يتقرر ايضا ؛ ان دولة العدل هي الدولة التي يقوم على راسها المعصوم العارف بالحق العامل به، وهذا ما قرره القران من قبل ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[١٧].

ان قراءة فسزيائية لكتاب الكون المفتوح مترافقة مع فهم لآيات القران الكريم يتقرر ايضا: ان الكون كله قائم بالحق ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾[١٨].

وقال تعالى ايضا: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٩].

وبسبب عدم توفر تفاصيل معرفة نواميس الكون وعدم استشعار سننه لبداهتها للجميع لانها معرفة ضرورية ليقيموا العدل على اساسها، لذا يكون الانسان كامل الخلق (المعصومون) هم من اختارهم الله تعالى لمهة العدل، فالمعصوم ضرورة كونية لبناء دولة العدل الذي تحفظ للإنسان كرامته.

وهـذه الحقيقـة الكونيـة والتاريخيـة المتمثلـة في (١٢٤٠٠٠) نبـي ورسـول ارسـلوا تـترا لبنـي البـشر، كانـت ترفـض مـن قبـل المترفـين عـلى مـر التاريـخ، لان وجودهـم مبنـي عـلى دولـة الظلـم واستغلال الانسـان لانسـياب مصالـح المسـتغلين المسـتكبرين المترفـين،. فمـن هـم المترفـون؟

٦. المترفون في تاريخ السياسة البشرية رأس حربة ضد العدل ودولة الانسان:

كـما في القصـص القـراني الحـق؛ نجـد النبـوة بمهامهـا الرئيسـية تجابـه بالـترف والمترفـين. فقـد كان الـترف والاسـتكبار سـبب لغضـب الله ولنـزول عذابـه عـلى المجتمعـات البشريـة التـي تجابـه الرسـل عليهـم السـلام قـال الله تعـالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[٢٠].

واذا كان هنـاك سـبب لنجـاة القليـل فلانهـم نابـذوا الظالمـين، والا فـان تبعيـة المترفـين كان اجرامـا لايغتفـر.

﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[٢١].

وهكـذا يتكـرر قـول الله تعـالى في المترفـين الظلمـة لوقوفهـم ضـد دعـوة الانبيـاء: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ**﴾[٢٢]

فالمترفـون راس الحربـة في صـد النـاس عـن الهـدى والافـتراء عـلى الانبيـاء، والاعجـب ان النـاس يتبعونهـم عـلى اسـتلاب وجهـل واسـتغلال:

﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢٣].

وهكذ يتكرر قول الله تعالى في تصدي المترفين للرسل عليهم السلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٢٤].

٧. السياسة هي جدل الظواهر الثلاث في التاريخ البشري:

فمقابل ظاهرة رسل الله تعالى تترى الى الناس هدى ورحمة، هناك ظاهرة الترف، واذا كان المترفون تسوغ لهم موفرات الترف من انفسهم التصدي للهدى مدفوعين بالمنفعة، فما الذي يسوغ لسائر الناس ان يسيروا ضد مصالحهم ويصطفوا مع المترفين المستكبرين المستغلين الظالمين؟

الجواب: هو لتفشي ظاهرة الاستلاب في المجتمعات، بسبب الشعور بالفوقية او الشعور بالدونية او للالتصاق النفعية من ظواهر معقولات الباطن او كما يسمونه اللاوعي، وهناك نوع رابع للاستلاب هو لاستلاب بالنفاق لابقاء المصالح الشخصية والانانية.

٨. المستلبون مساعدو المترفين على انفسهم في التصدي للمعصوم:

ماهو الاستلاب؟

الاستلاب شعور مرضي نفسي سائد في المجتمعات البشرية عموما يساعد

بمنع قيام دولة العدل دولة الانسان التي تكرمه وتحترمه.

فالاستلاب هو التأثير النفسي من جانب اللاوعي الماحي او المعطل لعقيدة الانسان الفرد المعلنة والمفترض انها المؤثرة في خيارات فعله، فيكون بذلك المستلب، ينتمي الى عقيدة ويختار افعاله بموجب تأثيرات نفسية داخلية. فان الاستلاب هو شعور باطن في اللاوعي.

ان الاستلاب امر ممكن جدا مع وجود العقيدة عند البشر، بل وموجود وشائع جدا بيننا وفي كل المجتمعات الانسانية. اما في حال غياب العقيدة فهو امر واقع فعلا وهو النافذ في خيارات فعل الانسان. ولظاهرة لاستلاب اهمية كبرى في الصراعات السياسية التاريخية الكبرى لبني البشر، اشار الله تعالى لها في قصص الانبياء:

الاستلاب بالفوقية في قصص الانبياء:

الفوقية شعور يظن صاحبه انه افضل من الاخرين، ولا يرى حقا لغيره في المواقع القيادية. وقد تصدى الفوقيون لولاية الامر في الامة بعد وفاة الرسول دون اهلية خلافا لوصايا الرسول (ص) فكانت الفتن. والان وفي كل العالم يريد الجميع يكون الرجل المناسب في المكان المناسب دون جدوى فقد تقدم الفوقيون للمناصب دون اهلية ليزيجوا الاكفاء لتصبح السياسة وبالا على الناس.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[٢٥]. فالفوقيون يترفعون حتى على انبيائهم لانهم مجرد بشر وان اتباعهم من الفقراء. ويقولون ان النبي بشر مثلهم يريد ان يتفضل عليهم:

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[٢٦].

وهناك نوع اخر من الفوقية يستشعرها الفوقيون، ويدعون انهم حصلوا على التفوق بما يمتلكون من مهارات وعلم ومال، وان العلم هو ذاتهم وليس فضلا من الله تعالى.. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[٢٧].

وكل مصائب الاسلام والبشرية جاءت من الفوقيين الذي تصدوا لمناصب ليسوا اهلا لها حتى وصل الامر ان تكون خلافة رسول الله ملك وراثي وان يصبح الفاسق والمجرم واللوطي في مقام خلافة الرسول الاعظم صلى الله عليه واله، كما هوالوليد بن يزيد بن عبد الملك[٢٨].

وللشعور بالدونية ايضا اشكال: ابسطها ؛ ان ترى عقيدتك دون عقيدة غيرك، او ان عقيدة غيرك هي افضل من عقيدتك فالدوني يضن على سبيل المثال ان قوما يعبدون الاصنام افضل منهم:

﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[٢٩]

و يرى الدوني ان الغلبة دوما سمة علوية يجب ان تتبع:

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[٣٠].

وان الابهة والزينة الدنيوية من مسوغات الدونية ومنهج للدونيين:

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣١]

النفعية:

النفعي ؛ يظن ان كل نعمة يحوزها انما حازها لعظم خطره عند الله، ويظن انه

في حبوة، ولذا فاذا تغيرت الامور انقلب على عقبيه قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٣٢]

وقال تعالى ايضا: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾[٣٣].

واشار القران الكرين بصور كثيرة الى ظاهرة الاستلاب بالنفاق:

فقال تعالى: ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾[٣٤].

ويتجنى المنافقون على اصحاب الدين:

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾[٣٥].

ومع الاسف فان المنافقين يصطفون على باطلهم علنا ضد الرساليون: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣٦]

النتيجة: ان السياسة في الناريخ البشري هي حكاية الجدل بين الظواهر الثلاث (الرسل والترف والاستلاب). وفي الغالب ينتهي الجدل الى تعطيل دولة الانسان الخليفة المجعول من قبلاالله في الارض، كما ان قيام الدول بلا ايديولوجية سياسية مضمونة بالعصمة والمعصوم او حتى معها لا ينفع مع الاستنلاب الذي تعاني منه الشعوب. ولذا فالسياسي مهما كان الذي لامشروع سياسي له والذي يحاول ادارة الحكم يجد نفسه مباشرة ازاء المترف بجميع ما اوتي من مال وقوة ووقت في حلبة الصراع فلابد ان يخضع لمنظومة الجدل وقواعد اللعبة فيه والتي يسيطر عليها ويديرها العدو العتيد ابليس! عندها لاخيار له من اصل عقيدته، بل كل

شيء ياتي وكانه مفروض عليه، واذا به مجرد جندي في تنظيم دنيوي والسياسي الداخل فيه مستلب يتحرك وفق قواعد تلك اللعبة شاء ام ابى، وهذا هو واقع حال سياسيينا ومرار سياستنا!!

على هذا الاساس فان غياب ايدولوجية سياسية اسلامية معصومة للحكم (أي وفق نظام الملة)، وهذا في الغالب يحصل في غياب المعصوم، يجعل كل التنظيمات السياسية الموجودة و مهما ادعت الاسلام والتبعية لاهل البيت عليهم السلام انما هي عبئا على الاسلام ومسربا للطعن فيه، واذا دخلت حلبة السياسة كانت اداو بيد ابليس وحزبه.

تستلب العقيدة من صاحبها بثلاث علل هي من اللاشعور في العقل الباطن ورابعة هي من اختيار الإنسان لها، فيصبح حجمها زائغا معوجا مقرفا، وهذه العلل هي؛ الدونية، والفوقية، والنفعية، والنفاق.

الاستلاب ابقى معنى واحدا للسياسة لا علاقة لها بملاكها العدل:

بعد ان تعرفنا على معاني الاستلاب، وانه ظاهرة مستشرية ومتاصلة في المجتمعات اصلها من اللاوعي تعتري الشخص فيتصرف بمقتضى دوافعه الخفية ؛ فهو لايدرك ما يجري والاخرون يدركون دوافعه، فصار علينا من اجل ان نفهم دولة الانسان وانسانية الدولة ومتى وتقوم وعلى يد من؟ ان نراقب مايجري في السياسة، وان تكون لنا معايير ضابطة في السلوك السياسي العدل للتصحيح والتقويم والمراقبة لمنهاجنا السياسي وخياراتنا السياسية.

من اصل الدين وحتميات الكون كان(نظام الملة) الذي يعتمد على طاعة المعصوم في قيام النظم الاجتماعية في الإسلام هو نظام علمي عملي؟ ذلك لانه يحتاج لعقول راجحة تستوعبه.. عقول تصدر أحكامها معيرة بالأنماط والسنن

الكونيـة فقـط لتحـرز مـن الظلـم للنفـس والغـير والتعامـل مـع الواقـع دون زيـغ بموفـورات الـترف (المـال والقـوة والوقـت)او هـوى بالاسـتلاب، مميـزة فيـما ان كانـت عـلى النسـق الكـوني وفيـه او خارجـه بسـبب مـن اللاوعـي الـذي يكـون دافعـا في الكثـير منـا بـل وكلنـا وخصوصـا لكثـير مـن الخيـارت السياسـية مقحمـة عـلى الاسـلام فهـي عبـيء عليـه، او مخترقـة لـه بقصـد الطعـن فيـه فهـي نفـاق.

ان دراسـة سريعـة للتاريـخ السـياسي الاسـلامي منـذ وفـاة بـاني الاسـلام وواضـع اصولـه الاولى وفـق خيـارات الله تعـالى الرسـول المصطفـى محمـد صـلى الله عليـه وآلـه، والى الان تفصـح بـكل وضـوح ان الاسـلام السـياسي اسـلام مسـتلب بسـبب اسـتلاب قادتـه في الصـدر الاول بالفوقيـة حيـث يـأم الامـة ويقودهـا؛ عبيـد الصنـم او الوائديـن او الاغبيـاء اوالطلقـاء والفاسـقين اعـداء ديـن الله واعـداء رسـوله ليكونـوا خلفـاء الرسـول صـلى الله عليـه والـه وسـلم، او يكـون الماجـن الآثـم السـكير أمـيرا للمؤمنـين ازاء تعطيـل دور المعصـوم المطهـر بـارادة الله تعـالى مـن الرجـس، ونتيجـة لذلـك ليعتـبر المعصـوم المطهـر خارجـا عـلى الاسـلام وفـق هـذا النهـج الفوقـي المنحـرف!!!!

الفصل الثاني

النموذج الكوني لدولة الانسان والانسانية

تحت هذا العنوان ومن اجل فهم اقرب لابد من بحث المواضيع التالية:

١. هل هناك اطروحة سياسية اسلامية لدولة العدل والانسانية؟

على عمى وبدون معرفة، يدعي الكثير من المدعين للعلم بل والمتخصصين؛ ان لا يوجد اسلام سياسي، لانهم وحسب رايهم لاتوجد اطروحة سياسية للاسلام، واعتقد ان ذلك قد يكون اما بسبب القراءات الموروثة الكثيرة غير الصحيحة والتي ليس لمنصف ان ينسبها للاسلام، او بسبب ما نشط من سياسيين واحزاب فاشلة باسم الاسلام كل يدعي انه يحكم بالمشروع السياسي الاسلامي !

والذي يدرس تاريخ الاسلام السياسي منذ رحيل رسول هذه الامة صلى الله عليه واله وفي الدولتين الاموية والعباسية خصوصا ومنذ ان تحول الاسلام من رسالة عدل وسلام ورحمة الى مملكات وراثية عضوض، فلا يجد في سياساتها الا الافك والافتراء على الاسلام من رجال اعداء الاسلام وغرباء على الاسلام يجهدون انفسهم في حرب نظام الملة الذي هو جوهر السياسة الاسلامية ومشروعها السياسي.

وكذا في تاريخ الامة السياسي الحديث والمعاصر، فان كل قادة الامة السياسيين هم دونيين، مستلبين بالدونية ازاء الغرب بل قسم كبير منهم عملاء رسميين للغرب او للشرق.

وان كانت هنا اوهناك شذرات لحكم قادة يدعون الاسلام على مر العصور فانها نماذج للاستلاب بالنفعية، وذلك لان الاسلام فكر اعمق واعظم من

ان يستوعبه انسان غير جاد بعبوديته لله تعالى، فان هناك تلازم ذاتي بين عبادة التوحيد الخالص ومعاني الامامة الحق؛ حيث هي عهد الله تعالى، وعهد الله تعالى لاينال الظالمين[٣٧].

وحتى الذي تشدق في بداية حياته السياسية بالاسلام، عندما يبتليه الله تعالى بالمنصب ويحوز وافرات الترف(المال والقوة والوقت) ويتذوق نشوة الجاه والقوة والسلطان تتداعى نفسه الهزيلة، امام مغريات المنصب والجاه والسلطان، فيذوب بنفعه ويصير مستلبا وعبئا على الاسلام وسببا للطعن فيه.. ولدينا من التاريخ المعاصر نماذج الاستلاب بالنفعية كثيرة جدا عشناها ولازلنا نعيشها.

٢. التثقيف لمشروع سياسي كوني لدولة العدل:

لعمق الفكر السياسي الاسلامي الحق وتعقد مقاصده، ولطول مدة التجهيل والبغي الذي مارسه الطغاة ضد دولة الحق، ولوجود الجدل الاجتماعي اساسا في ظواهر انسانية قديمة(ظاهرة الرسل، وظاهرة الترف،وظاهرة الاستلاب)،عطلت عمل الانبياء ؛ لابد من البدء بتربية سياسية اسلامية للتعريف بحقيقة السياسة الاسلامية التي يمثلها علي بن ابي طالب عليه السلام والذي يتوفر نموذجها الميداني في دولته ويتوفر منهجها في ثقافته والبيانات التي قدمها لنا وما اقامه من عدل للناس عمليا وما اوصى به، فطاعته واجبة مفترضة على جميع البشر، وفي طاعته عز الانسان ومجد الانسانية، وطاعة المعصوم هو نظام الملة الكوني المرضي من قبل الله تعالى، ففي تلك الطاعة يكمن المشروع السياسي العالمي الكوني الذي اختاره الله تعالى واصطفاه لخلاص البشر ولسعادتهم، في بناء دولة الانسان فما هو نظام الملة؟

٣ـ التعريف بنظام الملة:

عرفته مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت:-في علل العقائد في خطبتها الشهيرة:

(... فجعل الله الايمان: تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة: تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام: تثبيتا للإخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وإمامتنا: امانا للفرقة، والجهاد: عزا للإسلام،...)[٣٨].

فاي نظام لادارة الدول يعتمد على طاعة المعصوم هو نظام الملة الذي يضمن العدل ويوفر حقوق الانسان والانسانية. ففي نظام الملة الكوني تعتمد السياسة على اهداف الرسل عليهم السلام وهي:

اولا- محاربة الظلم باعتباره الصفة الجامعة لكل القبائح، وعلى بغض الظالمين الخارجين على العدل، وفق نموذج معصوم لا تخلو الارض من وجوده.

ثانيا - نشر الفضائل وتعزيز القيم الانسانية الراقية بين البشر بما يتطابق مع سيرة المعصوم ونهجه في قوله وفعله وتقريره.

فالعدل هو ملاك السياسة الاسلامية. وهو عنوان واضح مستمد من قوله تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ وأساس قائم على العصمة فلا يقبل اللبس ولا المغالبة كما هي السياسة الوضعية التي تبنى اساسا على اللبس والمغالطة والدهاء والكيد للخصوم.

واليوم في زمن غيبة المعصوم يوجد النظام المرجعي (نظام التقليد والاجتهاد) حيث يعتمد في نظام ادارة الناس اساس طاعة المعصوم (نظام الملة) الذي يتبنى

اهداف الرسل في بغض الظلم وعداوة الظالمين ونشر الفضائل والقيم وفق سيرة المعصومين عليهم السلام، والذي يشكل من يوم قيامه التنظيم الهرمي في تنظيم الامة، حيث يقوم المجتهد الاعلم على راس الهرم ويلزم دخول الامة فيه ؛ فعمل العامي بدون تقليد باطل فيكون بذلك دولة داخل الدول الوضعية وتحسب له ادارات الدول وسياسيوها الف حساب وكثيرا ما يتدخل المرجع في اوقات الانحرافات الكبيرة ليلجم الساسة الوضعيين والطغاة ولغيروا الانحراف.

٤ـ التيقيف بماهية المنهج المعصوم كمشروع سياسي اسلامي لدولة العدل:

كما هو قائم اليوم؛ فان ادارات الدول تتعين من خلال مديريها(السياسيين) ولا تتعين بنظمها وعقائدها المعلنة لانها تنجز وتتشخص بمؤهلات وشخصية القائم عليها، لسبب بديهي هو؛ لان من حتم حاكمية الادارة السياسية هو تمتع المدير السياسي بالمال و بالقوة والسلطة والحاكمية (وهذه متوافرات الترف) كضرورة لتنفيذ النظام، فاذا امتلك غير المعصوم السلطة والقوة والحاكمية فلا ضمان ضد الانحراف لانه سيكون مترفا، قال الله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى**﴾[٣٩].

لم يتسن للاسلام في قراءته الصحية ان يشكل دولته بعد استشهاد الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، التي اشرنا الى انها تتحدد بالضبط في قيام نظام الملة والذي بدوره يتحدد بطاعة المعصوم الا ان الثلة المؤمنة ومن خلال بيان الزهراء سلام الله عليها المعرّف بنظام الملة شكلت على الدوام ادارة اسلامية داخل الدول الظالمة على مر التاريخ تمثل بالتفاف تلك الثلة حول المعصوم في حال وجوده وربما حتى اساطين الدولة الظالمة كانوا يستعينون بالمعصوم لحل مشاكل الدولة، وفي حال غياب المعصوم تمثلت دولة الله الابدية بالنظام المرجعي، كمعبّر

عـن نظـام الملـة؛ وكادرة اسـلامية تنظـم امـور الامـة خـلال زمـن الغيبـة ؛ تسـتجيب لحاجـات الامـة وتجيـب عـلى اسئلتها، مـن داخـل الدولـة الظالمـة وعـلى مـر العصـور اثبـت نظـام الملـة انـه نشـط وفاعـل ولم يمـت ابـدا، وكانـت الـدول عـلى اختلافهـا تحسـب لنظـام الملـة الـف حسـاب.

فالوصيـة لعـلي عليـه السـلام واليـا وإمامـا بعـد الرسـول صـلى الله عليـه والـه في حجـة الـوداع وفي غديـر خـم ؛ هـي مـن كـمال العقيـدة الاسـلامية، متوافقـة مـع مـا تقتضيـه السـنن الكونيـة، وقـد ثلـم ذلـك الكـمال، وأُلغيـت الوصيـة بالحاكميـة والقـوة والسـلطة اللازمـة لإدارة الدولـة، وكـذا نكثـت الوصيـة بالعـترة مـع الكتـاب عاصمـين مـن الضـلال، حتـى صـارت في اطـار الجـرح والتعديـل والتشـكيك. بالرغـم مـن تحذيـر الرسـول صـلى الله عليـه والـه مـن التأطـير[٤٠].

ولـذا فـان الله تعـالى عندمـا الـزم البـشر بطاعـة المعصـوم بـما اسـمته سـيدتنا الزهـراء عليهـا السـلام(نظام الملـة) ؛ انـما اسـس لإدارة الـدول بـما يتطابـق خيـارت الحاكـم الاصـل وهـو الله تعـالى في القـول والفعـل والولايـة الاصـل للقـوة والسـلطة مـع العـدل ويتطابـق العمـل مـع الاعتقـاد بـل الاعتقـاد عنـد المعصـوم هـو العمـل وكلاهمـا يتطابقـان مـع العـدل والحـق. فدولـة المعصـوم هـي دولـة القـران فهـي دولـة الله تعـالى.

٥ـ على مر التاريخ البشري لم نـجد بيانا لدولة الانسان او انسانية الدولة الا من خلال الامام علي عليه السلام:

باعتبـاره المعصـوم المكلـف ببنـاء تلـك الدولـة انموذجـا لمعـاني العـدل في السياسـة، ومعلـما يثقـف لمعـاني دولـة الانسـان التـي يجـب ان تقـوم والتـي اراد الله تعـالى قيامهـا مـن خـلال قولـه تعـالى: ﴿**لَقَـدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ وَأَنْزَلْنَـا مَعَهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْمِيـزَانَ لِيَقُـومَ النَّـاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[٤١]. فمهـة الرسـل بالاسـاس هـي للقيـام بالقسـط.

٦ـ لا تتحقق انسانية الدولة الا في نظام الملة (طاعة المعصوم):

في حين تبقى نظم ادارة الدول خارج العصمة هي سيرة الحاكم. ويكفي دليلا على صحة ما ندعي ان السياسة كما عرفناها واقعا من تاريخ البشر والى الان ؛ هي الاداء السلطوي في ادارة الدولة وشؤون الناس، وفي الاعم الاغلب حيازة للحاكمين في الجاه والمال والسلطان على حساب المحرومين والفقراء من ابناء جلدتهم.

ويكفي في النظام الاجتماعي المعروف: ان السياسيين اليوم شر لابد منه، فان القرف وسوء الظن والتندر عند الناس في تلازم مع السياسة والسياسيين في كل دول العالم وعلى مر العصور، والأسوء ما في السياسة انها شر لابد منه كما مر معنا. ونحن نجد هذا الشر بالمقارنة مع السائد من نظم السياسة على تعددها وما برز عنها من النظم في الادارات الحكمية في المجتمعات الانسانية على مر التاريخ.

وكل النظم السياسية في العالم من غير النموذج المعصوم هي من الشر الذي لابد منه ولذا فهي الغالبة والمعرّفة لمفاهيم السياسة والتي تضع الخطوط الحمراء والخضراء في سياسات الدول، ولهذا السبب نجد ان معظم اصحاب الذوق الرفيع والإنسانية فضلا عن الورعين في عقائد السماء يترفعون عن السياسة والسياسيين باعتبارهما عنوان الانانية والقرف والحروب والضلال والكيد والمغالبة... في هذا العالم. ومن يلج السياسة من اصحاب الدين يجد نفسه في اطاراتها كبيدق حقير لا يتجاوز الخطوط المرسومة له شاء ام ابى.

ولهذا من اجل بحث اوثق واثبت في الحجة لدولة الانسان العلوية المباركة قررنا قبل البحث في تفاصيل ومعالم انسانية الدولة عند الامام علي عليه السلام وبياناته الثقافية التي واضب على اصدارها خلال فترة حكمه لدولة الانسان ؛

قررنا ان نبين اهم البيانات القرآنية في تفسير ظلم وظلامات التاريخ السياسي للبشر من خلال قصص الانبياء والتي اسدلت عليها الاكاديميات والأكاديميين وفي اعلى المستويات الستار فلم نجد في تاريخ المعرفة الانسانية اطروحة واحدة تبحث في الكم والكيف وألاين لإمكان تطابق السياسة مع العدل مع ان جميع العقائد الوضعية والسماوية تنشد العدل وتتطلبه في السياسة وفي اداء السياسيين.

اطروحة تطابق السلطة في ادارة الدول مع العدل من اجل انسانية الدولة:

منذ فجر تاريخ البشرية والناس يفكرون بكل شيء، ولكن هناك ما يمنعهم ان يفكروا في احوال تطابق السلطة مع ألعدل: متى؟ وأين؟ وكيف؟ حتى في دراساتهم العليا التي لم تترك مساحة من الفكر الا ودخلتها!!!

فهذه الاطروحة الانسانية مهملة مع انها الاهم في تاريخ البشر، باعتبارها الحالة الاشد مساسا في حياة الناس دمائهم وأوطانهم واعراضهم وأرزاقهم. اوكما وصف الامام علي عليه السلام السياسة فقال:

((وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي... فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعيّةُ واليها، أو أجحف الوالي برعيّته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتُركت محاجّ السنن، فعُمل بالهوى، وعُطّلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يُستوحش لعظيم حقّ عُطّل، ولا لعظيم باطل فُعِل!))[٤٢].

(فهنالك تذلّ الأبرار، وتعزّ الأشرار، وتعظم تبعات اللهَّ سبحانه عند العباد،

فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه، فليس أحد – وإن اشتدّ على رضى اللهَّ حرصه، وطال في العمل اجتهاده – ببالغ حقيقة ما اللهَّ سبحانه أهله من الطاعة له. ولكن من واجب حقوق اللهَّ على عباده: النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحقّ بينهم، وليس امرؤٌ – وإن عظمت في الحقّ منزلته، وتقدّمت في الدين فضيلته – بفوقِ أن يعان على ما حمّله اللهَّ من حقّه. ولا امرؤ – وإن صغّرته النفوس، واقتحمته العيون – بدون أن يعين على ذلك أو يُعان عليه)[٤٣].

٧ـ اذن الاطروحة الاهم في تاريخ البشر وحاضرهم ومستقبلهم مهملة!!!

اذن؛ تلك البيانات القرانية التي تشير لى حالة الجدل المستمر بين ظاهرة ارسال الرسل عليهم السلام والمترفين والمستلبين و التي كما يشير التاريخ البشري عطلت دولة الانسان منذ ادم الى نبينا الخاتم صلى الله عليه واله وهو واضح في فحوى قصص الانبياء مع اقوامهم سواء المترفين منهم او المستلبين.

فمقابل ظاهرة الرسل هناك ظاهرتان موازيتان لها هما: ظاهرة المترفين الذين يشكلون دوما راس حربة ضد الانبياء، وظاهرة المستلبن ؛ وهم المغلبون على امررهم باحد مظاهر الاستلاب.

من فيض لطف الله الدائم على البشر باعتبارهم افضل مخلوقاته ؛ لم يترك الارض لا في زمانها ولا في مكانها من فيض رحمته المرسلة المتمثلة في رسله وأنبيائه عليهم السلام، فخاطب نبينا بذلك فقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[٤٤]، وقد بلغ عددهم اكثر من: (١٢٤) الف نبي ورسول[٤٥]، فكان رسله الى البشر تترى منذ ادم اول بشر وهو أول نبي: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٤٦]. وكان نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه واله هو خاتم الأنبياء.

فهل وفاة النبي صلى الله عليه واله تعني ان فيض رحمة الله تعالى قد نقطع عن البشر ؟

الجواب لا قطعا ؛ لأنه لو انقطعت رحمة الله تعالى ولطفه عنا لحظة لانعدم الوجود كله، ولكن الذي حصل وكما نعلم ان الامامة التي هي اعم من النبوة، تكافئ ملاك النبوة في ذرية ابراهيم عليه السلام بما يحقق الاية السابقة وهي تنطبق ايضا مخصوصة بمن طهرهم الله تعالى بإرادته من اهل بيت النبي صلوات الله عليهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤٧).

فان الله سبحانه جعل النبي ابراهيم عليه السلام وهو نبي اماما:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٤٨).

اذن فملاك النبوة الامامة، ومقتضاها العصمة. وعليه لم تنقطع رحمة الله وفيض لطفه عن الكون بعد المصطفى الخاتم صلوات الله عليه بل ارتحلت الى عترته الطاهرة المطهرة من الائمة المعصومين عليهم السلام، حيث موضع ارادة الله تعالى في التطهير والطهارة حجة على الناس.

فمما شاء الله تعالى في الفترة القصيرة التي قام بها الامام على راس الدولة خليفة ؛ ان تكون تلك الفترة القصيرة محل فتن وبلاءات ليكون عطاء الامام فيها استجابات لتنلك الفتن والبلاءات بما شاء الله تعالى لتكون تلك الفترة التاريخية بحق دليل عمل لكل السياسيين الذين ينشدون كيفية بناء دولة الانسان دولة الله التي تتحقق بها انسانية الانسان بما اراد الله تعالى.

فقد قام الامام بالقسط بذات العلل وذات الاهداف وذات النهج لظاهرة

الرسل عليه السلام فهي امتداد تاريخي وروحي لها. فقد كانت فترة حكمه حربا ضد الظلم ومنابذة الظالمين وكان فيها عليه السلام هو المعصوم المعلم للقيم ومكارم الاخلاق وناشرا للفضائل.

وسيكون بحثنا هذا مركزا على هذا التثقيف الموجه من الامام المعلم المعصوم من خلال البلاءات التي واجهته اثناء فترة حكمه.

فقد كان الصبر والثبات على المبدأ في نبذ الظلم وعداوة الظالمين، إذ هو القائل لّما تصدى للخلافة بعد رأى ان بيت المال قد هدره الظالمون.«واللهّ لو وجدته قد تزوّج به النساء وملك به الِإماء لرددته، فانّ في العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»(٤٩).

وفي ثاني أيّام خلافته اعتلى المنبر، ثمّ راح يُصرّح بما كان قد أشار إليه في اليوم السابق، وهو يقول: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال اللهَّ فهو مردود في بيت المال؛ فإنّ الحقّ القديم لا يُبطله شي ء، ولو وجدتُه وقد تُزوِّج به النساء وَفُرِّق في البلدان، لرددته إلى حاله؛ فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق».

لقد تحدَّث الإمام بإسهاب في خطاب تفصيليّ ألقاه في ذلك اليوم عن مسؤوليّة قادة المجتمع في بسط العدل، وأعلن بوضوح أنّه لن يسمح لأحدٍ -دون استثناء- من استغلال المال العامّ، وأنّ أُولئك الذين راكموا ثرواتهم عبر غصب المال العامّ وحصلوا - عن هذا الطريق - على الأراضي الخصبة (القطائع) والخيول المسوّمة والجواري الحسان، سيعمد علي إلى مصادرة هذه الثروات المغصوبة بأجمعها وردّها إلى بيت المال.

كان هذا الحديث لأمير المؤمنين(عليه السلام) بمنزلة الصاعقة التي نزلت على

رؤوس المترفين الذين نالوا الوافرات من انحراف الدولة عن الاسلام، ثم راحت أصداء مواجهة نداء العدالة العلويّة تتجسّد في معارضة شخصيّات معروفة لحكم الإمام طبقا لجدلية التاريخ بين الانبياء والمترفين ليبقى المستلبون يتعاملون بالصفقات لنصرة المترفين ضد المعصوم.

وهكذا نهضت حرب الجمل وحرب صفين والحروب الاخرى ضد سيد العدالة ونصير الانسانية ليربح خصوم العدل واعداء الانسانية مع الاسف كما هو التاريخ.

وفي اليوم الثالث من أيّام عهد الإمام دعا الناس إلى استلام أعطياتهم من بيت المال، حيث أمر (عليه السلام) كاتبه عبيد اللهَّ بن أبي رافع أن يسير على النهج التالي: «ابدأ بالمهاجرين فنادِهم وأعطِ كلّ رجلٍ ممّن حضر ثلاثة دنانير، ثمّ ثَنِّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومَن حضر من الناس كلّهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك»(٥٠).

فخلال الفترة الممتدة بين الانقلاب على الرسالة (في السقيفة) وامتداداتها الكونية، الى خلافة معاوية ؛ تحقق لمعاوية الطليق المنافق ان يحوز مختصات الترف(المال والقوة والوقت)، فاستغل ظاهرة الاستلاب باشاكله المختلفة في المجتمع و دوافع الاستلاب في الامة ضد الامام المنصوص المختار من قبل الله تعالى واسس للمملكة الاموية مشروعه السياسي الوراثي في ملك عضوض بديلا للاسلام الحق بما حذرمنه النبي صلى الله عليه واله.

٨ـ واقع جدل الظواهر الثلاث يغلب تحذيرات الرسالة:

صدرت عن النبي صلى الله عليه واله تحذيرات رسالية من استمرار جدلية

الظواهـر الثـلاث في الامـة كـما في الامـم السـابقة:

بامـر مـن الله تعـالى وبمسـؤولية الرسـالة الخاتمـة حـذر الرسـول الاكـرم صـلى الله عليـه والـه الامـة مـن ان تـتردى الى مـا تـردت لـه الامـم السـابقة في سـابقية الجـدل لصالـح المترفين؛ فـدأب الرسـول الاعظـم صلى الله عليـه وآلـه ؛ يـؤشر الخلـل في الامـة والانحـراف الـذي سـيصيب النـاس مـن بعـده، وكان صـلى الله عليـه وآلـه، يـرى مما يوحـى اليـه ان امتـه لا تختلـف عـن بقيـة الامـم، تـسري عليهـا سـنن ماقبلهـا، سـنن التاريـخ وجدلياتـه وحتمياتـه، وقـد خبرهـم مـرارا وتكـرارا؛ لكـي يوطـن الصالحـون أنفسـهم فيتهيئـوا للفتـن بعـده، صونـا للديـن وحفظـا لنظـام الملـة، ولكـي تكـون حجـة عـلى المارقين والناكثين لعهـده صـلى الله عليـه وآلـه، الا ان الأمـة في غالبيتهـا السـاحقة- مـع الأسـف- لـن تعبـأ لتحذيراتـه، ولـو لا تضحيـات اهـل البيـت عليهـم السـلام والثلـة المرابطـة معهـم مـن المؤمنين الصالحين الذيـن وطنـوا انفسـهم لتحذيـرات مـن لا ينطق عـن الهـوى، لكنـا الان، بـل والعـالم كلـه يـرى في حثـالات البـشر وابنـاء فتيـات قريـش مـن الامويـين والعباسـيين والتكفيريـن هـم ممثلـوا الاسـلام وهـم حاملـوا رسـالة الله تعـالى التـي وطدهـا النبـي محمـد صلى الله عليـه والـه. فقـد روي عنـه صـلى الله عليـه وآلـه انـه قـال كـما في الصحيحـين، عـن أبي سـعيد الخـدري أن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) قـال: لتتبعـن سـنن مـن كان قبلكـم شـبرا بشـبر، وذراعـا بـذراع، حتـى لـو دخلـوا جحـر ضـب لتبعتموهـم قلنـا: يـا رسـول الله اليهـود والنصـارى قـال: فمـن[٥١]؟

ومـن صحيـح البخـاري عـن أبي هريـرة أن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه)؛ قـال: قـال رسـول الله: لا تقـوم السـاعة حتـى تأخـذ أمتـي مآخـذ القـرون قبلهـا شـبرا بشـبر، وذراعـا بـذراع، قيـل لـه: يـا رسـول الله كفـارس والـروم ؟ قـال مـن النـاس إلا أولئـك[٥٢].

ولم يمض على وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أكثر من ثلاثين سنة وإذا بنا نشاهد أن حزب الشيطان (حزب ابناء فتيات قريش ذوات الرايات الحمر) الذي وقف معارضا في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) مدة واحد وعشرين عاما قد تربع على عرش الخلافة، ليغيرها إلى ملك وراثي عضوض، كان حذر رسول الله منه، يتداوله بنو امية فيما بينهم حتى توارثه يزيد وبنو مروان وبعد ذلك آل الأمر إلى بني العباس الذين استمروا على نهج بني امية ! فهل هناك انحراف أكبر من هذا الانحراف عن مسار الرسالة الرحمة وعن مشروعها السياسي الانساني؟.

والغريب ان تحذيرات الرسول وتنبيهاته لم تكن عامة بل كانت دقيقة ومشخصة بالاسماء والعناوين للذين سينقلبون وللذين يرتدون وللذين سيؤذون اهله وحاملي مشيئة الله تعالى في رسالة الاسلام (عليهم السلام)من بعده.

قال الرسول صلى الله عليه وآله لاصحابه:

(ان اهل بيتى سيلقون من بعدى من امتى قتلا وتشريدا، وان اشد قومنا لنا بغضا بنو اميه وبنو المغيره وبنو مخزوم)(٥٣).

وقال الرسول لاصحابه: (اذا بلغت بنو اميه اربعين اتخذوا عباد اللهّ خولا، ومال اللهّ نحلا، وكتاب اللهّ دغلا)(٥٤).

وقال الرسول يوما امام اصحابه: (ويل لبنى أمية، ويل لبنى أمية، ويل لبني أمية)(٥٥).

وقال الرسول يوما لاصحابه: (شر العرب بنو أمية).. قال ابن حجر صح وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال امير المومنين علي (عليه السلام): (لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية)(٥٦).

الفصل الثالث

بيانات الامام علي (عليه السلام) لبناء دولة الانسان وإنسانية الدولة

لتوفر كل اشكال الفتن والمحن التي يمكن ان يتعرض لها النظام الرباني ومشروعه السياسي، خلال الفترة القصيرة التي استلم الامام عليه السلام فيه الحكم كانت بيانات يالمعصوم شاملة لكل الاحتمالات حاوية لمعظم الحلول التي تناسب المشكل التي يتعرض لها الساسة الذين يريدون وجه الله و ينشطون لمجرد قصد القربى اليه في ادارة الدولة وسياسة الناس ومنها:

البيان الاول:ـ المستثنون من المناصب السياسية في دولة الانسان:

اعتمادا على ماهو واقع في قصص الانبياء عبر التاريخ البشري من ظواهر ومن عقبات تلقاها الرسل عليهم السلام؛ حدد الامام علي عليه السلام في الإمرة وسياسة الناس، مواصفات لخمسة اصناف مستثنون من استلام المناصب في دولة العدل والانسانية... فقال عليه السلام:

(وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والإحكام وإمامة المسلمين ؛ البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف[٥٧] للدوُل فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع[٥٨][٥٩].

اذن فليس لهؤلاء الخمسة ان يلجوا السياسة، او ان يتقلدوا المناصب، وان حدث، فإنهم يقررون بأنفسهم انهم المقصودون بالمنع المؤبد.. وإذا كان العراق اليوم الدولة الاولى في الفساد، فلإسلام بريء من المفسدين جميعا. وأهل البيت عليهم السلام بريئون من المفسدين والفاسدين.

والإمام عليه السلام يبتدئ القول: (بقد علمتم)، وكأنما يشير الى البديهي، هو من سنة الرسول الاعظم(صلى الله عليه وله) البديهي والمعلوم، فالعمل السياسي تكليف شرعي ليس لصاحبه اي امتياز و لا اي شرف يتطاول به على الاخرين.

فالسياسي الشريف هو السخي الجواد الذي لا يضن على الناس ماهم الذي كان بانتخابهم له امينا عليه، ولابد من اداء الامانة التي في عنقه وفق كتاب الله تعالى وسنة نبيه.

والسياسي المؤهل هو العالم (وليس الجاهل): ولذا فعند الامامية ووفق نظام الملة ؛ القيادة للاعلم فعليه ان يكون هو الاعلم من بين الموجودين، وإذا علم ان من بين الموجودين من هو اعلم منه وأكفأ، فعليه ان لا تغريه السلطة، فان فعل واستمر تحقق جهله وبطلت ولايته. والحاكم هو الرحيم الشفوق، المقبل على ناسه ومكلفيه وواضعي الثقة فيه، يسمع ويستجيب ويتأثر ويؤثر قدر طاقته وإمكان صولته في نصرتهم والتواصل في خدمتهم.

والقائد هو المنصف الذي ينصفهم من نفسه ويجنبهم حيفه، فهم سواسية عنده إلا بما فضل الله تعالى بعضهم على بعض، فلا يستأثر بمالهم لحزبه وجماعته، ولا يحيف بالوظائف لخاصته وجلاوزته وأنصار سياسته، ولا ليجمع الغوغاء من حوله.

والرئاسة لمن هو النزيه النظيف؛ الذي يتحرى في بطانته عن المرتشين ويطهر اجهزته من المارقين على شرع الله تعالى والمتعدين لحدوده.

ثم وليس له ان يستخدم الصلاحيات المخولة له من خلال ذلك المنصب إلا في فيما يرضي الله تعالى... ولذا فعمل السياسي في السياسة مثله كمثل بقية ما يصدر عنه: باطل دون اجتهاد او تقليد او احتياط.. لانما يتعين عمله بإقامة الحق ودفع الباطل وفق طاعة المعصوم.

البيان الثاني:ـ امران مطلوبان من السياسي المسؤول لبناء دولة الانسان:

هذا الامران في المشروع السياسي الانساني وفق نظام الملة هما:

اولا- اقامة الحق بما يعني من سريان العدل في المجتمع بكل اطيافه واصنافه.

ثانيا- دفع الباطل بما فيه ردع المفسدين والخوّنه ومثير الفتن ومخترقي الامن.

فقد جاء عن ابن عباس في حديث عن امير المؤمنين عليه السلام:

قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار، وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت لا قيمة لها، فقال عليه السلام:

(والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا)[٦٠].

والإسلام بما انه يوجب على المسؤول حقوقا ويتشدد بها، فانه يوجب على الرعية حقوقا عليها للمسؤول ويعظمها ويطالب الناس بالإيفاء بتلك الحقوق. فما هي حقوق الراعي على رعيته.

البيان الثالث:ـ حقوق السياسي على الناس من اعظم الفروض:

ولكي يعلم الامام عليه السلام الناس اهمية العمل في السياسة وولايته على العرض والارض والدم والمال ويعطوه ما يستحق من النصح والاعتبار قال الامام علي عليه السلام:

(... وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاما لألفتهم وعزا لدينهم.

فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة

الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينه، وقامت، مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الاعداء.

وإذا غلبت الرعية واليها، وأجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة. وظهرت معالم الجور. وكثر الادغال[٦١] في الدين وتركت محاج السنن. فعمل بالهوى. وعطلت الاحكام. وكثرت علل النفوس. فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل.

فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد. فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، فليس أحد وإن اشتد على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة له. ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم. وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته، وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعاون على ما حمله الله من حقه، ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون، بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه)[٦٢].

(فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له).

فقال عليه السلام: إن من حق من عظم جلال الله في نفسه، وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه. وإن أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه. فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عظما، وإن من أسخف حالات الولات عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر.

البيان الرابع ـ اطراء الحاكم قبيح:

مما يبتلي به الناس ويساعد في خلق الطغاة والجبابرة، ويمنع من قيام دولة الانسان العادلة هو تملق الناس للحاكم.

ولكن في الدولة التي تكرم الانسان ويكون هو القيمة المثلى لايوجد في ثقافتها مدح او اطراء للحاكم ليشعر بانه متفضل على الناس فليس السياسي الا اجير لخدمة الشعب وكان الامام عليه السلام يثقف لذلك حيثما سمع مدحا. قال الامام علي عليه السلام تعقيبا على مدح احد جلسائه وإطرائه له فقال:

(وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الاطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك. ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء. وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء. فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لابد من إمضائها)(٦٣).

وذلك النصح ادعي وأوجب لمن ادعى انه من اتباع الامام علي عليه السلام و شيعته.

البيان الخامس: والتزلف للمسؤول خرق لمعنى انسانية الدولة:

وزاد الامام عليه السلام موضحا في معاني قبح التزلف للمسؤول والحاكم اذا كان يدعي الاسلام والايمان.. قال عليه السلام موصيا:

(فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة. ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة. ولا تخالطوني بالمصانعة. ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي. فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان

العمل بهما أثقل عليه. فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني. فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره)[٦٤].

وزيادة في الملاحظة هنا:علينا ان نتذكر ان الامام عليه السلام يقول هذا وهو المعصوم ؛ وفي هذا كمال التقى وحقيقة التواضع لكي لا يكون لابن امة غيره من سائر الناس ان يغتر ويقول اني لا اخطئ.. ذلك اذا كان المعصوم الذي هو كنفس رسول الله بنص الكتاب وبنص السنة الصحيحة يقول: (فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ) فهل يحق لغيره وهو الادنى الا ان يأخذ بمقالة الحق وبمشورة العدل من أي كان ولا يرى في نفسه انه خير من غيره فيكون لبسا لإبليس ضد ادم حين قال: (انا خير منه).

هذه دروس في الثقافة السياسية لدولة الانسان ليس فقط لتؤخذ بل ليرى الناس بالمقارنة أي نوع من الناس يحكمونهم اليوم في غياب المعصوم فاعتبروا يا اولي الالباب.

فاذا كان هذا منطق المعصوم المسدد، من موقع الولاية والإمرة، فليس لذي لب بعدها إلا ان يخجل من نفسه ابدا ان يكون بموضع الامرة على الناس دون ان يعلم حقوقه ويقوم بتمام واجباته. وليس للناس إلا ان يتقوا الله تعالى فيما عظم عليهم من الفروض، وان يلتزموا بواجباتهم بعد ان نؤدى اليهم حقوقهم.

البيان السادس: السياسة هي قضاء حوائج الناس:

ان خدمة الناس في الاسلام من ارقى العبادات التي يتقرب بها الى الله تعالى، ولذا يتطلب من السياسة الاسلامية او من يتطوع للعمل بها، ان يكون متخصصا

في معرفة حوائج اهله، وان يكون له برنامج عمل بالخدمات التي تحتاجها الامة او التي يحتاجها مجتمعه الذي هو مسؤول عنه، حسب اولويات مدروسة ومتدارسة، ومنهج، وآليات وأساليب تناسب كل زمان ومكان.

كان من المعروف ؛ ان كفارة العمل مع الظالم هو خدمة المؤمنين، اما ان يكون السياسي مبادرا ولا ظالم فوقه، فذلك يتطلب منه الخدمة بأفضلها وعلى وجه الوجوب: وقد مر معنا توجيه الامام الباقر عليه السلام في من لا يحضره الفقيه للصدوق الرواية التالية:

(كنت اعتكف مع محمد بن علي (عليهما السلام) فأتاه رجل فقال له: يابن رسول الله ! إن فلانا له علي مال ويريد أن يحبسني، فقال: والله ما عندي مال فأقضي عنك، قال: فكلمه، قال: فلبس (عليه السلام) نعله، فقلت له: يابن رسول الله! أنسيت اعتكافك؟ فقال له: لم أنس ولكني سمعت أبي (عليه السلام) يحدث عن [جدي] رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله عز وجل تسعة آلاف سنة، صائما نهاره، قائما ليله)[٦٥].

وخدمة الناس من قبل السياسي والحاكم، واجب مطلوب على وجه الدقة، وبمعنى الامانة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَّ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَّ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[٦٦].

والسياسي عندما ينتخبه الناس، انما يحملونه امانة، يقلدونها في عنقه، ليكون في خدمتهم، وليس ليشرفونه بامتيازات المنصب لمجرد سواد عينيه، فعليه ان يؤدي الامانة في خدمتهم، وهو مكلف ايضا بالعدل في الحكم والأداء.

البيان السابع التثقيف لدولة العدل: واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا

عليه ظالمين:

ما دام ملاك السياسة العدل؛ كما يقول امير المؤمنين (عليه السلام)(٦٧) فالغاية والمطلوب في المشروع السياسي الاسلامي هو العدل بين الناس، ونهج الامام في السياسة هو منهج قراني محكم وواضح لكن في الغالب الكثير يصعب على الناس تحري العدل من مظانه من غير المعصوم، لماذا؟

لان العدل هو السنة البديهية التي يقوم بها وعليها الكون كله، وتوضيح البدهي من الامور الصعبة. وذلك لصعوبة معرفة متى واين يتطابق خيار الفعل الصادر من الانسان مع النسق الكوني، واين ومتى لا يتطابق معه، ولكن يسهل تحديد الفعل اذا لم يكن مطابقا للنسق الكوني، لانه عندها سيكون مشهورا بكونه نشازا ومقرفا ومرفوضا، ذلك هو الظلم.

فصار احسن طريق لتحري الحق وإقامة العدل؛ هو بغض الظلم ايا كان مصدره ومنابذة الظالمين وعداوتهم. فاذا حصل هذا وبان القبح من الحسن فليس للإنسان إلا ان يختار وهو طريق قراني واضح:

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهَّ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهَّ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾(٦٨).

والآية محكمة واضحة المعاني والدلالات على بغض الظالمين وعداوتهم كأساس للتوحيد كعقيدة تستوعب النفوس.

وفي موضع اخر من نهج القران في كون بغض الظالمين وعداوتهم هو نهج

الموحدين ؛ قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام:

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(٦٩).

وفي موضع أخر يقول الله تعالى عن سيد الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام في جده لامه أو عمه:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(٧٠).

وقال تعالى في وصف الامام العادل بانه غير ظالم:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٧١).

فالمسؤلية السياسية في الاسلام لا تختلف عن اي مسؤولية اخرى، اذ كل المسؤوليات هي تكليف شرعي، بمعنى انها عبادة واجبة، وفيها مستحبات ايضا لا ينالها الا ذو الحظوظ، وهي في المقابل مهلكة لمن اخل بها، لان السياسي على اعتاب مسؤولية كبرى، ففي هذه حاله يكون كربان سفينة اذا اخل اغرق الجميع فخيره مثل شره يعم.

ان الظلم الذي تعرض له اهل بيت النبوة يمثل تاريخا حافلا وكنزا كبيرا، بل التاريخ كله هو حكاية الظالم والمظلوم، وذلك من حكمته الله تعالى وحجته على العباد، فليس لأحد ان لا يعرف الظالم من المظلوم في حكاية التاريخ كلها، وبعدها فليس له ان يصطف مع الظلمة، وقد مرت معنا وصية الامام علي عليه السلام: (واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين)(٧٢).

وان في احياء امر اهل البيت عليهم السلام تذكيرا بالظلم وتعريفا بالظالمين، والاصطفاف اما معهم عليهم السلام او مع الظالمين، وعندما تلعن الظالمين وتعرف بهم عليك ان تتذكر انك متيقن انك لست منهم، وإلا فانه تصرف مستلب واضح لن تلوم احد ان هزئ او استهزأ بك، فهو مصداق لقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله　　　عار عليك اذا فعلت وخيم

فمثلا قد تلعن حزب الامويين من خلال احياء امر اهل البيت عليهم السلام، لانهم تفردوا بالتسلط على الناس واتخذوا الدين غرضا، ثم تفعل فعلهم في حزبك للتوسع في السلطة !! وتحيف لجماعتك لتنالوا وجاهة السلطان !! وتنمي حصتك لنيل الوظائف الكبيرة!!، وكل ذلك دون من هم افضل واعلم واكثر اخلاصا منك ومن حزبك.. وتلعن العباسيين لانهم نصبوا للآل الحق ومنعوهم حقهم، وتلعن العهد القريب للصداميين العفالقة، الذين ناصبوا العداوة للمراجع وابادوهم، وانت ترى في المرجع مصدر قلق لك ولحزبك، مع علمك انهم يمثلون امتداد لنظام الملة وطاعة الثقلين العاصمين، فهم حبل الجماعة واركان الطاعة الذي اوصى الامام بلزومها!!

ولذا فان المعيار المقوّم الذي يقاس به بغض المسؤول للظلم؛ هو اقرراه ومشاركته باحياء بصدق، امر اهل البيت عليهم السلام، لانها تاريخ حي يتجدد يحكي ويحيي قصة الصراع الابدي بين الظالم والمظلوم ومن خلاله يتبين الاصطفاف الحقيقي مع من؟

ترجمة بغض الظلم وعداوة الظالمين عند الامام في مشروعه السياسي الاسلامي:

على المسؤول ان يظهر اصطفافا حقيقيا مع من؟ من خلال شعبيته باعتبار ان احياء امر اهل البيت عليهم السلام اختص به البسطاء والفقراء والمعدمين المظلومين من عامة الشعب، وهذا سيكون ثقيلا على المستكبرين الذين يرون في المنصب عزا وسلطة وليس عبادة وتكليف، وهذا من المعايير القرانية التي لاينالها الزيف، فقد اختطه ائمتنا عليهم السلام بدمائهم، واوقفوه لتقويم اعمالنا، فلينتبه الغافلون.. قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾[٧٣]. فالتمييز قانون كوني لايفلت منه احد.

فالسياسة خيار فعل طبقا لهذا القانون الكوني اصطفاف يميز الناس الى ظالمين ومظلومين، ولذا وتحذيرا من فعل القانون الكوني قال تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾[٧٤].

والإمام علي عليه السلام يقول: من لم ينصف المظلوم من الظالم سلبه اللهّ قدرته[٧٥]. لان عدم انصاف المضلوم هو اصطفاف مع الظالم، فلا حال وسط في الاصطفافات المميزة للناس امام قانون التمييز الكوني.. فعلي عليه السلام وعلى عظم قدره وعلو ثقته بنفسه واختقاره للدنيا يقسم قسما عظيما انه لا يسكت على كظة ظالم

وعنه(عليه السلام): أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ اللهّ على العلماء ألّا يُقارّوا على كِظّة[٧٦] ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز![٧٧]

وعنه(عليه السلام): أيّها الناس! أعينوني على أنفسكم، وايم اللهَّ لأُنصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته، حتى أُورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً[٧٨].

وعنه(عليه السلام): الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحقّ له، والقويّ عندي ضعيف حتى آخذ الحقّ منه[٧٩].

وعنه(عليه السلام) - في عهده إلى مالك الأشتر -: ثمّ انظر في أمر الأحكام بين الناس بنيّة صالحة؛ فإنّ الحكم في إنصاف المظلوم من الظالم والأخذ للضعيف من القويّ وإقامة حدود اللهَّ على سنّتها ومنهاجها ممّا يُصلح عباد اللهَّ وبلاده[٨٠].

القصل الرابع

الاسس الاخلاقية للمشروع السياسي الالهي العلوي المبارك لدولة الانسان

ماذا على امير المؤمنين ان ياكل كما تاكل الناس ويلبس كما تلبس الناس؟ الا ان له خلق من الكمال عال لايدرك من ربه وهو يقول عن ذاته عليه السلام: (ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) فقال:(و الله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، و إنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، و لا يرقى إلي الطير، و لكني سدلت دونها ثوبا، و طويت الأمالي للطوسي(٨١).

نعم يعلل عليه السلام تواضعه في الماكل والملبس فيقول:(وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطريق، إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز. ولكن هيات أن يغلبني هواى، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة - ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع - أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة   وحولك أكباد تحن إلى القد)(٨٢).

طبعا ؛ ليس عليه شيئ ولا باس، لكنه عليه السلام يعطي درسا للمسؤول السياسي ان يتاسى بابسط الرعية وافقرهم، ونراه عليه السلام يقول: (أأقنع من نفسي بأن يقال [لي] أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها،

أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى وأهمل عابثا، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة)[٨٣].

ويضيف تعليلا اخر لفعله عليه السلام هذا: (وكأني بقائلكم يقول: (إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران، ومنازلة الشجعان). ألا وإن الشجرة البرية أصلب عودا، والروائع الخضرة أرق جلودا، والنباتات البدوية أقوى وقودا وأبطأ خمودا وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أطهر الارض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد)[٨٤].

فقد كان ياكل السويق من جراب يختم عليه لئلا يضيفون اليه بعض الزيت[٨٥]، وكان عليه السلام يرقع مدرعته حتى استحيى من راقعها[٨٦]، وكان يعد رعيته انه جاء اليهم من المدينة بقطيفة عليه فان عاد بغيرها فهو خائن، ورفض ان يدخل قصر الامارة وقال انه بيت خبال[٨٧]. وكان يرفض ان يقدم له طعام فيه اكثر من القرص والملح... انها خلاق الرسل وحكم الانبياء، وليس هذا خاص به بل هو شديد على المترفين انه في حال حرب سجال مع الترف بل ومع المترفين، فقد قيل أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشوا إليه عند تفرق الناس عنه و فرار كثير منهم إلى معاوية طلبا لما في يديه من الدنيا فقالوا له يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال و فضل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالي و العجم و من تخاف خلافه عليك من الناس و فراره إلى معاوية:

فرد الامام (عليه السلام) رد الواثق بما يفعل وفق مشروعه الالهي: (أتأمرونّي

أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه! واللهَّ لا أطور به ما سمر سمير[٨٨]، وما أمّ نجم في السماء نجماً! لو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف وإنّما المال مال اللهَّ؟![٨٩]

وفي اصراره الخلقي على رفض الظلم يقول(عليه السلام): واللهَّ لأن أبيتَ على حَسَك السَّعدان مسهّداً، أو أُجرّ في الأغلال مصفّداً، أحبّ إليَّ من أن ألقى اللهَّ ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشي ء من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البِلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟![٩٠]

وفي مثال الظلم المستحيل عليه يقول(عليه السلام): واللهَّ لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي اللهَّ في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ولنعيم يفنى، ولذّة لا تبقى![٩١]

فباحسن الوسائل الخلقية يمهد عليه السلام لدولته فأنّ التوسّل بأيّ وسيلة ليس مباح لبلوغ السلطة أو الحفاظ عليها، بل على العكس تماماً؛ فعنده عليه السلام ؛ لا يجوز استعمال الأداة السياسيّة غير الشرعيّة، حتى لو كلّف ذلك فقدان السلطة نفسها.

١ . استخدام الادوات الانسانية وسيلة للعدل في السياسة:

الادوات والوسائل الاخلاقية والانسانية هي السبيل لسياسته عليه السلام في المجتمع ؛ فالسياسة في مدرسة الامام علي عليه السلام كما يعلمنا: هي معرفة الأدوات السياسيّة المشروعة والافضل والاحسن، وتوظيفها لإدارة المجتمع، وتأمين الرفاه المادّي والمعنوي والامان للناس. بل أساساً لا تستحق السياسات

غير الشرعيّة لقب «السياسة» في النهج المعصوم، وقد فند عليه السلام هذا الوصف كما هي عند معاوية ؛ فالسياسة عند معاوية (إنّما هي المكر والخدعة والنكراء والشيطنة)(٩٢).

في النهج المعصوم وبناء دولة الانسان ؛ لا تحتاج عمليّة إدارة النظام في الدولة والحفاظ على السلطة إلى أدوات سياسيّة غير مشروعة، بل يمكن حُكم القلوب من خلال توظيف السياسات الصحيحة والشرعيّة بالاسلوب الاخلاقي والانساني فقط، وسوق المجتمع صوب الاصطفاف الصحيح في نبذ الظلم وعداوة الظالمين. وإشاعة القيم الانسانية الراقية وفق نظام الملة الذي يعني طاعة المعصوم.وهذا النظام (نظام الملة) يبتني بمحاربة وافرات الترف(المال والسلطة والوقت) كما فعل الامام عليه السلام ويبتني نظام الملة ايضا بمحبة المعصوم، فمحبة المعصوم سبيل لطاعته والتأسي به والاقتداء بسيرته.

جاء في تاريخ دمشق عن أبي اُمامة الباهلي: قال رسول اللهّ(صلى اللهّ عليه وآله وسلم): خُلق الأنبياء من أشجارٍ شتّى، وخلقني وعليّاً من شجرةٍ واحدة؛ فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى. ولو أنّ عبداً عَبَد اللهَّ بين الصفا والمروة ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ لم يدرك محبّتنا إلّا أكبّه اللهَّ على منخريه في النار، ثمّ تلا: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(٩٣)(٩٤).

٢. حركة بناء دولة الانسان عند الامام علي عليه السلام طابعها الاخلاق:

منذ بداية قيام دولة الامام علي عليه السلام، بعد مقتل عثمان؛ اراد الامام ان يلقي الحجة على من جاءه من الناس يريد بيعته وهم لا يعلمون في فترة عزله عليه السلام عن الامامة ان السياسة قد اخذت منهجا بعيدا عن معناه في الاسلام

ويعلم انه لو حاول ان يعيد الامور في السياسة الى نصابها ومعناها قد ينكرون عليه ذلك فقال قولته المشهرة كما وثقها المؤرخون:كما جاء في تاريخ الطبري عن محمّد وطلحة: غشي الناس عليّاً، فقالوا: نبايعك؛ فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتُلينا به من ذوي القربى! فقال عليّ: دعوني، والتمسوا غيري؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: نُنشدك اللهَّ، ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف اللهَّ!

فقال: قد أجبتُكم لما أرى، واعلموا إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم، إلّا أنّي أسمَعُكم وأطوَعُكم لمن ولّيتُموه أمرَكم(٩٥).

وفي نهج البلاغة عن الإمام عليّ(عليه السلام) - من كلام له لّما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان -: دَعُوني والتمسوا غيري؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإنّ الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت، واعلموا أنّي إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم اُصغِ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوَعكم لمن ولّيتموه أمرَكم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم منّي أميراً(٩٦).

على هذا الأساس وبعد ان اعلم الناس بما يجب عليهم ان يعلموا من النهج الحق في السياسة ؛ انطلق الإمام مباشرة بعد أن بايعه الناس وتسلّم زمام السلطة السياسيّة بحركة إصلاح حكوميّة بدأها بعد أعلن صراحة أنّ الفلسفة الكائنة وراء قبوله الحكم تكمن في إيجاد الإصلاحات، وكان (عليه السلام) يعتقد أنّ المجتمع الإسلامي قد تغيّر في المدّة التي كان فيها الإمام بعيداً عن المشهد السياسي، وأنَّ ما يُمارس باسم الحكومة الإسلاميّة ينأى بفاصلة كبيرة عن الإسلام وسيرة النبيّ(صلى اللهّ عليه وآله وسلم) وسنّته.

من جهة أُخرى كان الإمام يعلم جيّداً بأنّ الطريق الجديد والإعلان عن نهج دولة الانسان الذي هو نفسه النهج المحمّدي، لا يتّسق مع مزاج المجتمع في ظلّ الأوضاع السياسيّة التي كانت سائدة، وبحسب قوله(عليه السلام): «لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول»، حيث تستتبع عمليّة مواجهة الانحرافات، ومكافحة الاعوجاج كثيراً من الاضطرابات السياسيّة.

من هذه الزاوية كانت عمليّة بناء الدولة العادلة بحاجة إلى إعداد وتخطيط عميق جدّاً ومحسوب لاجل البيان للاجيال القادمة دروس وبيانات وعبر.

اولا- كانت سياسة الإمام عليه السلام نشطة جدا في مواجهة الانحراف فقامت على الرفض مرّة واحدة وبشكل مباشر لجميع الانحرافات بالرغم من المجتمع اظهر انه معتاد عليها خلال سنوات، حكم الخلفاء الثلاثة قبله، وقد يجرّ إلى عدم الرضا العامّ، ويُفضي إلى الفرقة وضعف بنيان الحكم، بل ولجَ الإمام هذه المواجهة ليعطي درسا للامة وللتاريخ ان الاسلام عقيدة كاملة ولها من ذاتها برنامجا في السياسة كما لها في الفقه والتشريع.

ثانيا- رفض كل ما اقتطعه عثمان بدون وجه حق من بيت المال وكما قلنا يقول عليه السلام في اول يوم يستلم فيه الخلافة: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال اللهَّ فهو مردود في بيت المال؛ فإنّ الحقّ القديم لا يُبطله شيء، ولو وجدتُه وقد تُزوِّج به النساء وَفُرِّق في البلدان، لرددته إلى حاله؛ فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق».

ثالثا- رفض وجود معاوية في ولاية الشام وعين الولاة من التقاة وعلى اساس من قدرتهم على محاربة الترف وبغض الظلم وعداوة الظالمين مع علمهم بضعهم تحت المراقبة من قبل عيون ثقاة تقاة لامير المؤمنين في مواجهة حقيقية

للفساد الإداري والاقتصادي المحتمل. وبدا هذا العمل منذ الأيّام الأُولى لعهد الإمام السياسي، فعزَل الولاة غير الأكفّاء، وأعاد الأموال العامّة إلى بيت المال.

رابعا- وضع العيون الثقاة التقاة على الولاة ومراقبتهم، وهو امر لم يعرف من قبل الخلفاء من قبل الامام على عليه السلام على الاطلاق، ولم يعرق بعده، فالعيون في كل السياسات السابقة والى الان كانت توضع على الناس من قبل الساسة، وقد بدى ذلك في اكثر من مرة عندما استدعى الامام ولاته ليخبرهم انهم خالفوا سياسته في بسط العدل والاصطفاف مع المظلومين:

مثلا - كتب أمير المؤمنين « عليه السلام « كتابا إلى عامله على البصرة (عثمان بن حنيف) جاء في مستهله: (أما بعد يا ابن حنيف ! فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان ! وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو)(٩٧).

خامسا- كان يساوي بين الناس في العطاء فثار لذلك بعض من يرون انهم وجوه القوم وأنهم يجب ان لا يساووا بالناس مثل طلحة والزبير. فقال أمير المؤمنين: إنهما استأذنا في العمرة، فأذنت لهما بعد أن أوثقت منهما بالأيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً ـ وبعد هنيئة ـ قال: والله يا بن عباس: إني لأعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة، فكأني بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي، فإن يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك، وسيفسد هذان الرجلان علي أمري، ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري، فقال ابن عباس: إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً، فلم أذنت لهما؟ هلا حبستهما، وأوثقتهما بالحديد، وكفيت المؤمنين شرهما؟ فقال أمير المؤمنين متعجباً: يا ابن عباس أتأمرني بالظلم أبدا؟ وبالسيئة قبل الحسنة؟ وأعاقب على الظنة والتهمة؟ وأؤاخذ بالفعل

قبل كونه؟ كلا والله، لا عدلت عما أخذ الله علي من الحكم والعدل، ولا ابتدأ بالفصل، يا ابن عباس: إنني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، ولكني استظهرت بالله عليهما والله لأقتلنهما ولأخيبن ظنهما، ولا يلقيان من الأمر مناهما، وإن الله يأخذهما بظلمهما لي، ونكثهما بيعتي وبغيهما علي[٩٨].

ولعل فيما صب على الامام من الفتن كان بعين الله ليعطي للانسانية تراثا كاملا في انسانية الدولة وكيفية بناء دولة الانسان، فمن الفتن وجدما عند الامام رصيد لمواجهتها.

٣. نماذج من انسانية المشروع السياسي الاسلامي المعصوم:

إنّ انسانية المشروع السياسي الاسلامي مثله الأعلى الذي يحتذي به هو عليّ عليه السلام، فبتعبير جميل للإمام أميرالمؤمنين نفسه: «الحقّ أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف». لهذا كلّه لم تتخطّ العدالة الاجتماعيّة واحترام حقوق الإنسان على مرّ التأريخ كلّه تخوم الشعار، بل تحوّل هذا الشعار - أيضاً - إلى أداة لابتزاز حقوق الناس والاعتداء عليها أكثر.

١- الامام يشكو حيف رعيته: على مدى عصور التاريخ الإسلامي بعد عهد رسول اللهّ(صلى اللهّ عليه وآله وسلم) سنحت فرصة استثنائيّة واحدة لجهة استقرار العدالة الاجتماعيّة تمثّلت في العهد القصير الذي أمضاه الإمام عليّ في الحكم، بيد أن الأُمة لم تغتنم هذه الفرصة، بل وقع الظلم على حكم الإمام من قِبل الرعيّة ذاتها، حتى قال(عليه السلام): «إن كانت الرعايا قبل لتشكو حيف رعاتها، فإنني اليوم لأشكو حيف رعيّتي».

٢- رعايته عليه السلام لحرية الانسان: الحرّية التي دعا القرآن إليها، في قوله

سبحانه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾. وهي ذاتها التي عناها الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، وعدّها بمنزلة فلسفة بعثة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يقول: «إنّ اللهَّ بعث محمّداً ليُخرج عباده من عبادة عبادهِ إلى عبادته... ومن ولاية عباده إلى ولايته».

٣- طابع حكمه الرفق بالناس: يقول عليه السلام: «إنَّ سخط العامّة يُجحِف برضى الخاصّة، وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة».

٤ - حماية المظلومين والاصطفاف معهم: لقد كان الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) ينتهز كلّ الفرص من أجل توسعة ثقافة مكافحة الظلم ويستفيد منها لحماية المظلومين، كما كان يحثّ الناس على مساعدته لإصلاح مجتمعهم، وهو يهتف: «أيّها الناس أعينوني على أنفسكم، وايم اللهَّ لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بحزامته».

فلم يعرف الإسلام قبل عليّ(عليه السلام) هذه البادرة، فلأوّل مرّة في التاريخ الإسلامي بادر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أثناء تولّيه السلطة، إلى تأسيس «بيت القصص» لكي يكون موضعاً لمعالجة مشكلات الناس وتظلّماتهم؛ فمن لا يستطيع من أبناء الشعب أن يوصل مشكلته شفوياً أو لا يرغب أن يُعبِّر عنها بهذه الصيغة، بمقدوره أن يكتب قصّته، ويوصل قضيّته عن هذا الطريق.

٥- الدفع عن الموالي: فقد لحق الظلم بالموالي في المجتمع الاسلامي دفعهم الى بث شكواهم عند علي عليه السلام و قال لهم الامام (يبدو ان هذا الكلام كان قبل خلافته): ((يا معشر الموالي، ان هؤلا صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون اليكم و لا يزوجونكم، و لا يعطونكم مثل ماياخذون فاتجروا بارك الله فيكم ()،و فسح الامام المجال للموالي بشكل ملحوظ حتى اعترض عليه بعض

العرب من امثال الاشعث بن قيس، و خاطبوه قائلين: غلبتنا هذه الحمرا على قربك)) بيد ان الامام كان يقول: ما كنت لاطردهم فاكون من الجاهلين.

و هذا لا يعني ان الامام كان يعتمد عليهم، بل ان هذا الاعتراض كان منطلقا من الروح القومية لاشخاص كالاشعث ممن ادانوا التفاف الموالي حول الامام - عليه السلام - حتى لوكانوا قليلين نهم ربما شاركوا في الحروب الى جانبه و هذا الموقف الذي ابداه الامام حيال الموالي لم يشجعهم على دعمه فحسب، بل و رسخ في اذهانهم حقيقة تتمثل في ا نه لا يرتضي امتهانهم.

و يذكر بعض الباحثين ان من عادة علي - عليه السلام - ان يخصص نصيبه ((النقدي))في الانفال لافتدا الاسرى الفرس و كثيرا ما اقنع الخليفة عمر بمشورته، فعمد الى تخفيف عب الرعية في فارس.

و يقول فان فلوتن: ان من اسباب ميل الخراسانيين و غيرهم من الفرس للعلويين هوانهم لم يعاملوا معاملة حسنة، و ماراوا عدلا الا في حكومة الامام علي (عليه السلام)

٦- رعاية النصارى (اهل الذمة) ومتابعة احوالهم:

في كتاب تهذيب الأحكام عن محمّد بن أبي حمزة عن رجل بلغ به أميرالمؤمنين(عليه السلام): مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أميرالمؤمنين(عليه السلام) ما هذا؟ فقالوا: يا أميرالمؤمنين، نصراني! قال: فقال أميرالمؤمنين(عليه السلام): أستعملتموه، حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفِقوا عليه من بيت المال[٩٩].

٧- حماية الطبقات السفلى من المجتمع وذوي الاحتياجات الخاصة والامر

برعايتهم:

الإمام عليّ(عليه السلام) – من كتابه إلى قثم بن العبّاس –: انظر إلى ما اجتمع عندك من مال اللهَّ فاصرفْه إلى من قِبَلَك من ذوي العيال والمجاعة، مُصيباً به مواضع الفاقة والخَلّات[١٠٠]، وما فَضَل عن ذلك فاحملْه إلينا لنقسمه فيمن قِبَلَنا[١٠١].

عنه(عليه السلام) – في عهده إلى مالك الأشتر –: ثمّ اللهَّ اللهَّ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البُؤْسى والزَّمْنى[١٠٢]؛ فإنّ في هذه الطبقة قانِعاً ومُعتَرّاً[١٠٣]، واحفظ للهَّ ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلّات صَوافي[١٠٤] الإسلام في كلّ بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلٌّ قد استُرعيتَ حقَّه، فلا يشغلنّك عنهم بطَر، فإنّك لا تعذَر بتضييعك التافِه لإحكامك الكثير المهمّ، فلا تُشخِصْ همّك عنهم، ولا تُصعِّرْ خدّك لهم.

وتفقَّدْ أُمور من لا يصل إليك منهم ممّن تَقتحمه العيون، وتَحْقره الرجال، ففرِّغْ لأُولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع. فليَرفعْ إليك أُمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى اللهَّ يوم تلقاه، فإنّ هؤلاء من بين الرعيّة أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكلٌّ فأعذِر إلى اللهَّ في تأدية حقّه إليه.

وتَعهَّدْ أهل اليُتم وذوي الرِّقّة[١٠٥] في السنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه. وذلك على الولاة ثقيل، والحقّ كلّه ثقيل[١٠٦].

عنه(عليه السلام) – في عهده إلى مالك الأشتر (في رواية تحف العقول) –: وتعهّد أهل اليُتم والزمانة والرقّة في السنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه؛ فأجرِ لهم أرزاقاً، فإنّهم عباد اللهَّ، فتقرّب إلى اللهَّ بتخلّصهم ووضعهم

مواضعهم في أقواتهم وحقوقهم، فإنّ الأعمال تخلص بصدق النيّات. ثمّ إنّه لا تسكن نفوس الناس أو بعضهم إلى أنّك قد قضيت حقوقهم بظهر الغيب دون مشافهتك بالحاجات، وذلك على الولاة ثقيل، والحقّ كلّه ثقيل، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا نفوسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لمن صبر واحتسب، فكن منهم واستعن بالله(١٠٧).

عنه(عليه السلام) – في عهده إلى مالك الأشتر، وهو في بيان طبقات الناس –: اعلمْ أنّ الرعيّة طبقات... ثمّ الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقّ رِفدهم ومعونتهم. وفي الله لكلٍّ سعة، ولكلٍّ على الوالي حقّ بقدر ما يُصلحه(١٠٨).

عنه(عليه السلام) – من كتابه إلى بعض عمّاله، وقد بعثه على الصدقة –: إنّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً، وحقّاً معلوماً، وشركاء أهل مسكنة، وضعفاء ذوي فاقة، وإنّا موفّوك حقّك، فوفِّهم حقوقهم، وإلّا تفعل فإنّك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبُؤسى لِمن خصمُه عند الله الفقراء والمساكين، والسائلون، والمدفوعون، والغارمون، وابن السبيل!(١٠٩)

دعائم الإسلام: إنّه [عليّاً(عليه السلام)] أوصى مِخْنَف بن سُليم الأزدي – وقد بعثه على الصدقة – بوصيّة طويلةأمره فيها بتقوى الله ربّه، في سرائر اُموره وخفيّات أعماله، وأن يلقاهم ببسط الوجه، ولين الجانب، وأمره أن يلزم التواضع، ويجتنب التكبّر؛ فإنّ الله يرفع المتواضعين ويضع المتكبّرين. ثمّ قال له: يا مِخنف ابن سُليم، إنّ لك في هذه الصدقة نصيباً وحقّاً مفروضاً، ولك فيه شركاء: فقراء، ومساكين، وغارمين، ومجاهدين، وأبناء سبيل، ومملوكين، ومتألّفين، وإنّا موفّوك حقّك، فوفِّهم حقوقهم، وإلّا فإنّك من أكثر الناس يوم القيامة خُصَماء، وبؤساً لامرئٍ أن يكون خصمه مثل هؤلا!(١١٠)

٨- العناية الخاصّة بالأيتام: الكافي عن حبيب بن أبي ثابت: جاء إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) عسل وتين من هَمدان[١١١] وحُلْوان[١١٢]، فأمر العُرَفاء[١١٣] أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الأزْقاق[١١٤] يلعقونها وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً، فقيل له: يا أميرالمؤمنين، ما لهم يلعقونها؟ فقال: إنّ الإمام أبو اليتامى، وإنّما ألعقتهم هذا برعاية الآباء[١١٥].

وفي ربيع الأبرار عن أبي الطفيل: رأيت عليّاً – كرّم اللهّ وجهه – يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتى قال بعض أصحابه: لوددت أنّي كنت يتيماً[١١٦].

أنساب الأشراف عن الحكم: شهدت عليّاً وأُتي بزِقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: دِبُّوا[١١٧] والعقوا، حتى تمنّيت أنيّ يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زِقّ[١١٨]، فأمر أن يُسقاه أهل المسجد[١١٩].

٩- متابعته الدقيقة للرعية لاتحطئ:

ناخذ من تلك المتابعات مثالين:

اولا- (نظر عليّ عليه السلام إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث عليّ بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقُتل، وترك عليَّ صبياناً يتامى وليس عندي شي ء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس. فانصرف وبات ليلته قلقاً. فلمّا أصبح حمل زِنْبِيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك. فقال: مَن يحمل وِزري عنّي يوم القيامة! فأتى وقرع الباب، فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإنّ معي شيئاً للصبيان. فقالت: رضي اللهّ عنك وحكم بيني وبين عليّ بن أبي طالب! فدخل وقال: إنّي أحببت اكتساب الثواب فاختاري بين أن تعجنين[١٢٠]

وتخبزين، وبين أن تُعَلِّلين[١٢١] الصبيان لأخبز أنا. فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان؛ فعلِّلْهم حتى أفرغ من الخبز. فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد عليّ(عليه السلام) إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلّما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بنيَّ، اجعل عليّ بن أبي طالب في حلٍّ ممّا مرَّ في أمرك. فلمّا اختمر العجين قالت: يا عبدالله، سجِّر التنّور. فبادر لسجره، فلمّا أشعله ولفَح في وجهه جعل يقول: ذُق يا عليّ! هذا جزاء من ضيّع الأرامل واليتامى. فرأته امرأة تعرفه فقالت: ويحكِ! هذا أمير المؤمنين. قال: فبادرت المرأة وهي تقول: واحَياي منك يا أمير المؤمنين! فقال: بل واحَياي منكِ يا أمة الله فيما قصّرت في أمرك)[١٢٢]

ثانيا- (و روي أنّه [عليّاً(عليه السلام)] اجتاز ليلة على امرأة مسكينة لها أطفال صغار يبكون من الجوع، وهي تُشاغلهم وتلهيهم حتى يناموا، وكانت قد أشعلت ناراً تحت قدر فيها ماء لا غير، وأوهمتهم أنّ فيها طعاماً تطبخه لهم، فعرف أمير المؤمنين(عليه السلام) حالها، فمشى(عليه السلام) ومعه قنبر إلى منزله، فأخرج قَوْصَرَّة[١٢٣] تمر وجِراب[١٢٤] دقيق وشيئاً من الشحم والأرز والخبز، وحمله على كتفه الشريف، فطلب قنبر حمله فلم يفعل.

فلمّا وصل إلى باب المرأة استأذن عليها، فأذنت له في الدخول، فأرمى شيئاً من الأرز في القدر ومعه شي ء من الشحم، فلمّا فرغ من نضجه عرّفه للصغار وأمرهم بأكله، فلمّا شبعوا أخذ يطوف بالبيت ويُبَعْبِع لهم، فأخذوا في الضحك.

فلمّا خرج(عليه السلام) قال له قنبر: يا مولاي، رأيت الليلة شيئاً عجيباً قد علمت سبب بعضه وهو حملك للزاد طلباً للثواب، أمّا طوافك بالبيت على يديك ورجليك والبَعْبَعة فما أدري سبب ذلك!

فقال(عليه السلام): يا قنبر، إنّي دخلت على هؤلاء الأطفال وهم يبكون من شدّة الجوع، فأحببت أن أخرج عنهم وهم يضحكون مع الشبع، فلم أجد سبباً سوى ما فعلت[١٢٥].

١٠- النهي عن الجود بأموال العامّة

الإمام عليّ(عليه السلام): جود الولاة بفيء المسلمين جور وخَتْر[١٢٦][١٢٧].

عنه(عليه السلام) - من كلام له كلّم به عبدالله بن زمعة، وهو من شيعته، وذلك أنّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً -: إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء للمسلمين وجَلْب أسيافهم؛ فإن شركتَهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلّا فجَناةُ[١٢٨] أيديهم لا تكون لغير أفواههم[١٢٩].

هوامش البحث:

(١) طه/ ١٢٣-١٢٥

(٢) جاء في معاني الأخبار: ١٣٢ / ٢ و ١٣٢ / ١، ودراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري - (ج ١٢ / ص ١٨): جاء عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) انه قال: لا يكون الإمام منا إلا معصوما، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف، قيل له فما معنى المعصوم قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، فالإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام،. (انظر ايضا: مجمع البحرين مادة عصم).

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين (١٢/ ١٢)، وميزان الحكمة - محمدي الريشهري (١/ ٩١)، و البحار: ٧٥ / ٣٥٩ / ٧٤.، شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد (ج١: ص: ٣٢٣).

(٤) الإرشاد: ١/ ٢٤٧، نهج البلاغة: الخطبة ٣٣ نحوه، بحارالأنوار: ٣٢/ ١١٣/ ٩٠.

(٥) مشكاة الانوار (ص: ٢٤٣)

(٦) جامع الأخبار: او معارج اليقين في اصول الدّين تأليف الشيخ محمد بن محمد السبزواري تحقيق؛ علاء آل جعفر:: ج١: ص: ٢١.

(٧) غرر الحكم و درر الكلم (ص: ٢٤١)

(٨) كما يروي البخاري ومسلم ان عمر بن الخطاب سمى اختيار ابا بكر للخلافة في السقيفة (فلتة وقى الله الاسلام شرها) وصرح ان سيقتل من يعود لمثلها

(٩) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٥٧)، و رواه صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٥)، و الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (١/ ١٦٤).

(١١) هود: ١١٣

(١١) الأحزاب: ٣٣]

(١٢) [الحديد: ٢٥]

(١٣) البقرة -١٢٤

(١٤) الأعراف: ١٥٩

(١٥) الأعراف: ١٨١

(١٦) الأمالي للمفيد (ص: ٣)، و البيان والتبيين: ٣/ ٢١١؛ نثر الدرّ: ١/ ٢٧٣، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢١٠ نحوه، وراجع نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٢ وروضة الواعظين: ٣٩.

(١٧) البقرة - ١٢٤

(١٨) الأنعام: ٧٣

(١٩) العنكبوت: ٤٤

(٢٠) الإسراء - آية ١٦

(٢١) هود - ١١٦

(٢٢) الأنبياء: ١١ - ١٣

(٢٣) المؤمنون: ٣٣ - ٤١

(٢٤) سبأ - ٣٤

(٢٥) هود: ٢٧

(٢٦) المؤمنون: ٢٤

(٢٧) القصص: ٧٨

(٢٨) جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ١٠٢) في ترجمة الوليد هذا خليفة رسول الله !!! (وكان فاسقاً شريباً للخمر منتهكاً حرمات الله أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه وخرجوا عليه فقتل في جمادى الآخر سنة ست وعشرين. وفي كتاب العبر في خبر من غبر (ص: ٢٩): (كان فاسقاً متهتكاً. زعم أخوه سليمان أنه راوده عن نفسه). وفي مرآة الجنان وعبرة اليقظان

في معرفة حوادث الزمان (١/ ١٢٢): ذكروا عنه أشياء قبيحة في الدين والعرض أكره ذكرها، وفي البدء والتاريخ (ص: ٣٤٢): ولاية الوليد بن يزيد بن عبد الملك و يقال له الخليع بن الفاسق و كان صاحب لعب و لهو.، وفي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١/ ١١٦) يقول: الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الهاشمي الأموي الدمشقي المعروف بالفاسق، تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٦٣، بترقيم الشاملة آليا): (الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. الخليفة الفاسق أبو العباس الأموي الدمشقي لم يعرف عنه الكفر ولكنه كان يتلوط.

(٢٩) الأعراف: ١٣٨

(٣٠) الشعراء: ٤٠

(٣١) القصص: ٧٩

(٣٢) الحج: ١١

(٣٣) فصلت: ٥٠

(٣٤) التوبة: ١٠١

(٣٥) الأنفال: ٤٩

(٣٦) التوبة: ٦٧

(٣٧) قال تعالى: لاينال عهدي الظالمين (البقرة-١٢٤).

(٣٨) الاحتجاج للطبرسي: ج ١: ص: ١٣٤

(٣٩) العلق - ٦-٧.

(٤٠) قال رسول الله صلى الله عليه واله: ((إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرًا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم).

اخرجه؛ (أبو داود، والبيهقى عن ابن مسعود) وللحديث أطراف أخرى منها: إن بنى إسرائيل لما وقع فيهم النقص، لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى. ومن غريب الحديث: ولتأطرنه على الحق أطراً: أى لتردنه إلى الحق. ولتقصرنه على الحق قصرًا: أى لتحبسنه عليه وتلزمنه إياه(جامع الأحاديث (٨/ ٤٤١)، و أخرجه أبو داود (٤/ ١٢١، رقم ٤٣٣٦)، والبيهقى (١٠/ ٩٣، رقم

١٩٩٨٣). أبي يعلى في مسنده ج٨/ ص٤٤٩ ح٥٠٣٥، وأخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٩) قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: الشجرى فى أماليه (٢/ ٢٣٠). ويقول جامع الأصول من أحاديث الرسول (أحاديث فقط) (١/ ١٠٩): ورواية الترمذي قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: « لما وقَعَتْ بنو إسرائيل في المعاصي، نَهَتْهُم علماؤهم، فلم ينتَهُوا، فجالَسُوهُمْ في مَجَالِسِهِم، وآكَلُوهم وشَاربوهم، فضربَ اللهُ قُلُوبَ بعضِهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون» فجَلَسَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وكان مُتَّكئًا، فقال: « لا، والذي نفسي بيده، حتى تأطِروهم على الحق أطرًا ». وفي المعجم الكبير (١٠/ ١٤٦) قال:تأطرونه تقهرونه).

ولذا فان التاطير الايديولوجي بدعة اتى بها الانقلابيون في السقيفة وكانت سبب الانحراف عن الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه واله مباشرة مع ان الرسول صلى الله عليه واله حذر من التأطير ومنعه منعا باتا كما مرّ توثيقه.

(٤١) الحديد: ٢٥

(٤٢) تصنيف نهج البلاغة: ج:١: ص:٦٦١، لبيب بيضون. وشرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد (٢٣٦/ ٤)، نهج البلاغه خطبه (٣١/ ١٠) الخطبة التي خطبها عليه السلام بصفين.

(٤٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٢١٦. وايضا راجع الكافي: ٨/ ٣٥٢/ ٥٥٠.

(٤٤) الانبياء – ١٠٧.

(٤٥) جاء في التفسير الوسيط للسيد محمد طنطاوي (ج:١: ص: ١١٣٨)عن حديث أبى ذر الطويل، وذلك فيما رواه ابن مردويه فى تفسيره حيث قال: حدثنا إبراهيم بن محمد. عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر قال: قلت يا رسول الله: كم عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. قلت يا رسول الله. كم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر.. .

(٤٦) المؤمنون – ٤٤.

(٤٧) الاحزاب – ٣٣.

(٤٨) البقرة – ١٢٤.

(٤٩) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٣، المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ١١٠، دعائم الإسلام: ١/ ٣٩٦، شرح الأخبار: ١/ ٣٧٣/ ٣١٦ كلاهما نحوه.

(٥٠) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ (٥/ ٦)

(٥١) جامع الاصول ج ١٠ ص ٤٠٩ وتراه في مشكاة المصابيح ص/ ٣٢٠. العَضوض: البِئْر البعيدة

القعر (المجلسي: ٨/ ٣٢٣).

(٥٢) أخرجه الطيالسى (ص ٢٨٩، رقم ٢١٧٨)، وأحمد (٣/ ٨٤، رقم ١١٨١٧)، والبخارى (٣/ ١٢٧٤، رقم ٣٢٦٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤، رقم ٢٦٦٩)، وابن حبان (١٥/ ٩٥، رقم ٦٧٠٣).

(٥٣) المستدرك للحاكم ٤/ ٤٨٧وصححه.

(٥٤) المستدرك للحاكم،٤/ ٤٧٩وكنز العمال،٦/ ٣٩واخرجه ابن عساكر كما روى صاحب الكنز

(٥٥) الاصابه لابن حجر،١/ ٣٥٣والسيوط ى فى الجامع الكبير ٦/ ٣٩، ١٣٥٤ , ٩١

(٥٦) كنز العمال ٦/ ٩١.

(٥٧) الحائف؛ من الحيف، أي الجور والظلم. والدول: جمع دولة بالضم هي المال لانه يتداول أي ينتقل من يد ليد. والمراد من يحيف في قسم الاموال فيفضل قوما في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل.

(٥٨) المقاطع: تعني الحدود التي اقرها الدين. محمد عبده ؛ نهج البلاغة: ج٢: ص: ١٤

(٥٩) نهج البلاغة، محمد عبده، ج١ ص:٨٠

(٦٠) نهج البلاغة، محمد عبده، ج١: ص:٨٠

(٦١) الادغال في الامر: إدخال ما يفسده فيه.

(٦٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦ وراجع الكافي: ٨/ ٣٥٢/ ٥٥٠.

(٦٣) محمد عبده؛ نهج البلاغة: ج٢: ص:٢٠٠

(٦٤) محمد عبده؛ نهج البلاغة: ج٢: ص:٢٠٠

(٦٥) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق:ج ٢ / ص: ١٨٩ /ح: ٢١٠٨.

(٦٦) النساء – ٥٨.

(٦٧) غرر الحكم: ٩٧١٤، عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٦/ ٨٩٦٠.

(٦٨) الممتحنة–٤

(٦٩) الشعراء:٧٥–٧٧

(٧٠) التوبة:١١٤

(٧١) البقرة– ١٢٤.

(٧٢) نهج البلاغه ج:٢: خطبة ١٥١

(٧٣) آل عمران – ١٧٩

(٧٤) هود – ١١٣.

(٧٥) غرر الحكم: ٨٩٦٦، عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٨/ ٧٢٦١.

(٧٦) الكِظّة: ما يعترى الممتلئ من الطعام (النهاية: ٤/ ١٧٧).

(٧٧) نهج البلاغة: الخطبة ٣، معاني الأخبار: ٣٦٢/ ١، الإرشاد: ١/ ٢٨٩ نحوه وفيهما «حضور الناصر»ف بدل «حضور الحاضر»، علل الشرائع: ١٥١/ ١٢، الاحتجاج: ١/ ٤٥٨/ ١٠٥ وفيه «أولياء الأمر» بدل «العلماء» وفيها «يقرّوا» بدل «يقارّوا» وكلّها عن ابن عبّاس، المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٢٠٥.

(٧٨) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٦، بحارالأنوار: ٣٢/ ٤٩/ ٣٣.

(٧٩) نهج البلاغة: الخطبة ٣٧، بحارالأنوار: ٣٩/ ٣٥١/ ٢٥.

(٨٠) تحف العقول: ١٣٥.

(٨١) أمالى الطوسى ج ١ / ٣٨٢، حلية الأبرار (٢/ ٢٣٣)، معاني الاخبار: ٣٦٠ ح ١. نهج البلاغة: الخطبة ٣، علل الشرائع: ١٥٠/ ١٢، الإرشاد: ١/ ٢٨٧، الأمالي للطوسي: ٣٧٢/ ٨٠٣ كلّها عن ابن عبّاس، الجمل: ١٧١ وليس فيه من «فسدلت» إلى «أحجى».

(٨٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥؛ ربيع الأبرار: ٢/ ٧١٩ نحوه وفيه إلى «وتلهو عمّا يراد بها» وراجع المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ١٠١.

(٨٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي (٣٣/ ٤٧٤). و(نهج السعادة – الشيخ المحمودي (٥/ ٢٣). نهج البلاغة: الكتاب ٤٥. شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد (ج: ٢٠).

(٨٤) نفس المصدر السابق: وأن مراده (عليه السلام) من الشخص المعكوس، والجسم المركوس هو معاوية، لانه كان معهودا بعدم المبالات بالشريعة. والمدرة – كالشجرة –: قطعة الطين اليابس. والحصيد: المحصود.

(٨٥)جاء في كتاب كلمات الإمام الحسين (ع)– الشيخ الشريفي – (ج ٢ / ص ٨٠): (أن عليا عليه السلام كان معتكفا في مسجد الكوفة جاء أعرابي وقت إفطاره، فأخرج على من جراب سويق شعير فأعطاه منه شيئا فلم يأكله الاعرابي، فعقده في طرف عمامته، فجاء إلى دار الحسنين (عليهما السلام) فأكل معهما فقال لهما: رأيت شيخا غريبا في المسجد لا يجد غير هذا السويق فترحمت عليه فاحمل من هذا الطعام إليه ليأكله، فبكيا وقالا: (انه أبونا أمير المؤمنين على يجاهد نفسه بهذه الرياضة). (انظر ايضا: ينابيع المودة: ١٧٤.)

(٨٦) حلية الأبرار – (ج ٢ / ص ١٤٣).

(٨٧) جاء في كتاب: الامام علي – (ج ١ / ص ٦٧): وأبى أن يدخل قصر الإمارة بل اختار بيت

جعدة بن أبي هبيرة المخزومي، وكان ابن أخته أم هاني، وقال عن قصر الإمارة: إنه قصر خبال لا تُنزلونيه.

(٨٨) السَّمير: الدهر، أي لا أفعله ما بقي الدهر (النهاية: ٢/ ٤٠٠).

(٨٩) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٦، تحف العقول: ١٨٥ وفيه «أموالهم» بدل «مال اللهَّ».

(٩٠) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤، عيون الحكم والمواعظ: ٥٠٦/ ٩٢٨٥، الصراط المستقيم: ١/ ١٦٣؛ ينابيع المودة: ١/ ٤٤٢/ ٦ وفيه إلى «الحطام» وراجع الأمالي للصدوق: ٧١٩/ ٩٨٨.

(٩١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤، الصراط المستقيم: ١/ ١٦٣؛ ينابيع المودّة: ١/ ٤٤٢/ ٦ وراجع الأمالي للصدوق: ٧٢٢/ ٩٨٨.

(٩٢) يقول الإمام الصادق(عليه السلام) في وصف دهاء معاوية السياسي: «تلك النكراء! تلك الشيطنة! وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل» (الكافي: ١/ ١١/ ٣).

(٩٣) الشورى: ٢٣.

(٩٤) تاريخ دمشق: ٤٢/ ٦٥/ ٨٤١٢ وص ٦٦، شواهد التنزيل: ١/ ٥٥٤/ ٥٨٨، كفاية الطالب: ٣١٧؛ مجمع البيان: ٩/ ٤٣ وزاد فيه «حتى يصير كالشنّ البالي» بعد «ثمّ ألف عام» وكلّها نحوه.

(٩٥) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٣٤، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٠٤، نهاية الأرب: ٢٠/ ١٣ وفيهما «بين القرى» بدل «ذوي القربى»؛ الجمل: ١٢٩ عن سيف عن رجاله نحوه.

(٩٦) نهج البلاغة: الخطبة ٩٢، المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ١١٠ وفيه إلى «وعتب العاتب».

(٩٧) نهج البلاغة: الكتاب رقم ٤٥، والعائل هو: الفقير. ووسائل الشيعة ١٨: ١١٦.

(٩٨) علي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد (١٦/ ٩).

(٩٩) تهذيب الأحكام: ٦/ ٢٩٣/ ٨١١.

(١٠٠) جَمْع خَلَّة: الحاجة والفَقْر (انظر النهاية: ٢/ ٧٢).

(١٠١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٧، بحارالأنوار: ٣٣/ ٤٩٧/ ٧٠٢.

(١٠٢) جَمْع زَمِين. ورجلٌ زَمِنٌ وزَمِينٌ: أي مُبْتَلىً بَيِّنُ الزَّمانَة. والزَّمانة: العاهَة (انظر: لسان العرب: ١٣/ ١٩٩).

(١٠٣) المُعْتَرّ: هو الذي يتعرّض للسؤال من غير طلب (النهاية: ٣/ ٢٠٥).

(١٠٤) الصَّوافي: الأملاك والأرض التي جَلا عنها أهلُها أو ماتوا ولا وارث لها، واحدتها صافِية (لسان العرب: ١٤/ ٤٦٣).

(١٠٥) يقال: رقّت عظام فلان إذا كبر وأسنَّ (لسان العرب: ١٠/ ١٢٢).

(١٠٦) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣ وراجع دعائم الإسلام: ١/ ٣٦٦.

(١٠٧) تحف العقول: ١٤١.

(١٠٨) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، تحف العقول: ١٣٢ وفيه «في في ء اللهَّ» بدل «في اللهَّ» وراجع دعائم الإسلام: ٣٥٧١.

(١٠٩) نهج البلاغة: الكتاب ٢٦.

(١١٠) دعائم الإسلام: ١/ ٢٥٢، بحارالأنوار: ٩٦/ ٨٥/ ٧.

(١١١) هَمَدان: مدينة تقع في غرب إيران، وهي مركز محافظة همدان، قريبة من مدينة كرمانشاه.

(١١٢) حُلْوان: مدينة قديمة في العراق العجمي (إيران) فتحها العرب ٦٤٠ م. أحرقها السلجوقيّون ١٠٤٦م. وأكمل الزلزال هدمها ١١٤٩م (المنجد في الأعلام: ٢٥٧).

(١١٣) جَمْع عَرِيف: وهو القيِّم بأُمور القبيلة أو الجماعة من الناس يَلي اُمورَهم ويتعرّف الأميرُ منه أحوالهم (النهاية: ٢١٨٣).

(١١٤) الزِّقّ: السِّقاء يُنْقَل فيه الماءُ، أو جِلدٌ يُجَزّ شَعْرُه ولا يُنْتَف نَتْفَ الأدِيم. وقيل: الزِّقّ من الأُهُب: كلّ وعاءٍ اتُّخِذ للشراب وغيره. والجمع أزْقاق وزِقاق وزُقّان (تاج العروس: ١٣/ ١٩٦).

(١١٥) الكافي: ١/ ٤٠٦/ ٥، بحارالأنوار: ٤١/ ١٢٣/ ٣٠.

(١١٦) ربيع الأبرار: ٢/ ١٤٨، المعيار والموازنة: ٢٥١ نحوه؛ المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٧٥.

(١١٧) الدبيب: حركة على الأرض أخفّ من المشي (معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٢٦٣).

(١١٨) في المصدر: «زقّاً»، وهو تصحيف.

(١١٩) أنساب الأشراف: ٢/ ٣٧٣.

(١٢٠) كذا في المصدر وبحارالأنوار، ومقتضى القواعد النحوية المعمول بها اليوم أن يقال: «أن تعجنى وتخبزى... وتعلّلي»؛ لمكان «أنْ» الناصبة للفعل المضارع. لكن ذكر صاحب النحو الوافي أنّ بعض القبائل العربيّة يهملها، فلا ينصب بها المضارع برغم استيفائها شروط نصْبه؛ كقراءة من قرأ قوله تعالى: (وَالْوَلِدَتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) برفع المضارع «يتمُّ» على اعتبار «أنْ» مصدريّة مهملة. والأنسب اليوم ترك هذه اللغة لأهلها، والاقتصار على الإعمال؛ حرصاً على الإبانة، وبُعداً عن الإلباس (النحو الوافي: ٤/ ٢٦٧).

(١٢١) عَلَّلَهُ بطعامٍ وحديثٍ ونحوهما: شَغَلَهُ بها (لسان العرب: ١١/ ٤٦٩).

(١٢٢) المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ١١٥، بحارالأنوار: ٤١/ ٥٢. راجع: القسم العاشر/ الخصائص العمليّة/ إمام المستضعفين.

(١٢٣) هي وعاءٌ من قَصَب يُعمَل للتمر، ويُشَدَّد ويُخفَّف (لسان العرب: ٤/ ١٢١).

(١٢٤) هو وِعاءٌ من إهاب [: جلد] الشاء لا يُوعَى فيه إلّا يابس (لسان العرب: ١/ ٢٦١).

(١٢٥) كشف اليقين: ١٣٦/ ١٢٩.

(١٢٦) الخَتْر: الغَدْر (النهاية: ٢/ ٩).

(١٢٧) غرر الحكم: ٤٧٢٥.

(١٢٨) جَنَى الثَمَرةَ ونحوها وتَجَنّاها: تناولها من شجرتها. والجَنَى: ما يُجْنَى من الشجر، واحدته جَناة، وقيل الجَناةُ كالجَنَى (لسان العرب: ١٤/ ١٥٥).

(١٢٩) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٢، المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ١١٠، غرر الحكم: ٣٧٠٢ نحوه.

المصادر والمراجع

١- القران الكريم.

٢- الشريف الرضي؛ نهج البلاغة، لأمير المؤمنين بشرح محمد عبده، (٤ أجزاء).

٣- البحراني، السيد هاشم؛(مدينة معاجز الائمة الاثنى عشر ودلائل الحجج على البشر، مؤسسه المعارف الاسلامية، طبع حجري إيران ١٢٩٠ هـ.

٤- الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال)، تحقيق علي اكبر الغفاري، مكتبة الصدوق- طهران.

٥-ابن ابي شيبة؛ أبي بكر عبد الله بن محمد العبسي، (المصنف في الاحاديث والاخبار)، ط. دار الفكر، بيروت لبنان.

٦- ابن شهر اشوب؛ ابو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني؛ (مناقب ال ابي طالب)، دار الاضواء، الطبعة الثانية، بيروت - ١٩٩١م- ١٤١٢هـ.

٧- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (التوحيد) تحقيق هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي-قم- ط١ (١٣٩٨ هـ).

٨- المالكي؛ المكي المشهور بابن الصباغ بن محمد بن احمد (الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة)، ط٢، طبع دار الاضواء بيروت- ١٩٨٨م.

٩- الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (أمالي الصدوق)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط٥، (١٤٠٠ هـ)

١٠- ابن الأثير؛ أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم الجزري (أسد الغابة في معرفة الصحابة) تحقيق على محمد معوض وعادل احمد، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ).

١١- الصادق؛ جعفر بن محمد (شرح مصباح الشريعة، المنسوب إلى الإمام الصادق) تحقيق حسن المصطفوي، دار القلم- طهران، ط١ (١٣٦٣ هـ).

١٢ - ابن الأثير الجزري؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (الكامل في التاريخ)، طبع مصر ١٣٠٣ هـ.

١٣- التميمي، عبد الواحد لامدي (غرر الحكم ودرر الكلم) تحقيق، مير سيد جلال الدين محدث الأرجوي- جامعة طهران، ط٣ (١٣٦٠ هـ).
١٤- الكنجي؛ الشافعي، (كفاية الطلب)، ط ٣. دار احياء تراث اهل البيت عليه السلام).
١٥- الشهيد الثاني؛ زين الدين بن علي بن احمد الجيعي العاملي (مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد)، تحقيق نشر ن مؤسسة آل البيت (عليه السلام)- قم، ط٣، (١٤١٢ هـ).
١٦- الهيثمي؛ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي نور الدين، (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) (ط. دار الفكر - بيروت).
١٧- الشجري؛ الجرجاني،) يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني)ترتيب الأمالي الخميسية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان-١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
١٨- الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسن (أمالي الطوسي) تحقيق مؤسسو البعثة، دار الثقافة -قم، ط١ (١٤١٤ هـ).
١٩- الهيثمي؛ أحمد بن حجر المكي (الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة) مكتبة الحقيقة، استنبول- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٠- الشهيد الأول، أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي الجزيني (الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة) تحقيق داود الصابري مشهد ط١، (١٣٦٥ هـ).
٢١- الشامي، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف) تحقيق مصطفى محمد عمارة، دار إحياء التراث- بيروت، ط٣، (١٣٨٨ هـ).
٢٢- الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة، (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول) النسخة المخطوطة في مكتبة آية الله المرعشي- قم المقدسة.
٢٣- الطوسي؛ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي (اختيار معرفة الرجال) المعروف بـ رجال الكشي تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني مؤسسة النشر الاسلامي التابعة

لجماعة المدرسين بقم المشرفة الطبعة: الاولى ١٤٢٧
٢٤- ابن كثير الدمشقي؛ اسماعيل بن عمر القرشي،(البداية والنهاية)، ط. دار عالم الكتب، بيروت- ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٥- الطبرسي؛ أبو علي الفضل (مشكاة الأنوار في غرر الأخيار)، دار الكتب الإسلامية- طهران ط١ (١٣٨٥ هـ).
٢٦- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد أبو الحسين بن موسى الموسوي (نهج البلاغة) تحقيق كاظم المحمدي ومحمد الدمشقي- انتشارات الإمام علي (عليه السلام)- قم، الطبعة الثانية (١٣٦٩ هـ).
٢٧- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (المجازات النبوية) تحقيق طه محمد الزيني- مكتبة بصيرتي- قم.
٢٨- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (الدر المنثور في التفسير المأثور)، دار الفكر- بيروت ط١/ (١٤١٤ هـ).
٢٩- السبزواري؛ محمد بن محمد الشعيري (جامع الأخبار) أو معارج اليقين في أصول الدين، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام)- قم ط١ (١٤١٣ هـ).
٣٠- البيهقي؛ أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (السنن الكبرى) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).
٣١- زين العابدين، علي بن الحسين (عليه السلام) (الصحيفة السجادية)، تحقيق علي أنصاريان، المستشارية الثقافية- دمشق.
٣٢- الرضا؛ علي بن موسى (عليه السلام)، (فقه الرضا، المنسوب إلى الإمام الرضا (عليه السلام))، تحقيق مؤسسة أهل البيت (عليه السلام) المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) - مشهد ط١، (١٤٠٦ هـ).
٣٣ - الجويني الخرساني؛ إبراهيم بن محمد(ت٧٣٠)، (فرائد السّمطين)، بيروت - مؤسسة المحمودي، الطبعة الاولى- ١٣٩٨ هـ.
٣٤- الرضا؛ علي بن موسى (عليه السلام) (صحيفة الإمام الرضا (عليه السلام)) تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عج)- قم- ط١/ (١٤٠٨ هـ).

٣٥- الطبرسي؛ أبو علي الفضل بن الحسن (مجمع البيان في تفسير القرآن)، تحقيق هاشم ألرسولي ألمحلاتي، وفضل الله اليزدي الطبطبائي، دار المعرفة- بيروت، ط٢، (١٤٠٨ هـ).

٣٦- الراوندي؛ قطب الدين، أبو الحسين عيد بن عبد الله (قصص الأنبياء) تحقيق غلام رضا عرفانيان- مشهد، (١٣٠٩ هـ).

٣٧- الراوندي؛ قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله (الدعوات)، تحقيق ونشر مؤسسة المهدي (عج) ط١ (١٤٠٧ هـ).

٣٨- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله (الحرائج والجرائح) تحقيق ونشر، مؤسسة الإمام المهدي (عج)- قم ط١ (١٤٠٩ هـ).

٣٩- الراوندي، فضل الله بن علي الحسيني (نوادر الراوندي)، المطبعة الحيدرية- النجف الأشرف، ط١، (١٣٧٠ هـ).

٤٠- الثعلبي؛ أحمد أبو إسحاق الثعلبي، (الكشف والبيان (تفسير الثعلبي))، دار إحياء التراث العربي سنة النشر: هـ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م.

٤١- الديلمي، أبو محمد الحسن بن أبي الحسن (أعلام الدين في صفات المؤمنين) تحقيق ونشر، مؤسسة ل البيت (صلى الله عليه وآله وسلم) -قم ط٢ (١٤١٤ هـ)

٤٢- الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (إكمال الدين وتمام النعمة)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط١ (١٤٠٥ هـ).

٤٣- الديلمي؛ أبو محمد أبي الحسن بن أبي الحسن (إرشاد القلوب)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة ٤، (١٣٩٨ هـ).

٤٤- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (سنن ابن ماجة) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).

٤٥- الحويزي؛ عبد علي بن جمعة العروسي، (تفسير نور الثقلين) تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم.

٤٦- الحلي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس (النوادر مستطرفات السرائر)، تحقيق

نـشر، مؤسسـة الإمـام المهـدي (عجـل الله فرجـه) -قـم ط١ (١٤٠٨ هـ).

٤٧- الحـلي؛ أبـو جعفـر محمـد بـن منصـور بـن احمـد بـن إدريـس (السرائـر الحـاوي لتحريـر الفتـاوي) تحقيـق نـشر مؤسسـة النـشر الإسـلامي- قـم، ط٢ (١٤١٠ هـ).

٤٨- الطـبرسي؛ أبـو عـلي الفضـل بـن الحسـن (أعـلام الـورى بأعـلام الهـدى) تحقيـق عـلي أكـبر الغفـاري، دار المعرفـة- بـيروت، ط١ (١٣٩٩ هـ).

٤٩- الطريحـي؛ فخـر الديـن (مجمـع البحريـن) تحقيـق احمـد الحسـيني، مكتبـة نـشر الثقافـة الإسـلامية- طهـران، ط٢، (١٤٠٨ هـ).

٥٠- الحسـيني، محمـد بـن الحسـن (المواعـظ العدديـة) تحريـر المـيرزا عـلي المشـكيني الأردبيـلي، دار الهـادي - قـم، ط١، (١٤٠٦ هـ).

٥١- ابـن قتيبـة؛ أبـو محمـد عبـد الله بـن مسـلم الدينـوري، (عيـون الأخبـار)، ط. دار الكتـب المصريـة، (تصويـر: دار الكتـاب العـربي) سـنة النشر-١٣٤٣هـ.

٥٢ - البحـراني؛ السـيد هاشـم،(حلية الأبـرار في أحـوال محمـد وآلـه الأطهـار عليهـم السـلام)، طبع إيـران سـنة ١٣٥٦ هـ.

٥٣- البيهقـي؛ أبـو بكـر احمـد بـن الحسـين (شـعب الإيـمان) تحقيـق أبـو هاجـر محمـد العبـد ابـن بسـيني زغلـول، دار الكتـب العلميـة - بـيروت، ط١ (١٤١٠ هـ).

٥٤- البيهقـي؛ أبـو بكـر احمـد بـن الحسـين بـن عـلي (السـنن الكـبرى) تحقيـق محمـد عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلميـة- بـيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).

٥٥- النسـائي ؛ ابـو عبـد الرحمـن احمـد بـن شـعيب،(خصائص امـير المؤمنـين عـلي بـن ابي طالـب كـرم الله وجهـه) طُبـع بمطبعـة التقـدّم بجـوار القطـب الدرديـر ـ بمـصر ـ سـنة ١٣١٩ هـ.النـاشر في إيـران؛ (منشـورات مكتبـة الصـدر ـ طهـران (أُوفسـيت)).

٥٦- البرقـي، أبـو جعفـر احمـد بـن محمـد بـن خالـد (المحاسـن) تحقيـق مهـدي الرجائـي، المجمـع أبـو بكـر أحمـد بـن عـلي (تاريـخ بغـداد مدينـة السـلام) المكتبـة السـلفية، المدينـة المنـورة.

٥٧- الانطاكـي؛ محمـد مرعـي امـين، (لـماذا اخـترت مذهـب اهـل البيـت عليهـم السـلام)، ط،مؤسسـة تحقيقـات ونـشر معـارف اهـل البيـت عليهـم السـلام، ايـران.

٥٨- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (تاريخ اليعقوبي) دار صادر- بيروت- ب.ت.

٥٩- الخوارزمي؛ الموفق بن احمد بن محمد المكي(المناقب) تحقيق: مالك المحمودي الناشر: مؤسسة النشر الاسلامية الطبعة: الثانية، قم المقدسة- ١٤١١هـ.

٦٠- أبو حنيفة، النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي (دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام القضايا والأحكام) دار المعارف - مصر، ط٢، (١٣٨٩ هـ).

٦١- ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (الغارات) تحقيق جلال الدين المحدث- طهران ط١ (١٣٩٥).

٦٢- ابن همام، أبو علي محمد بن همام الإسكافي (التمحيص) تحقيق نشر مدرسة الإمام المهدي (عج) - قم، ط١ (١٤٠٤ هـ).

٦٣- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (سيرة ابن هشام (السيرة النبوية))، تحقيق مصطفى سقا إبراهيم الأنباري، مكتبة المصطفى - قم، ط١ (١٣٥٥ هـ).

٦٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (لسان العرب) دار صادر- بيروت- ط١ (١٤١٠ هـ).

٦٥- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي (نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم) تحقيق الشيخ محمد فهيم أبو عبيه، مكتب النصر الحديث، الرياض، ط١ (١٩٦٨م).

٦٦- السيوطي؛ ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر، (الخصائص الكبرى)، نشر وتوزيع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٦٧- ابن المغازلي؛ علي بن محمد بن الطيب بن ابي يعلى، (مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب)، طبع دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

٦٨- ابن عساكر الدمشقي، علي بن الحسين بن هبة الله (تاريخ مدينة دمشق)، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف - بيروت ط١ (١٣٩٥ هـ).

٦٩- ابن الرازي؛ أبو محمد جعفر بن احمد بن علي القمي (جامع الأحاديث) تحقيق السيد محمد الحسيني النيسابوري، الحضرة الرضوية المقدسة -مشهد، ط١ (١٤١٣ هـ).

٧٠ - ابن الجوزي؛ يوسف بن قزغلي سبط الحنفي(تذكرة خواص الامة بذكر خصائص الأئمة)، طبع النجف الأشرف ١٣٦٩ هـ.

٧١- الطرابلسي؛ أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (كنز الفوائد) إعداد عبد الله نعمة، دار الذخائر- قم ط١، (١٤١٠ هـ).

٧٢- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى الحلي (الملاحم والفتن)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط١، (١٤٠٨ هـ).

٧٣- ابن طاووس الحسيني، أبو القاسم رضي الدين علي (كشف المحجة لثمرة المهجة) تحقيق محمد الحوت- مكتبة الإعلام الإسلامي- قم - ط١ (١٤١٢ هـ).

٧٤- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى الحلي (فتح الأبواب) تحقيق حامد الخفاف مؤسسة أهل البيت (صلى الله عليه وآله وسلم)- قم، ط١(١٤٠٩ هـ).

٧٥- ابن طاووس؛ أبو القاسم علي بن موسى الحلي (سعد السعود)، مكتبة الرضي- قم، ط١ (١٣٦٣ هـ).

٧٦- البغدادي؛ الحافظ ابو بكر، (تاريخ بغداد)؛(ط. دار الكتب العلمية بيروت).

٧٧- ابن طاووس؛ أبو القاسم علي بن موسى الحلي (الدروع الواقية) تحقيق نشر مؤسسة آل البيت (صلى الله عليه وآله وسلم)- قم ط١ (١٤١٤ هـ)

٧٨- الخلوتي؛ الجراحي المردي حسام الدين، (آل محمد) نسخة من مكتبة السيد الاشكوري بقم. (آل محمّد كتاب جمع فيه المؤلف(٢٣٣٧) حديثا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وفي آله عليهم السلام، وهناك نسخة مصوّرة عن نسخة الأصل بخط المؤلّف، وهو كتاب كبير.طبعته مكتبة المفيد في بيروت سنة ١٤١٥).

٧٩- ابن طاووس؛ أبو القاسم علي بن موسى الحلي (إقبال الأعمال)، مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، قم المشرفة- ١٤١٤هـ.

٨٠- الاهوازي؛ أبو محمد الحسين بن سعيد الكوفي (الزهد)، تحقيق غلام رضا عرفانيان

- قم، ط٢ (١٤٠٢ هـ).

٨١- الشافعي؛ المقدسي شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم، (عقد الدرر في اخبار المنتظر)، ط١. انتشارات مسجد جمكران، قم المقدسة، ايران.

٨٢- الأصبهاني؛ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (الأولياء وطبقات الأصفياء) دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت-١٣٨٧ هـ.

٨٣- الطباطبائي؛ محمد حسين (الميزان في تفسير القرآن) إسماعيليان- قم- ط٢ (١٣٩٣ هـ).

٨٤- ابن أبي الحديد؛ عز الدين عبد الحميد بن محمد المعتزلي (شرح نهج البلاغة) تحقيق؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث -بيروت- ط٢ (١٣٨٧ هـ).

٨٥- مسلم، أبو الحسين مسلم الحجاج التستري النيسابوري (صحيح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة ط١، (١٤١٢ هـ).

٨٦- ابن شعبة؛ أبو محمد الحسن بن علي الحراني (تحف العقول عن آل الرسول)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٢ (١٤٠٤ هـ).

٨٧- ابن فرخ؛ أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي، (بصائر الدرجات)، مكتبة آية الله المرعشي- قم، ط١/ (١٤٠٤ هـ).

محور
القضايا المعاصرة

أسس التنمية البشرية في المنظور الاسلامي

فكر الإمام علي (عليه السلام) انموذجا

م.مناف مرزة نعمة   أ.م.د.نزار كاظم صباح

كلية الادارة والاقتصاد ـ جامعة القادسية

المقدمة:

في ضوء ما تواجهه الأمة الإسلامية اليوم من تحديات كثيرة ألقت بظلالها ليس على وجود امتنا الاسلامية فقط لابل حتى على مستقبلها نعيد الى الاذهان قضية بالغة الاهمية وهي (اسس التنمية البشرية) ببعديها النظري والعملي لما لهذه التنمية من اثر في المحافظة على حقوق الانسان واصبح اليوم تحقيق التنمية البشرية من المتطلبات التي ينبغي الاستجابة له،،اذ يزخر الدين الاسلامي بتراث ضخم جدا يمكنه من بناء اساس قوي ومتين للتنمية البشرية والمحافظة على حقوق الانسان وكون الامام علي عليه السلام هو باب علم الرسول الاكرم (صل الله عليه واله)فقد كان فكر الامام (عليه السلام) نموذجا فذا في الحفاظ وتعزيز مؤشرات التنمية البشرية.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من ان الدين الاسلامي يحتوي على ارث ضخم من المبادئ والاسس التي يمكن ان تجعل من المجتمعات الاسلامية مثالا للتقدم والرقي الى انه نلاحظ المجتمعات الاسلامية في تراجع كبير في مؤشرات التنمية البشرية والحفاظ على مبادئ وحقوق الانسان من هنا تحديدا حددت مشكلة البحث.

فرضية الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها ان الفكر الاسلامي وفكر الامام علي كنموذج يزخر في العديد من الاسس التي يمكن لها ان تكون ذات اثر ايجابي في تعزيز مؤشرات التنمية البشرية.

اهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الى الوصول الى جملة من الاهداف منها الاطلاع على مؤشرات التنمية البشرية ومفهومها ومعرفة الجذور التاريخية لمفهوم التنمية البشرية فضلا عن معرفة العلاقة بين مؤشرات التنمية البشرية وحقوق الانسان فضلا عن معرفة مدى اهمية مؤشرات التنمية البشرية في المنهج الاسلامي والوقوف على فكر الامام علي (عليه السلام) وكيفية الحفاظ على مؤشرات التنمية البشرية وتعزيزها

هيكلية الدراسة:

لتحقيق اهداف الدراسة والتحقق من فرضيتها قسم البحث الى ثلاث مباحث تناول الاول منها الاطار النظري والمفاهيمي للتنمية البشرية فيما اختص المبحث الثاني في تسليط الضوء على مؤشرات التنمية البشرية في المنظور الاسلامي وتناول المبحث الثالث اسس التنمية البشرية في فكر الامام علي (عليه السلام)

المبحث الاول

التنمية البشرية الاطار النظري والمفاهيمي

اولا: الجذور التاريخية لمفهوم التنمية البشرية:

ينبغي علينا وقبل تناول مفهوم التنمية البشرية ان نتعرف على مفهوم التنمية الاقتصادية إذ يعد مفهوم التنمية الاقتصادية من الموضوعات المهمة التي شغلت تفكير الكثير من الاقتصاديين سواء في البلدان التي بلغت اقتصاداتها درجة عالية من التقدم،او التي لاتزال حديثة النمو على اعتبار ان التنمية الاقتصادية عملية معقدة تنطوي عادة على اقامة انشطة اقتصادية جديدة فضلا عن تطوير القطاعات الانتاجية وتوظيف الانشطة القديمة بطرق مختلفة جذرياً وقد اختلف الكتاب والاقتصاديون في تعريف التنمية الاقتصادية حيث يرى الاقتصادي المعاصر (kind Leberger) هي الزيادة التي تطرأ على الناتج القومي في فترة زمنية معينة مع ضرورة توافر تغيرات تكنولوجية وفنية وتنظيمية في المؤسسات الانتاجية القائمة،او تلك التي ينتظر انشاؤها كما يعد البعض التنمية الاقتصادية هي احداث تغيرات تدريجية في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية،وتوفير فرص العمل،وتحسين نوعية الحياة من اجل تعزيز الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.(١)

ومع تطور مفهوم التنمية الاقتصادية برز مفهوم التنمية البشرية كمفهوم واسع وشامل يغطي جميع الخيارات في جميع المجتمعات البشرية وفي جميع مراحل التنمية واصبح هذا المفهوم يوسع حوار التنمية من مجرد مناقشة الوسائل (نمو الناتج المحلي الإجمالي) لمناقشة الغايات النهائية كما يتعلق بتوليد النمو الاقتصادي كما هو الحال بالنسبة لتوزيعه، كما يُعنى بالاحتياجات الأساسية كما هو الحال مع

طائفة شاملة من تطلعات البشر، مثل التخلص من الحرمان البشري. حيث ان مفهوم التنمية البشرية ينسج التنمية حول الناس وليس الناس حول التنمية[٢].

وتشير الأدبيات التنموية بأن المفهوم التنمية البشرية قد مر بمرحلتين، الأولى تمثلت بالمدة بعد الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع التسعينيات، كان مفهوم التنمية في هذه المرحلة مقتصراً على ما يحصل عليه الفرد من سلع وخدمات، فكلما استطاع الحصول على المزيد من تلك السلع والخدمات، كلما ارتفع مستواه، ومن ثم زادت رفاهيته، كما ركزت على معالجة الفقر والبطالة وسد الحاجات الأساسية جاعلة الإنسان وسيله لها.

والمرحلة الثانية امتدت من تسعينيات القرن الماضي وحتى وقتنا الحاضر بعدما تبنى برنامج الأمم المتحدة (UNDP) ووكالاتها الدولية المتخصصة مفهوماً جديداً للتنمية الذي اعاد للإنسان مكانته الطبيعية في الجهد التنموي، واصبح الإنسان هو صانع التنمية وهدفها، وان قدرات أي أمة تكمن بما تملكه من طاقات بشرية مؤهلة ومدربة وقادرة على التكيف والتعامل مع أي جديد بكفاءة وفاعلية، لان البشر هم الثروة الحقيقية للأمة[٣].

ثانيا: مؤشرات التنمية البشرية

اعتمد برنامج الامم المتحدة الانمائي ثلاث مؤشرات لقياس التنمية البشرية هي:

الدخل: ان احد عناصر المؤشرات الأساسية في التنمية البشرية هو معرفة نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي الحقيقي والذي يعبر عن مؤشر الدخل، فانخفاض مستوى دخل الفرد يجعل الفرد أقل من المستوى المعاشي والاستهلاكي

مما يقلل من رفاهية الفرد، اما زيادة دخل الفرد الحقيقي، يعني تطور مستوى المعيشة الذي يرتبط بزيادة الاستهلاك من السلع والخدمات ومن ثم يؤدي الى زيادة رفاهيته.

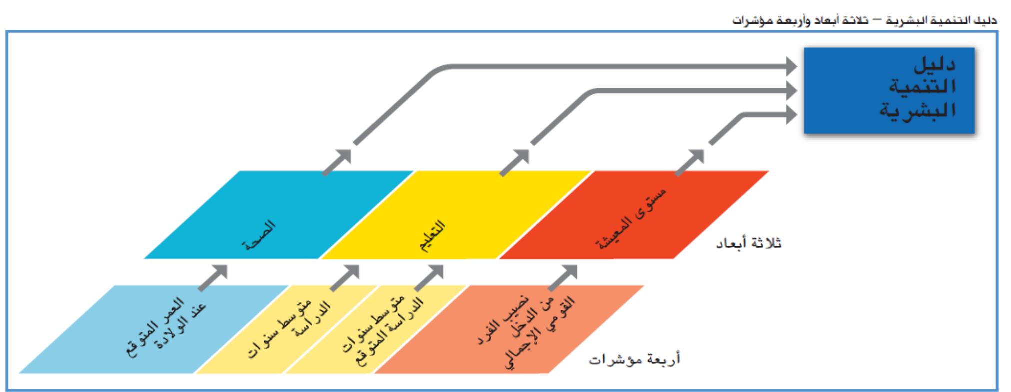
التعليم: هناك عدة مؤشرات لقياس بعد التعليم المعبر عن التنمية البشرية، منها وصول الطلبة الى مرحلة الخامسة ومعدل الإلمام بالقراءة والكتابة لدى الشباب، فهذان هما المؤشران المستخدمان في قياس التقدم المحرز نحو هدف تحقيق تعميم التعليم الابتدائي(٤).

الا ان هذين المؤشرين غير كافيين للوقوف على المستوى التعليمي للبلد، لذا لابد من استخدام مؤشرات تكميلية أخرى كمعدلات الالتحاق بالتعليم على جميع المستويات ومعرفة مستوى الأمية.

الصحة: يقاس البعد الصحي بمؤشرات عديدة اهمها قياس توقع الحياة عند الولادة أو معدل وفيات الرضع ووفيات الأطفال دون سن الخامسة من العمر أو معدل وفيات الأطفال

أدخل تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٠ تعديلات جديدة على دليل التنمية البشرية مع الحرص على ألا تمس هذه التعديلات بما يتميز به من بساطة ووضوح. حيث يبقى دليل التنمية البشرية مقياسا للتقدم في الأبعاد الثلاثة ولكن التغيير الذي أدخل عليه ذلك العام يتعلق بالمؤشرات المستخدمة لقياس التعليم والدخل وبطريقة تجميعها ولقياس بُعد التعليم حل متوسط سنوات الدراسة محل الالمام بالقراءة والكتابة. ويُقاس المعدل الاجمالي للالتحاق بالمدارس على أساس السنوات المتوقعة في الدراسة أي مجموع السنوات التي يتوقع أن يقضيها طفل في المدرسة على أساس معدلات الالتحاق الحالية. ويقدر متوسط سنوات الدراسة

لعدد أكبر من البلدان ويمكن أن يساعد على التمييز بين البلدان. بينما تستخدم السنوات المتوقعة في الدراسة لقياس البُعد المتعلق بالتعليم بالسنوات. ومقاييس بهذا البُعد تتجاوز مجرد تقدير الكمية الى تقويم النوعية. أما بالنسبة الى قياس القدرة على التمتع بحياة صحية فلم يطرأ عليه تغيير لان التقرير لم يجد مقياسا أفضل من متوسط العمر المتوقع عند الولادة. ولقياس مستوى المعيشة يستخدم نصيب الفرد من الدخل القومي الاجمالي بدلا من الناتج المحلي الاجمالي؛ وفي عالم تجتاحه العولمة تلاحظ فوارق كبيرة بين دخل سكان البلد الواحد والناتج المحلي ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل (١):



الشكل (١) عناصر دليل التنمية البشرية

المصدر: البرنامج الانمائي للأمم المتحدة ٢٠١٠، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٠، الامم المتحدة، نيويورك، ٢٠١٠، ص ١٣.

وبناء على تقرير الامم المتحدة تم تحديد القيم القصوى والدنيا لكل مؤشر وكما مبين في جدول (١)

جدول (١) مؤشرات التنمية البشرية

ت	المؤشر	القيمة القصوى	القيمة الدنيا
١	العمر المرتقب عند الولادة	٨٥ سنة	٢٥ سنة
٢	معدل القراءة والكتابة	٪١٠٠	٪٠
٣	نسبة القيد الاجمالي لجميع مراحل التعليم	٪١٠٠	٪٠
٤	نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي	٤٠,٠٠٠ دولار	١٠٠ دولار

المصدر: ابراهيم عبد الله جاسم عيسى،الانفاق على التعليم ودوره في التنمية البشرية في العراق للمدة من (١٩٩٠-٢٠١٤) مجلة تكريت للعلوم الاقتصادية والادارية،المجلد ١٢،العدد٣٥، ٢٠١٦،ص٢١٥

وبعد تحديد القيمة لكل مؤشر يتم احتساب مستوى الانجاز وفق الصيغة الاتية:

مستوى انجاز المؤشر =القيمة الفعلية للبلد -القيمة الدنيا / الحد الاقصى للمؤشر -الحد الادنى للمؤشر اما في حالة احتساب قيمة الانجاز لكل مؤشر يصبح تحديد دليل التنمية البشرية واضحا وفق المعادلة الاتية دليل التنمية اليشرية =١/ ٣ (مؤشر الصحة)+ ١/ ٣ (مؤشر التعليم)+ ١/ ٣ (مؤشر الدخل)وتتراوح قيمة دليل التنمية البشرية بين قيمتين (الصفر والواحد) وهو يستخدم في ترتيب الدول من حيث درجة التنمية البشرية فيها فكلما اقتربت القيمة القصوى من الواحد دل على ارتفاع التنمية البشرية فيها وكلما اقتربت القيمة الدنيا من الصفر دل على انخفاض التنمية البشرية فيها وعلى ذلك تقاس التنمية البشرية في البلد وحسب الاوزان المبينة في جدول (٢)

جدول (٢)مستوى التنمية البشرية في البلد

قيمة المؤشر	تصنيف التنمية
٠,٨-١,٠	عالية جدا
٠,٧-٠,٨	عالية
٠,٥-٠,٧	متوسطة
اقل من ٠,٥	منخفضه

المصدر: ابراهيم عبد الله جاسم عيسى، الانفاق على التعليم ودوره في التنمية البشرية في العراق للمدة من (١٩٩٠-٢٠١٤) مجلة تكريت للعلوم الاقتصادية والادارية،المجلد ١٢،العدد٣٥، ٢٠١٦،ص٢١٥

فضلا عن ما ذكر أعلاه من مؤشرات التنمية البشرية هناك مؤشرات أخرى مكملة لقياس التنمية البشرية ابرزها:

أ- الفقر: يقيس هذا المؤشر درجة الفقر الناتج عن النقص في الدخل أو في الاستهلاك، الذي يؤدي الى النقص في القدرة الاستهلاكية اللازمة لتلبية الاحتياجات الأساسية أو بلوغ حد أدنى من مستوى المعيشة.

ب-مؤشرات أخرى- وهناك مؤشرات أخرى كالبيئة وتمكين المرأة أو تحسين إدارة القطاع العام و التخطيط للموارد البشرية، وتوفير الحاجات الأساسية للبشر(٥)

ثالثا: التنمية البشرية وحقوق الانسان:

نلاحظ مما سبق ان التنمية البشرية-هي عملية توسيع الخيارات الناس عف طريق توسيع-الوظائف والقدرات البشرية، وهي تمثل -عملية وغاية في الوقت نفسه وعلى جميع مستويات التنمية تتمثل القدرات الأساسية الثلاث في ان يحيا الناس

حياة مديدة وصحية، وان يحصلوا على المعرفة وان يحصلوا على الموارد اللازمة

لمستوى معيشة اللائق ولكن لا تنحصر التنمية البشرية بذلك بل تمتد إلى ماهو ابعد من ذلك، فمجالات الاختيار الأخرى التي يعطي لها الناس قيمة فائقة تتضمن المشاركة والامن والقابلية للاستدامة وحقوق الإنسان المضمونة، لكي يكون الإنسان خلاقا ومنتجا ولكي يتمتع باحترام الذات وبالتمكين وبالإحساس بالانتماء إلى المجتمع. وفي التحليل الأخير التنمية البشرية هي تنمية الناس لآجل الناس وبواسطة الناس يؤكد التقرير الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، على الصلة التي لا تنفصل بين التنمية وحقوق الإنسان، ويقدم طائفة من المقترحات

ويحث التقرير الهيئات الدولية، بما فيها منظمة التجارة العالمية، على الاهتداء بمبادئ والتزامات حقوق الانسان في عملية صنع القرارات وذلك لتهيئة نظام اقتصادي عالمي عادل وشامل للجميع، ويقول للشركات العالمية ان تحقيق أرباح لايكفي فعليها مسؤولية ان تحترم حقوق الانسان كذلك، ويؤكد التقرير على ان الحكومات يجب ان تأخذ مركز الصدارة فيما يتعلق بحماية حقوق الانسان.(٦)

المبحث الثاني

التأصيل النظري لأسس التنمية البشرية في المنهج الإسلامي:

اولا-مؤشر التعليم والتعلم في المنظور الاسلامي:

حث الدين الاسلامي على التعليم ونيل المعرفة في مواضع عديدة اذ نجد آيات قرآنية كثيرة كانت تحث على طلب الحصول على العلم والمعرفة منها قول الله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (آل عمران:١٨) فأشهد الله العلماء دون غيرهم من البشر وقرن شهادتهم بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة ولا يستشهد الله إلا العدول[٧].

فضلا عن ذلك كرم الله سبحانه وتعالى العالم ومنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الزمر:٩) فضلا عن ذلك أخبر الله تعالى عن رفعه لدرجات أهل العلم والإيمان في قوله سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة:١١)، وما يدل على فضل العلم أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله مزيداً من العلم فقال: ((وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)) (طه:١١٤)، كما وصف تعالى من أوتي علماً فقد أوتي خيراً كثيرا في قولة سبحانه: ﴿**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ (البقرة:٢٦٩).

ولم يكتفي الدين الاسلامي في الحث على التعليم فقط وانما اهتم بجودة التعليم اذ تنطلق فلسفة الجودة في التعليم من أن طلب العلم فريضة على كل

مسلم كما ورد في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (صل الله عليه واله) (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ...)(٧٠)، والله هو المعلم الأول للبشرية لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة ٣١) ويعد الرسل من بعده معلمين لأقوامهم وشعوبهم لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ (آل عمران ١٦٤) ومن هذه المنزلة العالية للعلم أكتسب المعلمين مكانة قديرة عالية في الإسلام وقد عدهم الرسول ورثة للأنبياء ففي الحديث: (أَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُّ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...وَقَالَ النَّبِيُّ (صل الله عليه واله وسلم): (مَنْ يُرِدْ اللهُّ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ).[٨]

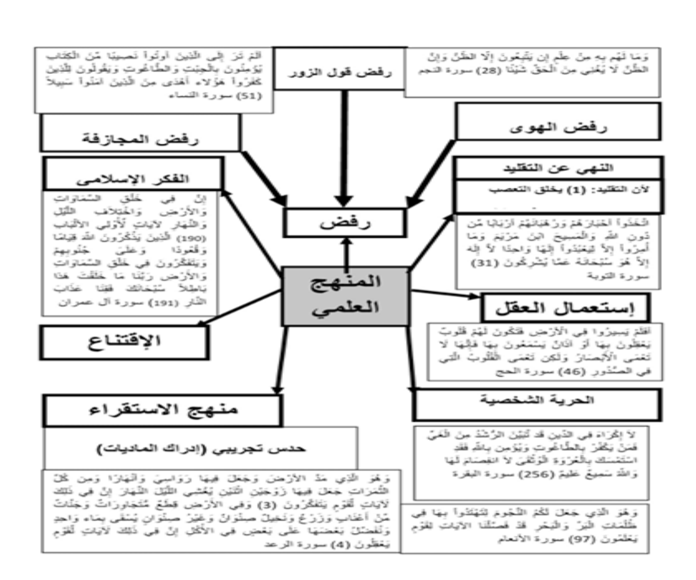
نلاحظ من الآيات الكريمة اعلاه في وجوب التعلم والحصول على المعرفة التي يمكن تعريفها على انها الطاقة التي تنقل الانسان في حركته التطورية من حالة الاستعداد الكامن (القوة) الى حالة العلم والادراك (والفعل) ولكن كيف تحصل المعرفة وفق تعليل الفلسفة الاسلامية تجيب الفلسفة الاسلامية عن هذا التساؤل بتقسيم الادراك الى قسمين ادراك تصوري بسيط الذي لا ينطوي على الحكم والادراك التصديقي المركب الذي ينطوي على حكم والمهم في البحث هو كيفية نشوء المعرفة عبر هذا التقسيم وهذا ما توضحه نظرية الانتزاع في الفلسفة الاسلامية والتي تقسم التصورات اولية (بسيطة مركبة) وتصورات ثانوية (مركبة اكثر من تصور أولي) وفي الجانب الاخر توجد تصديقات والتي تمثل مرحلة اصدار الحكم وتوليد المعرفة الموضوعية.[٩]

ولا يقتصر تعليم على داخل المدرسة فقط لقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه ١١٤) وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٨٢) فكل من الطالب والمعلم مطالب بالاستزادة من العلم،وتقوى الله لأنها سبب في حصول العلم.(١٠)

والمدرسة مقدمة للخدمة التربوية والتعليمية.والطالب باعتباره المستفيد من خدمة المدرسة لا يعد في الأصل هو المنتج،إنما المنتج العائد وهو ما يكتسبه الطالب من خلال عملية التربية والتعليم وهو مجموعة العلوم والمعارف والمهارات والقيم الأخلاقية والجمالية التي تعمل على تنمية الفرد المسلم ذاتياً في الجوانب المتصلة بامتلاك المعارف والمهارات والخبرات والمبادئ التربوية الإسلامية المبنية على الجودة والإتقان في التعليم والعمل،فلكي تتحقق الجودة الشاملة في التعليم لا بد من تربية المتعلم وتعليمه الإتقان والتجويد في عمله وذلك من خلال العمليات التعليمية المستمرة، والأنشطة المتنوعة، وعمليات التقويم المتنوع والمستمر.(١١)

ويقـوم المنهـج التعليمـي في الإسـلام عـلى مجموعـة اسـس تتضـح معالمهـا مـن خـلال تأكيـد اسـتعمال العقـل في التفكـير في مخلوقـات الله عـز وجـل و النهـي عـن التقليـد والإتبـاع الأعمـى لأنـه يولـد التعصـب ويعطـل التفكـير فضـلا عـن رفـض الظـن والمجادلـة التـي تُقـصي القلـب وليـس لهـا اسـتدلالات تؤكـد مصداقيتـه لهـذا الجـدل وقـول الـزور والهـوى و إعطـاء الحريـة الشـخصية للـدارس وخاصـة في مسـألة الاقتنـاع بالديـن، وتأمـل مخلوقـات الخالـق بالكـون و تدريـب طالـب العلـم عـلى منهـج الاسـتقراء وهـذه الأسـس والتعاليـم الإسـلامية للمنهجيـة التعليميـة مسـتدل عليهـا في الأصـل مـن القـرآن الكريـم كدليـل مـادي وروحـاني عـلى مصداقيتهـا. [١٢]، وكـما هـو موضـح في مخطـط (٢)

المخطط(٢)المنهج العلمي في الاسلام



المصدر.حسـن بـن عبـد القـادر حسـن البـار، «الثقافـة التربويـة والعلميـة الفكريـة»، الجـزء الأول،مكتبـة الملـك فهـد الوطنيـة،٢٠٠٩،ص ٢٠

ثانيا: مؤشر الصحة في المنهج الاسلامي:

نجد من خلال تعاليم الإسلام سواء في القرآن الكريم أو في أحاديث الرسول الكريم هنالك الكثير من الوصايا التي تحث المسلم على سلوك نمط حياة صحيّ، من خلال السلوك القويم إذ لم يعد فهم الصحة يقتصر على فهم البعد العضوي الحيوي فقط وإنما أصبحنا ننظر إليه على أنه تداخل عوامل ثلاثة هي (العضوية الحيوية و النفسية السلوكية والاجتماعية) وإن التعريف الشامل للسلوك ليعطينا فهما أفضل لعلاقته بالصحة وسلامتها فيعرّف السلوك بأنه كل ما يصدر عن الإنسان من فكر ومواقف وكلام وعواطف وأفعال ومن هذا التعريف ندرك كيف يرتبط السلوك ببعض جوانب الصحة، ويعطينا كذلك طريقة للتدخل وتعديل السلوك عن طريق تغير بعض الأفكار أو المواقف أو الأفعال حرصت الشريعة الإسلامية على أن يحيا الإنسان في بيئة صحية مناسبة ويشير القرآن الكريم إلى دور الإنسان المركزي في تغير نعمة الصحة هذه، حيث نقرأ قوله تعالى ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الأنفال: ٥٣] كذلك حث الرسول الاكرم (صل الله عليه واله) على نعمة الصحة مبينا ذلك من خلال الحديث الشريف (مَا أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ) اذ يفهم من هذا الحديث الشريف مدى قيمة نعمة الصحة حيث هي النعمة الكبرى بعد نعمة الإيمان بالله فمن واجبنا الحفاظ على نعمة الصحة هذه بمفهوميها المعروفين، فهناك مفهوم ردّ الصحة على المريض وهو المعنى الشائع للطب والطبّ العلاجي بشكل خاص، والمعنى الآخر وهو الأهم وهو حفظ الصحة على الصحيح والاهتمام بمعافاة البدن وتعرّف المعافاة أو الصحة بأنها: (حالة من المعافاة الكاملة بدنياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً)

وبجانب ذلك التفتت الشريعة الاسلامية الى جانب مهم في تعزيز صحة الانسان وهي البيئة اذ اوصى الدين الاسلامي في الحفاظ على البيئة كونها هي الاطار الذي توفر للإنسان الموارد ويلبي من خلالها احتياجاته وتبعا لذلك وضعت في الشريعة الاسلامية العديد من القواعد والمبادئ التي تكفل سلامة البيئة وحمايتها من العبث اذ تعد البيئة هي المهد والاساس الذي يمد الموطن في السكن والحياة للإنسان، فقد سخرها الله له وزودها بكل مقومات الحياة الآمنة الصحية السليمة إذ وردت الكثير من الآيات القرآنية لتحقيق التوازن البيئي فقد أشار القرآن الكريم إلى تحقيق هذا التوازن، وإلى خلق الكون بشكل هندسي رائع وسليم، قال تعالى ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ [الملك: ٣، ٤]

ووفقا لهذا الوصف الدقيق يبين الله تعالى النعم التي زودها سبحانه للإنسان فقد زود الله الأرض من موارد توفر موارد الاساسية لحياة الإنسان، ونجد ذلك واضحا في قولة تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] ومع ما خلق الله (سبحانه وتعالى) من موارد وسخرها للإنسان لا شك أن ذلك يقتضي من الإنسان أن يحافظ على ما أعطاه الله حتى يعيش سليما معافى، قادرا على العمل وعلى الإنتاج، ومتمتعا بما أعطاه الله له، ولن يتحقق له ذلك إلا بالحفاظ على البيئة التي يعيش فيها، وبوقاية نفسه من أية أضرار تحدث فيها، وكذا بالمسارعة بالعلاج كلما اقتضى الأمر ذلك. يقول الحق - سبحانه

وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثالثا: مؤشر عدالة توزيع الدخول في الشريعة الاسلامية:

-اهتمت الشريعة الاسلامية في عدالة توزيع الدخل بين الناس وحفظت حقوقهم الإنسانية كاملة، ووضعت لهم نظاماً مالياً قوياً، يضمن لهم أدنى مراتب الغنى، ليواصل الفقير والضعيف نشاطه وكدحه، في ميادين العمل والإنتاج، وذلك عن طريق المشاركة الفعلية والمتجددة بين الأغنياء والفقراء، من خلال فريضة تعرف في الإسلام بالزكاة، لضمان حق توزيع الدخل بشكل عادل بين شرائح المجتمع حيث تستهدف الزكاة تفتيت الثروة التي تتكدس في بعض الأيدي، التي ما كانت لها أن تعطي صدقة أو هدية لولا هذا الفريضة الشرعية فتتسع بذلك دائرة توزيع الثروة، لتشمل ذوي الحاجة، الذين لو لم يخصص لهم جزءاً منها لكانوا حرباً على أصحابها، وخطراً على أمن المجتمع وسلامته، يهدده بين حين وآخر.(١٣)

وقد اهتم الدين الاسلامي اهتماما خاصا بظاهرة الفقر ووضع العلاج لهذه الظاهرة نظرا لأثرها السلبي على المجتمع فمفهوم الفقر في الاطار المعرفي والدلالي لفلسفة المذهب الاقتصادي الاسلامي يتم بناؤه من خلال الربط المنطقي لمجموعة الصفات والخصائص التي تدخل في تركيب هذا المفهوم وبالاستناد الى المنهج المعرفي الاسلامي في عملية بناء المفاهيم فالمفهوم في التصور الاسلامي هو ذلك الوصف المعبر عن حقيقة كونية واجتماعية او تشريعية تتيح عملية الادراك هذه الحقيقة قدرة تفسيرية للعلاقات او الظواهر الكونية والاجتماعية.يعرف

مفهوم الفقر في المذهب الاقتصادي الاسلامي على انه الحاجة وفعله الافتقار (اي الاحتياج) وبإعمال هذا المعنى العام في النظر الى حقيقة التصور الاسلامي للنشاط الاقتصادي. [١٤]

ولذلك لا نعجب إذا رأينا أن الإسلام يكره للناس الفقر والفاقة والحاجة، ويحتم أن ينال كل فرد قادر على العمل كفايته أو شيئاً فوق الكفاية من جهده وعرق جبينه، فالإسلام كما أوضحت سابقاً يحث على العمل ويحفز إليه، باعتبار الكسب عن طريق العمل الذي يعتبر عنصراً أساسياً من عناصر الإنتاج في الإسلام هو الأسلوب الأول لمحاربة الفقر وجلب الرزق، أو ما يعرف بالدخل، ذلك أن الإسلام يبث في الناس روح الجد والكفاح «أطيب الكسب عمل الرجل بيده ويحث الفرد على امتلاك الموارد غير ذات النفع العام لتكون مصدر رزق له، لا يخضع فيه حتى للجماعة، ليرفع عنه ضغط الحاجة والعوز من ناحية، وسلطان الجهة التي تملك موارد الرزق من ناحية ثانية. [١٥]

وقد سبقت الشريعة الاسلامية بوضع اسس ثابته في عملية اعادة توزيع الدخل اذ نرى ان الاقتصاد الوضعي وضع الضريبة والتي تعرف على انها مبالغ نقدية تحصل عليها الدولة من الافراد جبرا وبدون مقابل بهدف تمويل نفقاتها العامة وتحقيق الاهداف النابعة من مضمون فلسفتها السياسية نجد ان الدين الاسلامي وضع الخراج(وهو عباره عن مبالغ مالية تحصل عليها الدولة الاسلامية في نهاية الحصول من العاملين على الارض الموقوفة اصلا للدولة الاسلامية)[١٦] من خلال التعريفين يتضح ان هناك اختلاف بين الخراج والضريبة وكما يأتي:

جدول (٣) الفرق بين الضريبة والخراج

ت	الخراج	الضريبة
١	تشريع رباني	تشريع وضعي
٢	يتصف في الثبات الدائم	لا تتصف في الثبات المطلق بل تتغير مع القانون والدولة
٣	يفرض على الاموال	تفرض على الاشخاص والاموال
٤	يفرض عند حصول النصاب وحلول الحول	تفرض في نهاية السنة (الضرائب المباشرة)
٥	لا يتعدد ولا يتضمن الازدواج	تتعدد الضرائب وتتنوع وقد تضمن الازدواج
٦	عنصر الايجار يعكس العلاقة بين المكلف وربه	عنصر الايجار يعكس العلاقة بين المكلف والدولة
٧	المكلف يتقرب من ربه في ادائها	يحاول التهرب منها بارتفاعها
٨	منفعة الخراج تتعدى الحياة الدنيا الى حياة الأخرة	منفعة الضريبة دنيوية
٩	هدف الخراج يعكس هدف الله سبحانه وتعالى	هدف الضريبة تعكس سياسة الدولة
١٠	تؤدي الى تقليل التفاوت بين فئات المجتمع وتؤدي الى زيادة التراحم بينهم	اذا كانت الضريبة غير مباشرة تؤدي الى زيادة التفاوت والإساءة الى الفقير
١١	تؤدي الى زيادة الانتاج وتحسين الاوضاع الاقتصادية	قد تؤدي الى تدهور الانتاج والاستهلاك والاستثمار

المصدر: رضا صاحب ابو حمد،السياسات المالية في عهد الامام علي (عليه السلام)، الطبعة الاولى،مركز الامير لأحياء التراث الاسلامي،النجف الاشرف،٢٠٠٦،ص٨٢

رابعا: دور الشريعة الاسلامية في المحافظة على حقوق الانسان:

جاءت الشريعة الاسلامية بأحكام تنظم مختلف شؤون الحياة وتحقق سعادة الناس وتعمل على بناء مجتمع تتساوى فيه الحقوق والواجبات بين أبناء البشر وتوجد الكثير من الآيات القرآنية التي جاءت حافلة بما يدعوا إلى الحقوق والحريات على مختلف أنواعها، والأحاديث النبوية جاءت مكرسة لها في الكثير من أحكامها فقد شرّع الإسلام للبشرية منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة حقوق الإنسان بصورة عميقة وشاملة وصاغ مجتمعه على مجموعة مبادئ إنسانية تدعم هذه الحقوق. وكان من أهم مبدأ من مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام هو مبدأ (كرامة الإنسان) الذي أكد عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والكرامة الإنسانية أهم ما يميز الإنسان من سائر المخلوقات فينبغي على الإنسان فهمها واحترامها وشكرها وقد وهبها الله للإنسان من دون الإشارة إلى دينه أو لونه أو عنصره.(١٧)

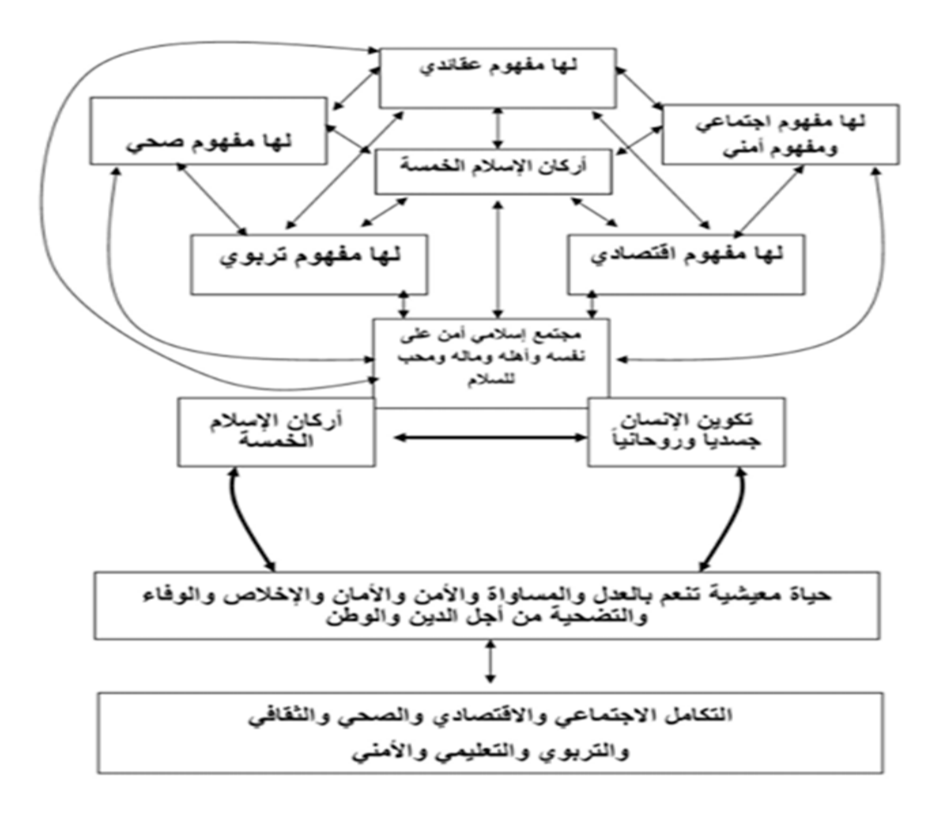
وتتجسد حقوق الإنسان في الإسلام في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما جاء به الفقه الإسلامي من أحكام وقواعد، فأحكام الشرع الإسلامي من بدايتها إلى نهايتها جاءت من اجل الإنسان وحمايته، لا من الآخرين فحسب، بل لحمايته من نفسه أيضا فلم يكن الإنسان في الإسلام مخيرا بأن يفعل ما يضر نفسه، فلا توجد آية في القرآن الكريم أو حديث نبوي شريف إن لم تتضمن حماية للإنسان والحفاظ على حقوقه وحقوق الاخرين ولعل ما يميز الإسلام من غيره من العهود والمواثيق الدولية الحديثة المتعلقة بحقوق الإنسان « شموليته وعالميته «. فالإسلام لم يكن مقتصراً على مكة وما حولها، والرسول العربي لم يكن مبعوثاً لقومه شأن الرسل الآخرين. ولكنه كان مبعوثاً للناس جميعاً

بصريح الآيات القرآنية التي تدل على انه أُرسل للعالمين من الإنس والجن على حد سواء فالإسلام بشريعته السمحاء أقر للمسلمين حقوقاً وحريات يمكن أن نسميها الحقوق والحريات الأساسية والمدنية تعالج احتياجات الفرد نفسه، وكذلك أقر حقوقاً أخرى تشملهم جماعة وأمة، وتسمى بالحقوق السياسية، وهي بذلك تكون قد حددت معنى حقوق الإنسان ومدلوله وحرياته، بما يصون كرامته ويكفل حقوقه وحرياته.(١٨)

فضلا عن ذلك اهتم الاسلام بالطفل اهتمام خاص قبل ان يخرج للحياة وبذلك سبق الانظمة الحديثة بعشرات القرون في ضمان حقوق الطفل في مختلف مراحله العمرية، حيث ان الامم المتحدة لم تقر وثيقة حقوق الطفل الا عام ١٩٥٠ وقد امتاز الاسلام بمرونته وقوانينه واحكامه قابلة التطبيق في كل زمان ومكان، ولن ترقى اية قوانين لاحقة لما وصل اليه الاسلام من الكمال، فالشريعة الاسلامية اوجدت منهجاً ونظاماً لا يدانيه اي نظام، فقد اكمل الله الرسالة واتم بها النعمة قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) واهتم الاسلام بنيل العلم والتعليم وجعله من أهم حقوق الانسان التي يجب ان يتم السعي الحثيث لتحقيقه وخصوصاً للطفل لينير عقله ويرقى بوجوده ويعلو من شأنه.(١٩)

نرى مما سبق ان الدين الاسلامي قد اولى اهمية كبيرة لمؤشرات التنمية البشرية وهذا ما اكدته الآيات الشريفة واحاديث الرسول الاكرم (صل الله عليه واله وسلم) فعند ملاحظة المخطط (٣) يتبين لنا علاقة مؤشرات التنمية البشرية في الدين الاسلام

المخطط (٣) علاقة مؤشرات التنمية البشرية في الدين الاسلام



المصدر. حسن بن عبد القادر حسن البار، «الثقافة التربوية والعلمية الفكرية»، الجزء الأول، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٩، ص ١٨

المبحث الثالث:

مؤشرات واسس التنمية البشرية في فكر الامام (عليه السلام)

اولا-السياسة المالية ومؤشر عدالة توزيع الدخل:

تمثل السياسة المالية في عهد الامام علي (علية السلام) في حرصة الشديد على اموال المسلمين وكيفية تحصيلها وانفاقها في مجالاتها الصحيحة واتضحت سياسة الامام عليه السلام في جانب النفقات في اول يوم من خلافته حيث خطب في الناس واوضح انه سوف يتبع نظام المساواة في العطاء بين الناس وانه هو كأحدهم اذ يقول عليه السلام (فأنتم أيها الناس عباد الله المسلمون، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، وللمتقين عند الله خير الجزاء، وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاءاً، وما عند الله خير للأبرار) كذلك قولة عليه السلام (ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا، فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الفصائل الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقنا)[٢٠].

وقد توجه الامام علي عليه السلام الى مرحلة اخرى متقدمة من مراحل التثقيف لبناء مالي وهي بيان المفهوم السامي للاقتصاد وملحقاته المفهوم الذي نستطيع ان نسميه مفهوم واقعي اخلاقي وهو مفهوم التوسط أو الوسطية في التعامل مع المال، ويلاحظ من وصيته الى عامله على البصرة وصيته زياد بن أبية (فدع الإسراف مقتصدا، واذكر في اليوم غدا، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك)

واوصى عليه السلام في كيفية تعامل الحاكم مع اموال الشعب كونه ليس فرد وانما يتعامل مع اموال الشعب على مستوى الاعتدال والتوسط وليس على مستوى الاسراف والتبذير لان التوسط هو ابرز المعان التي يراها الامام عليه السلام لاقتصاد. (٢١)

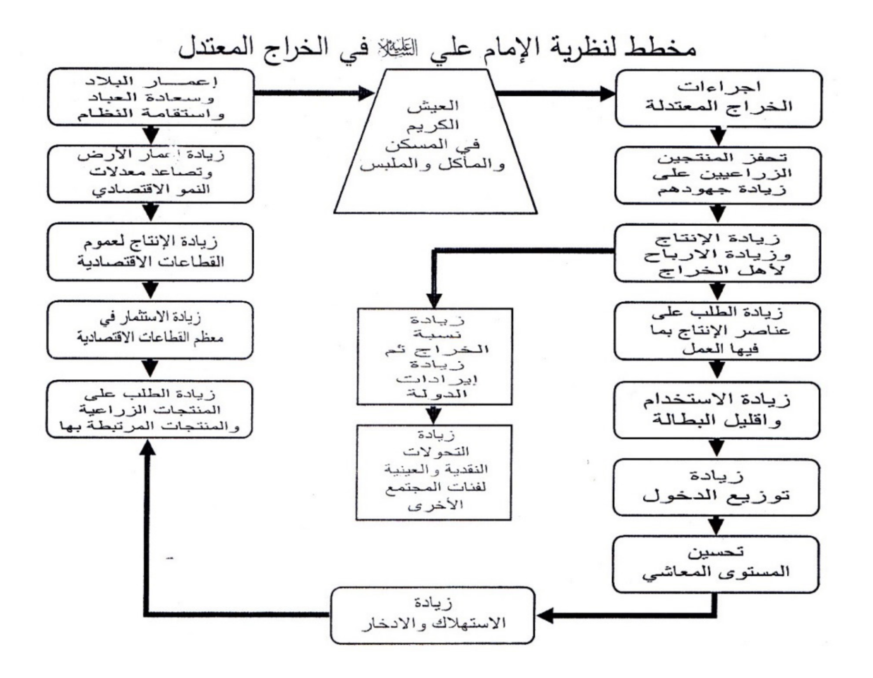
وكان الامام يحرص على زيادة ثقافة عدم الاسراف والتوسط في الانفاق بهدف ايصالها الى الاخرين بحكم مركزه السياسي، وايضا لبناء نظام مالي رصين مبني على اختيار الخبراء أو المستشارين وقد حدد المساوئ التي قد تصيب النظام في حال تجاوز الاختصاص لان ذلك سيؤدي الى ظهور الفساد المالي وبالتالي الإداري ايضا» اذ بين ذلك في وصيته الى عامله مالك الاشتر حينما قال (لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور، ولا حريصا يزيف لك الثمرة بالجور، فان البخل والجبن والحرص غرائر شتى يجمعها سوء الظن بالله) وإذا اردنا ان نستفيد من هذا الكلام بما يحقق البناء المالي الرصين يجب ان نتعمق في دراسته وفق المنظار الذي يعتمد على النقاط الآتية:

١- ان ذكر الامام علي عليه السلام للصفات السالفة هو يمثل صورة تثقيفية للعمل وفق قوانين علمية واخلاقية وليس غرائز نفسية كحب المال وبالتالي البخل والحرص أو الجبن والخوف التي تمنع من اتخاذ القرارات الشجاعة المناسبة.

٢-اختيار المتخصصين في النظام المالي لإدارة الأمور الحسابية ووضع ورسم السياسات المالية وعدم التخبط في ذلك.

٣-في الوقت الذي اكد به الامام على عدم التبذير فأنه يدعو الحكام إلى عدم التقتير على الشعب بل يجب ان تكون السياسة التي وضعها المتخصصون قائمة على اسس علمية ومراعية للمستحقين اذ كان الامام (علية السلام) اذا تجمعت

الاموال في بيت المال اخذ بتوزيعها على كافة المسلمين في التساوي حيث قال(انتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية) وهذا التوزيع العادل للثروة العامة ساهم كثيرا في تحسين الاموال المعاشية، واشباع الحاجات الضرورية من سكن وملبس ومأكل وغيرها من الاساسيات العامة للناس، لاسيما الفئات الفقيرة وقد اشارت العديد من الدراسات الى ان المدة التي امضاها الامام في الخلافة تميزت بالازدهار والنمو الاقتصادي وزيادة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية واضمحلال مشكلة البطالة والتضخم والسكن والجريمة والفقر وغيرها من المشكلات الاقتصادية ويمكننا من ملاحظة مخطط (٤) ان نوضح اهم المؤشرات لنظرية الامام علي (علية السلام) في الخراج المعتدل وتوفير مستلزمات الحياة.



المصدر: رضا صاحب ابو حمد، الإمام علي بن ابي طالب وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والاعمار، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية،المجلد العاشر،٢٠١٥،ص ١٢٧

مخطط لنظرية الإمام علي (عليه السلام) في الخراج المتشدد

اجراءات الخراج المتشددة

زيادة حصة الدولة من إنتاج اهل الخراج

انخفاض الحافز لدى اهل الخراج على الإنتاج

هجرة الفلاحين من الزراعة إلى مناطق ونشاطات اخرى

انخفاض الإنتاج في النشاط الزراعي

انخفاض الطلب على عناصر الإنتاج بما فيها العمل

انخفاض الاستخدام وزيادة البطالة

انخفاض توزيع الدخول

العيش السقيم في السكن والماكل والملبس

خراب البلاد واهلاك العباد وعدم استقامة النظام

انخفاض الاعمار وتدهور معدلات النمو الاقتصادي

انخفاض الإنتاج لعموم القطاعات الاقتصادية

هجرة الفلاحين من الزراعة إلى مناطق ونشاطات اخرى

انخفاض الاستثمار في معظم القطاعات الاقتصادية

ارتفاع اسعار السلع الزراعية والغذائية لقلة عرضها

انخفاض الاستهلاك والادخار

تراجع المستوى المعاشي

المصدر: رضا صاحب ابو حمد، الإمام علي بن ابي طالب وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والاعمار، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية،المجلد العاشر،٢٠١٥،ص ١٢٧

ولم يكتفي الامام (عليه السلام) في توصيف المال العام فقط بل اهتم في كيفية ادارة الاموال في التي في حوزة الفرد ولم يجعله يتصرف بها كيف يشاء بل حدد له اوجه الانفاق لأنه يعلم ان ملكية الفرد لهذه الاموال هي ليست ملكية مطلقة وانما هي ملكية ثانوية اي ان الافراد مستخلفين على هذه الاموال فيجب عليهم ان ينفقوها في الوجوه التي ترضي المالك الاصلي لها وهو الله جل جلاله ولتحقيق المساواة في الدخل وتبعا لذلك حدد الامام (عليه السلام)اوجه الانفاق في الاتي:(٢٢).

اولا: انفاق المال خارج حدود العائلة

أ-انفاق المال على القرابة اي على الاقارب والجيران لزيادة التراحم والتواصل والمحنه بينهم.

ب-انفاق المال على الضيافة.

ج-انفاق المال من اجل فك الاسير والعاني.

د-انفاق المال على الفقير.

ه-انفاق المال على الغارم على المدين الذي لا يستطيع ان يسدد ما عليه من ديون.

و-يعطي حق الله في ماله من خمس وزكاة وكفارات وغيرها مما فرض الله تعالى عليه من كفارات.

انفاق المال داخل حدود العائلة:[٢٣]

أ-انفاق الاموال على الغذاء بالمعروف اي ما يسد حاجته من الغذاء.

ب- انفاق المال على الحاجات الضرورية الاخرى من مسكن وملبس وغيرها ايضا بالمعروف اي بالاعتدال والاقتصاد.

ثانيا :مؤشر حق التعليم والتعلم في فكر الامام عليه السلام:

جعل الامام علي(عليه السلام) من الرسالة الاسلامية مسؤولية علمية،ناهيك عن ابعادها الاخرى، حيث يقول (عليه السلام) (ان اولى الناس بالأنبياء اعلمهم بما جاؤوا به)، وان قول الرسول الاكرم (صل الله عليه واله) (خمسة لا يحل منعهن الماء والملح والكلأ والنار والعلم قد وجدت صدى وتطبيقا عمليا في دولة الامام حيث اكد (عليه السلام) على مسؤولية الدولة من جهة وحق

الفرد عليها من جهة اخرى اذ اكد نشر العلم واشاعته في المجتمع ونظرا لأهمية العلم في بناء الدولة وتحقيق النجاح في قيادة المجتمع جعل الامام من الشخصية العلمية الناضجة للحاكم احد الشروط والمواصفات التي سعى الى ايجادها في شخص الحاكم وسياسته حيث يصفه وجعل نشر العلم احدى دعائم شرعية حكمه إذ يقول (عليه السلام): مخاطباً الامة « قد (دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج،وعرفتكم ما انكرتم).

ونجد ان الامام (عليه السلام) قد وصف المجتمع توصيفا دقيقا اذ قال (الناس ثلاثة: عالِمٌ رباني، ومتعَلِّم على سبيل نجاة، وهَمَج رعاع، أتْباع كل ناعق، يميلون مع كلِّ ريح، لَم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ، العلم خيْرٌ من المال، العلم يحرُسك، وأنت تحرُس المال، العلم يزْكُو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقةُ، العلمُ حاكم، والمال مَحْكوم عليه، ومحبة العلم دِين يُدان بها، العلمُ يُكْسِب العالِم طاعةً في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خُزَّان المال، وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقيَ الدَّهْر، أعيانُهم مفْقودة، وأمثالهم في القلوب موْجُودة)

حضي الانفاق على التعليم اهمية بالغة عند الامام (عليه السلام) اهمية بالغة إذ نجد منشأ سلوكه وسيرته في هذا الجانب على اساس النظرة التي يحملها الى للإنسان لان قيمة كل امرئ ما يحسن ومن البديهي تكون نتيجة هذه النظرة صرف الكثير من المال للحصول على العلم والمهارة[٢٤].

وهذا ما نجده اليوم في المجتمعات التي تمتلك مؤشرات جيدة في التنمية البشرية تهتم بجانب الانفاق على التربية والتعليم فضلا عن ذلك حمل الامام الحاكم مسؤولية النهوض بالعلم لم يجعلها حكرا عليه انما هي مسؤولية جماعية

وفردية كذلك حيث يقول (عليه السلام): «تزاوروا واكثروا مذاكرة الحديث فان لم تفعلوا يندرس الحديث» أي قيام العلوم، ومنها علم الحديث، ينتعش ويزدهر اذا تبناه المجتمع وتحول الى ثقافة عامة،فالعلم ملك للجميع، كل حسب قدرته،وليس حكرا على فئة معينة، وهو ما نجده في قوله (عليه السلام): «ان الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال ومن هذا المنطلق خاطب الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)الأجيال بما يوقظهم على أن الحياة الحرة لا تطبق من القيود إلا ما كان سبباً في مجراها و واسطة لبقائها و قبساً من ضيائها وناموساً من نواميسها، وأنها لا يطيب لها البقاء في مهد الأمس فعليهم ألا يحاولوا وتقديمها وإلا انقلبت إلى فناء وملاحظة الإمام علي (عليه السلام)الدقيقة والعميقة للحياة ونواميسها مكنت في نفسه الإيمان بثورية الحياة المتطلعة أبداً إلى التطور والنمو فترتب على ذلك إيمان عظيم بان الإحياء يستطيعون أن يصلحوا أنفسهم وذلك بان يماشوا قوانين الحياة ويستطيعون أن يكونوا أسياد أمصارهم وذلك بان يخضعوا لعبقرية الحياة وبهذا يكون الإمام علي (عليه السلام) قد وضع مفهومه عن ماهية التربية وأهدافها وطبيعتها فهو يلخص التربية بمفهوم الإيمان بمبدأ التكيف العاقل وأعداد للبيئة من جانب المتعلم.والعمل على بناء الإنسان بما جاء به الإسلام ومنهج الدين الإسلامي والسنة والعمل بمنهج وسنة الرسول محمد والتربية بناء وإصلاح للفرد والمجتمع وتنظيم لعلاقة المخلوق بالخالق وعلاقة الإنسان بنفسه ومجتمعه.[٢٥]

ثالثا: تجسيد حقوق الانسان في فكر الامام علي (عليه السلام):

ينطلق الإمام في سعية نحو المساواة العادلة من النفس البشرية فالعدالة الانسانية الفردية هي الاساس والبنية التحتية للعدالة في المجتمع، فيخاطب الإمام

الانسـان ابتـداءً (مـا لابـن ادم والفخـر، اولـه نطفـة واخـره جيفـة) فالأمـام يصـوغ فلسـفة المسـاواة وتأصليهـا في ثقافـة الانسـان ووعيـه حـين يذكـره ببـدء خلقـه ونهايتـه حتـى تكـون هـذه الحتميـة المصيريـة هـي اولى تجليـات المسـاواة البشريـة (فكلكـم لادم وادم مـن تـراب) فضـلا عـن ذلـك حقـق الإمـام عـلي (عليـة السـلام) في مجـال سياسـته العادلـة نجاحـا بـارزا فقـد شـعر الجميـع بتلـك السياسـة، حتـى قالـت احـدى النسـاء اللـواتي عشـن في كنـف حكمـه: (اني احببـت عليـا (عليـه السـلام) عـلى عدلـه في الرعيـة وقسـمه بالسـوية بـل ان سـمة العـدل شـهد لـه بهـا حتـى اعـداؤه حتـى قـال الإمـام الحسـن(عليه السـلام) (رحـم الله عليـا مـا اسـتطاع عـدوه ولا وليـه ان ينقـم عليـه في حكـم حكمـه ولا قسـم قسـمه)[٢٦].

وضـع الامـام امـير المؤمنـين مناهـج وآداب خاصـة للـولاة وامرهـم في التحـلي بهـا ليكونـوا هـداة للنـاس وامثلـة للحـكام الصالحـين وذلـك في عهـدة الى مالـك الاشـتر ونشـير الى بعضهـا: [٢٧]

١-عـلى الـولاة ان يشـعروا في قلوبهـم الرأفـة والرحمـة للرعيـة مـن دون فـرق بـين المسـلمين وغيرهـم

٢-ان لا يتخذوا الامرة والسلطة وسيلة للاستعلاء على الناس والتكبر عليهم

٣-عـلى الـولاة ان ينصفـوا الله تعـالى في طاعتـه وامتثـال اوامـره وان ينصفـوا النـاس في اعطائهـم حقوقهـم وقـد حفـل ذلـك وغـيره مـن صنـوف العـدل فنجـد بذلـك مثـالا للعدل الـذي ينعـش الشـعوب ويعـود بالخـير العميـم عـلى الجميـع ويسـاوي بين السـلطة والشـعب ولا يجعـل لأي احـد سـلطانا او تفوقـا عـلى غـيره كـما اكـد الامـام عـلى الاحسـان الى الرعيـة والـبر بهـم والتخفيـف عنهـم فـإن ذلـك ممـا يوجـب ارتبـاط الشـعب بحكومتـه وهـو مـن انجـع الوسـائل واكثرهـا نجاحـا لاسـتقرار الدولـة وسـلامتها مـن الفتـن الخارجيـة.

الاستنتاجات والتوصيات:

١- اهتم الاسلام بنيل العلم والتعليم وجعله من أهم حقوق الانسان التي يجب ان يتم السعي الحثيث لتحقيقه وخصوصاً للطفل لينير عقله ويرقى بوجوده ويعلو من شأنه فضلا عن وقد امتاز الاسلام بمرونته وقوانينه واحكامه قابلة التطبيق في كل زمان ومكان، ولن ترقى اية قوانين لاحقة لما وصل اليه الاسلام من الكمال، فالشريعة الاسلامية اوجدت منهجاً ونظاماً لا يدانيه اي نظام

٢-قدم الامام (عليه السلام) مرحلة متقدمة من مراحل التثقيف لبناء مالي في كيفية تعامل الحاكم مع اموال الشعب كونه ليس فرد وانما يتعامل مع اموال الشعب على مستوى الاعتدال والتوسط وليس على مستوى الاسراف والتبذير وعلى هذا الاساس تتحقق عدالة توزيع الدخل الذي يعد من مؤشرات الرئيسية في التنمية البشرية.

٣- شغل مبدأ حقوق الانسان حيزا مهما من فكر الامام (عليه السلام) وهذا ما يتضح لنا من خلال احث على التعليم ومبدا المساواة والعدل الذي حث عليه الامام من خلال الرسائل الذي بعث بها الى الولاة لتجسد هذه الرسائل مثالا يحتذى به في الحفاظ على حقوق الانسان.

التوصيات

يوصي الباحث الجهات التربوية بدراسة فكر الإمام علي (عليه السلام) في جميع المراحل الدراسية وكذلك النظر في طريقة ادارة الشؤون المالية واخذ العبرة منها بما يخدم جميع فئات المجتمع.

العمل على اشاعة تجربة الامام علي (عليه السلام) ورؤيته لحقوق الانسان

ببعديها النظري والعملي، الامر الذي يسهم في تطور وعي ممارسة حقوق ومما لاشك فيه ان خطب الامام علي (عليه السلام) للحكام وكيفية التعامل مع المجتمع تمثل رسالة ذات مضمون حضاري فريد الامر الذي يمكننا استخدام هذه الوصايا كمنهج عمل في المؤسسات الرسمية والدينية والاجتماعية في مجتمعنا.

العمل على تقوية اواصر المجتمع من خلال السعي الى تلبية احتياجاته وتعزيز الانتماء الى الدين الاسلامي واظهار جوهر الاسلامي الحقيقي الذي يضمن للفرد حق التعليم والصحة وعدالة توزيع الدخل.

هوامش البحث:

(١) -محمد مدلول علي، الاستثمار في التعليم والتدريب ودوره في التنمية الاقتصادية / العراق وكوريا الجنوبية إنموذجاً،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد،جامعة القادسية،٢٠١٣،ص١٠

(٢) United Nations Development Programme، Human development report 1992، United Nations، New York، 1992، p ١٣.

(٣) محمد عبد العزيز عجيمه و د. محمد علي الليثي، التنمية الاقتصادية مفهومها، نظرياتها، سياساتها ، مطبعة الدار الجامعية، الاسكندرية٢٠٠٠، ص١٧

(٤) الاهداف الانمائية للالفية في المنطقة العربية ٢٠٠٥، الأمم المتحدة، ٢٠٠٥، ص٩.

(٥) عثمان هاشم، ورقة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، عمان في ندوة التنمية البشرية في الوطن العربي، (عمان١٠-١١ نيسان ١٩٩٤)، ص٢١٢.

(٦) رواء زكي يونس، التنمية البشرية وحقوق الإنسان، مجلة اداب الرافدين، العدد ٥٥، ٢٠٠٩،ص٨

(٧) طالب حسين فارس الكريطي،الاقتصاد الاسلامي في الفقر تأصيل نظري لمنهج اقتصاد بلا فقر في المذهب الاقتصادي الاسلامي،الطبعة الاولى، مركز كربلاء للبحوث

والدراسات، ٢٠١٤، ص١٢٧

(٨) بدرية بنت صالح الميمان، الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات(قراءة إسلامية)،بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن)، ٢٠٠٧،ص٢٤

(٩) طالب حسين فارس الكريطي،الاقتصاد الاسلامي في الفقر تأصيل نظري لمنهج اقتصاد بلا فقر في المذهب الاقتصادي الاسلامي،الطبعة الاولى، مركز كربلاء للبحوث والدراسات، ٢٠١٤، ص١٢٧

(١٠) بدرية بنت صالح الميمان،مصدر سابق،ص٢٤

(١١) بدرية بنت صالح الميمان،مصدر سابق،ص٢٤

(١٢) – حسن بن عبد القادر حسن البار، الثقافة التربوية والعلمية الفكرية، الجزء الأول،مكتبة الملك فهد الوطنية،٢٠٠٩، ص ٢٠

(١٣) عمر بن فيحان المرزوقي، اقتصاديات الغنى في الإسلام، جامعة الملك سعود، مركز البحوث التربوية،٢٠٠٢، ص٢٠

(١٤) طالب حسين فارس الكريطي،مصدر سابق ص١٤٦

(١٥) عمر بن فيحان المرزوقي،مصدر سابق،ص٢١

(١٦) رضا صاحب ابو حمد،السياسات المالية في عهد الامام علي (عليه السلام)، الطبعة الاولى،مركز الامير لأحياء التراث الاسلامي،النجف الاشرف،٢٠٠٦، ص٨١

(١٧) أمل هندي كاطع الخزعلي و جابر جواد كاظم الحمداني، مفهوم حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية المجلد ٤/ العدد ٢٠١٤،٣، ص٦

(١٨) أمل هندي كاطع الخزعلي و جابر جواد كاظم الحمداني،مصدر سابق،ص ٧

(١٩) انعام مهدي جابر الخفاجي، حق الطفل في التعليم / دراسة مقارنة مع الشريعة الاسلامية وبعض التشريعات العراقية المعاصرة،مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية،العدد ٢٢،المجلد ٢٠١٤،٢، ص٤٧٥

(٢٠) محمد عبده،نهج البلاغة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت،الجزء الرابع،ص٦٥

(٢١) حميد سراج جابر، نظم ضمان الجودة في فكر الامام علي (ع) (دراسة في رسائل نهج البلاغة)، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل، العدد ٢٠١٢،٨،ص٨٧

(٢٢) رضا صاحب ابو حمد،السياسات المالية في عهد الامام علي (عليه السلام)، الطبعة الاولى،مركز الامير لأحياء التراث الاسلامي،النجف الاشرف،٢٠٠٦،ص٤٦

(٢٣) رضا صاحب ابو حمد،مصدر سابق، ص٤٧

(٢٤) رضا الحسيني، السيرة الاقتصادية للامام علي (عليه السلام)، دار الولاء، بيروت، لبنان، ٢٠١٤، ص٧٤

(٢٥) علي تركي شاكر الفتلاوي، خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة- قراءة في الفكر التربوي،مجلة جامعة بابل العلوم الانسانية،المجلد ٢٣،العدد ٢٠١٥،٤،ص١٨٣٢

(٢٦) د.غسان السعد، حقوق الانسان عند الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) رؤية علمية، الطبعة الثانية،بغداد،٢٠٠٨،ص٧٨.

(٢٧) باقر شريف القرشي،موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، الطبعة الاولى، الجزء التاسع عشر، دار الحسنين للطباعة والنشر، ٢٠٠٢،ص٢١

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

المصادر باللغة العربية

١ -ابراهيم عبد الله جاسم عيسى، الانفاق على التعليم ودوره في التنمية البشرية في العراق للمدة من (١٩٩٠-٢٠١٤) مجلة تكريت للعلوم الاقتصادية والادارية،المجلد ١٢،العدد٣٥، ٢٠١٦

٢- أمل هندي كاطع الخزعلي و جابر جواد كاظم الحمداني، مفهوم حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية المجلد ٤/ العدد ٣،٢٠١٤.

٣-انعام مهدي جابر الخفاجي، حق الطفل في التعليم / دراسة مقارنة مع الشريعة الاسلامية وبعض التشريعات العراقية المعاصرة، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية،العدد ٢٢،المجلد ٢،٢٠١٤.

٤- باقر شريف القرشي،موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، الطبعة الاولى،الجزء التاسع عشر،دار الحسنين للطباعة والنشر،٢٠٠٢.

٥-بدرية بنت صالح الميمان، الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات(قراءة إسلامية)،بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن)، ٢٠٠٧.

٦-تقرير الأمم المتحدة الاهداف الانمائية للألفية في المنطقة العربية ٢٠٠٥، الأمم المتحدة، ٢٠٠٥.

٧-حسن بن عبد القادر حسن البار، «الثقافة التربوية والعلمية الفكرية»، الجزء الأول،مكتبة الملك فهد الوطنية،٢٠٠٩.

٨- حميد سراج جابر، نظم ضمان الجودة في فكر الامام علي «ع» (دراسة في رسائل نهج البلاغة)، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل، العدد٨،٢٠١٢

٩-رواء زكي يونس، التنمية البشرية وحقوق الإنسان، مجلة اداب الرافدين، العدد ٥٥،٢٠٠٩.

١٠ -رضا الحسيني،السيرة الاقتصادية للامام علي (عليه السلام)،دار الولاء،بيروت،لبنان، ٢٠١٤.

١١ - رضا صاحب ابو حمد،السياسات المالية في عهد الامام علي (عليه السلام)، الطبعة الاولى،مركز الامير لأحياء التراث الاسلامي،النجف الاشرف،٢٠٠٦.

١٢- رضا صاحب ابو حمد، الإمام علي بن ابي طالب وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والاعمار، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية،المجلد العاشر،٢٠١٥..

عثمان هاشم، «ورقة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي»، عمان في ندوة التنمية البشرية في الوطن العربي، (عمان١٠-١١ نيسان ١٩٩٤).

١٣- علي تركي شاكر الفتلاوي، خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة- قراءة في الفكر التربوي،مجلة جامعة بابل العلوم الانسانية،المجلد ٢٣،العدد ٢٠١٥،٤،ص١٨٣٢

١٤- عمر بن فيحان المرزوقي، اقتصاديات الغنى في الإسلام، جامعة الملك سعود، مركز البحوث التربوية،٢٠٠٢.

١٥-طالب حسين فارس الكريطي،الاقتصاد الاسلامي في الفقر تأصيل نظري لمنهج اقتصاد بلا فقر في المذهب الاقتصادي الاسلامي،الطبعة الاولى، مركز كربلاء للبحوث والدراسات،٢٠١٤.

-١٦غسان السعد، حقوق الانسان عند الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) رؤية علمية، الطبعة الثانية،بغداد،٢٠٠٨.

١٧-محمد عبد العزيز عجيمه و د. محمد علي الليثي،» التنمية الاقتصادية مفهومها، نظرياتها، سياساتها،مطبعة الدار الجامعية، الاسكندرية٢٠٠٠، ص١٧

١٨-محمد عبده،نهج البلاغة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت،الجزء الرابع.

١٩-محمد مدلول علي، الاستثمار في التعليم والتدريب ودوره في التنمية الاقتصادية / العراق وكوريا الجنوبية إنموذجاً،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد،جامعة القادسية،٢٠١٣.

1 -United Nations Development Programme، Human development report 1992، United Nations، New York، 1992.

الحوار الحضاري

في فكر الامام علي (عليه السلام)

الأستاذ المساعد الدكتورة

عامرة تمكين نعمة الياسري

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيـم

الحمـد لله استـماما لنعمتـه، واستسـلاما لعزتـه، واسـتعصاما مـن معصيتـه، واصـلي عـلى الدليـل اليـه في متاهـات الضـلال رسـوله المصطفـى محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) وعـلى آلـه موضـع سره وملجـأ أمـره، وعيبـة علمـه، والمنتجبـين مـن صحبـه الأخيـار.

وبعــد:

تكالبـت الأهـواء، وشـحذت المطامـع ظبـة سـيوفها، واشرأبـت الأعنـاق، عندمـا بـدأ المسـلمون يبحثـون عـن طـرق النهـوض مـن جديـد، بعـد ان تباطئـت مسـيرة حضارتهـم لقـرون، وتشرذمـت شـعوبهم الى دويـلات، وتشـتت شـملهم الى طوائـف وفـرق وتيـارات.

وبعـد ان تهـرأت لغـة السياط، واندحـر منطـق القـوة، وصرامـة الطغـاة، وجـبروت الإستعمار.

ومـن اخطـر الأسـلحة فتكـا عـلى الإسـلام، تلـك الدعـوات التـي تسـتند الى دلائـل واهيـة، وبراهـين لاتعتمـد العلـم منهجـا، فغـيرت المفاهيـم الإسـلامية الى معـاني لاتبـت الى الإسـلام بصلـة، واسـتعملت المصطلحـات الاسـلامية في غـير هداهـا، لتختلـط عـلى العامـة وبعـض الخاصـة الذيـن لايؤمنـون بالبحـث والتنقيـب عـما ورثـوه ويتضيقـوا عـلى النـص بجمـود وتحجـر لاينتمـي الى منطـق العلـم والعقـل.

فاختلـط السـقيم بالصحيـح، والأصيـل باللصيـق، وزادت الأميـة الثقافيـة والفوضويـة العارمـة بالخطـاب الدينـي المعـاصر الأمـر عتمـة ٠ فاصبـح الواقـع غريـب

كل الغرابة في اكثر مفاصله عن الإسلام، مع دعوات المتطفلين عليه تحت غطاء الإسلام او الدفاع عن الإصالة.

ولكن هنا وهناك بين الحين والآخر دعوات وندوات ومؤتمرات ودراسات تدعو الى إزالة الصدأ الذي ران على البصائر، والعتمة التي حجبت الأبصار عن الحقيقة.

فاذا اختلفت الآراء في النص المقدس (من قرآن او سنة نبوية) وتباينت الافكار في قراءته بين الإصالة والتجديد ٠ فالتطبيق الأمثل للنظريات الإسلامية أوفق السبل، وأوضح الطرق للوصول الى الحقيقة لمن أراد ان يبحث عنها ٠

والإمام علي (عليه السلام) الإنموذج الأفضل عند كافة اهل القبلة - (وحتى النواصب منهم وباعترافاتهم) - ليكون فيصل التفرقة، وميزان الفصل بين الإسلامي الأصيل من الزائف أو المبتدع.

ولما كان البحث في الإمام علي (عليه السلام) بكل ابعاده امر يتطلب مؤسسات علمية وجهود مضنية في الجهد والوقت لايسعها بحث كهذا ٠ إرتأينا ان نأخذ (الحوار الحضاري) ولغته في فكر الإمام (عليه السلام)، لكونه اكثر الصحابة أعداءا، وأقربهم الى القرآن والسنة علما وتطبيقا، وقد تطابقت أفعاله مع المأثور من أقواله وما استطاع أعدائه ان يحوروا تلك الأفعال ولا يحرفوا تلك الأقوال مع كثرة المحاولات على ذلك.

فجاء هذا البحث جهدا لاندعي فيه الكمال، ولكنه محاولة متواضعة في سفرالإمام علي (عليه السلام).

عساه ان يأخذ طريقه بين جهود الباحثين المشاركين في مؤتمركم هذا.

متمنين له النجاح وللقائمين عليه التوفيق ورضا الله

وآخر دعـــــوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تـــــوطئـــــة:

تتكالـب عـلى الحيـاة اليـوم نزاعـات متعـددة الاتجاهـات، مختلفـة الابعـاد، متنوعـة الأهـداف وعـلى مختلـف المسـتويات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة ولكنهـا تنطلـق مـن تعـدد الـرؤى وتنـازع الأفـكار التـي قـد يكـون بعضهـا سـليم القصـد، طيـب النوايـا، ولكنـه جهـد بـشري، محـدود المكان، ضيـق الزمـان، يقـف مكتوفـا امـام متغـيرات الحـدث، ومسـتجدات الاحـداث، فتتلقـف الحلـول اراء واهـواء متعـددة ويبـدأ النـزاع، ويتعاظـم الحـوار الى الخصـام. فيسـلكون طـرق متعـددة للنهـوض مـن جديـد فتزيـد الطـين بلـة وتنتهـي الى الـصراع.

في حـين ينطلـق بعضهـا مـن سـوء النوايـا والاطـماع والمصالـح الخاصـة يلبسـها أصحابهـا لغـة العلـم وسـلامة القصـد، لتنطـلي عـلى العـوام، وتجـذب الشـعوب بزخرفهـا، فيكونـون لهـا عونـا ويطبلـون لهـا، ويجنـدون لهـا وسـائل الاعـلام لتشـغل حيـزا مـن الحيـاة العامـة.

ومـا ان تتحـول تلـك النظريـات الى التطبيـق عـلى واقـع الحيـاة، حتـى تنكشـف تلـك النوايـا، وتتوضـح اهـداف الداعـين لهـا فتـأن الشـعوب من ظلـم الرعـاة، ويتعاقب سـلاطين الجـور، ويتكالـب الطغـاة، ولات حـين مندم.

فينخـرط آخـرون عـلى الهـدى ذاتـه، ويدعـون الى الحـق المضـاع حسـب مـا يرونـه هـم، فتعـود الكـرة مـن جديـد، وينتـصر لهـا مـن شـاء دون تـروي وتدبـر، ولا يرعـوي اللاحقـون ممـا أصـاب السـابقين، ولا يتعـظ الأبنـاء ممـا احتملـه الآبـاء، فينخـرط

الدعاة ليحذروا الناس من مغبة ما يفعلون ولكن دعواتهم لا يردد صداها سوى الصخور الصم وتبح أصواتهم وتنزوي دعواتهم بين ركام الضلال. لضياع الحقيقة عند المدعوين بين زحام الأوهام وزبرجة مظاهر الأكثرية الساحقة. لتكون االكثرة دليلا لهم على هدي الطريق ويكون الحق غريبا، والصراط السوي شاذاً.

وهذا الأمر عاما وشاملاً، حدثنا عنه القرآن الكريم كثيرا في استعراضه لكل دعوات الرسل والانبياء في قصصهم التي شغلت مساحة كبيرة من آياته.

وأشارت آيات أخرى الى سوء المنقلب، والى ضلالة السائرين عليه.

قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**﴾(١)

وقال تعالى: ﴿**مَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(٢)

وقال تعالى في الكثرة: ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾(٣)

ونهانا عن اطاعة الكثرة بقوله تعالى ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾(٤)

ولذا فان ((الأرقام التي تتكاثر تبعا لتكاثر الاطماع والشهوات والانفعالات. لا يمكن ان تمثل حركة الانسان نحو الحقيقة، لانها تتعامل مع العاطفة التي تثير أمامه ضبابا كثيفا يحجب عنه وضوح الرؤية للأشياء، ويبعده عن معرفة الساحة الحقيقية للشخص وللموقف والمبادئ، الا من خلال ما يريده أولئك الذين يحركون الاطماع والشهوات والانفعالات في لعبة الباطل المتعددة الأساليب

والاشـكال والألـوان))[٥].

حتـى يتكالـب الامـر ويضيـع كل شيء فتنهـد الحضـارة مـن أسسـها، لتبـدا أخـرى زائفـة مـن جديـد، ومـن هنـا اتهـم التاريـخ بالـدوران، وامتـلات الحيـاة بالتناقضـات واختلـط الحـق بالباطـل، وزاد الـصراع الفكـري عتمـة لتصـدي مـن لا يعـي خطابـه، ولم يتدبـر آرائـه.

ولعـل مـن اخطـر الـصراع الفكـري عندمـا يكـون في الفكـر الدينـي فتنشـأ تبعـا لذلـك المذاهـب والتيـارات، ويتفاقـم الأمـر حتـى تصـل ببعـض الآراء ان تكـون بعيـدة كل البعـد عـن مبـادئ ذلـك الديـن. وغريبـة أشـد الغرابـة عـن أهدافـه واسسـه وتشريعاتـه. وبنظـرة سريعـة لعبـادة الاوثـان ومبـادئ الاشراك عـلى الأرض منـذ نبي الله نـوح (عليـه السـلام) الى رسـولنا محمـد (صلى الله عليـه وآلـه) سـنجدها تكـرار لدورات التاريـخ، وكأن أرواح أولئـك الذيـن طواهـم الطوفـان، والذيـن أهلكـوا بالطاغيـة، او بريـح صرصر عاتيـة، او الذيـن اصبحـوا في ديارهـم جاثمـين. كأنهـا بعثـت في أجسـاد أبنائهـم ولم يكـن الإسـلام بدعـا مـن الأديـان، ولا أحـداث تأريخـه غريبـة عـما مـضى.

رغـم كثـرة مـوارد الاتفـاق، ووحـدة منابـع التشريـع فيـه، ووحـدة عباداتـه بـكل جزئياتهـا. ولكـن تداخـل الافـكار، وتعـدد الـرؤى في آيـات القـرآن، واختـلاف مفاهيـم الالفـاظ بـين الحقيقـة والمجـاز، وبـين التشـابه والإحـكام، وبـين هـذا وذاك، ناهيـك عـن الاثـار الخارجيـة مـن الأفـكار التـي تعايشـت مـع الإسـلام مـن أديـان أو فلسـفات فكريـة، ألقـت بحرانهـا في معـترك الفكـر فوافقهـا هـذا، وخالفهـا ذاك.

فوصلـت بالفكـر الإسـلامي الواحـد الى التقاطـع والنـزاع بـل الى البدعـة والتكفـير والقتل.

ولذلـك توجـب العـودة الى التطبيـق الأمثـل، والأنمـوذج الاكمـل لمبـادئ الإسـلام

وتشريعاته واحكامه. كي يكون مناراً لمن شاء منهم أن يستقيم.

ولما كان الامام علي (عليه السلام) الصحابي الوحيد الذي اتفق عليه أصحاب الأفكار المختلفة، والآراء المتعددة، واتفقوا على صحة مسيرته، واستقامة سيرته – إلا من شذ منهم او سبق عليه القول –.

ولذا اختير ان يكون ذلك الانموذج الأمثل. ومسيرته فيصل التفرقة عندما تتصارع الآراء ((وقال جمهور اهل الآثار منهم والنقل والفقه بالروايات، وطبقه من المتكلمين منهم وأصحاب الحجاج: انه عليه السلام (الامام علي) افضل من كافة البشر سوى رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) فانه افضل منه.

ووقف منهم نفر قليل في هذا الباب فقالوا: لسنا نعلم أكان أفضل ممن سلف من الأنبياء، أو كان مساوياً لهم، أو دونهم. فيما يستحق به الثواب. فأما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محمد بن عبد الله فكان أفضل منه على غير ارتياب.

وقال فريق آخر منهم: ان أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أفضل البشر سوى اولي العزم من الرسل فأنهم افضل منه عند الله)) [٦]

الإمام علي (عليه السلام) والنهج الإسلامي:

قيل ((إنَّ ظاهرة التنوع الديني هي واحدة من اكبر الاثارات أو التساؤلات المطروحة أمام الفكر الديني اليوم. كما ان وجود المجتمعات التي تتعايش في اوساطها قيم وتعاليم دينية مختلفة ومتباينة وما تمليه هذه المعايشة في ضرورة توسيع العلاقات الاجتماعية وما أحدثته وتحدثه ثورة الاتصالات على أعتاب الألفية الثالثة وكل ذلك او بعضه ربما يكون سبباً لأن تمنح هذه المفردة الحيوية أهميتها المطلوبة))[٧].

ولهذا فإن ظاهرة التنوع والتعدد في الرؤى والفلسفات وكذا الأديان أمر طبيعي عاش مع الانسان منذ أن وطأ الأرض. انطلاقاً من تشابك الاهواء والنوازع والرؤى والمصالح والعاطفة على العقل الانساني المجرد وتبعا لذلك اختلفت الثقافات داخل الدين الواحد، وتعددت الاديان داخل الثقافة الواحدة. ولكن الأمر الذي يفرضه الدين والثقافة معاً هو الحوار الحر الهادف في موارد الاختلاف. فلا دين دون ثقافة، ولا ثقافة بدون دين. وان ادعت بعض موارد الثقافة بعدم وجود الدين فيها، فأنها تخرج من دائرة الثقافة بمفهومها العام والخاص لتدخل في مفهوم الجهل، بل والجهل المركب، لأن اولئك المدعين بعدم وجوده بثقافتهم يرفضون ذلك في حياتهم الخاصة. ومع المجتمع.

والاسلام واحد من تلك الاديان بل هو خاتمها. وموقفه في التعدد والاختلاف واضحاً وبيناً في الكثير من آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ..**﴾.

وهذه السورة من اوائل السور النازلة لتوضح لنا الطريق الامثل الذي ينتهجه الاسلام مع المخالفة لدعوته. فهي مكية ومن لحنها ((نفهم انها نزلت في زمان كان المسلمون في اقلية والكفار في اكثرية والنبي يعاني من الضغوط التي تطلب منه ان يهادن المشركين، وامام هذه الضغوط كان النبي يعلن صموده واصراره على المبدأ، دون أن يصطدم بهم، وفي هذا درس عبرة لكل المسلمين أن لا يساموا أعداء الاسلام في مبادئ الدين مهما كانت الظروف، وان يبعثوا اليأس في قلوبهم متى ما بادروا الى هذه المساومة))(٨).

ففي السورة هذه يصل الأمر بين الفريقين الى التقاطع، بدليل التكرار للآيات الاربعة في وسطها(٩)، وينتهي باختصاص كل منهم بدينه، او بالجزاء الذي ينتظره

من دينه[١٠] • فبعد ان أوضح لهم سبيل الطريق الذي هم سالكيه من الضلال، وهم بمغبة النهاية، ناداهم: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ**..﴾[١١]. أي ((أنَّ الدين لا إكراه فيه، والهدى الذي يكره عليه لن يهتدي به أحد، وإنما هو إكمال الحجة واتمام عناصرها، ليستبين الرشد ويتمايز عن الغي، ومن هنا لا يكون هم المؤمنين جبر الناس على الهدى، وانما ابلاغ آيات الهدى اليهم، حتى يتبين لهم الحق))[١٢]

وفي قوله تعالى ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[١٣]

﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[١٤]

وغيرها الكثير توضح مدى التعايش السلمي والمدني الذي يدعو اليه الاسلام بكل حيثيات الموضوع من اختلافات وفروق.

أما ما علق في **الاذهان** أو ما قيل غير ذلك في مدونات ومؤلفات المفكرين المسلمين فأنها ملتبسة مع ((طبيعة الظروف والاحوال والظواهر السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، فولادة وطغيان واستبداد الخلفاء والسلاطين من العصر الاموي الى آخر سلطان عثماني، رسخ صورة للإله طمست رحمته ورأفته وعفوه وجماله وجلاله، الذي يتجلى مشرقا في النص القرآني، وجرى تهميش واقصاء لآثار العلماء الذين لا يتطابق موقفهم مع هذه الرؤية، لأنها كانت تفصح عن اجتهادات تسعى لمقاربة تلك الموضوعات من منظور مختلف، وتفضي الى اكتشاف الابعاد الانسانية في الدين والاعلان عن احتقار الاخر أو عدم احترامه، لا صلة له بالدين. لأن الدين هو الحب، والحب هو الدين))[١٥].

فما كان مطبقا على مسرح الحياة في تاريخ المسلمين على حقبه المتعددة لا يمثل النظرية الاسلامية لكل مناحي الحياة، وقد اعتبره البعض مسيرة تطبيقية للإسلام. وفي الحقيقة فالإسلام شيء وما جرى شيء لا ينتمي اليه.

ومن هنا جاء البحث في مسيرة علي (عليه السلام). فقد أشار الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)في مواقف متعددة الى مكانة الامام علي (عليه السلام)في الاسلام ودوره في مسيرته. فقد شهدت آيات القرآن الكريم بدور الامام علي (عليه السلام)من الاسلام وعقيدته[١٦]. وأشار الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)في مواقف متعددة بسيرته وحديثه الى ذلك الدور ومكانته من الاسلام(١٧) • وحفلت أقواله وخطبه في ذلك الدور وتلك المكانة فمن قوله: ((وقد علمتم من موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة. وصنعني في هجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشة، ويمسني جسده، ويشمني عرفه،. وكان يمضغ الشيء ثمر يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به (صلى الله عليه واله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة سجراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله)وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة))(١٨).

وفي اخرى يبين فيها فضله على الصحابة في الاسلام: ((ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله)اني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في الموطن التي ينكص فيها الأبطال، وتتأخر الاقدام

بنجدة أكرمني الله بها.

ولقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)وان رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله (صلى الله عليه وآله وسلم) والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هيمنة منهم، يصلون عليه حتى واريناه ضريحه. فمن ذا أحق به مني حياً أو ميتاً، فأنفذوا على بصائركم، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم، فو الذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق، وأنهم لعلى مذلة الباطل. اقول ما تسمعون، واستغفر الله لي ولكم))[١٩].

ونكتفي بهاتين الخطبتين من خطبه الكثيرة بالإشارة والتلميح لنهجه الذي يسلكه ومسيرته في الحياة التي تمثل الأنموذج الأمثل والميزان الحق للفصل بين الأصيل واللصيق، وبين الحق والباطل، وبين الاسلامي والدخيل عليه، وصرح بصدق نيته، وسلامة قصده، وخوفه من الله وبيانه للصراط المستقيم، نظرية الاسلام ومبادئه في التعامل مع العدو والخصم. وفي فترات النزاع والحرب، وما عرف عنه حتى عند ألد اعدائه أنه كنز من الأموال شيء في كل مراحل حياته.

وقد صرح بذلك بقوله: ((فو الله ما كنزت من دنياكم بتراً، ولا أدخرت غنائمها وقرا))[٢٠].

فقال: ((والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة او الله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمز بالشديدة))[٢١].

وانطلاقاً من توضيح طريق الهداية واتباع سبل السلام عندما تحتدم الافكار وتتحور الحقائق، وتتناوش الاهواء والآراء البدع والضلالات فتختلط مع السنين

والهدي. وتزيد عتمة الابصار البصائر زيفاً فقد أشار الى ميزان الحق وفيصل الهدى متمثلاً في اتباع ال محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)فوصفهم بقوله:

((هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم من علمهم، وظاهرهم من باطنهم، وصمتهم من حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الحق عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل))[٢٢]. ولم يكن بعيداً عن المبدأ القرآني الذي اوضح الرشد من الغي. ونكتفي بهذا القدر من الاشارات بوضوح النهج الاسلامي الاصيل في مسيرة الامام علي(عليه السلام)العامة في الحياة. وفي النظم وفي التشريعات والاحكام. ليكون لنا دليلاً على لغة الحوار الحضاري الاسلامي من اصفى منابعه، وادق تطبيقاته من خلال التطبيق الذي انتهجه الامام علي (عليه السلام)واقواله التي ذكرت لنا.

نهج الامام علي (عليه السلام) في الحوار الحضاري:

إن من أبرز المواقف تتوضح في احرج الظروف، وخاصة عندما تتفق تلك المواقف مع الاهواء والاطماع والمصالح الخاصة. فالانخراط في مغبتها يكون أقرب للنفس الانسانية الامارة بالسوء. لكننا نراه يطوي عن الاطماع كشحاً، وعن الاهواء ردعاً، لا تجذبه الدعوات، ولا تقوده النوازع. ففي أمر الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)وهو المؤهل الأول بدون منازع. ولكن الكثرة التي اشرنا اليها غلبت الحق واهله. فانزوى وتحاور مع الطامعين بالتي هي احسن، فسدل عنها ثوباً وصبر على طحية عمياء. ورأى ان الصبر على ذلك أحجى. وقد اشار موقفه ذلك قولاً وفعلاً[٢٣].

فلم يكن الأمر وليد عصر الامام علي (عليه السلام) ولا قريب عهد من ذلك، فالنتائج التي اولدها (صلح الحديبية) و(فتح مكة) ودخول الناس للإسلام افواجا[٢٤]. اعطت للكثرة كفة راجحة على النوع.

وقد خاطبهم القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿**قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢٥]

فظهرت حركة النفاق واسعة النطاق داخل المجتمع الاسلامي واستشرى أمرها. وقد وصفتها سورة التوبة وصفاً دقيقاً رائعاً ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهَّ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهَّ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُعْتَدُونَ**﴾[٢٦]

بل حذر المؤمنين الذين هاجروا وتركوا الاهل والاحبة والاموال ودافعوا عن الاسلام وعقائده. حذرهم ان يتأثروا في مسيرة ايمانهم من هذه الحركة. حتى وان كان بعضهم من ابائهم او اخوانهم او عشيرتهم.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللهَّ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهَّ بِأَمْرِهِ وَاللهَّ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللهَّ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[٢٧]

ولهذا فأن احداث السقيفة التي خلفت الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) وعصفت بالامة لم تكن وليدة عصرها، ولم تكن بعيدة عن التخطيط المسبق لها، ولم تكن بعيدة عن ايدي اولئك المؤلفة قلوبهم او ما يدعونهم بمسلمة الفتح، بعد ان اصبحو من الطبقة المتدينة في ذلك المجتمع الجديد الذي اعتبر الايمان والسبق له طريقاً للمفاضلة.

فتأثر الاوائل بها واهوتهم اراء القادمين الجدد. اضف الى ذلك العصبية القبلية واضغاث الجاهلية واحقادهم وثارات قتلاهم[٢٨].

كل هذه ابعدت الامام علي (عليه السلام) عن تولي قيادة الأمة وقتذاك. واضافت الى المسيرة المطامع والاهواء والمصالح الخاصة والفئوية واضافت الى المسيرة المطامع والاهواء والمصالح الخاصة والفئوية التي لا يستطيع الانسان ان يتخلص منها الا من رحمه الله فإذا اردنا ان نخفف لغة الخطاب في بحثنا هذا، ولا نطلق على هؤلاء من اعانهم لفظة (الاعداء). فعلى الاقل هم مخالفون ومناوئون، ومع كل هذا فقد كان للإمام علي (عليه السلام) معهم لغة حوار حضاري بالوعي والارشاد والنصح والتوجيه بعيداً عن التشنج والتمرد والاعتداء[٢٩].

((والله لأسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا عليَّ خاصةً))

وقد تطابقت اقواله مع افعاله فكان له اعظم الادوار لأنه ((يعتبر نفسه امير المؤمنين خارج الخلافة، كما أنه امير المؤمنين داخل الخلافة، وانه مسؤول عن الاسلام كله سواء كان على راس المسؤولية او لم يكن))[٣٠].

فـاذا مـا تعدينـا تلـك الحقبـة التاريخيـة بعجالـة تتطلبهـا طبيعـة بحثنـا هـذا، ولربـع قـرن مـن الزمـن بـما تحملـه مـن مفارقـات وأحـداث ومحـن عصفـت بالأمـة، وخلفـت إنحرافـات تلـو الإنحرافـات في نظمهـا السياسـية والإقتصاديـة والإداريـة والإجتماعيـة، وحتـى العباديـة منهـا في بعـض الأحايـين.

ولهـذا فقـد ورث الإمـام عـلي (عليـه السـلام) تبعـة كبـيرة مـن حصيلـة تلـك الأعـوام، وإنطلاقـا ممـا يحملـه مـن علـم ودرايـة ووعـي وحـرص عـلى النظريـة الإسـلامية. كان لابـد لـه مـن حركـة تصحيحيـة في مسـار الأمـة بـكل حيثيـات نظمهـا السـائدة آنـذاك. وإعـادة الواقـع المعـاش الى التطبيـق الأمثل للنظريـة الإسـلامية باعتباره الإنمـوذج الأمثـل لهـا.

وكان يعـي مـا سـيحدث لـه لذلـك رفـض قبـول بيعتهـم في أول الأمـر وخاطبهـم ((أنـا لكـم وزيـر خـير مـن اكـون امـير)) وقـال (عليـه السـلام): ((أمـا والـذي فلـق الحبـة، وبـرأ النسـمة، لـولا حضـور الحـاضر، وقيـام الحجـة بوجـود النـاصر، ومـا أخـذ عـلى العلـماء ان لايقـاروا عـلى كظـة ظـالم، ولا سـغب مظلـوم، لألقيـت حبلهـا عـلى غاربهـا، ولسـقيت آخرهـا بـكأس أولهـا، ولألفيتـم دنياكـم هـذه أزهـد عنـدي مـن عفطـة عنـز))[٣١]

وأوضـح نهجـه لهـم بعـد تسـنمه دفـة الحكـم في النظـام الإداري والقيـادي.[٣٢] وبالنظـام الإقتصـادي وتوزيـع الثـروات ومحاسـبة المفسـدين والمثريـن عـلى حسـاب الطبقـات الفقـيرة.[٣٣]

وفعلا بدأ بحركة الإصلاح والتغيير بكل مفاصل الدولة والمجتمع.[٣٤]

ومـن البديهـي ان تضيـف لـه هـذه الإصلاحـات أعـداءا الى أعدائـه، وتزيـد لأعدائه التقليديـين أنصـارا الى انصارهـم.

فكيـف خاطبهـم الإمـام عـلي (عليـه السـلام) ومـا الحـوار الـذي واجههـم بـه وتعامـل بـه معهـم.

فالناكثون (اصحاب الجمل)

كانـت ثـورة القائمـين بهـا والمشـتركين معهـم إعتـداءا عـلى السـلطة الشرعيـة، وإمتناعهـم عـن حركـة التصحيـح التـي نهـض بهـا ودعـا اليهـا، ولايحتاجأعتدائهـم الى دليـل أو برهـان يدلـل عـلى انهـم هـم المعتـدون، فمسرح المعركـة بـين البـصرة والكوفـة وبعيـدا عـن مواطنهـم في مكـة والمدينـة، وقـد جنـدوا لهـا الجنـد وأعـدوا العـدة للقتـال، واصطحبـوا زوجـة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) معهـم وقطعـوا الطريـق مـن مكـة والمدينـة الى البـصرة فالكوفـة، مـن اجـل اسـقاط داعـي الحـق والعـودة بالإسـلام الى الجاهليـة الأولى مـع علمهـم بمكانـة علي مـن الإسـلام ورسـوله.

ولم تكـن الحـرب بينهـم عـلى اختـلاف في الـرأي أو عـلى نكثهـم لبيعتـه بعـد ان بايعـوه.

فلـم يبدأهـم الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بالقتـال، وهـذا منهجـه ومنهـج الإسـلام في لغـة فـض النزاعـات وإختـلاف الـرؤى [٣٥]، ولكـن حربـه لهـم لأنهـم أشـاعوا الفسـاد في الأرض وإعتـدوا عـلى الشـعب. فقـد إعتـدوا عـلى (ابـن حنيـف) عامـل الإمـام عـلي عـلى البـصرة بعـد الـضرب المـبرح والعقوبـة الشـديدة مـن دون ذنـب. وقتلـوا السـيابجة وقتلـوا (حكيـم بـن جبلـة العبـدي) وقتلـوا رجـالا صالحـين ثـم تتبعـوا كل مـن نجـا منهـم وأخذوهـم في كل حائـط وتحـت كل رابيـة ثـم يضربـون رقابهـم.[٣٦] فعاثـوا في الأرض فسـادا، وحاربـوا الله ورسـوله عمـدا، فـما كان للغـة الحـوار معهـم غـير الوقـوف امـام حركـة الإفسـاد وتأمـين حيـاة النـاس. ومـع كل هـذا فقـد تـرك لهـم فرصـة العـودة فجادلهـم بالتـي هـي احسـن ووعظهـم وحاججهـم قبـل ان يقـع السـيف بينهـم، فأبـوا

الإ العناد والحرب.

وقد أوضح الإمام علي (عليه السلام) الموقف باختصار وما دار بينه وبين قادة التمرد (الزبير وطلحة) وكيف بايعاه ونقضا العهد والبيعة، ووصف خروجهما بالغدرة. ومن نص قوله (عليه السلام) لهم: ((وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثم لم يلبثا ان استأذناني في العمرة، والله يعلم أنهما يريدان الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة وأن لايبغيا للأمة الغوائل، فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي. فعجبا لهما من إنقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي، ولست دون أحد الرجلين ! ولو شئت ان اقول لقلت اللهم احكم عليهما بما صنعا في حقي وصغرا في امري وظفرني بهما))[٣٧]

اما القاسطون (أهل صفين)

فقد كان معاوية قد أعلن الحرب مستعدا للقتال بعد امتناعه الإنصياع الى ارادة الدولة وارادة الأمة وتنحيته من مناصبه التي كلفوه بها الذين سبقوا الإمام علي (عليه السلام)[٣٨]. ولربما تتطلب مسالك السياسة في امر معاوية هذا - عند البعض - انه كان بالإمكان الإبقاء عليه في ولايته على الشام لفترة من الزمن ومن ثم تنحيته عن منصبه بعد ذلك، وذلك لتجذر معاوية على ولاية الشام منذ فتحت عام ١٨هـ ولم ترى الشام واليا منذ مصروها غير معاوية، اي ما يقارب عقدين من الزمن في وقتذاك.

لم يغب هذا عن الامام علي (عليه السلام) ولكنه يدخل في باب المكر والخديعة التي تتصف بها السياسة السلطوية الدنيوية، وهذا ليس من مباديء الاسلام التي جاهد الإمام علي (عليه السلام) من اجل تطبيقها بكل حيثياتها. هذا اولا.

والأمر الثاني لم يكن خافيا على معاوية ومن احاط به هذا الأمر حتى يقبل به. فسياسة الإمام علي (عليه السلام) الإدارية في تولية الولاة واعتراضاته على الكثير منهم منذ توليهم أول مرة من قبل الخلفاء الذين سبقوه وعلى مر الزمن واضحا لكل الناس.

وكان حوار الإمام علي (عليه السلام) مع هؤلاء حوارا حضاريا سلميا في باديء الأمر برسائل متبادلة ورسل وقد استفرغ وسعه معهم حتى آخر لحظات الحرب ووقوع السيف بينهم. وجاهد على ان لاتقع الحرب أو يصل الأمر اليه، ولكنهم ابوا إلا الحرب ولغة السيف، عندها لابد له من الدفاع عن الحق ومسيرة الإصلاح التي يبناها الإمام علي (عليه السلام)[٣٩].

اما المارقون (الخوارج)

فلم يقاتلهم الإمام علي (عليه السلام) على اختلافهم بالرأي معه، ولاعلى عدائهم إياه، أو لأنهم كفروه، ولاعلى معتقداتهم التي حوروها. بل لأنهم أشاعوا الفوضى والرعب والإرهاب على الناس وقطعوا الطريق على من يخالفهم الرأي، ولا يعتقد بما يعتقدون. وفي قتلهم للصحابي الجليل (عبد الله بن الخباب) وإمراته وهي حامل والتمثيل بهم، في حين انكروا على رجل منهم قتل خنزيرا، فاعدوا ذلك من السعي في الأرض فسادا[٤٠].

ومع كل هذا لم يترك الإمام علي (عليه السلام) الحوار الحضاري معهم ولم يأل جهدا في ردعهم عن مغبة افعالهم بنصحهم ومنعهم من التعدي على الناس، فلم ينصاعوا ولم يرتدعوا. فارسل اليهم (الحارث بن مرة العبدي) ليفاوضهم في الكف عن الأذى والحرب، فقتلوه عنوة، وارسل اليهم ابن عمه (عبد الله بن العباس)، فخاصمهم بالحجة، ودحضهم بالدليل، وكشف لهم جهل ما يفعلون. فاصروا

على الجهالة والعمى. عند ذلك كلمهم الإمام علي بنفسه وذكرهم بمواقفهم ملقيا الحجة الأخيرة عليهم، فعاد جماعة منهم واستقبلهم برحابة صدر وسامحهم.

بينما اصر الباقون الا لغة الحرب والسيف، وما بدأهم بالقتال إلا من بعد ما رموه بالسهام إيذانا منهم بمنطق الحرب والسيف، عندها كان الواجب يحتم على الإمام علي (عليه السلام) الدفاع عن الحق والمجتمع(٤١).

أما حواره مع الممتنعين عن بيعته ومواقفهم فكان صورة رائعة من صور الحوار الحضاري، أوضحها في قوله لهم في اروع مادة دستورية يحتكم اليها:

((ايها الناس انكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وانما الخيار الى الناس قبل ان يبايعوا، فاذا بايعوا فلا خيار لهم، وان على الإمام الإستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام واتبع غير سبيل اهله، ولم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس امري و امركم واحد، واني اريدكم لله، وانتم تريدونني لأنفسكم، وأيم الله لأنصحن للخصم ولإنصفن للمظلوم، وقد بلغني عن سعد واسامة وعبد الله وحسان بن ثابت امور كرهتها، والحق بيني وبينهم))(٤٢)

ومع كل ذلك وفي كل الأحداث فنراه في ضراوة الحرب وآلامها، ونشوة النصر وخذلان العدو ٤٣لانرى الشماتة في خطابه ولا القساوة في لغته معهم بل براه يتألم للقتلى في الحرب، ويرثيهم، ويصلي عليهم • ويوصي بالجرحى، ويتعامل مع الأسرى المعاملة الإنسانية، ويحرص على إطعامهم، ويسامح المنهزمين منهم ويعفو عنهم ويسامحهم ويوصل عطائهم •(٤٤).

وطالما قدم الصلح والمفاوضة على الحرب مع الأعداء انطلاقا من قوله تعالى

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٤٥)،

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٤٦)

اما لغته في الحوار الحضاري في منهجه في القضاء فقد اعلن مبدأ علنية المحاكمة وعلى رؤوس الأشهاد، والمساواة بين الخصوم المتنازعة دون تفريق بين المكانات الإجتماعية مهما كانت ولا حصانة دبلوماسية لأحد في حكومته ٠

ف[٤٧]لما قام (شريح القاضي) إجلالا وإكبارا له بصفته خليفة المسلمين فيما روي من قضية بينه وبين ذمي كان خصم له في درع، بادره الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((ياشريح هذا اول جورك))(٤٨).

وفي عهده (لمالك الأشتر النخعي) أروع ما سطره الموروث البشري من إنسانية، وأبدع ما احتواه العهد من دستور، وما تضمنه من مواد قانونية ٠ آثرنا عدم الخوض فيه خوف الإطالة، إذ من المؤكد ان تكون له منزلة من بحوث هذا المؤتمر. فمن مواده ((الناس صنفان: أما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الإنسانية)) ومن مواده ((الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى. فان في هذه الطبقة قانعا ومعتر)(٤٩)

وفي نهاية المطاف، ونهاية رحلة العمر المضنية بين شظف العيش ومقارعة الخطوب، وبين تهكم الأعداء، وكثرة النوائب، فقد دنت منيته في السيف في محراب صلاته وهو بين يدي الله وأقرب حالة يكون بها القرب الى الله، بعد ان بدأت حياته وولادته في اقدس محراب. وفي خضم الالام ونزاع الروح يوصي بقاتله ان يطعموه ويسقوه ولايمثلوا به لو ارادوا قتله.

وكانت آخر كلماته لولديه (الحسن والحسين)[٥٠]:

((اوصيكم بتقوى الله ولاتبغيا الدنيا وان بغتكما))

و ((قولا بالحق)) و ((إعملا للأجر)) و((كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا))

ومن وصاياه ((خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم))

فمضى إلى ربه راضيا مرضيا محتسبا وترك تراثا لمن اراد ان يعرف حقيقة دين محمد بن عبد الله خاتم النبين (صلى الله عليه وآله).

والحمد لله اولا وآخر ونستغفره عن الخطا والنسيان وما شذ من شطحات الفكر وزلات القلم.

هوامش البحث

(١) سورة المؤمنون: ٧٠، ٧١

(٢) سورة الأعراف: ١٨٦

(٣) سورة الأعراف: ١٧

(٤) سورة الانعام: ١١٦

(٥) فضل الله (السيد محمد حسين): علي ميزان الحق: ٣٥،

اعداد وتنسيق: صادق اليعقوبي، ط١، الناشر: دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٣م – ١٤٢٣ه.

(٦) الشيخ المفيد(محمد بن عبد النعمان بن المعلم ابو عبد الله العكبري البغدادي ت ٤١٣هـ) تفضيل امير المؤمنين: ١٩،

مطبوع مع مجموعة مصنفات الشيخ المفيد(المجلد السابع) من اصدارات المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد(بدون تفصيلات طبع).

(٧) ليكنها وزن (محمد): الاسلام والتعددية الدينية: ٧، دار الفكر الجديد/ النجف الاشرف- العراق.

(٨) الشيرازي (الشيخ ناصر مكارم): الامثل في تفسير كتاب الله المنزل:١٥/ ٥٦٧، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت- لبنان، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧م.

(٩) ينظر/ الفخر الرازي: التفسير الكبير: حج ١١/ ٣٣٠ وما بعدها ج٣٢،ط:١: دار احياء التراث

العربي الاسلامي: بيروت -لبنان.

(١٠) ينظر/ الطبطبائي (السيد محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن:٢٠/ ٤٣٣ وما بعدها، ط١: منشورات مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات -قم-ايران ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

(١١)سورة البقرة: ٢٥٦.

(١٢) المدرسي(السيد محمد تقي): من هدى القرين:١/ ٣٤٠، ط:٢، دار القارئ: بيروت ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.

(١٣) سورة النحل: ١٢٥

(١٤) سورة فصلت: ٣٤

(١٥) الرفاعي(عبد الجبار): تحرير الدين من الكراهية: ٥ بحث لمجموعة مفكرين في مجال فلسفة الدين والكلام الجديد منشور في كتاب (التسامح ليس منة أو هبه) ط:١، دار الهادي: بيروت، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.

(١٦) للتوسعة في ذلك ينظر/ الشيرازي(السيد صادق الحسيني): علي في القرآن، فقد فصل القول فيما انزل في الامام علي (عليه السلام) من القرآن الكريم، ط:٧، مطبعة كوثر: قم ايران: ١٤٢٣ هـ.

(١٧) للتوسعة في ذلك ينظر/ الاميني (الشيخ عبد الحسين): الغدير في الكتاب والسنة.

(١٨) نهج البلاغة: الناشر: العتبة العلوية المقدسة/ في النجف الاشرف ١٤٣١ هـ-٢٠١٠م.

(١٩) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٧) / ٣٣٩، ٣٤٠.

(٢٠) نهج البلاغة: الخطبة رقم/ ٤٥.

(٢١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٠٠/ ٣٤٦.

(٢٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٣٧/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٢٣) ينظر/ نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣) المعروفة بالشقشقية/ ص٥٠، وكذلك الخطبة رقم (٥)/ ٥٨.

(٢٤) وقد اشارت سورة النصر الى ذلك صراحة.

(٢٥) سورة الحجرات: ١٤

(٢٦) سورة التوبة : من ٧ الى ١٠

(٢٩) سورة التوبة: ٢٣، ٢٤، ٢٥

(٢٨) ينظر/ الطبري: التاريخ: ٢/ ٢٥٢.

(٢٩) ينظر في التوسعة من مواقفه مع الخلفاء: الشيخ المفيد/ الارشاد/ مع ابي بكر ١٠١ وما بعدها، ومع عمر بن الخطاب ١٠٣ وما بعدها، المجلد (١١) من مصنفات الشيخ المفيد.

(٣٠) فضل الله(محمد حسين): علي ميزان الحق: ١٢١.

(٣١) نهج البلاغة: الخطبة (٣٣): ٩١

وانظر كذلك: ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٣٥

(٣٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦): ٦٦

(٣٣) يبظر: نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥): ٦٥

(٣٤) في تفصيلات ذلك ينظر: الخفاجي (د. محمود شاكر عبود): الإمام علي يحاكم التاريخ: الكتاب الثاني / ٥٨ وما بعدها

من كتاب (بحوث ودراسات في الفكر الإسلامي المعاصر)، ط: ١: دار ابن السكيت: ديوانية – العراق، ٢٠١٥م

(٣٥) ينظر في تفصيلات مفاوضاته معهم ورسله اليهم واحتجاجه في حقه: ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٦٠ ومابعدها

وكذلك ينظر: مرتضى الميلاني: محاضرات في المعارف الاسلامية: ١ / ٢٩١

ط: ١، الناشر دار الأسوة، طهران، ١٤٢٤ هـ ق

(٣٦) ينظر: الشيخ المفيد: الإرشاد: ١٢٨

(٣٧) الشيخ المفيد: الإرشاد: ١٢٤

(٣٨) راجع تفصيلات ذلك: المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجواهر

ط: ٢، دار الكتاب العربي: بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ٢ / ٣٩٤ وما بعدها

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه

(٤٠) ينظر: مرتضى الميلاني: محاضرات في المعارف الاسلامية: ١ / ١٩٥ ومابعدها

(٤١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٩٧ ومابعدها

(٤٢) الشيخ المفيد: الإرشاد: ١٢٤

(٤٣) ينظر امثلة كثيرة على ذلك في: المياحي (د. شكري ناصر): الإمام علي (دراسة في فكره العسكري) : ٨٠ ومابعدها

ط: ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣ م

(٤٤) سورة الأنفال: ١

(٤٥) سورة البقرة: ٢٠٨

(٤٦) ينظـــر: فاضل عباس المــلا: الإمام علي ومنهجه في القضاء: ١٠٣ وما بعدهـــا ط: ١، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م

(٤٧) ابن ابــي الحديــد: شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٨٥

(٤٨) المصـــــدر نفســــــه: ٣ / ٢٤٥

المصادر والمراجع

القـــــرآن الكريم

١. الاميني (الشيخ عبد الحسين): الغدير في الكتاب والسنة

٢. ط: ١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٦م

٣. الخفاجي (د. محمود شاكر عبود): الإمام علي يحاكم التاريخ:

٤. من كتاب (بحوث ودراسات في الفكر الإسلامي المعاصر)

٥. ط: ١: دار ابن السكيت: ديوانية - العراق، ٢٠١٥م

٦. الرفاعي(عبد الجبار): تحرير الدين من الكراهية

٧. بحث لمجموعة مفكرين في مجال فلسفة الدين والكلام الجديد

٨. منشور في كتاب (التسامح ليس منة أو هبه)

٩. ط:١، دار الهادي: بيروت، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.

١٠. الشيرازي(السيد صادق الحسيني): علي في القرآن ط:٧، مطبعة كوثر: قم ايران: ١٤٢٣ هـ.

١١. الشيرازي (الشيخ ناصر مكارم): الامثل في تفسير كتاب الله المنزل

١٢. ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت- لبنان، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧م.

١٣. الطباطبائي (السيد محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن ط١: منشورات مؤسسة دار المجتبى، قم-ايران ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

١٤. الطبري: التاريخ دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان

١٥. فاضل عباس الملا: الإمام علي ومنهجه في القضاء: ط: ١، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف،١٤٣٢ هـ - ٢٠١٠م

١٦. الفخر الرازي: التفسير الكبير: ط:١: دار احياء التراث العربي الاسلامي: بيروت -لبنان.

١٧. فضل الله (السيد محمد حسين): علي ميزان الحق اعداد وتنسيق: صادق اليعقوبي ط١، الناشر: دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٣م - ١٤٢٣هـ.

١٨. ليكنها وزن (محمد): الاسلام والتعددية الدينية دار الفكر الجديد/ النجف الاشرف- العراق

١٩. المدرسي(السيد محمد تقي): من هدى القرآن ط:٢، دار القارئ: بيروت ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.

٢٠. مرتضى الميلاني: محاضرات في المعارف الاسلامية: ط: ١، الناشر دار الأسوة، طهران، ١٤٢٤ هـ ق

٢١. المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ)مروج الذهب ومعادن الجواهر ط: ٢، دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

٢٢. المياحي (د. شكري ناصر): الإمام علي (دراسة في فكره العسكري) ط: ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م

٢٣. نهج البلاغة الناشر: العتبة العلوية المقدسة/ في النجف الاشرف ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠م.

الخطاب الديني
ونفور الشباب منه وآليات بناء الثقة
في ضوء فكر الإمام علي عليه السلام

الباحث

محمد قاسم عبد الحميد الحبوبي

المقدمة

بسمه تعالى خالق الخلق وله الحمد، وبه نستعين من دون أحد، والصلاة والسلام على صفوة الخلق محمد وآله ذوي النهى وخير سند، وبعد..

يمتاز الخطاب الديني من بين أنواع الخطاب بأنه أكثر شمولية وأقرب وجداناً للناس، فأما عنصر الشمولية فلاستيعابه الجوانب المختلفة، من نفسية واجتماعية وأخلاقية وتربوية وعلمية واقتصادية وسياسية وغيرها.. فضلاً عن جانب التبليغ الديني، وأما العنصر الوجداني فمن الواضح أنه يمثل انعكاساً للفطرة التي ولد الانسان عليها، فطرة التوحيد والإخلاص لله تعالى، تلك الفطرة التي يعنيها الحديث الشريف للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ((كل مولود يولد على الفطرة إلا أن يأتي أبواه فيهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))، فطرة الدين الحنيف، وشريعته السمحاء، والمُعبّر عنه في القرآن الكريم بتأكيد دون ترديد ((إن الدين عند الله الإسلام)).

فإذا كان الخطاب الديني بهذه الشمولية والوجدانية، فلا عجب أن تكون له من الآثار الكثيرة والخطيرة على المجتمعات الإنسانية عامة، والإسلامية خاصة، فكيف لو كان الخطاب الديني مثلاً خطاباً علوياً، فإنه حتماً سيعطي للخطاب ألوان الحرية والتضحية والشجاعة، فيصير بذلك خطاباً جماهيريا يتجاوز الحدود رغماً عن أنوف الحكومات الوضعية، وصفعةً لضوابط الحدود والجنسية، وحينها ما خالف الصواب من قال: ((إذا أردت مشروعاً يًزيل القيود وسجن المعاصر الحدود فدع عنك مشاريع الوحدوية والعولمة، وخذ صادقاً فكر علي..))، ونشد الأزر لكل من يسعى في تهذيب الخطاب الديني تطويراً للخطاب المعاصر.

ومن هنا نرى أن الخطاب الديني كي يُعطى حقُه ليُجنى ثمره، لا بد عند

البحث والتحقيق في أصوله وأبعاده التخلي عن التساهل والمجاملة وعن تقديم الأهداف والغايات البسيطة على الاهداف العليا والغايات العظيمة، تلك الغايات الشريفة التي لا شك أنها تمثل المبادئ الأساس للإسلام الحنيف، ومن أرادها واضحة بلا تكلف فلا يعدو سيرة المعصومين عليهم السلام، محمد وآل محمد عليهم السلام، ومن ثم سيرة من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لقد آثرنا الحديث هنا عن الخطاب الديني من جهة التحديات المعاصرة، وأن الخلل فيه يلزم منه سلبا النفور العام وخاصة شريحة الشباب، مما يستدعي ضرورة إعادة الثقة أو بناؤها من خلال الذوبان في التراث العلوي وديمومة عطائه، ووجوب التصدي المنطقي والأخلاقي لتلك العقليات الا عقلية، والوثنيات المتزمتة التي لا ترى غير أوثانها..، فعمدنا إلى بحث آفات الخطاب وآليات علاجها، غايتنا منه الإصلاح ما استطعنا، عليه توكلنا وإليه أنبنا.

وقبل الغور في مطالب البحث وفروعه نقدم مجموعة من الأمور الأساسية، التي تمهد للمعرفة الإجمالية لفكرة البحث، وهذه الأمور عبارة عن بيان لأهمية البحث وأهدافه، ومنهجه ونطاقه، والهيكلية العامة للبحث، وكما يأتي تباعاً:

أولاً: أهمية البحث

يمكن تحسس أهمية هذا البحث من خلال طبيعة التحديات التي تعترض اليوم المنبر الديني في خطابه، لذا يمكن إجمال عناصر الأهمية بما يأتي:

التعرف على أسباب هذه التحديات، بعد تشخيصها بصورة إجمالية.

تمييز التحديات الداخلية المتعلقة بنفس الخطاب عن التحديات الخارجية، ثم حصر البحث في الأولى، للتركيز على أهمية تحصين الخطاب في ذاته وحفاظاً على

قدسيته، قبل الانطلاق به إلى العالم الخارجي، لأن التحديات الداخلية تُمثل بعبارة أخرى سلبيات الخطاب.

مناقشة التحديات باختصار تفرضه أجواء البحث، ومن ثم وصف بعض العلاجات من كلام أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وتراثه الفذ في تصحيح مسار بناء الثقة، ومنه تعالى العون والتسديد.

ثانياً: أهداف البحث

وهي مجموعة من الرؤى المستقبلية التي يسعى البحث إلى إبرازها والتي أهمها:

الصياغة العلمية لتعريف التحدي المعاصر للخطاب الديني.

تشخيص التحديات المعاصرة الأكبر أثراً في نفور الشباب من الخطاب الديني.

السعي لبلورة فكرة لجان التقييم الخطابي التي تُعد خطوة أساسية وجريئة في تفعيل فكر الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة أملاً في تحصيل طفرة نوعية للواقع الخطابي.

ثالثاً: منهج ونطاق البحث

يلتزم البحث في دراسته هنا بمنهج الوصف والتحليل، وإن كان في بعض الفقرات يأخذ بمنهج المقارنة إلا أن ذلك لم يصل إلى حد المنهج العام للبحث.

وأما نطاق البحث فهو دراسة خصوص التحديات التي يعيشها الخطاب الديني اليوم وليس مطلق الأزمنة، كذلك يختص البحث بدراسة التحديات الداخلية أي التي تواجه نفس الخطيب بخصوص خطابه شكلاً ومضموناً، فلا

يشمل البحث التحديات الخارجية، من قبيل تحديات العقيدة، وتحديات الثقافة الغربية والعولمة المزيفة أو تلك التي تواجه السلوكيات الاجتماعية وغير ذلك مما يطول ذكره، فغاية البحث التوجه لتحصين الخطيب في ذات خطابه، ليكون خطوة أساس لمن يسعى إلى دراسة التحديات الخارجية والتخطيط لمواجهتها.

رابعاً: خطة البحث

يتألف البحث من أربعة مطالب ومجموعة من العناوين الضمنية، فالمطلب الأول عام لبيان مفهوم تحديات العصر، فيشمل تعريفها وأسبابها وتقسيماتها وفقاً لرؤية الباحث، وأما المطلبين الثاني والثالث فهي لبيان التحديات الشكلية والموضوعية المواجهة للخطاب الديني فقط، والتي تمثل بمجموعها علل الخطاب في نفور الشباب، وأما المطلب الرابع فيختص ببيان آليات بناء الثقة المستوحاة من فكر الإمام علي عليه السلام، وأخيراً الخاتمة التي نجمل فيها نتائج البحث ومقترحاته، ومنه تعالى نرجو القبول والتوفيق.

المطلب الأول

مفهوم التحديات

يشمل المفهوم كل ما يدخل في بيان معنى التحديات، للوصول إلى أوضح وأدق صورة ذهنية في نفس المتلقي عن مصطلح التحديات المعاصرة للخطاب الديني، ولذا سيتضمن تعريفها وأسبابها وأقسامها، من خلال ثلاثة فروع وكما يأتي:

الفرع الأول: تعريف التحديات

يمكن الاطلاع على المعنى الاصطلاحي لكلمة التحديات في العنوان من خلال التعرف أولاً على المعنى اللغوي للفظ التحديات، وحسب ما يأتي:

أولاً: المعنى اللغوي

إن لفظ التحديات هو جمع لكلمة « التحدي »، وترجع كلمة التحدي إلى الفعل حدَّ وحدا، وله عدة معاني إلا أن أهمها وما يعنينا هنا معنيان، الأول يعني قَيَّدَ، وَقَفَ حائِلاً دونَ انْتِشارِ الشيء، والثاني يعني المانع لكلّ ما ليس منه، و حَدَّهُ عَنِ الأَمْرِ: صَرَفَهُ عَنْهُ ومَنَعَهُ[1]، ويرجع أصل المعنى في كليهما إلى ما ذُكر في لسان العرب: « تحديت فلانًا إذا بارَيْتَه في فعل ونازَعْتَه الغلبة»، وهي الحُدَيَّا»[2].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

قبل بيان المعنى الاصطلاحي للتحدي المراد في عنوان البحث لا بد أن نميز بين التحدي الصادر والوارد، فالتحدي الصادر هو طلب الإتيان بالمثل عن طريق المحاججة والغلبة، كما في التحدي الصادر من القرآن لعتاة قريش وغيرهم

في طلب الإتيان بمثله: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)[٣]، وليس هنا محله، وأما محل البحث هنا فهو التحدي الوارد، وهو ما يرد على الشيء ويعترضه، فالتحدي الاصطلاحي هو كل ما يجابه شيئا لنقده أو إزالته.

لذا فالمعنى الاصطلاحي المراد هنا من التحدِّيات المعاصرة التي تواجه الخطاب الديني هي كل ما يعترض اليوم منبر الخطابة في ذاته أو خطابه، شكلاً وموضوعاً، بما يُقيِّده أو يُقوِّمه، أو يَمنعه من تأدية دوره الرسالي.

الفرع الثاني: أسباب التحديات

تُعد مسألة البحث في أسباب نجاح أو تعثر منبر الخطابة، خطوة أساس لإنعاشه وتطويره، لذا يمكن إرجاع عموم التحديات التي تواجه المنبر الديني إلى عدد من الأسباب الرئيسة التي يمكن إجمالها تسلسلاً من شخص الخطيب وواقعه إلى أحوال المجتمع وثقافته سعياً لإمكانية استشراف مستقبله، وكما يأتي:

أولاً: أسباب ذاتية

تختص هذه الأسباب بذات الخطيب في نفسه وخطابه، أي مقوماته الشخصية ومؤهلاته الخطابية، بحيث يشكل الخلل في بعضها أو مجموعها غرضاً للغير، حتى يمتد الأمر ببعضها إلى مناجزة المنبر في ذاته، ولا بأس من أن يكون هناك أنموذجاً يُحتذى أو يُستعان به، ثم إلى خصوص ما يتعلق بالخطاب من هذه الأسباب الذاتية سوف يرتكز البحث، لأنها تشكل أدوات لخلق التحديات الموجهة للخطاب الديني، سواء في شكله أو مضمونه، ونُرجئ بحثها تفصيلاً تبعاً لتحدياتها في المطلب الثاني والثالث، وأما باقي الأسباب فتبحث هنا استطراداً.

ثانياً: أسباب اجتماعية

يمكن إجمالها بما يأتي:

تطلعات المجتمع في أن يقدم المنبر حلولاً لمجموعة من المشاكل الاجتماعية المتعلقة بتربية الأسرة ومشاكل الزواج والطلاق، والميراث والجوار وغيرها.

معاناة الخطيب من آثار التناسب العكسي بين نسبة الحضور والتفاعل الأخلاقي، وازدواجية الحق والباطل عند المخاطب.

ندرة القدوة الاجتماعية في عالم اليوم وضعف الدور التوجيهي لمؤسسات المجتمع المدني والإخفاق في توظيف التراث توظيفاً إيجابياً.

ثالثاً: أسباب اقتصادية

يعزو البعض[٤] انتشار المنبر واتساعه إلى ارتفاع المستوى الاقتصادي لمقيمي المجلس وتنافسهم في بذل الخدمات للجمهور وفي عطاء الخطيب فيندفع بذلك التحدي القائم حيال اتساع رقعة المنبر الجغرافية، ولكن الواقع يُثبت أن ارتفاع المستوى الاقتصادي لا يلازمه دائماً الأثر الإيجابي، بل كثيراً ما ينعكس الأمر ويتضارب ذلك مع رسالة المنبر الإلهية، فيغدو منبراً شكلياً، لذا فإن ارتفاع المستوى الاقتصادي العام لا يُشكل عاملاً أساساً لانتشار المنبر وفاعليته إلا بعد الحفاظ على مبادئ منبر الخطابة وأهدافه.

رابعاً: أسباب سياسية

يمكن إجمالها بما يأتي:

التضييق الذي تمارسه السلطة السياسية سواء على الخطيب، أو على من يعقد المنبر، أو على مرتاديه، أو جبرهم على تبني أفكارها.

تسييس الخطيب، حتى يغدو صوتاً إعلامياً للكتلة أو الحزب السياسي.

إقحـام الخطـاب بالتجاذبـات السياسـية حتـى إذا مـا بـان خطـأ أفـكار الخطيـب وتقييماتـه انجـرت الألسـن إلى ذات المنـبر لتجريـده مصداقيتـه.

خامساً: أسباب علمية

وهـي عبـارة عـن مجموعـة مـن الأسـباب التـي ترجـع إلى تـدني الحصيلـة العلميـة للخطيـب، أي في المخـزون العلمـي وليـس في أصـل خطابـه، سـواء كان الضعـف في الإعـداد العقـدي، أدلـة وتبيانـاً، أو في الإعـداد الفقهـي إذا مـا أراد التوسـع في بيـان المسـائل الفقهيـة، خصوصـاً فقـه المسـائل الخلافيـة، أو ضعـف التفسـير العلمـي الـذي يخالـف مـا عليـه تطـور العلـوم، طبيـة كانـت أو تطبيقيـة، بـل حتـى النفسـية والإنسـانية، مما يشـكل مؤشراً سـلبياً عـلى ثقـة المستمع بالمنبر عامة والخطيـب خاصـة[٥]، فيتحـول مـن كونـه تحديـاً علميـاً مجـرداً إلى تحـدي علمـي وأخلاقـي خطـير، يصطـدم بذلـك مـع مبدئيـة المنـبر وهيبتـه.

سادساً: أسباب عدائية

تختلـف جـذور العدائيـة للمنـبر الخطـابي باختـلاف أرضيـة المعـادي والغـرض الـذي يرمـي إليـه، لـذا يمكـن إجمـال هـذه الأسـباب بـما يـأتي:

استـمرار النواصـب لأهـل البيـت عليهـم السـلام ومـن هـم عـلى طريقتهـم (فعـلاً أو حكـماً) في بـث سـمومهم وافتراءاتهـم، أو إرهـاب الفكـر والـدم، كـما في سـعيهم لكـف المؤمنـين عـن لسـانهم الصـادح بالحـق «المنـبر الحسـيني».

الفكـرة الخاطئـة لمدعـي الثقافـة العصريـة في أن المنـبر الدينـي يُشـكِّل حجـر عثـرة في طريـق العصرنـة والعولمـة، كالحاصـل في محاربـة المنـبر الحسـيني، إذ تراهـم عـلى أهبـة الاسـتعداد للتعـاون مـع شـياطين الإنـس والجـن إرضـاءً لـكل عـدو وإعلامـاً لثقافـة النفـاق التـي يحملـون وزرهـا بجهـل مركـب إلى يـوم القيامـة.

سابعاً: أسباب افتراضية

وهي مجموعة من الاحتمالات التي تدخل ضمن عالم التوقع الإمكاني لانبثاق محتملات من التحديات الجديدة، بناءً على الفكر التطرفي أو الجاهلي الذي تستند إليه، فيلزم منّا الكون المستمر بوضع الأهبة والاستعداد، حذراً وحمايةً للمنبر من عواقب الغفلة والعفوية، وهي كما يأتي:

استمرار الفكر التكفيري لإتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الذي دأبه المواجهة وتهميش الغير، فهو ماكنة شغّالة لتوليد التحديات.

استمرار الفكر اليهودي وأتباعه للنيل من الإسلام المحمدي الأصيل، فيلزم الحذر منه أشد الحذر تبعاً لإيماننا بإخبار القرآن بذلك: ((لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا))(٦).

الاستعداد للشبهات والإشكالات المختلفة التي يُثيرها الجدليون أو الشواذ ويهتف بها جهلة الناس، كشبهة ألوان العزاء المبتدعة مثل التطبير بالهراوات أو تطيين الوجه، أو جدلية التساؤل عن نجاسة أو طهارة دمع اليهودي الباكي على الحسين وكيفية الجواب المناسب حذراً من هياج العوام(٧).

الفرع الثالث: أقسام التحديات

توجد للتحديات تقسيمات عديدة، وذلك تبعاً لاختلاف حيثية التقسيم، فالتقسيم قد يكون من حيث أسباب هذه التحديات، وقد يكون من حيث الانتماء العقدي وعدمه، وقد يكون من حيث عموم أركان المنبر، أو من حيث خصوص أحد أركان المنبر، ويمكن التعرف على تفصيل التقسيمات المذكورة من خلال ما يأتي:

أولاً: التقسيم من حيث السبب

بناءً على أن أسباب التحديات تكون مختلفة وكثيرة ولا يمكن حصرها، إلا أنه يمكن تقسيمها وفقاً للأسباب الشائعة التي يأخذ فيها التحدي اسمه من السبب نفسه، والتي تختلف فيما بينها تأثراً وتأثيراً، وعليه تُقسم إلى تحديات سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية وعدائية ونفسية وذاتية وغير ذلك، تبعاً للسبب الذي تختلف فيه الأنظار، في عمومه وخصوصه، وفي إطلاقه وتقييده.

ثانياً: التقسيم من حيث الانتماء العقدي

يُعد الجانب العقدي أو العقائدي على درجة كبيرة من الأهمية، حتى أن كثير من المشاكل والحروب ذات جذور عقدية، لأنه على ضوء هذا الجانب تتوقف علاقة الانسان بخالقه، بل إن أكثر سلوكياته يمكن توقعها تبعاً للأصل العقدي، ومدى التزامه الحقيقي بذلك الأصل، ثم إن كثير من موارد الخلاف بين الأفراد والمجتمعات، ووسائل النفور والتقريب بينها مما يرتبط بهذا الجانب، وعليه تُقسم التحديات تبعاُ للانتماء العقدي إلى تحديات عقدية أو طائفية وأخرى غير عقدية.

ثالثاً: التقسيم من حيث عموم أركان المنبر

يُقصد بأركان المنبر: الخطيب والخِطاب والمُخاطب (الجمهور)، وهذه الأركان مهما كانت تفصيلاتها فلا تتوجه التحديات إلى خصوصياتها، بل إلى عموم الأركان من خلال توجيه التحدي إلى أصل المنبر الحسيني، للقضاء عليه أو الحدِّ من تأثيره، وعليه ترجع هذه التحديات في عمومها إلى أسباب عدائية، لذا فإن التخفيف من حدتها يكمن في الانفتاح على تراث المذاهب الإسلامية الأخرى والتفاعل معها[٨]، وبناءً على هذه الحيثية تُقسم التحديات إلى تحديات منبرية وغير منبرية.

رابعاً: التقسيم من حيث خصوص أحد أركان المنبر

يستند هذا التقسيم إلى أحد أركان المنبر، فقد تتوجه التحديات إلى الخطيب، فتُقسم إلى تحديات شخصية وغير شخصية، يترتب على أثرها وضع مجموعة من الشرائط الواجب توفرها في شخصية الخطيب مثل فصاحته وبلاغته وتأريخه وعلميته وغير ذلك مما له دخل في الحد من تلك التحديات الشخصية، والمقارنة بينها سلباً وإيجاباً لمعرفة الأكثر تأثيراً للاهتمام به، وتارةً أخرى تتوجه إلى المُخاطب، فتُقسم إلى تحديات الجمهور (المتلقي) وغير الجمهور، يترتب على أثرها ضرورة الاهتمام بالأبعاد الاجتماعية لمجابهة تلك التحديات، والمقارنة بين أشدها وقعاً وأعظمها نفعاً، من قبيل التقليل من المجالس الفردية (مجالس البيوت) لأجل المجالس العامة ذات الحضور الكبير ولمختلف فئات المجتمع رغبة في التوعية الهادفة والإرشاد الجماعي مقارنة عما عليه الحال في آثار المجالس الفردية.

وتارةً ثالثة تُقسم التحديات وفقاً للخطاب إلى تحديات داخلية ترجع إلى خصوص الخطاب، وتحديات خارجية ترجع إلى كل ما يُحيط بالخطاب سواء ما تعلق بأركان المنبر الأخرى أو ما هو خارج نطاق المنبر، والتحديات الداخلية هي نطاق البحث هنا إذ تخص ذات الخطاب، ولذا تُقسم وفقاً لظاهر الخطاب إلى تحديات شكلية كما في المطلب الأول، ووفقاً لجوهر الخطاب إلى تحديات موضوعية كما في المطلب الثاني، والتي آثرنا البحث عنها لإيماننا بأنها الداء العضال الذي هو وراء نفور الشباب وامتعاضهم من جملة الخطاب الديني، وهي كما يأتي.

المطلب الثاني

تحديات الخطاب الشكلية

وتعني تلك التحديات المتوجهة نحو صورة الخطاب الصادر، من حيث أسلوب عرضه وألفاظه وأحكامه، التي تكون سبباً لنقد الخطاب والتعريض به، ومن ثم اتساع الهوة بين الخطيب والمخاطب، لاسيما الشباب فينفروا منه فرار المعزة من ذئب الفلاة، وقد تتداخل بعض هذه السلبيات مع مواصفات الخطيب، وهو أمر طبيعي بناءً على العلقة الشديدة بين الخطاب وجهة صدوره، إلا أن مرادنا الأساس يبقى حول تقييم ذات الخطاب، ويمكن إجمال التحديات الشكلية بما يأتي:

الفرع الأول: ضعف اللغة

تُعد اللغة أساس الخطاب، ومهما كانت درجة الأهمية لفكرة الخطاب، أو خطورة الظرف الذي يُحتم قصر النظر نحو هدف الخطاب، فإنه لا يمكن التساهل بأخطاء اللغة التي تسلُب الخطاب رونقه، وحرارة وقعه في قلبه المُخاطب(٩)، كأخطاء التلفظ للحروف، أو أخطاء قراءة الآيات القرآنية وأحاديث المعصومين عليهم السلام التي شواهدها ما لا يسع المحل لذكرها، وكذلك الأخطاء النحوية التي أضحت المعضلة الشائعة، من قبيل الاستعمال الكيفي لعلامات الإعراب، بما تمجُّها الأسماع، فتُسيء كثيراً إلى سمعة المنبر وأصالته العربية بشكل مخجل،، والتي سببها الأساس سوء الاستماع وعبث الاستعمال، فإذا السليقة السليمة معدومةٌ عنده (فتسمع بعضهم قائلاً «يمكن» بفتح الياء وضم الكاف)، أو يعيَ في تركيب الجمل (كمن يقول: أستأذن منك، والصحيح أستأذنك، أو: أكّد على كلامه، والصحيح أكّد كلامه)، أو تخمة الخطاب باللهجة العامية فيبدو شائعاً التلكؤ

بانتقاء الكلمات المناسبة، أو التخبط في ضوابط التقديم والتأخير، وغير ذلك مما ينبغي لعلاجه الاستعانة بأهل اللغة وذوي النطق السليم والكتب المختصة بأخطاء المنشئين، أو لا أقل من تلافي أخطاء التعبير الذاتي بالإكثار من ذكر كلام أهل البيت عليهم السلام وتأديته بصورته الصحيحة[١٠].

الفرع الثاني: تشوش العرض

ليس المراد تقييد الخطاب بأسلوب واحد، بل للخطيب الابتداء بما شاء من آية قرآنية أو حديث شريف أو قصة، لكن ينبغي الالتزام بما قدّم ولا ينتقل عنه إلا بعد تمام الفكرة المقصودة، وإلا ضاع الفكر والوقت، بل قد يتذمر المتلقي كثيراً لسوء العرض والذي أقله عدم التفاعل مع الخطاب، حتى يصبح الوقت ثقيلاً عليه، فمثلاً تقديم ذكر المصيبة أمر جيد إذا كان الهدف مجلساً بكائياً كأيام العشرة الأولى من المحرم، وأما في الأيام الاعتيادية أن نعمد إلى تقديم ذكر المصاب ثم ننتقل إلى موضوع الخطاب ثم نختم بذكر المصاب أمر لا يخلو من الإرباك وتشوش الفكر.

الفرع الثالث: التكرار

يعني التكرار إعادة بعض الكلمات أو التراكيب، وأصله من الكر بمعنى الرجوع، وهو أحد أساليب التوكيد في اللغة لغرض بيان أهمية الشيء أو لشدِّ السامع، بل هذا القرآن الكريم مما يبدو فيه التكرار اللفظي كثيراً لمناسبته لأغراض التنبيه والتحذير والتشويق والتذكير وغيرها مما يبدو حسنه واضحاً جلياً، ولكن في المقابل لا يصح الإفراط فيه إذا غابت عنه الفائدة وخالف مقتضى حال المخاطب، حتى يصبح في حالات شائعة علامة مميزة للخطيب ومدعاة لتوجيه التحدي للمنبر، كالاعتياد على اسلوب عرض واحد مما يلزم منه الرتابة والملل، أو تكرار نفس الكلمة أو العبارة بلا مناسبة، أو التكرار بطريقة اللف والدوران حول قصة

بسيطة واضحة البناء والمضمون، فلا يُجدي عندها الوعظ أو النصيحة حينئذ.

الفرع الرابع: التعميم

وهي ظاهرة إضفاء الشمولية للقضايا المطروحة بإحدى صيغ العموم (كل، جميع، صيغ الجمع المحلى بالألف واللام) وهي حالة تعبيرية سليمة حينما تكون عقيدة كما في الإيمان بجميع الرسل والأنبياء، أو حكماً فقهياً كما في الحكم بطهارة كل شيء حتى نعلم بنجاسته، أو أمراً منطقياً كما قولنا: كل إنسان حيوان ناطق، حيث لا يتخلف أي مصداق من مصاديق تلك القضايا وإلا لم تكن قضايا كلية وأصبح استخدام أدوات العموم عيباً كلامياً، وهو ما يحدث كثيراً في خطابات المنبر عند الحديث عن مفردة سلبية مثلاً فينقلب الحكم فيها فجأة إلى التعميم، كما لو أساء البعض في تأدية إحدى الشعائر الحسينية فيصدر الحكم الجزافي من المنبر ببطلان أصل الشعيرة أو تخطئة جميع الممارسين، بل قد تصل الجرأة في الحكم إلى حد التبشير بجهنم وبئس المصير لجميع الناس من أهل تلك المنطقة التي شوهد فيه منظراً على غير هدىً، فيلزم من ظاهرة التعميم الجزافي حينئذ سخرية المتحدي لعشوائية الأحكام وظلم الأنام، بل المشكلة الأكبر أن صاحب الخطاب يُنزِّه نفسه دائماً من عموم السلبية وهذا ما يُنافي شفافية النقد ومصداقية المنبر(١١).

الفرع الخامس: القطع

يقسم علماء المنطق العلم بالأشياء إلى ثلاث مراحل، هي مرحلة الاحتمال (العلم الضعيف) والظن (العلم الراجح) والقطع (العلم الجازم)، فالقطع أعلى مراتب العلم بالشيء الذي لا يقبل احتمال ما يُخالفه، كما في قطع الإنسان بأنه موجود، وبقدر ما يسعى الإنسان إلى زيادة خزينة مقطوعاته بناءاً على أنها مؤشر

لرسوخ علمه، كما في سعي المؤمن لترسيخ إيمانه أحكام القطع بقدرة الباري عز وجل وحلمه وحكمته وتدبيره ورحمته.. إلا أن القطع لا يحسن في جميع الأحوال بل إن دائرة القطع نسبية، إذ تزيد في حال الكلام عن الحق المطلق، وتنقص فيما سواه، بل إن الحكمة في غيره تكون مع سعة الاحتمال، وعندها يقبح الظن فكيف بالقطع؟، لذا فمن مساوئ الخطاب حينئذ هو سرعة القطع أو كثرته مما يولِّد تحدياً للمنبر وتزلزل ثقته، ولذا يُقال لكثير القطع: (قطع القطاع لا اعتبار به)[١٢].

الفرع السادس: المزاجية

المزاجية هي شعور انفعالي مؤقت ومتكرر مثل الحزن أو الفرح، وهي أمر طبيعي ضمن دائرة الفرد ونفسه، إذ تنعدم الحواجز بين نفسه وجوارحه، فقد يُكلِّم نفسه أو يؤنبها وغير ذلك، ولكن عندما ينطلق الفرد بتنقلات سريعة في استشعاراته النفسية حين خطابه على المنبر، فإن الأمر يبدو مستغرباً أو مستهجناً، إذ يُفترض بالخطاب كونه رسالة إلى الجمهور لنقل المعلومة وبسطها وتحليلها وإيقاعها في قلوبهم بأحسن وجه وأجمل صورة، وأما المشاعر الانفعالية فهي شأن الجمهور، ولا بأس أن يُشارك صاحب الخطاب جمهوره في الانفعال، لكن من دون أن يطغى عليهم، حتى يصل إلى درجة تكلف الانفعال فيمثل تحدياً لنزاهة الخطاب، أو يصل به الحال أن يكون المنبر مسرحاً لعرض ما يُحب أو لا يُحب، أو تتأثر نغمة الخطاب برخاوة الأعصاب أو شدها تبعاً لأجواء ما قبل صعود المنبر، فيصبغ المنبر ألوان انفعالاته، بينما الحق أن لا صبغة للمنبر غير دم الحسين ومبادئه.

المطلب الثالث

التحديات الموضوعية

تعني هذه التحديات كل ما يجابه الخطاب في موضوعه نقداً أو تضعيفاً، وهو من الأهمية بمكان لأنه يتعلق بمادة الخطاب التي يمكن إرجاع الكثير من حالات نفور الشباب إليها، كما عليه ما تقدم من التحديات الشكلية، ويمكن التعرف على التحديات الموضوعية من خلال الفروع الآتية التي تتدرج من الأصل وهو فكرة الموضوع وإلى الهدف من الموضوع ومنه إلى الخلل في مصادر الموضوع ومن ثم الخلل في مادة الموضوع سواء في عدم مراعاة المقابل وعدم التمييز بين الثوابت والمتغيرات والضعف في ربط الموضوع بالواقع، وكما يأتي:

الفرع الأول: فكرة الموضوع

يمكن تصور فكرة موضوع الخطاب من خلال عنوانه، فإذا كان عنوان الخطاب أو موضوعه هو آية الجهاد مثلاً، فإن فكرة الموضوع هو بيان فضل الجهاد ومنزلة المجاهدين وآثار الجهاد، ولذا يحسُن اختيار الموضوع بما يُناسب ظرف الخطاب، وأما فكرة موضوع الخطاب فينبغي فيها الالتفات إلى ما يأتي:

سلامة الفكرة، كما في حال التفسير السليم للآية مثلاً موضوع الخطاب، أو التفسير السطحي الذي لا يتلاءم وثقافة المستمع ونوعيته(١٣).

المحافظة على الفكرة، فلا يحسن ترك موضوع الجهاد (موضوع الخطاب) وصرف الخطاب نحو الشهادة، لأنها وإن كانت ضمن موضوع الجهاد إلا أنها أثرٌ كباقي آثار الجهاد كالنصر والصبر والثبات والإيثار وغيرها، ولو كانت غاية الخطاب هي الشهادة للزم أن يكون الموضوع هو آية الشهادة.

تطبيقات الفكرة، وهي الأمثلة التاريخية أو الواقعية التي تقرب الفكرة وتزيد تفاعل الجمهور معها، لذا فإن الإتيان بأمثلة بعيدة عن الفكرة يمثل تحدياً للمنبر في فكرة خطابه، ووقوعه أسير الشتات والبعثرة.

الفرع الثاني: هدف الموضوع

خطاب المنبر رسالة إسلامية لا وسيلة كسب، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (: (اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم)، لذا فإن جوهر الخطاب وأهميته تكمن في غايته، وعندئذ فإن تحدي المنبر في خطابه قد يكون عن طريق الخلل في هدف موضوعه[١٤] بما يأتي:

خلو الخطاب من أي هدف، ويُعرف هذا الخلل من خلال تشتت فكرة الموضوع أو انعدامه.

عدم تناسب هدف الخطاب مع موضوعه، كما لو كان الهدف بعث الهمة في الجهاد، بينما موضوع الخطاب آية كونية، وقد لا يصعب إيجاد العلقة بينهما إلا أن الخلل في التناسب واضح، وتكلف العلاقة بينهما أوضح.

سوء الهدف، كما لو كان الهدف إثارة الشبهات في زمان الفتنة أو الحرب.

الفرع الثالث: اشكالية المصدر

تعتمد قوة الخطاب وتأثيره إلى ما يتضمنه من نصوص أحاديث المعصومين عليهم السلام وقصص السيرة والموعظة وأقوال العلماء والأولياء وغير ذلك من صور المنقول، إلا أن أثر النقل وغايته مما يتوقف على صحة المنقول ومدى مصداقية مصدره، وإلا أضحى المنقول معولاً هادماً وسبباً لتحدي المنبر، بل قد يؤدي (والعياذ بالله) إلى السخرية والتهكم بكونه بوقاً للفرية والخرافة، ولعل هذا

من السرطان الذي تعايشنا معه مضضاً من دون علاج، وقد يصعب علاجه بالمرة لعدم السيطرة على مواضعه، ولكن يمكن التخفيف من حدته بضرورة التمييز بين صورتي انعدام المصدر أساساً فيُرفض علناً بلا مجاملة بدليل عدم الدليل، وصورة ضعف المصدر، فيجب إنصافاً ذكر المصدر لمن يرى ضرورة نقل الخبر، وطوبى لأمانته لو ذكر مباني التقوية أو التضعيف، وشواهد ذلك كثير بما لا يسعه المقام.

الفرع الرابع: تغييب المخاطب

تُعد ثقافة المخاطب أمراً ضرورياً مكملاً للخطاب الناجح، فإذا كان المخاطب مستمعاً جيداً كان خير وسيلة محفزة لتطور الخطاب وكفاءته العالية لأن يكون إعلاماً راقياً، اقليمياً ودولياً، وأما لو كان عكس ذلك (أي جمهور أحسنت أحسنت كثيراً.. !) كان داعياً لاحتضان من لا أهلية له للخطاب الواعي والمسؤول، فيلزم منه الضعف الموضوعي للخطاب الديني ورتابته وهمه الدمعة المجردة من الهدف بسبب عدم محفزية المقابل لتدني ثقافته، فيكون سبباً في بروز التحديات نحو المنبر، لذا فإن الخطاب المثقف والمسؤول من لا يتغافل مثل هكذا جمهور، بل يستشعر وجودهم، فينفعهم بأسلوب خطابه من دون أن تنعكس ثقافة الجمهور على خطابه، لذا فإن السعي الدؤوب لإحاطة الخطاب بفلسفة التواصل الجماهيري خير حافز للخطيب في إعادة الترتيب لأساليبه الخطابية[١٥]، لرفع الأداء في مجابهة التحديات الثقافية التي تجابه المنبر خاصة والعالم الإسلامي عامة[١٦].

الفرع الخامس: ضبابية الثابت والمتغير

تدخل جدلية الثابت والمتغير في جميع مجالات الحياة، سواء كانت في الكونيات كما في ثبات جملة من الظواهر كوجود الشمس والأرض والقمر، وتعاقب الليل

والنهار، أو تغير حركات الأرض ودرجات الحرارة وغيرها، وكذلك الحال فيما يتعلق بالشريعة، فمنها ما هو ثابت من أصول الدين وضروراته كوحدانية الباري عز وجل وعدله، وخاتمية النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وعصمته والأئمة الاثني عشر، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر عليهم السلام وفريضة الصلاة اليومية والصوم والحج والزكاة وغير ذلك، ومنها ما هو متغير كالأمور الفقهية التي هي محل النظر والاجتهاد، كتحديد المسافات ومواضع القصر والتمام للمسافر الشرعي وتطور الاقتصاد الإسلامي(١٧)، ومن ثوابت منهج أهل البيت عليهم السلام على سبيل المثال الورع عن المحارم(١٨)، لذا فإن فسح المجال للاجتهاد في مثل هذه الثوابت والترخيص بخلاف الورع، فتنتهك حرمة الطريق والأموال بحجة الخدمة الحسينية يُعد محاربة علنية لأهل البيت ومنهجهم الواضح، وكذا الجرأة بإصدار الحكم البات والجازم في المتغيرات يُعد من التخبط في خطاب المنبر، كما في ارتجالية الحكم بحلية سلب أموال الدولة بذريعة كونه مجهول المالك فيَخْضَمُونَ مَالَ اللهِّ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ(١٩) فيكون مثل هذا الخطاب سبباً لتوجه التحديات نحوه، سواء كانت الغاية من التحديات تنزيه المنبر من هذه الترهات أو غايتها تحطيم المنبر بذريعة قطع الترهات، ففي كليهما للمؤمن الغيور الحق في حماية المنبر بإزالة هذه الضبابية بتمييز الثوابت وحفظها والتذكير بها، لأنها بر الأمان عند الغور في أي بحث أو جدال، وكي تبقى في الجهة المقابلة ساحة المتغيرات مفتوحة الأبواب للفكر والجدل، إذ يستحيل غلقها إلا بوحي إلهي.

الفرع السادس: سذاجة الربط الواقعي

جرت العادة على سبيل المثال للمنبر الحسيني في خطابه أن يكون ختامه حول مصائب عاشوراء وما جرى في كربلاء، إبقاءً لجذوة المصاب وحرارته في قلوب

المؤمنين، لذا فإن حُسن الانتقال من موضوع الخطاب إلى ذكر المصاب يكون له في نفس المخاطب وقعاً طيباً يبقى أثره حاضراً في القلب للعلقة الحسنة بين الموضوع والمصاب، وهكذا الحال لمطلق الخطاب الدني، لذا فإن سذاجة الربط تعني البساطة المبتذلة في ربط موضوع الخطاب بقضية واقعية والتي تُثير النقمة والملل، بل تفتح التحدي ضد المنبر لفشله في إحداث التأثر القلبي لدى المخاطب والخيبة من رجاء نقله إلى أجواء عاشوراء واستشعار حرارة المصاب[٢٠].

ومن هنا يمكن للمتتبع إرجاع بعض سذاجة الربط الحسيني للأسباب الآتية:

تنافر الألفاظ ما بين موضوع الخطاب والشاهد الواقعي، كما إذا كان موضوع الخطاب بحث عقائدي وألفاظه مصطلحات فلسفية، بينما ينتقل إلى الشاهد الواقعي وإذا ألفاظه من اللهجة العامية الغير ملائمة لسابقاتها[٢١].

تنافر موضوع الخطاب مع موضوع الشاهد الواقعي، فيصعب معه الانتقال.

فجائية الانتقال من موضوع الخطاب إلى الشاهد الواقعي، فلا يُجدي معه تحقق التناسق اللفظي والموضوعي بينهما.

غياب فنية الانتقال، إذ مع وجود التمهيد للربط بالواقع وتلافي العيوب أعلاه، فقد يخفى معه هدف الربط كما في ضياع هدف الربط الحسيني (تحسس المصاب وحرقته) لبرودة الانتقال، وهكذا الحال مع قصد الخطيب في التوجيه والإرشاد فيغيب عنه حسن الاستشهاد لمواعظ علي (عليه السلام) في نهج البلاغة بأمور واقعية خالية من التكلف.

المطلب الرابع

آليات بناء الثقة من فكر الإمام علي عليه السلام

لقد وضع المختصون في علم التربية والنفس جملة من الوسائل والآليات لبناء أو إعادة بناء الثقة عند الناس في مختلف فئاتهم العمرية، ولكن ما يهمنا هو كلام رائد الفكر والتربية الإمام علي الذي حير الألباب في سعة علمه ودقة تشخيصه، وتكفينا وصيته إلى ابنه الامام الحسن (عليه السلام) كتبها إليه بحاضرين منصرفاً إلى صفين[٢٢] حيث يمثل بخطابه انموذجا للخطاب الراقي في تكريم الشباب وبناء الثقة لديهم، والذي سوف نستقرئ منه جملة من آليات بناء الثقة بعد الاستعانة بالله تعالى:-

الفرع الأول: الاعتصام بالله

يوصي الإمام علي (عليه السلام) ولده الإمام الحسن (عليه السلام) أن لا ملجئ لأحد وفي جميع أمور الناس وأحوال الدنيا غير الله تعالى إذ يقول: ((وألجئ نفسك في الأمور كلّها إلى إلهك، فإنّك تُلجئها إلى كهفٍ حريز، ومانعٍ عزيز، وأخلِصْ في المسألة لربّك، فإنّ بيده العطاء والحرمان)) وهو بذلك يعطينا الدرس الأول والأساس الذي لا يمكن أن يغيب عن كل انسان يدعي الإيمان، كيف لا يلجئ إلى الله عز وجل عند كل أمر تقل فيه الحيلة ويضعف عنده الفؤاد؟! وكيف نزرع في قلوبنا ونحن لا ثقة لنا في إيماننا!! ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

الفرع الثاني: إكبار الشأن

يحتاج الشباب من يرفع من شأنهم ويجعله في محل المسؤولية، بل إن أمير

المؤمنين (عليه السلام) يمضي إلى أكثر من ذلك حيث يخاطب ابنه الشاب كما لو كان في عمره ويعده إعداداً نفسياً كما لو كان هو بنفسه بكلمات بليغة لا أحد سبقه بتلك الرقة والدقة سوى القرآن وحديث المصطفى (صلى الله عليه وآله) حيث يقول الإمام علي (عليه السلام) ((من الوالد الفان.. وجدتك بعضي بل وجدتك كلّي، حتّى كأنَّ شيئاً لو أصابك أصابني، وحتّى كأنَّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني عن أمر نفسي)) لتأخذ هذه الكلمات أثرها في صقل شخصية الشاب وثقته بنفسه.

الفرع الثالث: الاعتزاز بالنفس

وهنا مرض اجتماعي شائع يشخصه الإمام علي (عليه السلام) وكثيراً ما نجده متأصلاً عند الكثير من الناس وهو إزراء الإنسان نفسه من دون موجب، وجعلها في موضع الضعف والعبودية، بل حتى في مجال العمل وكسب الرزق فإنه يزيدنا ثقة بأنفسنا أن لا نكون أجراء عند غيرنا ما استطعنا، إذ يقول (عليه السلام): ((ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً.... وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنّك مدرك قسمك وآخذ سهمك، وإنّ اليسير من الله أكرم وأعظم من الكثير من خلقه وإن كان كلٌ منه)) وقد قال تعالى ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ، وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٣].

الفرع الرابع: تناسي الهموم

كم جميل هذا التشبيه وهو يصور قلب الشاب أرض خصبة تستجيب لكل ما يلقى فيها، لذا ينبغي الإسراع أن يكون زرعها طيباً وبإرادة مالكها، ذلك الشاب، وهذا أبلغ درس في بناء الذات الشبابية ((وإنّما قلب الحدث كالأرض الخاليةَ ما

أُلقي فيها من شيء إلا قبلته، فبادر بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك)) وإلا ضاعت النفس وأعجزت وعّاضها.

الفرع الخامس: أخذ الأهبة

يقول تعالى: فاستبقوا الخيرات(٢٤)، ويقول أيضاً عز وجل: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين(٢٥)، وأفضل البر صلة الرحم وحسن المعاشرة مع الناس إذ يقول (عليه السلام): ((وأكرمْ عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، وإنك بهم تصول، وبهم تطول اللذّة عند الشّدة، وأكرمْ كريمهم، وعُد سقيمهم، وأشركهم في أمورهم، وتيسّر عند معسورهم)) والتي لا شك أنها ستترك أثرا نفسياً بالغاً في شخصية الشباب وحسن تعاملهم مع الآخرين مما يزيدهم ثقة في المواقف الصعبة وخبرة في القول العمل وتصريف الأمور من دون خوف أو تردد.

الفرع السادس: مبادرة البر والخير

يذكر الدكتور ابراهيم الفقي خبير التنمية البشرية في ضرورة التحكم في الذات وأن تجبر نفسك على التركيز على الإيجابيات وتعود البحث عليها وتجنب الأفكار السلبية (إذا نظرت بعمق إلى حياة الناجحين، فسوف تكتشف أنها تمتلئ بتجارب الفشل المثيرة، سنجد مثلاً أن ابراهام لينكولن قد فشل كأمين مستودع وكجندي وكمحام ومع ذلك ساعدته كل هذه التجارب على نحو خاص في أن يقود الولايات المتحدة في أسوء أزماتها في الحرب الأهلية)(٢٦)، وقد لخص الإمام علي (عليه السلام) ذلك بقوله: ((واطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين)) فإنه بعبارة بليغة يصف السلبيات وآثارها بلفظ ديناميكي (واردات) يفسر القلق والاضطراب النفسي الذي يعيشه الانسان من جراء سيطرة الأفكار السلبية على نفسه.

الخاتمة

بعد تلك الرحلة الموجزة عن آفاق المنبر الديني وما يمكن أن يتعرض له خطابه من تحديات معاصرة، فإنه يمكن تلخيص نتائج البحث ومقترحاته بما يأتي:

أولاً: تمثل التحديات كل ما يتعرض له المنبر من نقد أو هدم أو عداء، لذا ينبغي التعامل معها بكل جدية وخلقية من أجل المحافظة عليه وتطويره بهيبة ووقار.

ثانياً: المراد من مصطلح التحدِّيات التي تواجه المنبر الديني هي كل ما يعترض ذلك المنبر في ذاته أو خطابه، شكلاً وموضوعاً، بما يُقيِّده أو يُقوِّمه، أو يَمنعه من تأدية دوره الرسالي.

ثالثاً: اقتصر موضوع البحث على خصوص التحديات التي تواجه المنبر الديني في خطابه، والتي يرى الباحث أنها الأساس في أسباب هبوط الخطاب الديني.

رابعاً: لقد آثر البحث تقسيم التحديات الموجهة نحو المنبر في خطابه إلى تحديات شكلية وأخرى موضوعية، والتي تشكل بمجموعها حجر العثرة وراء نفور الشباب من الخطاب الديني..

خامساً: يقترح البحث أهمية اعتماد ما ذكره من تحديات موجهة نحو الخطاب الديني شكلاً وموضوعاً كأساس للتقييم والمفاضلة والتي يمكن تعديلها وتفريعها.

سادساً: يوصي البحث بضرورة إقامة لجان تقييم وتقويم الخطاب المنبري،

خدمـة لقضايانـا المصيريـة وبنائنـا الحضـاري، وأن تتبناهـا جهـات معروفـة بوزنهـا الخطابي والعلمي في دراسات نهج البلاغة إيماناً بمسؤولية الخطاب الديني الخطيرة وحرصاً على ثقة الناس به.

هوامش البحث:

١. المعجم الجامع للمعاني، كلمة حدَّ.

٢. ابن منظور، لسان العرب، مادة حدا.

٣. سورة البقرة / آية ٢٣.

٤. الشيخ فيصل الخالدي الكاظمي، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره وآفاق المستقبل، ط١ ٢٠٠٤م، ص٣٨٤.

٥. الشيخ علي حسن سند، مقالة بعنوان: مخاطر التحديات التي تواجه المنبر الحسيني، موقع حوزة الهدى.

٦. سورة المائدة / آية ٨٢.

٧. الشيخ مهدي العطار – عبد الجبار الرفاعي، كتاب قضايا إسلامية عدد ٥ سنة ١٩٩٧م ص١٦، نقلاً عن السيد هبة الدين الشهرستاني، مجلة العلم، السنة الثانية ١٩١١م، ص٢٦٦.

٨. الشيخ أحمد الوائلي، تجاربي مع المنبر، دار الزهراء – بيروت، بلا سنة طبع، ص١٥٢.

٩. عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: اعلم أنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث رُسُله حيثُ (حين) بعثها ومعها ذهب ولا فضّة، ولكن بعثها بالكلام، وإنّما عرَّف اللهُ نفسه إلى خلقه بالكلام.. نقلاً وسائل الشيعة، ج١٢ في أحكام العشرة باب ١١٩ح٥.

١٠. عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن أبي الصلت الهروي قال: (سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبد أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا) نقلاً عن كتاب عيون الأخبار للشيخ الصدوق، ج٢ ص٢٧٥.

١١. محمد الحبوبي، الأبعاد العقائدية في الشعائر الحسينية، ط١ مطبعة الرائد ١٤٣٠هـ، ص٥٢ وما بعدها.

١٢. الشيخ مرتضى الأنصاري، فرائد الأصول، شبكة الإمامين الحسنين، ج١ ص٢٥.

١٣. الشيخ عبد الحافظ البغدادي الخزاعي، مقالة بعنوان أسباب انخفاض الطرح الثقافي في المنبر

الحسـيني، موقـع شـبكة أخبـار الناصريـة، بتاريـخ ٢٧/ ٨/ ٢٠١٤.
١٤. الشيخ د. محمد باقر المقدسي، فن الخطابة الحسينية، دار الاعتصام، ط أولى ١٤٢٧هـ، ص١٢٣.
١٥. عبدالمنعـم علي الحيلمي – الإحساء، ملامـح المنبر الحسـيني الواعـي في الإحسـاء بين الواقـع والمأمـول، موقـع آفـاق للدراسـات والبحوث، زيـارة بتاريـخ ٧/ ١/ ٢٠١٧.
١٦. الشيخ محمد مهدي الآصفي، الخطاب الحسيني، ط أولى ١٤٢٦هـ، ص١٢٢.
١٧. السيد محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ط٦، ١٩٧٤ دار الفكر – بيروت ص٦٥، ص٣٨٥ وما بعدها.
١٨. عـن الإمـام الباقـر: مـن كان وليّـاً لله فهـو لنـا وليّ، ومـن كان عـدواً لله فهـو لنـا عـدو، والله مـا تنـال ولايتنـا إلا بالـورع.
١٩. فهم مصداق قوله تعالى: ((الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)) الأعراف / ٥١.
٢٠. -إنّ لقتـل الحسـين حـرارة في قلـوب المؤمنـين لـن تـبرد أبـداً-١ نقـلاً عـن مسـتدرك الوسـائل، ج١٠ ص٣١٩.
٢١. الشيخ أحمد الوائلي، مصدر سابق ص٢١٣.
٢٢. كتـاب نهـج البلاغـة، شرح الشـيخ محمـد عبـده، دار المعرفـة للمطبوعـات، بـيروت – لبنـان، بـلا سـنة طبـع ح٣ ص٣٧.
٢٣. سورة النحل/ ٩٦.
٢٤.سورة البقرة/ ١٤٨.
٢٥. سورة آل عمران/ ١٣٣.
٢٦. د. ابراهيم الفقي، الثقة والاعتزاز بالنفس، الناشر فري، رقم الايداع ١٢٧٢ لسنة ٢٠٠٧ ص٥.

المصدار والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الكتب العربية بمصر ١٣٢٩ هـ

٢. د. ابراهيم الفقي، الثقة والاعتزاز بالنفس، الناشر فري، رقم الايداع ١٢٧٢ لسنة ٢٠٠٧.

٣. ابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) لسان العرب، مكتبة أهل البيت.

٤. الشيخ أحمد الوائلي، تجاربي مع المنبر، دار الزهراء - بيروت، بلا سنة طبع

٥. الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ) مستدرك الوسائل، ج١٠.

٦. الشيخ عبد الحافظ البغدادي الخزاعي، مقالة بعنوان أسباب انخفاض الطرح الثقافي في المنبر الحسيني، موقع شبكة أخبار الناصرية.

٧. عبدالمنعم علي الحيلمي - الإحساء، ملامح المنبر الحسيني الواعي في الإحساء بين الواقع والمأمول، موقع آفاق للدراسات والبحوث.

٨. الشيخ علي حسن سند، مقالة بعنوان: مخاطر التحديات التي تواجه المنبر الحسيني، موقع حوزة الهدى.

٩. الشيخ فيصل الخالدي الكاظمي، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره وآفاق المستقبل، ط١ ٢٠٠٤م.

١٠. الشيخ مرتضى الأنصاري، فرائد الأصول، شبكة الإمامين الحسنين، ج١.

١١. كتاب نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للمطبوعات، بيروت – لبنان، بلا سنة طبع.

١٢. موقع المعجم الجامع للمعاني، انترنت.
١٣. الشيخ د. محمد باقر المقدسي، فن الخطابة الحسينية، دار الاعتصام، ط أولى ١٤٢٧هـ.
١٤. الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٨١ هـ)،. تصحيح وتذييل: السيّد مهدي الحسينيّ اللاجَوَرديّ، الناشر: رضا المشهدي، مكتبة طوس ـ قمّ المقدّسة، الطبعة: الثانية ـ سنة ١٩٨٣ م.، ج٢.
١٥. الشيخ أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن الحر العاملي/ وسائل الشيعة، ج١٢.
١٦. محمد الحبوبي، الأبعاد العقائدية في الشعائر الحسينية، ط أولى، مطبعة الرائد، النجف الأشرف ١٤٣٠هـ.
١٧. الشيخ محمد مهدي الآصفي، الخطاب الحسيني، ط أولى ١٤٢٦هـ.
١٨. السيد محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ط٦، ١٩٧٤ دار الفكر - بيروت.
١٩. الشيخ مهدي العطار - عبد الجبار الرفاعي، كتاب قضايا إسلامية عدد ٥ سنة ١٩٩٧م.

بناء الإنسان وتنمية الموارد البشرية في فكر الإمام علي (عليه السلام)

الأستاذ المساعد الدكتور خميس غربي حسين

جامعة تكريت/كلية الآداب

لا يختلف اثنان على أهمية خطط التنمية البشرية في صقل وبناء شخصية الإنسان وتأسيس البنية الحضارية للمجتمع، وصولاً إلى بناء الدولة على أسس من التنظيم والتخطيط التي تقود إلى تقدم حياة الإنسان والرفاهية، التي هي نتيجة مباشرة للتنمية، والشواهد المذكورة في المتون التاريخية تشير إلى أن التغيير والانتقال في أطوار التاريخ، والتقدم اللذين يصيبان المجتمع لا يأتيان من فراغ، إنما هما نتيجة مباشرة للتخطيط والتدريب والدراسة المتأنية التي نطلق عليها في التعبير المعاصر (التنمية)، وهذه التنمية بطبيعة الحال تحتاج كثيراً من الجهد حتى يتم الوصول إلى الغاية المنشودة.

ومن هذا المنطلق فإن التنمية البشرية بدأت منذ أن بدأ الإنسان ينظم أمور حياته اليومية بمختلف متطلباتها الصحية والغذائية، وتوفير قوته لأيام مقبلة، وطريقة تنقله من مكان إلى آخر من أجل تأمين حاجته من الغذاء والمأوى، فضلاً عن تنظيم حياته مع الطبيعة، ثم بناء منظومة علاقات مع الآخر (الإنسان) الذي يشاركه الحياة في البقعة التي يعيش فيها وفي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية هذه الجوانب مجتمعة تمثل التطور الإنساني لحياة البشرية، وهي كذلك تمثل، البداية المتواضعة لفكرة التنمية عند الإنسان، وبهذا التنظيم لسلوك الأفراد داخل المجتمع، استطاع الإنسان أن يرسم نمط حياتي منظم، ويطور أسلوب حياته تباعاً من جيل إلى آخر إلى أن تبلورت حياة الإنسانية على ما أصبحت عليه اليوم، وهذه بلا شك تحمل الملامح الأولى لفكرة التنمية عند الإنسان.

من المعلوم، أن الإسلام جاء من أجل بناء الإنسان وتنظيم المجتمع وصولاً إلى تحقيق أهداف اجتماعية، والحفاظ على بنية الأخلاق على أساس من التوازن بين ما هو روحي ومادي، بغية توفير الأمن مع التهذيب الاجتماعي القائم على الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وقيمه، في معادلة متكافئة بين الحاجات الروحية

والاجتماعية من أجل تحقيق العدالة والسعادة والرفاهية لأبناء المجتمع، وكل ذلك من أجل التعايش السلمي.

ينظر الإسلام إلى قضايا الإنسان بوصفها شبكة مترابطة لا انفصام لها، ومن ذلك علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بأخيه الإنسان، وبكل أشكال الحياة الأخرى، ولما كان الإنسان هدفاً اسمى في تعاليم الإسلام نلحظ أن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) تؤكد على هذا المنحنى، والإمام علي (عليه السلام) وراث الدوحة المحمدية ما انفك يؤكد هذا المنهج ويحث على تطبيقه قولاً وفعلاً.

والتنمية البشرية في الإسلام مسألة تمس الحياة بشكل مباشر، وتؤثر في مجالاتها وأبعادها وتطورها، لأنها تعني التنظيم والتخطيط المبرمج، لذا أصبح الاطلاع على رؤية الإمام علي (عليه السلام) في هذا الموضوع يشكل أهمية بالغة وملحة، لأن المجتمعات الإسلامية لا تستطيع التخطيط لبناء منظومة فكرية حول بناء شخصية الإنسان الفعال المؤثر، وتنمية المجتمع على أسس من الأخلاق الفاضلة، دون الرجوع إلى أعلام الفكر الإسلامي ومنهم الإمام علي (عليه السلام).

إن المتتبع لسيرة الإمام علي (عليه السلام) وأقوله وأفعاله سيدرك بسهولة أن بناء الإنسان الذي هو حجر الأساس في تكوين المجتمع كان من أولويات اهتماماته، وكان (عليه السلام) يبغي من وراء ذلك تنمية الموارد البشرية من أجل بناء مجتمع متكامل كي يعم النفع والخير للناس جميعاً.

ومن استقراء النصوص والتوصيات التي صدرت عن الإمام علي (عليه السلام) لا سيما في كتاب نهج البلاغة نجد أن الإمام علياً (عليه السلام) قد تناول وفي مناسبات عديدة، بصورة مباشرة أو من خلال التضمين إلى مسألة بناء

الشخصية الإنسانية الصالحة الفاعلة في المجتمع، وهذا بطبيعة الحال يعني، فيما يعني، تطور المجتمع بأسره، واللافت للنظر هو أن الإمام علي (عليه السلام) أراد من مقولاته تشخيص مرض وتحديد علاجه في الوقت نفسه.

ومما لا شك فيه أن المؤلفات والكنوز العلمية في التراث الإسلامي كثيرة ومتنوعة، فيها تعاليم ودعوات إلى الكيفية الصحيحة لبناء شخصية الإنسان وتنمية المجتمع، وكتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) يعد واحد من هذه الكنوز، إذا ما قلنا أهمها، ولكن ما يلفت النظر أننا نحن المسلمون قد اتجهنا بإبصارنا صوب التجارب الغربية وتركتنا هذه المؤلفات القيمة وراء ظهورنا.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن تنمية الإنسان وبناء شخصيته في المنظور الإسلامي، وهي من مفاهيم التنمية الرئيسة لم يتم تناولها بموضوعية وما زالت بحوثها دون المستوى الأكاديمي، ذلك أن الذين يكتبون في هذا الموضوع أغلبهم من رجالات الدين، وهؤلاء بطبيعة الحال، دائماً ما ينطلقون من قاعدة أساها العاطفة الدينية، علاوة على ذلك فإن معظم المعالجات والدراسات لهذه الإشكالية تمت في إطار الفكر الاقتصادي، والتاريخ الاقتصادي، كما أن إطارها المفاهيمي النظري بحاجة إلى التحديد، ويسري هذا الأمر على آليات العمل التي ما زالت غير محددة في كثير من الدراسات التي تعرضت لموضوع التنمية في الإسلام.

وفي بحثنا هذا سوف نركز بشكل مباشر على ما جاء في فكر الإمام علي (عليه السلام) في الطريقة والاسلوب الصحيح لبناء الإنسان وتنمية المجتمع، وسيكون كتاب نهج البلاغة الذي يعد موسوعة علمية المصدر الرئيسي لهذا البحث، وهو بطبيعة الحال، كتاب زاخر بالمعلومات والأمثلة التي تبين فكر الإمام علي (عليه السلام) والكيفية التي يمكن من خلالها صياغة نظرية علمية متكاملة لبناء شخصية الإنسان، وتنمية المجتمع، وعلى هذا المنوال فإننا سنتبع

المنهج التاريخي العلمي القائم على استقراء النصوص وتحليلها، ومن ثم، وضع النتائج لهذا الاستقراء بغية الوصول إلى الحلول، ونحن هنا نقتفي أثر الجيل الأول من المسلمين الذين استطاعوا أن يؤسسوا مجتمع صالح مبني على أسس إنسانية، أخلاقية، نحن بأمس الحاجة لها في الوقت الحاضر.

ومن نافلة القول: إن التطرق بصورة تفصيلية إلى موضوع تنمية شخصية الإنسان وبناء المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام) موضوع واسع جداً يحتاج الى مجلدات، لذلك آثرنا النمذجة والاختصار بغية تقديم صورة مبسطة لهذه الموضوع الهام، ومن ثم، دعوة المؤسسات العلمية في العراق لإعداد دراسة موسعة يمكن أن تكون دليل لدراسة خطط التنمية في المدارس والمعاهد والجامعات العراقية والإسلامية.

من هذا المنطلق فإن بحث موضوع التنمية البشرية ضمن المنظور الإسلامي، يحتاج إلى كتب ومجلدات لتغطية جميع فصوله، ولكي يكون موضوع بحثنا هذا يتوافق مع محاور الملتقى وتحديداته في عدد الصفحات لكل بحث، لذا فقد آثرنا أن تكون هذه المداخلة التعرض فقط إلى فكرة تنمية الإنسان وبناء شخصيته، ومن ثم تنمية قدراته الفكرية والأخلاقية والإنسانية في فكر الإمام علي (عليه السلام)، والتي من خلالها يتم تطوير المجتمع، ونحن لا نريد الغوص في التفاصيل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تدخل ضمن مفهوم التنمية البشرية بشكل عام، بقدر ما نريد صياغة رؤية عامة عن مفهوم التنمية البشرية ومتطلباتها وأسسها وفق المنظور الإسلامي ورؤية الإمام علي (عليه السلام).

وعلى الرغم من إدراكنا أن هذا البحث قد لا يخلو من نواقص وهنات، شأنه شأن أي عمل أو جهد فكري يقوم به الإنسان، إلا إننا نأمل أن يكون قد ساهم ولو بجزء يسير في الكشف عن موضوع التنمية البشرية وبناء المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام).

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاث مباحث سبقتها مقدمة وانتهى البحث بخاتمة، تضمنت المقدمة تمهيد للموضوع وفيه إشارة إلى أهمية موضوع التنمية وبناء المجتمع، وتطرقنا فيها إلى التنمية في المنظور الإسلامي وفي فكر الإمام علي (عليه السلام) وبينا أن المنظومة الفكرية الإسلامية كان جل أهدافها وغاياتها تنمية روح الإنسان وبناء شخصيته وصولاً إلى بناء المجتمع الصالح، والذي هو نتيجة حتمية لبناء الإنسان الملتزم الصادق الذي يحب الخير للإنسانية جمعاء.

تضمن المبحث الأول الذي حمل عنوان تنمية شخصية الإنسان وبناء المجتمع في المنظور الإسلامي عرجنا فيه على الدعوات التي أطلقها الإسلام ممثلاً القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأقوال الإمام علي (عليه السلام) فضلاً عن التظيرات التي وضعها الفقهاء والمجتهدون والتي تخص موضوع التنمية البشرية.

والمبحث الثاني يسلط الضوء على بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام) هذا الصحابي الزاهد العابد الحليم الرحيم الذي كانت أقواله وأحاديثه تفيض محبة ورحمة للناس جميعاً، وهي إذ ما درست على وفق منهج النبوة نراها استكمالاً وتوكيداً لأقوال وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

جاء المبحث الثالث لدراسة موضوع تطوير المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام) وفيه بيان لأهمية تطوير المجتمع الإسلامي ومن ثم بناءه وفق المنهج الذي يكفل الآمان والسعادة والرفاهية لجميع أفراده، من دون النظر إلى لونه أو جنسه أو دينه، وهذه سجية نادرة تضاف إلى فضائل الإمام علي (عليه السلام).

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها، فضلاً عن عدد من التوصيات التي أشرنا إليها ضمنياً في الخاتمة.

المبحث الأول

التنمية وبناء الإنسان في المنظور الإسلامي

مما يؤشر أهمية التنمية في الفكر الإسلامي، هو ما تعرض له القرآن الكريم والسنة النبوية والمذاهب الفقهية على اختلاف توجهاتها، من دعوة إلى بناء شخصية الإنسان المثابر الصادق العامل المخلص العادل، الذي يضحيّ في سبيل الآخرين، والحريص على التزود بالعلم والمعرفة والتخطيط للمستقبل وعدم إغفال الدار الآخرة بعد أن يأخذ نصيبه في الدنيا إلى آخر شبر في الحلال، فلا رهبانية في الإسلام بحجة الزهد والورع ذلك أن الإسلام يدعو أتباعه إلى أن لا يضحوا بالدنيا من أجل الآخرة، لأن الإسلام دين الوسطية، فلا ترك للدنيا على حساب الآخرة، ولا إيغال في الماديات بحيث يكون الإنسان عبداً للدرهم والدينار. كذلك نفهم التنمية البشرية في الإسلام أنها الاستغلال الأمثل للثروات والاعتدال في استخدام الموارد المتاحة وعدم استنزافها في أعمال لا تتفق وخير البشرية، قال تعالى: ((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا))(١).

أما أئمة المسلمين ومفكروهم فقد اعتنوا وعلى مر العصور في إبراز النواحي التنموية والتنظيمية في الإسلام، لأن التنظيم هو جوهر التنمية وحجر الأساس في بنائها، وعلى هذا فقد كانت عنايتهم بها تسير جنباً إلى جنب مع عنايتهم بالعبادات وفقهها، يدلنا على ذلك ما تركوا لنا من تراث ضخم في التنظيمات والتشريعات تزخر بالتفرد والأصالة والتقدم الحضاري والعلمي. وعلى هذا الأمر، فإن الدراسة التاريخية لموضوع التنمية البشرية في المنظور الإسلامي تؤسس إطاراً مرجعياً يمكن من خلاله أن نفهم على نحوٍ أفضل الأصول الفكرية للتنمية، ومن ثم تعميمه على الواقع والاستفادة منه في سبيل تنمية وبناء شخصية الإنسان،

والنهوض بالمجتمع وبناءه وفق المنظور الإسلامي.

إن التنمية البشرية في الإسلام، مسألة تمس الحياة بشكل مباشر وتؤثر في مجالاتها وأبعادها وتطورها، لأنها تعني التنظيم والتخطيط المبرمج للحاضر والمستقبل، لذا أصبح الاطلاع على رؤية الإسلام في هذا الموضوع يشكل أهمية بالغة، لأن المجتمعات الإسلامية لا تستطيع التخطيط لبناء منظومة أفكارها حول التنمية من دون الرجوع إلى تعاليم الإسلام لأنها تعد الخلفية المرجعية الفكرية لهذه المجتمعات، ولا غرو في ذلك، إذ إن شريعة الإسلام وتعاليمه، كما هو معروف تصلح لكل زمان ومكان، لأن القرآن الكريم دستور المسلمين كتاب حي ومتجدد مع تطور الحياة وأن الفكر الإسلامي يقدم الحلول للمشكلات التي تواجه المجتمع من جميع الجوانب، ويقدم معالجات موضوعية واقعية صادقة، تضع الحلول للمشكلات التي تواجه أفراد المجتمع، ولاسيما في موضع التنمية البشرية، وحيث الهدف العام لهذه المعالجات هو الأخذ بيد الإنسان إلى شواطئ الأمان الذي يتمثل في تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة.

والتنمية البشرية في الإسلام هدفها بناء الإنسان السوي، الناضج، المبدع، والمنتج من أجل عمارة الأرض كي يحقق الغرض الذي خلقه الله من أجله وهو أعمار الأرض وخلافته عليها، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[٢]، وعلى هذا المنوال فإن الإنسان مكلف تكليفاً شرعياً بعمارة الأرض، فلم يخلق الإنسان للعبث أو لمجرد الأكل والشرب كالدواب الأخرى على سطح الأرض، بل خلق لتنفيذ واجب أعده الله من أجله يتمثل في عبادة الله وتنمية الحياة وتطويرها بمختلف جوانبها في الأرض، قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[٣].

ومن هذا المنطلق ذهب إبراهيم العسل إلى تأكيد القول: ((إن التنمية المتكاملة والشاملة لا يمكن تصورها إلا في مجتمع إسلامي، فأخطاء الحضارة الغربية، والمأزق الأخلاقي الذي تتخبط فيه، والروح العدوانية التي تسيطر على أذهان القادة المخططين، لا تعالج إلا بمبادئ ترسم صراطاً مستقيماً للفرد والمجتمع، يوصلها إلى الكمال في شتى الميادين))(٤).

والواجب على المستخلف أن يعمر وينمي ما أستخلف عليه، لذا عليه أن يستفيد مما سخره الله له، وعندما يتحدث القرآن الكريم عن تسخير السموات والأرض وما فيها لخدمة الإنسان، فإنه يستحثه على العمل والتنمية والبناء من أجل قطف ثمار هذا التسخير(٥)، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَّ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾(٦)، أي تعلموا يا مخاطبين أن الله سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر وما في الأرض من انهار وكنوز وثروات لتنتفعوا بها(٧).

من المعلوم أن التنمية الشاملة، والبشرية من ضمنها، تهدف بالدرجة الأولى إلى توفير سبل العيش الرغيد والرفاهية بما تحويه من معانٍ مختلفة لأبناء المجتمع، أي مجتمع، في الحاضر والمستقبل، والحفاظ على البيئة وصيانتها، وكذلك حفظ نظام دعم الحياة في مختلف جوانبها(٨)، ومع ذلك تبقى تنمية وبناء شخصية الإنسان هو جوهر التنمية وهدفها الرئيس في الفكر الإسلامي، عموماً، وفي فكر الإمام علي على وجه الخصوص، هذا، ناهيك انه من المستحيل إغفال حقيقة جوهرية ومهمة، وهي إن التنمية ليست مشكلة منفصلة عن جذرها التاريخي، إنما تكمن جذورها في قيم وأخلاقيات وثقافة كل من الفرد والمجتمع الممتدة عبر التاريخ، بما يحويه من عادات وتقاليد لها امتداد زمني يشكل التاريخ بعده الأساسي.

والتنمية البشرية في الإسلام، تتجسد من خلال نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية على أساس أن المجتمع يتكون من أفراد لهم صفاتهم الفردية وعلاقاتهم الاجتماعية، لذلك كانت عناية الفكر الإسلامي التنموي بكل المصالح الفردية والجماعية وفق نسق خاص يجمع بينهما، ويحرص عليهما ما دام ذلك ممكناً، إلا إذا تعارضتا، فتقدم المصالح الجماعية أو العامة لأنها أولى بالاهتمام والرعاية(٩)، وهذا يعد من صلب موضوع التنمية البشرية.

وإذا كان صحيحاً أن تحليل الماضي يقدم لنا مفاتيح الحاضر كما نقل عن (كارل ماركس)(١٠)، فإن الحاضر العربي الإسلامي بما يحويه من رؤى وأفكار في التنمية لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى الماضي بتجلياته الفكرية التي تخص موضوع التنمية البشرية.

إن المعاني الأنفة الذكر، قد أناره السبيل للمباحث التي تألفت منها هذه الدراسة، فأولت عناية لمفهوم التنمية البشرية، ومتطلباتها وأسسها في المنظور الإسلامي، ومدى ارتباط هذه المعاني برسالة الإسلام، وما جاءت به من مبادئ وقيم سامية، وأسست نظم اجتماعية وسياسية، كان من نتائجها التاريخية الواضحة بناء الإنسان في المجتمع الإسلامي، بناءاً نفسياً وعاطفياً حتى يكون عنصراً فعالاً في تنمية الحياة في مختلف مجالاتها.

والمسلمون اليوم مطالبون بإعادة عزهم وإحياء مجدهم وبعث تراثهم ووصل حاضرهم بماضيهم لكي يستمدوا منه الهدى والرشاد دون التعصب والانغلاق، وصولاً إلى بناء حاضر منفتح على الجديد، وبناء شخصية الإنسان الذي يؤمن أن الحياة هي عملية تواصل بين القديم والجديد، ولا يمكن بأي حال بناء تجربة إنسانية ناجحة دون المزاوجة بين الماضي والحاضر في استنباط البرامج والأفكار

التي تدفع بعملية التنمية إلى أمام.

إن المؤلفات والكنوز العلمية في التراث الإسلامي كثيرة ومتنوعة، وهي على كثرتها وتنوعها فيها ملامح وإشارات تؤكد بناء شخصية الإنسان وتنميتها ضمن مفهوم التنمية البشرية، ولكن ما يلفت النظر أن تلك المؤلفات والكنوز لازالت تنتظر الأيادي التي تمتد إليها من أجل سبر أغوارها، لأن ثمرات جهود أولئك العلماء مبعثرة في دور الكتب ومراكز حفظ المخطوطات، ولا شك أننا اليوم بحاجة لإعادة دراستها واستخلاص مضامينها وما تحويه من الرؤى والأفكار العلمية والاجتماعية والسياسية مما يصب قسماً منها في موضوع التنمية.

من هنا جاء هذا البحث في محاولة لتتبع المعطيات التاريخية لموضوعة التنمية البشرية في المنظور الإسلامي على وجه العموم وفي فكر الإمام علي (عليه السلام) على وجه الخصوص من أجل معرفة وتأصيل أبعادها التاريخية، والوقوف على التجارب السابقة في الفكر الإسلامي، وصولاً إلى الاستفادة من هذه التجارب في بناء منظومة فكرية للتنمية البشرية في العالم العربي الإسلامي، تأكيداً للمقولة التي تؤكد ((أن التاريخ موضوع حي يقوم بدور بليغ في الثقافة والتكوين الاجتماعي والخلقي، وله أثر في فهم الأوضاع القائمة وفي تقدير الاتجاهات والتطورات المقبلة))[11].

وهنا يجب أن ننوه إننا عندما نكتب عن موضوع التنمية البشرية في الإسلامي، فإن هذا لا يعني إننا نعيش عقلية الماضي، التي ربما لا يتوافق مع موضوعة التنمية، التي تعني فيما تعني، النمو والتطور والتقدم إلى أمام، أو في هذا تراجع إلى الوراء لعجزنا عن مواجهة الحاضر بكل مشاكله وأزماته، هذا الواقع الذي أثبتت التجارب أن الإنسان دائما ما يتوق إلى التطور والتقدم والتغيير في

مستويات حياته المختلفة.

إن موضوع التنمية البشرية في الفكر الإسلامي، بصورة عامة، واسع ومتداخل وتتفرع عنه موضوعات كثيرة، بل أننا لا نغالي إذ قلنا، إن جل اهتمام الفكر الإسلامي متمثلاً بالأصول التي اشتقت التشريعات منها بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأقوال وأفعال الإمام علي (عليه السلام) وأطروحات فقهاء المسلمين ومشرعيهم، وهي في مجملها تنصب بالدرجة الأولى نحو تنمية الجوانب الإنسانية في شخصية الإنسان، وبنائها بناءً يتجه صوب إعمار الأرض وتوفير الحياة الرغيدة للبشرية جمعاء دون النظر إلى جنسهم أو لونهم أو عرقهم، وهذا يرجح الرأي القائل، أن الإسلام جاء من أجل إسعاد البشرية، بل جعل سعادة الإنسان هي الغاية القصوى لتعاليم الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني

بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)

من المعلوم، أن الإسلام جاء من أجل بناء الإنسان وتنظيم المجتمع وصولاً إلى تحقيق أهداف اجتماعية، والحفاظ على بنية الأخلاق على أساس من التوازن بين ما هو روحي ومادي، بغية توفير الأمن مع التهذيب الاجتماعي القائم على الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وقيمه، في معادلة متكافئة بين الحاجات الروحية والاجتماعية من أجل تحقيق العدالة والسعادة والرفاهية لأبناء المجتمع، وكل ذلك من أجل بناء شخصية الإنسان وتطوير المجتمع.

عن جميع القيم والإمكانات الفكرية التي اتصف بها الإمام علي (عليه السلام) لم تأتي من فراغ، فقد كان (عليه السلام) وارث الدوحة المحمدية، وأن عناية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) للإمام علي (عليه السلام) في بواكير حياته هو السبب في نضوج الشخصية العلمية الفكرية للإمام علي (عليه السلام)، وهكذا اتسعت علومه لتصقل موهبته مع تقادم الزمن، فضلاً عن ذلك فإن تعمقه في دراسة القرآن الكريم وعلومه، كان سبباً آخر لبناء منظومته الفكرية، وعلى هذا فإن الإمام علي (عليه السلام) قد تتلمذ علي يد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وورث أخلاقه وأسلوبه في النظر إلى الحياة، وجرى الميراث في قلبه وعقله سواء بسواء، وعكف على دراسة القرآن الكريم دراسة المتبصر الحكيم(١٢).

إن رسوخ مبادئ الإسلام في شخصية الإمام علي (عليه السلام) لم تأتي من فراغ وإنما كان يستلهمها من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد عاش في كنفه منذ صباه، وكانت الروح الإنسانية طاغية على فكر الإمام (عليه السلام)،

فكان متحرراً ومتوسعاً في اكتساب العلوم ((فكان في كل مفهم من مفاهيمه، وفي كل معارفه وحكمه، وفي كل عمل من إعماله، ومنطق من أفكاره تقدمياً واقعياً يؤمن بالإنسان على صعيد الإنسانية العام حيث لا حدود جغرافية، ولا موانع قومية، ولا نزعة ضيقة عقائدية فهو يؤمن بالإنسان ويحيطه بكل ما يسعده))[١٣].

يركز الإمام علي (عليه السلام) في بناء الإنسان على القيم الروحية والتي مبتدأها الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) لأن هذا الإيمان يقود إلى الفضائل، فالإنسان المؤمن يخاف الله في حركاته وسكناته، لذلك نرى الإمام علي (عليه السلام) يركز على مسألة مهمة وهي خلق العالم وإنشاؤه يقول الإمام علي (عليه السلام): ((أنشأ الخلق إنشاءُ، وابتدأه ابتداءَ، بلا رويةٍ أجالها ولا تجربةٍ استفادها، ولا حركةٍ أحدثها، ولا همامةِ نفسٍ اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطها بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها))[١٤].

وهكذا نجد الإمام علي (عليه السلام) يركز في مقولاته على تهذيب الشخصية الإنسانية وذلك بالدعوة إلى القناعة والابتعاد عن الجشع في جمع الأموال، لأن الإنسان وفق المنظور الإسلامي وجد على الأرض لعمارتها وليس لجمع المال واكتنازه، وأن المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، ((أما بعد فإن الأمر يَنْزِلُ من السماء إلى الأرض كقطرات المطر، كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان، فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرةٌ في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ، فلا تكون له فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يغشى دناءةً تظهر فيخشع لها إذا ذكرت، ويغرى بها لئام الناس... وكذلك المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله أحدى الحسنيين: إما داعي الله فما عند الله خيرٌ له، وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال))[١٥].

ولأن صلاح الرعية بصلاح الحاكم، بل أن الحاكم هو القدوة لأبناء المجتمع، ولهذا نجد الإمام علي (عليه السلام)، حريص على اختيار المسؤول في الدولة الإسلامية، لأن في صلاحه صلاح العامة، ومتى كان الحاكم لا يتصف بصفات المسلم الصالح فإنه يعد عاملاً مساعدا لفساد رعيته، وعند ذلك بدلاً من أن يكون عامل للبناء يصبح أداة للهدم، ولهذا فإن بناء شخصية الفرد المسلم وفق منظور الإمام علي (عليه السلام) يتوجب اختيار حاكم تتوافر به عدد من الصفات، وعلى هذا المنوال، يقول الإمام علي (عليه السلام): ((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء))[١٦].

إن تربية الفرد وبناء شخصيته في المجتمع الإنساني تتطلب توجيه على أن يقدم في دنياه ما يرضي الله كي يعمر الأرض ويفوز بنعيم الجنة، والإمام على (عليه السلام) يحذر من فتنة الدنيا، لأن ذلك سيؤدي بالمحصلة النهائية خسارة الدنيا والآخرة، ((إن المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام، فاحذروا من الله ما حذركم نفسه، واخشوه خشية ليست بتعذير، وأعملوا في غير رياء، ولا سمعة، فإن من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له))[١٧].

والدعوة إلى طاعة الله (سبحانه وتعالى) مقرونة بالعمل الصالح المنتج وهذه الفرضية من أهم القضايا التي ركز عليها الإمام علي (عليه السلام)، وعلى ما يبدو أن الإمام علي (عليه السلام) قد أدرك ذلك بفطرته وسجيته، لذلك يوجه

الإنسان إلى الاستعداد ليوم الحساب بالعمل الصالح بقوله: ((ألا وإن اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه، ألا وإنكم في أيام أمل، ومن ورائه أجل، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله، ولم يضره أجله، ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله، فقد خسر عمله، وضره أجله، ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة))[١٨].

ولكي يعطي الإمام علي (عليه السلام) لموضوع تنمية الإنسان وبناء شخصيته بعدا روحياً يقرن ذلك بخلق الملائكة كيف أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق السموات والأرض جعل فيهما الملائكة وهم على أربعة أصناف وهذا التقسيم يراد به تقريب الصورة للإنسان كي يدرك بمشاعره وأحاسيسه عظمة هذا الخلق، وضعف الإنسان وقلة حيلته أمام قدرة الله (سبحانه وتعالى)، وهي دعوة للإنسان للتواضع وعدم الغرور، وهذا يشكل معناً مهم لبناء شخصية الإنسان وفق منظور الإمام علي (عليه السلام)، فالملائكة على عظمة خلقهم ساجدون لله عابدون لا يعصون لله أمراً، ((فمنهم ساجدون لا يركعون، وقسم ركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العين، ولا سهو العقول ولا فترة الأبدانِ، ولا غفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيهِ، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظةُ لعبادهِ، والسدنة لأبواب جنانه))[١٩].

ومن أجل بناء شخصية إنسانية تتمتع بالوسطية في حياتها فإن الإمام علي (عليه السلام) يحذر الناس من الاقبال على مباهج الدنيا، ونسيان الآخرة لأن في ذلك ما يجعل الإنسان اشبه بالآلة الصماء غايته فقط الحصول على الملذات، وفي ذلك سحق لإنسانيته، يقول (عليه السلام): ((ما أَصِف من دارٍ أولها عناءٌ،

وآخرها فناءٌ، في حلالها حساب وفي حرامها عِقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حَزِنَ، ومن ساعاتها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بصرته، ومن أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته))[٢٠].

إن بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي تتطلب من أفراد المجتمع التحلي بالإيمان بالله، والصبر، وعدم التردد بالاعتراف بالخطأ إن وقع فيه أحد منهم، ويفهم من المقولة الآتية أن الإمام علي (عليه السلام) أراء بناء مجتمع الفضيلة الذي تسود فيه عظمة النفس وإباءها يقول عليه السلام في هذا الشأن: ((أوصيكم بخمس لو ضربتم بها آباط[٢١] الإبل لكانت لذلك أهلًا: لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحين أحدكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحين أحد منكم إذا لم يعلم أن يتعلمهُ، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه))[٢٢].

لقد أراد الإمام علي (عليه السلام) بناء شخصية الإنسان من جوانبها كافة، نجد ذلك من كلامه لسائل ((من أهل الشام لما سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره ؟))[٢٣]، فكان جواب الإمام علي (عليه السلام) هو محصلة لشخصية علمية فلسفية إنسانية، قد تمثل الإسلام فيها على أحسن صوره، يقول الإمام مخاطباً السائل: ((ويحك ! لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً ؛ ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً. وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً))[٢٤].

المبحث الثالث

تطوير المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام).

من البديهي أن بناء شخصية الإنسان تنعكس بصورة أو أخرى على تطور المجتمع، لأن المجتمع أي مجتمع - هو عبارة عن مجموعة من الأفراد بينهم روابط مشتركة، من هنا فإننا نرى إن التنظير الإسلامي يؤكد على بناء الإنسان روحياً ومادياً، وهكذا نجد أن الإمام علي (عليه السلام) قد تطرق إلى مواضيع عدة هي في مجملها تعد أشبه بالأنظمة والقوانين التي تعمل على تطوير المجتمع.

إن من أهم الطرق الناجعة التي تسهم في تطوير المجتمع هي العدالة بين الرعية ومن هذا الجانب نرى أن الإمام علي (عليه السلام) يؤكد على هذه المسألة حتى مع أهل بيته يظهر ذلك من قوله (عليه السلام): ((إن للولدِ على الوالدِ حقاً، وإن للوالدِ على الولدِ حقاً، فحق الوالدِ على الولدِ أن يُطيعه في كل شيءٍ، إلا في معصية الله سبحانهُ، وحق الولد على الوالد أن يحسنَ أسمهُ، ويحسن أدبه، ويعلمهُ القرآن))[٢٥].

وبناء المجتمع في فكر الإمام علي مقرون بالإيمان القاطع بالله (سبحانه وتعالى) وهذا الإيمان لا يأتي من فراغ أو إيمان ساذج إنما أصله النظر إلى نعمه على الإنسان والخلائق الأخرى يقول عليه السلام: ((الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمةٍ وفضلٍ، وكاشف كل عظيمة وأزلٍ[٢٦]، أحمده على عواطف كرمه، وسوابغ نعمه، وأمن به أولاً بادياً، واستهديه قريباً هادياً، واستعينه قاهراً قادراً، وأتوكل عليه كافيا ناصراً))[٢٧]، مما لاشك فيه أن تحليل النص السابق يبين لنا أن الإمام علي (عليه السلام) يركز على نقطة جوهرية ألا وهي معرف الله (جل

جلاله) من خلال معرفة عظمته وهذه بلا شك ستقود الإنسان إلى التواضع الذي يقود المجتمع إلى التصافي والمحبة التي هي أساس بنائه وتطوره.

وتقوى الله من أهم الأسس التي يبنى عليها المجتمع لأن الأفراد الذين يكونون المجتمع متى خافوا الله (سبحانه وتعالى) فإنهم سوف يطيعوه ويلتزموا أوامره وينتهوا بنواهيه، وهذا الأمر كان من جل اهتمامات الإمام علي (عليه السلام) يتجسد في ذلك مقولاته وأفعاله، والتي فيها دعوات لأفراد المجتمع الإنساني ((أُوصيكم عباد الله بتقوى اللهِ الذي ضرب الأمثال، ووقت لكم الآجال وألبسكم الرياش، وأرفغ لكم المعَاش، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء، وآثركم بالنعم السوابغ، والرفد الروافغ، وأنذركم بالحجج البوالغ، فأحصاكم عدداً، ووظف لكم مدداً، في قرارِ خِبرةٍ، ودار عبرةً، أنتم مختبرون فيها، ومحاسبون عليها))[٢٨].

وفق هذه المسارب الفكرية يتضح فكر الإمام علي (عليه السلام) في نظرية إسلامية إنسانية مجتمعية شاملة غايتها أن يبنى المجتمع على أسس من التقوى، وعند ذلك فإن الإمام علي (عليه السلام) لا يترك فرصة إلا ويحذر الناس من الغرور بالدنيا، يقول عليه السلام: ((فإن الدنيا رنقٌ مشاربها، ردغ مشرعها، يونق منظرها، ويوبق مخبرها، غرورٌ حائلٌ، وضوءٌ آفلٌ، وظل زائل، وسناد مائل، حتى إذا أنس نافرها، واطمأن ناكرها، قمصت بأرجلها، وقنصت بأحبلها، وأقصدت بأسهمها، وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع، ومعاينة المحل، وثواب العمل، وكذلك الخلف بِعَقْبِ السلف))[٢٩].

يُذكّرْ الإمام علي (عليه السلام) الناس أهوال يوم القيامة، ونعقد أن هذا التذكير الغاية منه بناء الإنسان الذي ستكون النتيجة الحتمية له بناء المجتمع

الصالح وتطوره، لأن الإنسان إذا خاف من عقاب الله تجنب المعاصي واتجه بروحه وقلبه نحو الخير والصلاح، وبذلك يتجنب كل ما يسئ لأخيه الإنسان من قول أو فعل، والمعروف أن الإنسان إذا أمن من العقاب لم يتوانى من عمل المعاصي، لذلك نرى الإمام علي (عليه السلام) دائما يذكر بأهوال يوم القيامة[٣٠] لعله يوقظ الناس من غفلتهم، ((واعلموا أن مجازكم على الصراط ومزالقه دحضه،...، فأتقوا الله عباد الله، تقية ذي لب شَغَلَ التفكير قلبه، وانصب الخوف بدنه، واسهر التهجد غرار نومه، وأظمأ الرجاء هواجر يومه، وظلف الزهد شهواته، واوجف الذكر بلسانه، وقدم الخوف لأمانه، وتنكب المخالج عن وضح السبيل، وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الأمور، ظافراً بفرحة البشرى، وراحة النعمى))[٣١].

ولأن بناء المجتمع وتطوره يتطلب من أبناءه التزام حدود الله وهذا لا يتحقق إلا من خلال عدد من الصفات يتوجب على الإنسان أن يتصف بها، بل العمل بها، لذلك نجد الإمام علي (عليه السلام) يبين صفات المسلم الذي يأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيه ((عباد الله، إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعد القِرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهون الشديد، نظرَ فأبصرَ، وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فُرَتٍ سهلت له موارده، فشرب نهلاً، وسلك سبيلاً جدداً، قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلى من الهموم إلا هماً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أصحاب أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع عماره، واستمسك من العروة بأوثَقِها، ومن الجبال بأمتنها))[٣٢].

والإمام علي (عليه السلام) ينبه أفراد المجتمع إلى لزوم طاعة الله لأنها السبب المباشر لبناء المجتمع الصالح المتكامل، ولهذا فإن نظر الإنسان إلى عيوبه وحاسبة نفسه هي السبيل لبناء شخصيته، ومن ثم بناء المجتمع الذي يخلوا من الكراهية والحقد ويعيش أبناءه في وئام وسلام، وفي هذا الصدد يقول عليه السلام: ((يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لم لزم بيته وأكل قوته، واشتغل بطاعة ربه، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والناس منه في راحة))(٣٣).

وبناء المجتمع على قواعد سليمة يبدأ من رأس الهرم (الحاكم) لذا نجد الإمام علي (عليه السلام) يخاطب الولاة وأولي الأمر من المسلمين بقوله: ((والله لأن أبيت على حسكِ السعدان مسهداً، أو في الأغلال مصفداً، أحب إليه من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظلماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها))(٣٤)

إن الطريقة المثلى لبناء المجتمع أن يكون رئيسه أو قائده قدوة للرعية، وهذا منهج واضح بصورة جلية في فكر الإمام علي (عليه السلام)، كان يطبقه على نفسه، ويدعو ولاته إلى الأخذ به بل أنه يدعو إلى الاهتمام بالفقراء ورعايتهم، وعلى الخليفة أة الوالي أن يعيش حياتهم ويشاركهم في مأساتهم ويساعدهم عليها ويتضح ذلك من خلال إنكاره على عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة(٣٥)، وقد كتب الإمام علي (عليه السلام) إلى عامله يعاتبه عدم الاهتمام بالرعية، وتخصيص الجيد من الطعام والشراب له، منبهاً أياه على أن الإمام علي (عليه السلام) يفضل حياة التقشف ومشاركة الرعية همومهم وأن (عليه السلام) لو أي أصناف من الطعام واللباس لحصل عليه، يقول الإمام علي (عليه السلام):

((ولـو شـئت لأهتديـت الطريـق إلى مصفـى هـذا العسـل، ولبـاب هـذا القمح، ونسـائج هـذا القـز، ولكـن هيهـات أن يغلبنـي هـواي، ويقـودني جشـعي إلى تخـير الأطعمـة))[٣٦].

نسـتقرئ مـن هـذا النـص دروسـاً تدعـو إلى إشـاعة روح الفضيلـة والابتعـاد الرذيلـة، وهـو رسـالة لـكل الحكام والملوك والأمراء وأصحاب الوظائـف تصلـح أن تكـون خارطـة طريـق للمسـلمين في الوقـت الحـاضر، سيما وأن الفسـاد الإداري والهـدر المـالي أصبـح صفـة تـلازم معظـم الحـكام المسـلمين في الوقـت الحـاضر، وهـو ايضـاً -أي النـص السـابق- درس في النزاهـة والحفـاظ عـلى حقـوق الرعيـة كـي يضعوهـا في مواضعهـا دون تفضيـل لأحـد عـلى أحـد.

ومـن نافلـة القـول أن نذكـر، أن الإمـام عـلي (عليـه السـلام) قـد بـين الأسـباب التـي تـؤدي إلى تدهـور المجتمـع وانحلالـه، وهـو إذ يذكـر بـه الأسـباب يدعـو افـراد المجتمـع إلى التمسـك بالأخـلاق الفاضلـة والقيـم النبيلـة، ويحثهـم عـلى احـترام الوعـد والعهـد وصـدق الحديـث لأنهـا أسـباب موجبـة للتقـوى والصـلاح عـلى مسـتوى الفـرد والجماعـة، وبالتـالي بنـاء المجتمـع الصالـح وتطـوره، وهـذه الأسـباب هـي بـلا شـك مـن ابـرز مقومـات التنميـة البشريـة، وصـولاً إلى تكويـن منظومـة مـن الأفـكار الراجحـة لصـيرورة المجتمـع الإنسـاني بأكملـه نحـو الفضيلـة والتعايـش السـلمي القائـم عـلى الاحـترام والمحبـة بـين إفـراد المجتمـع الإنسـاني، يقـول الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في الأسـباب التـي تـؤدي إلى تدهـور المجتمـع: ((أمـا بعـد فـإن الله لم يقصـم ظهـر جبـاري دهـر قـط إلا بعـد تمهيـل ورخـاء، ولم يجـبر عظـم أحـد مـن الأمـم إلا بعـد أزلٍ وبـلاء: وفي دون مـا اسـتقبلتم مـن عتـبٍ ومـا استدبرتم مـن خطـبٍ معتـبر ومـا كل ذي قلـب بلبيـب، ولا كل ذي سـمعٍ بسـميع: ولا كل ذي ناظـر ببصـير، فيـا عجبـاً، ومـالي لا اعجـبُ مـن خطـا هـذه الفـرق عـلى اختـلاف حججهـا في دينهـا، لا يقتصـون اثـر نبـي،

ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب))[٣٧].

لقد امتزج في وعي الإمام علي (عليه السلام) تجربته السياسية في إدارة شؤون الدولة الإسلامية التي انتهت بظهور الكثير من الفتن والأصوات النشاز التي تحاول تغيير روح الإسلام من دين العدالة والمساواة بين الناس على أخلاف ألوانهم وأعراقهم، إلى التفرقة على أساس العشيرة أو النسب، فوقف بوجه هذا التيار غير مبالٍ بالمصير الذي قد يواجهه، وهكذا انتهت حياته (عليه السلام) شهيدا للقيم الإنسانية العليا والمبادئ الإسلامية، فتحول الذاتي في شخصيته إلى الموضوعي، يقول (عليه السلام): ((اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه))[٣٨].

والمجتمع الصالح يبنى على أسس من المحبة والتآلف بين أفراد الرعية، لأن ذلك سيقود إلى بناء إنسان مثالي، والنتيجة تطوير المجتمع من جوانبه كافة، يقول الإمام علي (عليه السلام): ((ليتأس صغيركم بكبيركم، وليرأف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفاة الجاهلية: لا في الدين يتفقهون، ولا عن الله يعقلون))[٣٩].

الخاتمة

بعد أن أكملنا هذا البحث لا بد أن نضع خاتمة نلخص فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها، وهي الآتي:

أولاً:- إن رسوخ مبادئ الإسلام في شخصية الإمام علي (عليه السلام) لم تأتي من فراغ وإنما كان يستلهمها من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقد عاش في كنفه منذ صباه، وكانت الروح الإنسانية طاغية على فكر الإمام (عليه السلام)، فكان متحرراً ومتوسعاً في اكتساب العلوم، والروح الإسلامية ماثلة في كل مفهم من مفاهيمه، وفي كل معارفه وحكمه، وفي كل عمل من أعماله، ومنطق من أفكاره، فكان تقدمياً واقعياً يؤمن بالإنسان على صعيد الإنسانية العام حيث لا حدود جغرافية، ولا موانع قومية، ولا نزعة ضيقة عقائدية، فهو يؤمن بالإنسان ويحيطه بكل ما يسعده.

ثانياً:- المسلمون اليوم مطالبون بإعادة عزهم وإحياء مجدهم وبعث تراثهم ووصل حاضرهم بماضيهم لكي يستمدوا منه الهدى والرشاد دون تعصب أو انغلاق، وصولاً إلى بناء حاضر منفتح على الجديد، وبناء شخصية الإنسان الذي يؤمن أن الحياة هي عملية تواصل بين القديم والجديد، ولا يمكن بأي حال بناء تجربة إنسانية ناجحة دون المزاوجة بين الماضي والحاضر في استنباط البرامج والأفكار التي تدفع بعملية التنمية إلى أمام.

ثالثاً:- يركز الإمام علي (عليه السلام) في بناء الإنسان على القيم الروحية والتي مبتدأها الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) لأن هذا الإيمان يقود إلى الفضائل، فالإنسان المؤمن يخاف الله في حركاته وسكناته، وكما هو معلوم أن التنمية البشرية

في الإسلام هدفها بناء الإنسان السوي، الناضج، المبدع، والمنتج من أجل عمارة الأرض كي يحقق الغرض الذي خلقه الله من أجله ألا وهو خلافة الأرض.

رابعاً:- لقد اتضح لنا أن الإمام علي (عليه السلام) كان في أقواله وأفعاله أنموذج حي للتعاليم الإسلامية، حتى أننا وجدنا إنسان تمثلت فيه الشريعة الإسلامية السمحاء، فهو يقول الكلام ويتبعه بالتطبيق، وهذا، وفق المنظور السياسي لإدارة الدولة وسياسة الرعية يعد مثال يحتذى به للسياسة والإدارة الناجحة، من هنا كان فكر الإمام علي (عليه السلام) فكراً واقعياً، ولا يدخل ضمن النظريات الطوباوية، بل أنه يمكن تطبيقه على أفراد المجتمع بدون أي تعقيدات أو إجراءات روتينية.

خامساً:- إقامة مؤسسة دولية ترعاها منظمة المؤتمر الإسلامي، أو عدد من الدول الإسلامية، يكون مركزها في النجف الأشرف تختص بدراسة فكر الإمام علي (عليه السلام)، ومنطلقاته الإنسانية والأخلاقية، وكذلك رؤيته في مجال حقوق الإنسان، وهذا المؤسسة شاملة لجميع المذاهب الإسلامية، يتفرع منها عدد من المراكز البحثية، فضلاً عن المعاهد والكليات الإنسانية التي تدرس العلوم وفق المنهج الوسطي للإسلام منهج الإمام علي (عليه السلام) لكي تحقق التواصل والتقارب بين أبناء المسلمين جميعاً.

سادساً:- نستقرئ من فكر الإمام علي المبثوث في كتاب نهج البلاغة، دروساً، وعبر، تدعو إلى إشاعة روح الفضيلة والابتعاد الرذيلة، وهذه الدروس والعبر تعد رسالة لكل الحكام والملوك والأمراء وأصحاب الوظائف تصلح أن تكون خارطة طريق للمسلمين في الوقت الحاضر، سيما وأن الفساد الإداري والهدر المالي أصبحت صفة تلازم معظم الحكام المسلمين في الوقت الحاضر.

هوامش البحث:

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٩.

(٣) سورة هود، آية: ٥٩.

(٤) إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط١، (بيروت/ ١٩٩٦م)، ص٦٢.

(٥) عباس هاشم علوي شهاب، معالم الفكر التنموي الإسلامي، دار العصمة، ط١، (البحرين / ٢٠٠٧م)، ص١٠٨.

(٦) سورة لقمان، آية: ٢٠.

(٧) السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبكر، تفسير الجلالين (الدر المنثور)، دار إحياء التراث العربي، (بيروت/ د. ت)، ص٥٤٥.

(٨) ف. دوجلاس موسشيت، مبادئ التنمية المستدامة، ترجمة: بهاء شاهين، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط١، (القاهرة / ٢٠٠٠م)، ص١٣.

(٩) إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، ص٦٥.

(١٠) محمد عابد الجابري، العقل العربي، محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، (بيروت/ ٢٠٠٧م)، ٤٦.

(١١) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت/ ٢٠٠٥م)، ص١٥.

(١٢) جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة والإنسانية، دار ومكتبة صعصعة، ط١، (البحرين/ ٢٠٠٣م)، ج١،ص٩٧.

(١٣) مهدي حبوبة: ملامح من عبقرية الإمام علي، مطبعة الإرشاد، ط٢، (بغداد/ ١٩٦٧م)، ص١١٦.

(١٤) نهج البلاغة، ج١، ٢٥- ٢٦.

(١٥) نهج البلاغة، ج١، ص٦٩.

(١٦) نهج البلاغة، ج١، ص٥٢٦.

(١٧) نهج البلاغة، ج١، ص٦٩.

(١٨) نهج البلاغة، ج١، ص٧٩.

(١٩) نهج البلاغة، ج١، ص٢٨.

(٢٠) نهج البلاغة، ج١، ص١٣٥.

(٢١) الآباط جمع إبط، وضرب الآباط: كناية عن شد الرحال والمسير. (نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٩، هامش١).

(٢٢) نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٩.

(٢٣) نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٨.

(٢٤) نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٨.

(٢٥) نهج البلاغة، ج١، ص٦٤٦.

(٢٦) الأزل: الضيق والشدة (نهج البلاغة، ج١، ص١٣٦، هامش ٣)

(٢٧) نهج البلاغة، ج١، ص١٣٦.

(٢٨) نهج البلاغة، ج١، ص١٣٧.

(٢٩) نهج البلاغة، ج١، ١٣٧-١٣٨.

(٣٠) ينظر نهج البلاغة، ج١، ص٦٥، ١٣٠، ١٤٤، ٣٥٤.

(٣١) نهج البلاغة، ج١، ص١٤٤.

(٣٢) نهج البلاغة، ج١، ص١٥٢-١٥٣.

(٣٣) نهج البلاغة، ج١، ص٣١٧-٣١٨.

(٣٤) نهج البلاغة، ج١، ص٤٢٥.

(٣٥) ذكرى عواد ياسر العامري: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، جامعة البصرة/ ٢٠٠٩م، ص١٤٤.

(٣٦) نهج البلاغة، ج١، ص٥٢٩.

(٣٧) نهج البلاغة، ج١، ص١٥٦ -١٥٧.

(٣٨) نهج البلاغة، ج١، ص٣٠٢.

(٣٩) نهج البلاغة، ج١، ص٢٩٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر.

١- السيوطي، جلا الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبكر: تفسير الجلالين (الدر المنثور) دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت/ د.ت).

٢- نهج البلاغة: مجموعة خطي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: الأستاذ محمد عبده، اشرف على تحقيقه وطبعه: عبد العزيز سيد الأهل، منشورات مكتبة التحرير، (د.ب/ د.ت).

ثانياً: المراجع.

١. إبراهيم العسل: التنمية في الإسلام، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط١، (بيروت/ ١٩٩٦م).

٢. جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة والإنسانية، دار ومكتبة صعصعة، ط١، (البحرين/ ٢٠٠٣م).

٣. عباس هاشم عليوي: معالم الفكر التنموي الإسلامي، دار العصمة، ط١، (البحرين/ ٢٠٠٧م).

٤. عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت/ ٢٠٠٥م).

٥. ف. دوجلاس موسشيت: مبادئ التنمية المستدامة، ترجمة: بهاء شاهين، الدار الدولية للاستثمار الثقافي، ط١، القاهرة / ٢٠٠٠م).

٦. محمد عابد الجابري: العقل العربي، محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، (بيروت/ ٢٠٠٧م).

٧. مهدي حبوبه: ملامح من عبقرية الإمام علي، مطبعة الإرشاد، ط٢، (بغداد/ ١٩٦٧م).

فكر الإمام علي (عليه السلام)
في تجديد الخطاب الديني

المدرس الدكتور جمعة ثجيل الحمداني
ذي قار/كلية الآداب

المقدمة

ان من متطلبات وتحديات الواقع المعاصر، ان لاتكون سمته الجمود والانغلاق والانعزالية والتقليد، بل الحراك والانفتاح والابداع، وحتى يتمكن الخطاب الديني من تلبية وتحديات الواقع المعاصر ومواجهة قضايا وهموم الافراد والمجتمعات والارتقاء بشخصية وامكانات الافراد، فلابد من مواكبة هذه التحديات المعاصرة بروح علمية تتلائم مع مايحدث من تغييرات سريعة في الفكر الانساني، وبما ان القرآن الكريم يحث على اعمال العقل والتفكر والتدبر في ايات كثيرة في القران الكريم[1]، فهذا يعني ان ادوات التحررمن الانغلاق والجمود الذي يشوب بعض الخطابات الدينية هي ادوات متوفرة في صميم الدين الاسلامي ودستوره القرآن الكريم.

وحتى يطمئن بعض المشككين في صدق الدعوة الى تجديد الخطاب الديني نقول: ان التجديد في الخطاب الديني، لايكون في ثوابت واصول الدين والعقيدة، وانما تطوير لغته ومضمونه والمطالبة باخذ كل ماهو جديد لمواكبة الواقع المعاصر والتغيرات الحادثة والمستجدات المستمرة، وما يحيط بها من تحديات.

والتجديد سنة من سنن الكون وضرورة من ضرورات العصر التي لا غنى عنها، ومصداقا لقوله صلى الله عليه واله وسلم: (ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها). والفرد والمجتمع معنيان دائما بالتجديد والتحديث والتغيير والابداع.

والمقصود بالتجديد هو: تجديد النظر في الدين او تجديد الفهم الديني، ذلك الفهم الذي انتجه العقل الانساني في علاقته تاريخيا مع الدين: فهما وتاويلا وتفسيرا، وليس المقصود تجديد الدين نفسه: حذفا او اضافة او ما شابه[2].

اما مشكلة الشباب وكيفية تعاطيهم مع الخطاب الديني التقليدي فهذه بحاجة

الى وقفة مهمة وجادة، فالملاحظ ان الشباب في ضوء ثورة الاتصال والمعلوماتية، وما افرزته الحضارة المعاصرة من تداعيات، اصبح اليوم اكثر تمردا وخروجا على المألوف لتراثي.

وعلى هذا الاساس ينبغي ان لا يتم التعامل مع جيل الشباب على انه قطيع ساذج، ويكفي التعاطي مع مع اشكالاتهم بالوعظ المجرد وحسب، على امل تحصينهم من الغواية والفساد، كما يطمح لذلك الدعاة والمصلحون، ومن ثم نضمن الحيلولة دون وقوعهم في شطط التمرد على المألوف من الاعراف والمعتقدات بمثل هذه السهولة.

كما انه لابد من الاشارة الى ان التعويل على اسلوب الردع بمختلف الاساليب، واعتماد العقاب، صعودا الى التكفير بعد الموعظة، للحد من هذه الظاهرة لن يجدي نفعا على قاعدة: (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)[٣] وخاصة على المدى الطويل.

ويبدو ان التمسك بالاليات المطروحة فقط في هذا المجال غير مجدية، بعد ان اخفقت في وقف انتشار مظاهر التحلل والفساد والالحاد، في المجتمع بشكل عام، وبين شريحة الشباب بشكل خاص.

ويلاحظ ان كثيرا من الدعاة بقصورادوات تناوله، يفتقر الى التاثير الفاعل في الاوساط الاجتماعية للناس، والشباب بالذات، وبالتالي عجز عن تقديم اجابات مقنعة، او حلول موضوعية ـ للاستفهامات المتزايدة للجيل الجديد من الشباب، ورد نقدهم لاساليب الدعاة في الوعظ، وتفنيد شعورهم بتيبس الموروث المعرفي الديني الذي اثبت في نظرهم عجزه عن التصدي للمناهج الفكرية المعاصرة.

ان الدعاة اليوم ورجال الدين مطالبون بضرورة حل الاشكاليات المزعومة

عن وجود تعارض بين تفسير النصوص الدينية والاحكام الفقهية، وعليهم الانصات الى صوت الشباب والرد على تساؤلاتهم واستفساراتهم ومناقشتهم مناقشة عقلية صرفة.

هناك سؤال يؤرقنا جميعاً هو: من اين جاءت النظرة السلبية للإسلام؟ هل اتت من المجتمعات الاخرى ؟ ؛ والجواب على ذلك نقول: جاءت هذه النظرة من الخطاب الديني و من روايات لدى طوائف من المسلمين لا تليق بالإسلام، نقلها جهلة او متزلفون لأعداء الاسلام من الداخل مضادوا يتكلمون باسم الاسلام، ورغم ان الخط المحمدي خط اهل البيت عليهم السلام - اقام الحجة على انحراف هؤلاء الا ان البعض لازال يتخذ من هذه المنقولات الخاطئة، والمسيئة ذريعة للانتقاص من الاسلام ونسبته الى المصادر الاسلامية.

ولا يخفى على احد في الوقت الحاضر كيف تعمل وسائل الاعلام الكثيرة، حيث نراها تركز على الحوادث المثيرة ولا تسلط الضوء على الامور الطبيعية ولا الامور الحسنه، وكم من السلوكيات الصالحة لا يتم نقلها في اعلام اليوم الذي لا يهتم للإصلاح والتقريب بين الثقافات بل يهدف الى خدمة الممولين كما هو معروف، وهذا التضليل الاعلامي لم يكن وليد اليوم، وانما تمتد جذوره الى اعماق التاريخ، وقد انتبه الائمة الاطهار عليهم السلام الى هذا النوع من التضليل لذلك دعوا في خطاباتهم الى ان تكون الممارسات الدينية والشرعية وفق الفكر والعلم والعمل الصحيح، وهذا ما تستطيع ان تفهمه من النص الاتي الصادر عن الامام الرضا عليه السلام، والذي يدعو فيه الى الخطاب الاعلامي الذي يبرز محاسن العلوم والسيرة لفكر اهل البيت عليهم السلام. قال عليه السلام: (احيوا امرنا، رحم الله من احيا امرنا، قالوا: وكيف نحيي امركم يا ابن رسول الله ؟ قال: بتعلم علومنا وتعليمها للناس، لان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا..)[٤]، وهذا

يعني ان الناس كانت وربما لازالت تتلقى الفكر الديني باسلوب خطابي مضلل.

ولما كان فكر اهل البيت عليهم السلام يدعو الى دراسة محاسن علومهم التي ورثوها عن المصطفى صلى عليه وآله وسلم الذي جاء رحمة للعالمين وجاء ليتمم مكارم الاخلاق وحسب ما مشهور ومعروف في الكتاب والسنه فما الذي حصل حتى يتغير هذا السلوك نحو الانحدار ؟ وما الذي حصل حتى تخرج دعوات النبي (صلى الله عليه واله وسلم) الاخلاقية ودعوات اهل بيته الاطهار (عليهم السلام) الاصلاحية والعلمية عن نقاوتها لدرجه لا نرى لها تطبيقياً ؟ الجواب: ان السبب السبب ليس وليد الحاضر، وانما تمتد جذوره الى ايامهم عليهم السلام كما اشرنا ، وبسبب الخطاب الاعلامي المضلل الصادر من مناوئيهم والمنحرفين عن الدين الاسلامي الصحيح، ومن ادوات هذا التضليل والتحريف هو نشر الاخبار المخالفة للحقيقة، وفي هذا الخصوص قال الامام الرضا (عليه السلام): ((ان مخالفينا وضعوا في فضائلنا، وجعلوها ثلاثة اقسام، احدها الغلو، وثانيها التقصير في امرنا، وثالثها التصريح بمثالب اعدائنا، فأدا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم الى القول بربوبيتنا، واذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، واذا سمعوا مثالب اعدائنا بأسمائهم ثلبونا باسمائنا وقد قال الله عز وجل: لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم))[٥].

ويفهم من هذا النص الوارد عن الامام الرضا عليه السلام: ان الاعلام المعادي والخطاب المناوئ وفي كل زمان ومكان يعمل بالاتجاه المضاد لفكره والمحاربة القوية لمعارضيه وخصومه وبطرق مختلفة ووسائل قويه قد تنطلي على الكثير من الناس، وبالتالي يؤدي الغرض الذي يطمح اليه بهذه الوسائل المخادعة، ويفهم ايضاً من النص السابق ان الامام عليه السلام اعطانا ادوات العمل واشارالى الانذار النهائي الذي ينبغي ان نكون فيه يقظين، هذا في زمان ومكان لم

تكـن ادوات الخـداع والاعـلام بالمستوى الموجـود الان في حياتنـا المعـاصرة التـي تتعـدد فيهـا اسـاليب الخـداع والتضليـل فكـم هـي اذن المهمـة صعبـة وثقيلـة ؟

لهـذا نـرى ان التفكـير في طـرح الخطـاب الدينـي بطريقـه عقلانيـة بعيـدة عـن العواطـف والاهـواء هـي الاسلوب الامثـل، والانجـح للقضـاء عـلى الافـكار الباليـة.

ومـن الشـواهد الاخـرى الدالـة عـلى تزييـف الحقائـق عـبر التاريـخ والتـي تؤيـد مـا ذهـب اليـه اهـل البيـت (عليهـم السـلام) في طروحاتهـم مـا نقلتـه لنـا المصـادر الاسـلامية فقـد ذكـر ابـن الجـوزي عـن حمـاد بـن زيـد[٦]، قـال: ((وضعـت الزنادقـة عـلى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) اربعـة عـشر الـف حديـث))[٧].

وقـال الذهبـي[٨]: عنـد ذكـر عبـد الكريـم بـن ابي العوجـاء[٩] الـذي قتـل في زمـن المهـدي العبـاس، وبعـد ان أيقـن بالمـوت وأخـذ ليضـرب عنقـه قـال: ((وضعـت فيكـم اربعـة الالاف حديـث احـرم فيهـا الحـلال واحلـل فيهـا الحـرام)) وفي روايـة: ((والله لئـن قتلتمـوني لقـد وضعـت فيكـم اربعـة الاف حديـث احـرم فيهـا الحـلال واحـل فيهـا الحـرام ولقـد صومتكـم يـوم فطركـم، وفطرتكـم يـوم صومكـم))[١٠].

اننـا يجـب ان نعمـل مـن أجـل جعـل ائمـة اهـل البيـت عليهـم السـلام يتحركـون معنا في حياتنـا ومواقعنـا مـن جديـد ليقـودوا حركتنـا مـن موقعهـم الفكـري الاسـلامي، ومـن موقعهـم الروحـي الايـماني، ومـن امامتهـم المتحركـة في اتجـاه حمايـة الديـن مـن الانحـراف عـن خـط الله تعـالى ورسـوله الكريـم (صـلى الله عليـه والـه). مـن هـذا المنطلـق ندعـو الامـة ممثلـة بعلمائهـا ومفكريهـا ودعاتهـا العاقلـين المنفتحـين الداركـين لجوهـر وحقيقـة الديـن كرسـالة محبـة وانفتـاح وقيـم انسـانية رفيعـة الى اثـارة كل مفاهيمهـم عليهـم السـلام عقيـدة وشريعـة، وبهـذا الخصـوص قـال الامـام الباقـر عليـه السـلام: (وهـل الديـن الا الحـب)[١١]، فـما ابلـغ هـذا الـكلام ومـا اجملـه ومـا اروعـه مـن تصويـر نابـع مـن الاعـماق وغـير مشـوش، ورغـم كلماتـه القصـار فهـو ذات معنـى كبـير وعميـق.

المبحث الاول
دور القرآن في الخطاب الديني
عند الامام علي (عليه السلام) وتجديده

القرآن الكريم الذي: ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد))[١٢] يطرح بوضوح التميز الذي تقوم به حركة لتاريخ بمتغيراته وتنوع وقائعه واحداثه. والقرأن يقدم منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري، والقران الكريم هو الحل الوحيد لحل والغاء التناقضات في الافكار المنحرفة التي اصيب بها الكثير. والقرأن الكريم فيه تبيان لكل شيء.

اما كتب التراث الاسلامي كما هو معروف فيها من الاختلاف والتناقض مايفوق بكثير من المشتركات والتوافقات.

بينما يؤكد لنا القرآن وبصريح الكلام: ((افلا يتدبروا القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف كبيراً))[١٣]. وليس هناك ابلغ من كلام الخالق جل وعلا الذي يجزم بعدم وجود الاختلاف في الامور الدينية العقائدية كونها تنبع ن مصدر واحد هو الخالق عز وجل.

أي ان الخطاب الديني يجب ان يعتمد بالدرجة الاساس على القرآن الكريم في شحذ الخطاب بنصوصه الشريفة لانه كتاب الله تعالى ومرجع التشريع الاسلامي فضلاً عن حاكميته التي ستفرض الايمان بالله ورسوله.

والذي نتمناه ان يكون هكذا ولكن هذا لا يمثل الواقع كونه يصطدم بمشكله كبيرة ليست بغريبه عن المتابعين للخطاب الديني على مر التاريخ. وهي ان الناس

فهمت القرآن وطيلة القرون والعقود الماضية بطريقة كتب التراث الاسلامي.

وعلى مدى اكثر من الف سنه لم تستطع هذه الكتب ان توصل الاسلام الحقيقي الذي اراده القرآن، والسبب في ذلك ان الروايات التي ملأت بطون هذه الكتب كان توظيفها سياسياً قبل كل شيء، فأصبحت بمرور الزمن ونتيجة لتكرارها وترديدها وكأنها امر واقع مسلم به.

ان الدور العظيم والواضح الذي سلكه امير المؤمنين عليه السلام في توجيه العامة من الناس الى الفكر الاسلامي الصحيح كان من خلال خطاب ديني يدعو الى اعمال العقل والفكر والتدبر في كتاب الله العزيز، وفي هذا الاطار قال (عليه السلام): ((سلوني قبل ان تفقدوني فو الذي خلق الحية وبرء النسمة لو سألتموني عن اية نزلت في ليل ام في نهار.... ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم..))[١٤].

وهذا النص يؤكد ان القرآن وتخصصه المعرفي هو الاولى والارجح في الشروع بعملية الاصلاح المجتمعي، ومن هذه النقطة فأن الخطاب الديني المعاصر يجب ان يكون متوافقاً مع متطلبات الحياة المعاصرة. اذ لم يزل القرآن هو المرجع الاول والمنهل الاساس في بناء مكونات الخطاب الديني، ويبقى الاصلاح والافساد مرهوناً بتلك المعرفة بكتاب الله تعالى وهو ماجعل هذا الخطاب يتفاوت في التأثير في المجتمعات التي يلقى فيها فضلاً عن الافراد.

ان من سلبيات الخطاب الديني التقليدي هو الجمود على النص والحكم المسبق للفكرة المطروحة للنقاش وتعطيل العقل ومحاربة مبدأ الاختلاف والتنوع، وبهذا يكون العالم الاسلامي قد مني بحركة مناقضة لكل اصلاح وتجديد.

اما ضرورة التجديد في الخطاب الديني فتتمثل في تفعيل منهج الحوار، ولا

ضير في تضارب الاراء عند الحوار، طالما انه يتضمن الحث على تلاقح الافكار، ويعمل على ازالة الاختلافات والوصول الى الفكر الصحيح، وفي هذا المقام يقول امير المؤمنين عليه السلام: (إضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب)[١٥]، وهذا يعني ان امير المؤمنين عليه السلام كان يحمل فكرا خطابيا ثاقبا منذ القرون الاولى، وذلك من خلال امتلاكه ادوات التفسير والتحليل العلمي.

ولكي يتسنى للمتحاورين الوصول الى ارضية مشتركة عمادها الفكر الصائب، فانه يجب على المتحاورين من وجهة نظر الاسلام أن لا يبتعدوا في حوارهم عن المعايير العقلية والمنطقية، ويتحاوروا باسلوب علمي، ويستندوا الى ما تؤمن ضمائرهم بانه حق، ولايخرجوا عن اطار البراهين العقلية، ولايظنوا بان مجهولاتهم العلمية معلومة، واذا روعي هذا الجانب من الادب فهو كفيل بانهاء جميع الاختلافات الناتجة عن خطا الفكر، وهذا المعنى تشير اليه حكمة الامام علي عليه السلام: (لو سكت الجاهل ما اختلف الناس)[١٦]

اما السنة النبوية التي تعد المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عزوجل، فهي مليئة بالكثير من الخطابات العقلانية التي تتوافق مع كتاب الله، وفي الوقت نفسه هناك الكثير من الخطابات والمرويات التي لايقبلها القرآن ولاتقبلها السنة الصحيحة، والسبب في ذلك ان هناك نسبة كبيرة ممن نقلوا لنا هذه الرويات متأثرين بثقافة السلطة على التاريخ فجاءت رواياتهم مشوشة وتصب في مصلح الحاكم، اضف الى ذلك ان الكثير مما كتب وسجل، اما كتب بعقلية غير ناضجة تنطلق من تعصبات مقيتة، او من هوى مذهبي رخيص، لايلتزم بالمنطق السليم، ولايهتدي بهدي العقل، ولا يؤمن بالحوار والفكر كاسلوب افضل للتوضيح وللتصحيح.

ان كتب التراث الاسلامي – للاسف الشديد – تولد عند قارئها شعورا بالتناقض بين محتواها والنص القرآني من ناحية، وبينها وبين المنطق البدهي من ناحية اخرى، فالقرآن اعطى صورة نقية وواضحة لرسالة الاسلام ورفع من قيمة الدين الاسلامي، لكن كتب التراث مليئة بالتناقض والاختلافات.

لذلك برز فكر مدرسة اهل البيت عليهم السلام كمتصدي لحل هذا الاشكالات والتناقضات، فالامام الصادق عليه السلام كان اول من دعا الى تصحيح المسار التشريعي والتاريخي بعرض هذه الروايات على القران للتاكد من صحتها، والزم تلاميذه ومريديه قبل غيرهم بان يعرضوا الروايات المنقولة عنه على القران والسنة الصحيحة حتى تكون مقبولة والا فلا يعتد بها في قوله عليه السلام: (اذا جاءكم الحديث عنا فاعرضوه على الكتاب والسنة فاذا خالفهما فاضربوه عرض الجدار)(١٧).

واستنادا لكل ماتقدم فان الحاجة الى تجديد الخطاب الديني بطريقة معاصرة بعيدة عن الاقصاء ورفض الاخر، وبعيدة عن لغة البغض والكراهية، اصبحت حاجة ملحة وضرورية، بل لابد منها، ولايتم ذلك الا بالاعتماد على القرآن والصحيح من روايات اهل البيت عليهم السلام، والصحيح من الروايات في المؤلفات الاسلامية الاخرى.

ان اعتماد الخطاب الديني على روايات الكراهية والذبح وقطع الرؤوس هو الذي انتج لنا الدواعش وامثالهم، بينما كتاب الله عزوجل مليء بايات التسامح والمحبة والمودة بين الناس، فلماذا كل هذا الابتعاد عن طريق الصواب، هذه هي مسؤولية الخطباء والباحثين فهل من يتصدى؟

ولنأخذ امثلة من الروايات الصحيحة والتي تحث على تحريك العقل والفكر،

ومنها قول رسول الله (صلى الله عليه واله): (تفكر ساعة خير من قيام ليه)[١٨]

وعن امير المؤمنين عليه السلام عندما سأله رجل بعد انصرافه من الشام: هل ان خروجهم بقضاء وقدر؟ فقال الامام عليه السلام: (نعم ياشيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم واديا الابقضاء من الله وقدره، قال الرجل: عند الله احتسب عنائي وما ارى لي من الاجر شيئا، عندها قال الامام علي عليه السلام: بلى فقد عظم الله الاجر في مسيركم وانتم ذاهبون وعلى منصرفكم وانتم منقلبون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، فقال الرجل: وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ؟ قال الامام عليه السلام: لعلك اردت قضاء لازما وقدرا حتما ؟ لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي وما كانت تاتي من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن، ثم قال: ان الله تعالى امر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا...ولم يطع مكرها ولم يرسل الرسل هزلا ولم ينزل القرآن عبثا ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا)[١٩].

درس ما اعظمه، وكلمات ما انورها وهي تفك قيد العقل وتحل اغلال التفكير من رواسب التقليد الاعمى، وتطلق العنان لعقل الانسان متاملا ومتدبرا. وتاتي متوافقة ومتطابقة لما يريده الله عزوجل في ان تستخدم نعمة العقل والفكر من خلال وصايا في كتابه العزيز.

ولم يكن فكر الامام الصادق عليه السلام بمعزل عن الدعوة الى القضاء على الجمود الفكري واحداث الثورة الفكرية التي طالما تبتنها مدرسته العلمية الكبيرة، فقد ورد عنه عليه السلام قوله: (افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرته)[٢٠]. ويفهم مهذا النص ان التفكير واعمال العقل ورفض الجمود الفكري والانغلاق يقع في اولويات الدين الاسلامي الى درجة اصبح فيها التفكر والتعقل

افضـل العبـادات.

ان الافكار المتوارثـة عنـد بعـض المذاهـب الاسـلامي آن الاوان لان تصحـح، لكـي يغـادر المسـلم مـن خانـة الانغـلاق الفكـري الـذي اجـبر عليـه بفعـل احـكام وفتـاوى مناقضـة لـكلام الخالـق جـل وعـلا ومناقضـة للواقـع الـذي يعيشـه، والا مالـذي يجـبره الى ان ينصـاع لفكـر انـاس ماتـوا منـذ مئـات السـنين ولا زالـوا يحكموننـا مـن قبورهـم، وكشـاهد عـلى هـذا التـزام ابنـاء بعـض المذاهـب الاسـلامية بفتـوى الامـام الاوزاعـي عندمـا فـال: (ان السـنة قاضيـة عـلى الكتـاب، ولم يجيء الكتـاب قاضيـا عـلى السـنة)[٢١]، كيـف يقـال هـذا لكتـاب الله الـذي فيـه تبيـان لـكل شيء، وكيـف يعمـل المؤمـن بهكـذا قـول ويوجـه لان يعمـل عـلى تـرك كتـاب الله ليتجـه الى اقـوال البـشر الخطائـين، انهـا مفارقـة عجيبـة عملـت مـن جانبهـا عـلى صناعـة الارهـاب والتطـرف

عندمـا انطلقـت صناعـة الحديـث كفعـل بـشري، كان ضروريـا وفـق منطـق الاجتـماع الانسـاني الـذي يؤسسـه مبـدأ التناقـض ان تـاتي مرويـات اهـل الحديـث متناقضـة الى درجـة يصعـب الجمـع بـين حديـث وآخـر، ممـا شـكل تحديـا خطـيرا لجماعـة اهـل الحديـث، ان هـذا التناقـض الكبـير بـين روايـة واخـرى ينهـض دليـلا ضمنيـا عـلى انهـا مـن صنـع البـشر لا مـن عنـد الله. لان كلام الله ينفـي التناقـض في الاقـوال جملـة وتفصيـلا لقولـه تعـالى: (افـلا يتدبـروا القـران ولـو كان مـن عنـد غـير الله لوجـدوا فيـه اختلافـا كثـيرا)[٢٢] فـكلام الله يرفـض التناقـض بصريـح الايـة، فايهـما نصـدق كلام الله أم كلام البـشر؟

لقـد انتـج الخطـاب الدينـي المتشـدد والبعيـد عـن العقـل نصوصـا مخالفـة للحكمـة الالهيـة في خلـق البشر، وكمثـال عـلى مـا نقـول: فان الانحـراف بموقـع الحـوار الـذي كان لاهـل الكتـاب في الاسـلام القـرآني الى موقـع العـداء الـذي اسسـوا فيـه مـن الاحاديـث

التي وضعت على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونموذجها الاحاديث التالية: (لايموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه يهوديا او نصرانيًا)[٢٣]، او: (قال رسول الله صلى الله عليه واله : اذا كان يوم القيامة دفع الله عزوجل الى كل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار)[٢٤]، وفي رواية اخرى: (عن النبي صلى الله عليه واله قال: يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى)[٢٥].

ولابد من القول بعدم صحة هذه الروايات احتراما لقوله تعالى: (ولا تزروا وازرة وزر اخرى)[٢٦]، واذا طلقنا عقولنا وقبلنا بها، فلماذا اليهود والنصارى، لماذا لاتوزع على المجوس والبوذيين وغيرهم من اصحاب الديانات الوضعية، فهل لايحاسب يوم القيامة الا نحن واليهود والنصارى ؟ طبعا المسالة مسالة روايات لا اساس لها من الصحة، ووضعت لهدف واحد هو الاساءة لمنهج الله تعالى.

ونتيجة هذه الرغبة في السيطرة والهيمنة انطلقت الية صناعة الحديث بجنون ضد العقل المنطقي في اباحة للمسلم ان يتفبل جميع التناقضات بنوع من الانشطار في الشخصية، وبخنوع وخضوع للمشيئة البشرية.

المبحث الثاني

الخطاب الديني بين الجمود والحداثة

ثبت بما لايقبل الشك ان التمسك بالاليات المطروحة غير مجدية في معظم الاحيان، ولن تجد لها من يتلقاها بالمقبولية والرضا في احيان كثيرة ايضا. بعد ان اخفقت في وقف انتشار مظاهر التحلل والفساد والالحاد في هذا المجتمع بشكل عام، وبين شريحة الشباب بشكل خاص.

ويلاحظ ان كثيرا من الخطباء بقصور ادوات تناولهم، يفتقرون الى التاثير الفاعل في الاوساط الاجتماعية للناس، والشباب بالذات، وبالتالي عجزهم عن تقديم اجابات مقنعة، او حلول موضوعية للاستفهامات المتزايدة للجيل الجديد من الشباب، ورد نقدهم لاساليب الخطيب وطريقته في الوعظ والارشاد، وتفنيد شعورهم بتيبس الموروث المعرفي الديني الذي اثبت في نظرهم عجزه عن التصدي للمناهج الفكرية المعاصرة.

ان الثقافة الاسلامية التي خلفها لنا الخطاب الديني التقليدي اوصلت للمتلقي فكرة ان الحياة غير ذات قيمة من خلال ايراد الروايات والاحاديث التي تقلل من قيمة الحياة وتعتبرالتمسك بها نوع من المذمة، فركز الخطيب على احاديث الموت في سبيل الله،وتعليم الشباب كيف يموتوا في سبيل الله ولم يعلموهم في يوم من الايام كيف يحيوا في سبيل الله.

وكشاهد على ما نقول: يبتدئ الخطيب حديثه بتفسيره للحديث القدسي: (قال الله عزوجل...يا ملائكتي اخرجوا من النار كل عين بكت من خشية الله...)، ويقول: جمود العين اي عدم بكائها من قسوة القلب، وقسوة القلب

من كثرة الذنوب، وكثرة الذنوب من نسيان الموت، ونسيان الموت من طول الامل، وطول الامل من شدة الحرص، وشدة الحرص من حب الدنيا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، والافتتان بها سبب كل مصيبة، وموجب للافلاس والخسارة في الدنيا والاخرة، وكم من الناس من جرهم حب الدنيا والافتتان بها الى ظلم الناس بالشتم والقذف وشهادة الزور...)، ثم يكمل روايته بحديث اخر ويقول مخاطبا بصوت عال: (ايها المسلمون ورد في الاحاديث ان كل خطيئة اصلها حب الدنيا)[٢٧]، وفي الحديث: (ما من عمل بعد معرفة الله ورسوله أفضل من بغض الدنيا)[٢٨].

هذه الكلمات تطالب وبلا مواربة وبصوت يبعث في المستمع احساسا بذنب ما، بالادبار عن الدنيا والسعي وراء البكاء، ثم يختم الخطيب توظيفه للحديث بالتاكيد على ان حب الدنيا رأس كل خطيئة، وكأن حب الحياة شيء مذموم، واحتقار الحياة وازدرائها شيء حميد، وهذا ما يولد شعورا بالاحباط وعدم الثقة بالنفس التي هي اشد الامراض الاجتماعية واخبث الافات الروحية، ولا يتسلط هذا الداء على امة الا وساقها الى الفناء.

وحين يقدم الخطيب الديني هذه الثقافة الانهزامية المخيفة، فهل يبقى مجال للابداع والعمل والانتاج، وهل يستطع العقل المحدود بتفكيره من هذه الاجيال الشابة استيعاب مايطرح من فكر تشاؤمي الى حد يصل به المطاف كراهية الحياة ؟ فتسد بوجهه ابواب الحياة عندما يحرم عليه ان يفكر حتى بطول الامل.

وحين نلجأ الى النصوص القرآنية نجد ان كل هذه الروايات مخالفة وبشكل واضح لا لبس فيه الى النص القرآني الذي يفرض على الفرد المسلم ان لا ينسى نصيبه من الدنيا لقوله تعالى: (وابتغ ما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[٢٩]

اما احاديث اهل البيت عليهم السلام بهذا الخصوص فهي موافقة للقران وتحث على حق الفرد المسلم في ان يستمتع بحياته التي وهبها الله له، ويقف في مقدمتها حديث امير المؤمنين عليه السلام: (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا، واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا)[٣٠]، ومنها حديث الامام الصادق عليه السلام: (ان نعم العون على الاخرة الدنيا)[٣١]، وقال عليه السلام: (لا خير في من لايحب المال من حلال، يكف به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه)[٣٢]، ولا شك ان حب المال وحب الحصول عليه نابع من محبة الانسان للدنيا والعيش برخاء ونعيم، وفي الحديث: (ليس منا من ترك دنياه لاخرته)[٣٣].

ان الصورة الغالبة للخطاب الديني المعاصر تحتاج الى النقد والى المراجعة الهادئة في غير مبالغة او تهويل. وان من الخطأ التعميم في اصدار الاحكام، وان من الخطباء والمفتين من خلال خطاباتهم من ابتعدوا عن هذه المظاهر، فقدموا بذلك للاسلام وللتدين به صورة مشرقة موصولة بالاصول مستجيبة لحاجات الناس واعية بما طرأ على الدنيا من تغييرات.

وكثيرا ما توقف بعض العلماء والباحثين عن البوح بالحقيقة، اوعن بعض المظاهر الدينية في الفكر الاسلامي، او في الشعائر والطقوس الدينية خشية تأليب من لا فهم لهم بهذه القضية او تلك، او ان من ورائهم سلطة دينية او سياسية مستفيدة او منتفعة من الواقع.

واحيانا يتهم الناقد بميله الى فكر اخر وطائفة اخرى وتنكره لعقيدته وايمانه، او انه انحرف عنها وتزندق وارتد، وادل مثال على ذلك توقف بعض العلماء عن النقد او توجيه التهمة بالارهاب لبعض القتلة او المستخفين بالحرمات الانسانية، وايضا نقد بعض المظاهر العاشورائية.

واذا رجعنا الى تعاليم الاسلام نجد انها لا تضيق ذرعا بالاختلاف، ولا تشمئز وتقف بوجه النقد، بل تكفل كل الحرية، ولكن ذلك نادر في تاريخ المسلمين، فالتاريخ أثبت ان معظم الذين باحوا بما في صدورهم مما اعتقدوه حقيقة علمية او فلسفية او دينية نالوا من الاضطهاد بالتعذيب والحبس او القتل الشيء الكثير.

وهذا ما حدث للسيد محسن الامين العاملي وللسيد ابي الحسن الاصفهاني والسيد فضل الله، حيث اتهموا بالزندقة، والمروق من الدين بسبب نقدهم لبعض السلوكيات الدينية ووصفوا هم واتباعهم بالامويين بينما المعارضون لهم او من سوقوا لهم التهم يصفون انفسهم بالعلويين، انها نكبة المقاييس.

المطلوب في النصوص الدينية ان تتناسب والتطورات المعرفية في كل الازمنة، بمعنى انها لابد ان تكون قادرة على ركوب الامواج المعرفية فتتناسب او قل لا تتناقض مع العلوم والمعارف البشرية في كل حقبة من الحقب.

المبحث الثالث

الاسباب والمعالجات

وتأسيسا لما تقدم يمكننا ان نشخص اسباب الانحراف في الخطاب الديني التقليدي بعدة عناصر:

أولا: يركز الخطاب التقليدي على الترهيب والتخويف واهمال الترغيب.

الذي يحصل في الخطاب الديني هو طغيان اسلوب الترهيب والتخويف على اسلوب الترغيب، والترغيب هو سنة كونية تتلائم مع الفطرة الانسانية، واقوى الادلة على ذلك ان كتاب الله العزيز يوازن بين الترهيب والترغيب والاعتدال بينهما، والمتامل في ايات القرآن يجد ان الله تعالى كثيرا ما يردد اية نعيم ويردفها باية عذاب، وكذلك يورد اية عذاب ثم يتلوها باية نعيم، كقوله تعالى: (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا، فان الجحيم هي المأوى، واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فان الجنة هي المأوى)[٣٤].

واسلوب الترغيب والترهيب واضح منذ اوائل السور القرانية، فقد ابتدأت سورة البقرة حديثها عن الكافرين واعمالهم ومصيرهم، ثم اتبعت ذلك بالحديث عن المنافقين واعمالهم، ثم تلت الحديث عن المؤمنين، وذلك في قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار)، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهَّ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾[٣٥]، وقوله عزوجل: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[٣٦].

ان اسلوب الترغيب اسلوب قرآني بامتياز، اما اسلوب الترهيب فهو نتاج

الازمات النفسية التي يعاني منها المجتمع، ومنها الخطيب الذي نراه في معظم الحالات يجعل كل حديثه ترهيبا او كله ترغيبا حسب توظيفه للفكرة التي يريد تسويقها للناس - ولا يتناوب بين الاثنين حتى لايطغى جانب على جانب، فيفرط في التمني للثواب دون عمل، او يقنط من رحمة الله وعفوه.

فالخطاب الديني الاسلامي غالبا ما يعتمد على الفرد وعلى الارتجالية وسرد القصص التي تحدث مع الخطيب نفسه لدرجة انه يفي بعض الاحيان يتحول وكأنه يسرد قصة حياته ومعتقده وفكره وثقافته ويسقطها على الاخرين ليتعضوا منها، دون مراعاة لطبيعة وتركيبة المتلقين الجالسين، ومنها عدم معرفته بمستوياتهم الثقافية والبيئية، ولا يعتمد الخطيب ابدا على التخطيط او على الاستراتيجيات، ولذلك يقع في اشكال كبير.

والحق يجب ان يقال: ان من المهم للدعوة اليوم وللدعاة المتخصصين ان يبينوا للمدعوين ان الاسلام جاء للحياة، جاء لكي ينعم الناس بحياة افضل، وان الاسلام دين لم يأت للعزاء والمآتم فقط، وانما جاء للحياة، وحث الشباب المتطلع للحياة والبقاء، وكلنا يكره الموت.

وكمثال على نجاح جانب الترغيب في دعم قوة الاسلام والمسلمين منذ عصر الرسالة، فقد نتج عن اسلوب الترغيب بالمال الذي استخدمه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، دخول بعض المشركين في الاسلام وتثبيت قلوب الاخرين عليه، ثم تحولهم جميعا جنودا مجاهدين تحت راية الاسلام، ونتج عن اسلوب الترهيب ان دخلته اعداد وافراد تحت سلطة الخوف فلم يؤمنوا به رغم استسلامهم واعلان اسلامهم، فقد دخلوه مكرهين فاصبحوا منافقين يكيدون بالاسلام واهله، وخير مثال على ذلك استسلام ابو سفيان حين قال له العباس بن عبد المطلب: (ويحك

ابا سفيان اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والا تضرب عنقك)[٣٧] فاستسلم ولم يسلم.

وخلاصة القول: اننا لو نظرنا الى ايات الترغيب والترهيب في القران لوجدناها متلازمات، والحكمة من ذلك ان من لا يؤثر فيه الترغيب وثوابه يؤثر فيه الترهيب وعقابه، فالترغيب في الثواب يشجع على النشاط والعمل، بينما الترهيب من العقاب يردع عن التمادي في الغي والضلال، خاصة بعد بيان سوء عاقبة ذلك واثره.

ثانيا: من اساليب الخطاب الديني التقليدي: تمجيد التاريخ والتغني بالماضي وبالامجاد.

المعروف عن الشخصية العربية انها شخصية ماضوية تحب الماضي وتعشق الحنين اليه والتغني به، وللاسف سارت هذه العادة في الفكر الديني فاخترقت الخطاب الديني الاسلامي. فاصبح الفكر الاسلامي يعاني من مشكلة النزعة الماضوية التي تعيد انتاج مقولات الفقهاء الموتى فقهاء القرون الاولى. فبين الفينة والاخرى يخرج علينا فقهاء الدين بفتاوى تثير الاستغراب مثل رضاعة الكبير، وتحليل قتل المرتد وقتل تارك الصلاة، وما الى ذلك من فتاوى كل واحدة منها اغرب من الاخرى، والادهى من ذلك ان هذه الفتاوى رغم غرابتها تجد لها مناصرين كثر داخل مجتمعاتنا الاسلامية التي تعاني من الفصام الزمني.

هذه الفتاوى هي نتاج لماضوية مطلقيها الذين يعيشون في الحاضر بعقلية تعود لازمان خلت، الحاضر ملغى عندهم فكرا وفلسفة، حداثة وحضارة، فقهاء ومتدينون برمجت عقولهم ببرامج ماضوية فاصبحوا يعيشون حالة شيزوفرانيا زمنية حادة، وكلما زاد ارتباطهم بالحرف والنص وبالشخصيات التراثية كلما

زادت حدة الفصام الزمني لديهم، انهم يعيشون الماضي، انهم اناس يعيشون خارج التاريخ، المسالة الاخطر هي انهم اناس يحلمون باستعادة الماضي على حالته في المستقبل، وحركة داعش خير مثال على ذلك، حين يصرحون بانهم يريدون اعادة امجاد الصحابة.

ان تمجيد التاريخ وراءه دوافع سياسية، وهذه الدوافع السياسية هي التي ادت بفقهاء السلاطين ان يزوروا الاحاديث والروايات ويشرعوا من خلالها احكاما فقهية لخدمة الحاكم، فاسسوا اسلاميا سياسيا على مقاس الحاكم لتبرير سياسته. وكمثال على مانقول نذكر بعض الاحاديث التي تدعوا لطاعة الحكام حتى ولو كان فاسقا. فقد نقلوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الاحاديث الآتية:

 (تسمع وتطيع للامير، وان ضرب ظهرك، واخذ مالك، فاسمع واطع)[٣٨]

 (من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية)[٣٩]

 (اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ماحملوا وعليكم ما حملتم)[٤٠]

وهذه الاحاديث الموضوعة والموظفة توظيفا سياسيا لا علاقة للدين بها لا من قريب ولا من بعيد، هذه الاحاديث اتت ثمارها واكلها في القرون القادمة حين قال ابن تيمية مهاجما الحسين عليه السلام لخروجه على يزيد: (انه لم يكن في خروجه مصلحة لا في دين ولا في دنيا، وكان في خروجه وقتله من الفساد مالم يحصل لو قعد في بلده فان ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار سببا لشر عظيم، وكان قتل الحسين مما اوجب الفتن...)[٤١]

هـذا مثـال لتمسـك البعـض بتمجيـد التاريـخ الـذي ولـد تمجيـد وتعظيـم الحاكـم ومـن ثـم ادى كل ذلـك الى وضـع وتزويـر الاحاديـث التـي تحـرم الوقـوف بوجـه الحاكـم، فاصبـح الخطـاب الديني داعيـا -سـواء بقصـد او مـن دون قصـد- الى مناصرة ظلـم الحـكام، وضرب ثـورة المسـلم الـذي يقـف بوجـه هـذا الظلـم حتـى لايتـورع عـلى تكـرار رفـض الظلـم والقبـول بـما يفرضـه الحاكـم، مـع اننـا لـو فتشـنا كل ايـات القـران الكريـم لم نجـد ايـة واحـدة تدعـوا الى ظلـم النـاس، او تدعـوا النـاس الى قبـول الظلـم وعـدم مواجهتـه.

وعندمـا نقـول ان الاحاديـث المـارة الذكـر غـير صحيحـة ومزورة، فـان ممـا يدعـم قولنـا هـو وجـود العديـد مـن الاحاديـث المناقضـة لهـا، ومنهـا قـول رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه): (مـن رأى منكـم سـلطانا جائـرا مسـتحلا لحـرم الله، ناكثـا لعهـد الله، مخالفـا لسـنة رسـول الله، يعمـل في عبـاد الله بالاثـم والعـدوان، فلـم يغـير عليـه بفعـل ولا قـول كان حقـا عـلى الله ان يدخلـه مدخلـه)[٤٢].

وهـذا الحديـث يتناقـض تمامـا مـع مـا ورد في الاحاديـث السـابقة، كونـه يـوصي وعـلى لسـان رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) بالثـورة ضـد الحاكـم الظـالم الفاسـق الـذي تعـدى حـدود الله، وحكـم بغـير مـا انـزل الله.

الخاتمة:

توصل البحث بعد ان اكتملت صورته الأخيرة الى جملة من النتائج والتوصيات يمكن اجمالها بالاتي:-

١. ضرورة تجديد الخطاب الديني بطريقة فكرية معاصرة تلائم التطور الحاصل بمختلف مجالات الحياة، فالثورة التكنولوجية والاعلامية القوية التي تغزو بيوتنا، جعلت منا ان نكون مقرين ومعترفين بها لهذه الثورة من تأثير فكري قد يغزو عقول مختلف الفئات العمرية ؛ وهنا يجب مخاطبة الشباب بعقلية القرن الحالي لا بعقلية القرون القديمة بعد ان ثبت عدم نجاح الاخير.

٢. ضرورة تحليل النصوص الدينية عن طريق العقل والمنطق وازالة اللبس الحاصل بين معارضة النصوص الدينية للواقع الحالي ومعارضتها كذلك في كتب الفقه.

٣. ان فكر اهل البيت (عليهم السلام) نابع من كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبما ان الائمة عليهم السلام اوصونا بعرض الروايات على القرآن، فالاجدر بنا ان نعتمد على كتاب الله والابتعاد عما خلفته لنا كتب التراث الاسلامي التي تمجد الماضي والتغني به حتى لوكان على حساب الحقيقة.

٤. من خلال البحث هناك اشارات للعلماء والخطباء والدعاة بضرورة اخذ دورهم الفكري في التفسير والابتعاد عن الجمود الذي ثبت عدم جدواه. وهذا الدور لايأتي بسهولة الا اذا كان هناك اصرار لبث الفكر الاسلامي المتنور والملائم لجميع العصور والامكنة.

٥. الخطاب المعتدل: ضروري ومهم جداً لانتشال الواقع الاسلامي الحالي والمرير. والخطاب المعتدل هو الطريق الوحيد لمحو النظرة السلبية عن الاسلام. حيث فشل الخطاب التقليدي في ايصال الاسلام الصحيح. كما هو معروف.

٦. نشر العلم والمعرفة الشرعية قبل الانفتاح الثقافي على الامم لتحقيق التحصين الفكري، ومعالجة الخطاب الديني المتطرف والرد عليه بأساليب فكرية وليس بالعنف.

٧. ادخال الوسائل الحديثة في تقديم الخطاب الديني واصلاح مناهج التعليم.

والله ولي التوفيق

هوامش البحث:

١. الاعراف:١٧٦ ؛ يس:٦٨ ؛ الحشر:٢١.

٢. صلاح الجابري، مشاريع نهوض ام مشاريع انتكاس، ص ٣٣.

٣. يونس: ٩٩

٤. الصدوق، عيون الاخبار، ج٢،ص٢٧٥.

٥. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٢

٦. حماد بن زيد: احد الاعلام، اصله من سجستان، سبي حدها درهم منها، عاش فترة من حياته بالبصرة. ينظر: (الذهبي، سير الاعلام النبلاء، ج٧، ص ٤٥٧).

٧. ابن الجوزي، الموضوعات، ج١، ص٣٨.

٨. ميزان الاعتدال، ج٢،ص٦٤٤.

٩. عبد الكريم ابن ابي العوجاء، خال معن بن زائدة، زنديق معثر، قتله محمد بن سليمان العباسي الامير بالبصرة. ينظر: (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢،ص٦٤٤).

١٠. المجلسي، بحار الانوار، ج٥٥، ص٣٥٧.

١١. البرقي، المحاسن، ج١، ص٢٦٣.

١٢. فصلت: ٤٢.

١٣. النساء:٨٢.

١٤. الصدوق، الامالي، ص٤٢٢.

١٥. الليثي الواسطي، عيون الحكم، ص٩١.
١٦. الاربلي، كشف الغمة، ج٣، ص١٤١.
١٧. الكليني ' الكافي، ج١، ص٦٩.
١٨. البرقي، المحاسن، ج١،ص ٢٦.
١٩. الكليني، الكافي، ج١، ص١٥٥.
٢٠. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص ١٩٦.
٢١. ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص١٨٦.
٢٢. النساء: ٨٢.
٢٣. احمد بن حنبل، مسند احمد، ج٤، ص٣٩٨.
٢٤. مسلم، صحيح مسلم، ج٨، ص١٠٥.
٢٥. المصدر نفسه والصفحة.
٢٦. الاعراف: ١٦٤.
٢٧. الكليني، الكافي، ج٢، ص٣١٥.
٢٨. التحفة السنية، السيد عبد الله الجزائري، ص٤١.
٢٩. القصص: ٧٧.
٣٠. الصدوق، من لايحضره الفقيه ' ج٣، ص ١٥٦.
٣١. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص٥٨.
٣٢. الكليني، الكافي، ج٥ ' ص ٧٢.
٣٣. الصدوق من لايحضره الفقيه، ج٣، ص١٥٦.
٣٤. النازعات: ٣٧ - ٤١.
٣٥. الزمر: ١٧.
٣٦. النساء: ١٣.
٣٧. الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص١٦٦.
٣٨. مسلم، صحيح مسلم، ج٦، ص٢٠.
٣٩. الشوكاني، نبل الامطار، ج٧، ص٣٥٦.
٤٠. المصدر نفسه، ج٤، ص٢٢٠.
٤١. السيد علي الميلاني، دراسات في مناهج السنة، ص٣٥٧.
٤٢. ابن الاثير، الكامل ؛ ج٤، ص٤٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية

ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٣، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٤م).

٢- مسند احمد، (دار صادر، بيروت، د. ت).

الاربلي، ابن ابي الفتح (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م).

٣- كشف الغمة في معرفة احوال الائمة، ط٢، (دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

البرقي، احمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م).

٤- المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، (دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م).

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

٥- الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)

الحر العاملي، محمد بن الحسين بن علي بن محمد (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م)

٦- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط٢، (مؤسسة آل البيت (عليه

السلام) لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق: خيري سعيد، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت).

٨- ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

عبداللة الجزائري (ت ١١٨٠ هـ / ١٧٨٦م).

٩- التحفة السنية (مخطوط)، تحقيق: شرح الجزائري، مخطوط (ميكروفيلم مكتبة استانة قدس).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م)

١٠- نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، (دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)

١١- عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: حسين الاعلمي، مطابع مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٢- من لا يحضره الفقيه، ط١، (الأميرة للطباعة، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

١٣- تأويل مختلف الحديث، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)

١٤- الكافي - الأصول والفروع والروضة، ط١، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

الليثي الواسطي، ابو الحسن علي بن محمد (ق ٦ هـ).

١٥- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، ط١، (دار الحديث، قم، د. ت).

المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م)

١٦- بحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار، ط٢، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

١٧- صحيح مسلم، ط١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٣٠٨م)

١٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

ثانياً المراجع الحديثة

السيد علي الميلاني.

١٩- دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، مدخل شرح منهاج الكرامة، ط١، (ياران، قم، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

صلاح الجابري

٢٠- مشاريع نهوض أم مشاريع انتكاس، مجلة فضاءات، العدد ١٧، ٢٠٠٥، ليبيا.

المحتويات

المحور الإداري والاقتصادي

الفساد الإداري... الوقاية والعلاج حكومة الإمام علي (عليه السلام) أُنموذجاً

الاستاذ المساعد الدكتور عبد الزهرة جاسم الخفاجي

الكلية الإسلامية الجامعة – النجف الأشرف

مدخل إلى المعالجات الاستراتيجية التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام)

في معالجته لمشكلة الفقر

فاطمة مصحب لفته

جامعة واسط / كلية الادارة والاقتصاد

الإمام علي (عليه السلام) بيان لدولة الإنسان وإنسانية الدولة

الباحث محسن وهيب عبد

محور القضايا المعاصرة

أسس التنمية البشرية في المنظور الاسلامي فكر الإمام علي (عليه السلام) انموذجا

م.مناف مرزة نعمة أ.م.د.نزار كاظم صباح

كلية الادارة والاقتصاد - جامعة القادسية

الحوار الحضاري في فكر الامام علي (عليه السلام)

الأستاذ المساعد الدكتورة عامرة تمكين نعمة الياسري

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

الخطاب الديني ونفور الشباب منه وآليات بناء الثقة

في ضوء فكر الإمام علي (عليه السلام)

الباحث محمد قاسم عبد الحميد الحبوبي